استراتيجية الفتوحات الإسلامية (٥)

الفتح الإسلامي لمصر

أحمد عادل كمال

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع
٢٠٠٣/٣٧١٠

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

مقدمة

منذ بدأنا رحلتنا الطويلة مع حركة الفتوح الإسلامية نبحث ما خفى منها حتى نخرجه إلى القارىء المعاصر سهلاً ميسوراً يقف من حيث وضوحه نداً لما كُتب عما شهدته كرتنا الأرضية من معارك وحروب قديماً وحديثاً ، منذ بدأنا ذلك ونحن نجد أنفسنا مع كل عمل من هذه الأعمال فى حاجة إلى شىء جديد نضيفه إلى منهج البحث حتى يتسنى لنا مواصلته .

فى فتوح العراق وإيران والشرق الإسلامى اعتمد بحثنا أساساً على تتبع تحركات القبائل العربية فى ميادين القتال باعتبار أن هذه القبائل وحدات حربية مقاتلة ومتابعة أفراد هذه القبائل من خلال هذا المنظار ، فكان ذلك هو المفتاح الذى مكّن لنا من حل مغميات ذلك الإنجاز واستطعنا من خلاله أن نضع هذه المادة بثرائها وغناها كتاباً منشوراً . ولم يكن الخلاف بين المرويات عائقاً يذكر حيث كانت الروايات متوازية غالباً يتمم بعضها بعضاً فلم تتعارض إلا فى أقل من القليل ، هذا مع ما كان يلزم ذلك من تجميع المادة التاريخية من مختلف مصادرها ثم توقيع ذلك على خرائط صحيحة منضبطة تعتمد على الخرائط الحديثة ثم الرجوع بها إلى ما كانت عليه استناداً إلى ما كتب البلدانيون المسلمون قديماً . وضمّنّا ذلك كتبنا الثلاثة :

* الطريق إلى المدائن .
* القادسية .
* سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية .

فلما فرغنا من ذلك وانتقلنا نبحث فتح الشام وجدنا أن ذلك المفتاح لم يعد يكفى وحده لإخراج بغيتنا على المستوى الذى درجنا عليه لكثرة الإختلافات الجوهرية بين ما أخرجته المصادر فأضفنا إلى منهجنا فى البحث مفتاحاً آخر هو تحقيق الروايات والأسانيد ودراسة

الرواة للترجيح بين ما يستحيل التوفيق أو الجمع بينها وهى كثيرة وفيرة فى روايات فتوح الشام . وهكذا أمكن ـ وبغيره لم يكن يمكن ـ تصوير تحركات فتح الشام ولا استبانة حقيقة ما حدث على تلك الأرض المباركة حتى دخلت فى دين الله ، وأفرغنا ذلك فى كتابنا الطريق إلى دمشق .

والآن ونحن نبحث فتح مصر كعملية حربية تصدمنا المصادر بشيء جديد يصادفنا لأول مرة ، ذلك أن المؤرخين الإسلاميين المصريين قد ولوا وجوههم ناحية أخرى عرفت بالخطط ... ويعنون بها تخطيط المدن . ابتكروا فرعاً جديداً من فروع علم التاريخ هو دراسة تاريخ المدن ... كيف نشأت ، كيف أقيمت ، كيف خططت وكيف تطورت وما الذى جرى عليها من تغيير مع أحداث السياسة والحرب والإقتصاد ... أعلامها الذين نزلوا بها من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء والعلماء والفضلاء والشعراء والأدباء والرواة والقضاة ... الخ ، جهد غزير مشكور مأجور ورائد حتى ذهب المؤرخون فى غير مصر إلى تقليده والنسخ على منواله ، بل وسبقه فى بعض الأحيان ولكنه ـ تاريخ الخطط (خطط المدن) ـ احتل مكان الصدارة على حساب المادة التى نبحث عنها ونعنى بها خطط الفتح .

وفى حالتنا هذه كان يمكن لنا الإستفادة من ذلك لإلقاء الضوء على خطط الحرب لو أن تلك المدن كانت بقيت على حالها ولكن وبكل أسف لم يحدث . وعلى وجه الخصوص نعنى مدينة الفسطاط التى اختفت تماماً ولم يبق من معالمها شيء يعتد به سوى أطلال قليلة لاتكاد تقوم لها دلالة فى هذا الشأن وأكوام من الحجارة والفواخير والشقافة . وقد ألقى ذلك على عاتقنا عبئاً آخر لم يكن سهلاً وإن بدا مغرياً ... أن نتتبع فى سطور المصادر كيف كانت الفسطاط ، ولم يشبعنا فى هذا المقام أقل من أن نرسم لها خريطة بمعالمها وأزقتها ودروبها نذهب إلى أنها أقرب ما تكون إلى الصحة ، وساقنا هذا أن نتتبع خريطة الفسطاط على فترات متفاوتة من تاريخها ، من يوم أنشأها عمرو بن العاص رضى الله عنه ٢١ ـ ٢٢ هـ {٦٤٢ م} إلى يوم أحرقها شاور فى شهر صفر من عام ٥٦٤ هـ حتى لاتقع فى يدى أمورى الصليبى .

وفى التحركات الحربية لعملية فتح مصر ـ وهو ما يعنينا فى هذا البحث ـ كان يهمنا ثلاثة أمور على وجه الخصوص من خطط الفسطاط ، الأول أن عمرو بن العاص سار بالمسلمين

حتى طلع على بابليون فبعث بخمسمائة فارس من وراء الجبل فطلعوا على الروم من ورائهم من جهة خليج بنى وائل {أو مغار بنى وائل} [١] ، والثانى أن الزبير بن العوام ومن معه تسلقوا حصن بابليون واقتحموا أسواره من جهة سوق الحمّام [٢] ، والثالث أن شرحبيل ابن حُجَيَّة المرادى نصب سلماً آخر من ناحية زقاق الزمامرة [٣] فصعدوا عليه ، لهذا وذاك أهَمَّتْنا خطط الفسطاط وأجهدتنا حتى نقف على هذه المواضع ، مغار بن وائل وسوق الحمّام وزقاق الزمامرة .

وهناك أمر آخر هو أن تقسيم أحياء الفسطاط بين القبائل لم يكن منقطع الصلة بمواضع تلك القبائل كصفوف فى جيش عمرو ، وهذه الصفوف لم تكن منقطعة الصلة أيضاً بمواقع منازل تلك القبائل فى جزيرة العرب [٤] وهو أمر يعنينا فى محاولة الإستفادة به فى تصوير تلك الصفوف .

بل لقد أغرانا ذلك أكثر وأكثر فاستكملنا هذا الذى بدأناه حتى صار أطلساً تاريخياً لمدينة القاهرة حتى عام ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م . وانتهينا بكل تأكيد إلى أنه ولو أن جيش المسلمين جاء إلى حصن بابليون من شماله فإن منازل بنى وائل فى الفسطاط كانت إلى الجنوب من الحصن وانتساب الخليج إليهم يعنى أنه كان فى جهة منازلهم وأن عمرو بن العاص قد دار بعض جيشه ... من جهة الجبل حتى اقترب من الحصن من جنوبه ، وأن سوق الحمّام كما حددنا موقعه على خريطة مدينة الفسطاط [٥] كان ملاصقاً جدار الحصن الشمالى إلى جوار باب الشمع من جهة الشرق إلى الجنوب من جامع عمرو بن العاص بمسافة طولية حوالى ٣٠٠ متر ،

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ عن عبدالله بن وهب {إمام ثقة توفى ١٩٧ أو ١٩٩ هـ} عن عبد الرحمن بن شريح {ثقة توفى ١٧٧ هـ} عن شراحيل بن يزيد {ثقة مات بعد ١٢٠ هـ} عن أبى الحسين ، أنه سمع رجلاً من لخم .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ عن عثمان بن صالح {ثقة مات ٢١٧ هـ} أخبرنا ابن لهيعة {١٧٤ هـ} عن عبيد الله بن أبى جعفر {ثقة ، فقيه زمانه توفى ١٣٢ هـ} وعياش بن عباس {ثقة توفى ١٣٣ هـ} وغيرهما يزيد بعضهم على بعض .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ عن سعيد بن عفير {صدوق ثقة توفى ٢٦٦} .

(٤) يرجع إلى مقدمة ابن خلدون وإلى الطريق إلى المدائن .

(٥) إستناداً إلى ما جاء بـ كتاب «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبدالحكم ، وكتاب «الإنتصار لواسطة عقد الأمصار» لابن دقماق ، وكتاب «المواعظ والاعتبار فى الخطط والآثار» للمقريزى .

وبذلك يكون موقعه اليوم بمكان شارع عين الصيرة [شارع كتشنر سابقاً] على حافة جبانة الأقباط شمالى قصر الشمع وعلى مسافة حوالى ٥٠ ـ ٦٠ متراً من أول اتصال هذا الشارع بشارع مارجرجس حالياً ، وأن زقاق الزمامرة كان إلى الشمال الشرقى من الكنيسة المعلقة بمسافة حوالى ٧٥ ـ ٨٠ متراً ويبعد عن سوق الحمّام حوالى ٢٥٠ ـ ٣٠٠ متر ، وهذا يعيننا على تفهم عملية اقتحام الحصن وتصويرها كما حدثت .

الباب الأول

مصر والغزوات

مصر والغزوات

حب الوطن من الإيمان . وإذا جاز لكل إنسان أن ينتسب إلى وطنه وأن يفخر ببلاده ، فقد يشعر الإنسان المصرى أنه أحق الناس بذلك ، وقد يكون المصريون بصفة خاصة أفخر الناس بانتمائهم إلى بلادهم ، ليس فقط لما لها من حضارة عريقة أنبتت فى نفوس أهلها أصالة مميزة، وليس فقط لما حباها الله بها من ميزات طبيعية ، فذلك كله أهون ما يمكن أن يقال ، ولكن الإنسان المصرى هو الذى أهدى إلى البشرية أعظم ما يمكن أن يُهدى ، لإنه هو الذى ابتكر الكتابة ، والكتابة هى بداية كل العلوم والمعارف وبغيرها لاتكون ، اىّ تقدّم وتطور من البدائية إلى المدنية كان يمكن أن يحدث بغير كتابة!؟ إنها أعظم ابتكارات بنى آدم... علم الكتابة وفن الخط ، فمنذ وضع آدم وزوجه أقدامهما على الأرض لبث بنو آدم أحقاباً لا يعلمها إلا الله ينطقون فقط حتى ابتكر الإنسان المصرى القديم أن يكتب ، وهو أمر لم يفعله مخلوق آخر سوى كائنات الملأ الأعلى . هل لنا أن نتصور شكل الأرض وما عليها لو لم تكن كتابة ؟ وماذا يكون عن اللغة والأدب ، والتاريخ والجغرافيا ، والكيمياء والفيزياء ، والطب والهندسة ، والفلك والرياضة والمساحة ، والحساب والجبر ، والميكانيكا والموسيقى ، والتجارة والصناعة ... وكل الحضارة ؟ أفلا يحق للإنسان المصرى أن يفخر بأنه هو الذى بدأ من عنده أول خط ؟ إنه هو الذى محى أمية البشرية فراحت تقفز فى مدارج الرقى [1] .

مصر كما قال هيرودوت «هبة النيل» . هى كنانة الله فى الأرض ... هى الأرض الطيبة الزكية التى يجرى نيلها عذباً سلسبيلاً فتنبت الخير وتزدهر فى أرجائها الحضارات ، هى موطن الصالحين والعابدين والناس الطيبين ... وهى على مدى تاريخها مطمع الطامعين .

وصفها البلدانى القديم المقدسى [2] البشّارى فقال :

(١) حجر رشيد والهيروغلوفية ـ أحمد عادل كمال .

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ١٩٣ .

«هذا هو الإقليم الذى افتخر به فرعون على الورى ، وقام على يد يوسف بأهل الدنيا ، فيه آثار الأنبياء ، والتيه وطور سيناء ، ومشاهد يوسف وعجائب موسى ، وإليه هاجرت مريم بعيسى ، وقد كرر الله فى القرآن ذكره ، وأظهر للخلق فضله . أحد جناحى الدنيا ، ومفاخره لاتحصى ، فمصر هى قبة الإسلام ، ونهره أجل الأنهار وبخيراته تعمر [1] الحجاز ، وبأهله يبهج موسم الحجيج ، وبِرُّه يعم الشرق والغرب ، قد وضعها الله بين البحرين ، وأعلى ذكرها فى الخافقين . حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه ، والحجاز مع أهلها عياله ... الخ» . فلمصر فى جميع عصورها ـ على امتداد تلك العصور وتعددها وتنوعها ـ مركز خاص متفرد بين أقطار العالم .

وتمتد مصر من الغرب إلى الشرق من خط طول ٢٥ إلى خط طول ٣٥ شرق جرينتش ومن الشمال إلى الجنوب من خط عرض ٣١ إلى خط عرض ٢٢ شمال خط الإستواء ، فهى تشغل تسعين مربعاً من مربعات الطول والعرض فى المنطقة المعتدلة . تبلغ [2] مساحتها ٣٨٦٠٠٠ ميلاً مربعاً = ١٢٥٠,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، غير أن هذه المساحة صحراء غير آهلة فيما عدا ١٤٠٠٠ ميلاً مربعاً = ٤٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً بنسبة ٣,٦٪ هى التى يزرعها المصريون ويعيشون عليها ، تلك هى دلتا النيل فى الشمال وما ارتوى بمياه فرعى دمياط ورشيد شرقاً وغرباً بالإضافة إلى وادى النيل الضيق جداً الذى يبلغ أقصى إتساع له تسعة أميال {١٦ كيلو متراً} ويضيق فى مصر العليا إلى ميل أو ميلين كما يضيق فى بعض المناطق عن ذلك ، فهى أشبه برأس وله ذنب وسط مربع من الصحراء يزيد طول ضلعه عن ١١٠٠ كيلو متراً . وقد عبر جمال حمدان عن ذلك بقوله أن مصر لها طول وليست لها مساحة . وتكاد جميع الأرض المزروعة فى مصر تعتمد على الرى وحده .

وعلى ذلك فمصر ديارٌ منعزلة كل الإنعزال ولاسيما فى الماضى ، تفصلها عن العالم شرقاً وغرباً تلك الصحارى المترامية ، ومن جهة الجنوب فلم يكد يحدث إلا نادراً أن تنشأ بالسودان دولة أكثر قوة من مصر تستطيع أن تهدد حدودها من تلك التخوم بل كان العكس هو الذى يحدث ، فكانت الغزوات تتجه من مصر إلى السودان وليس العكس .

---

(١) ظلت مصر أكثر تاريخها الإسلامى تقوم على مهمة عمارة الحرمين الشريفين .

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ١ ـ ٦ .

هذا ، وخصوبة رقعتها المزروعة وما كان النيل يحمله من طمى على مدى عمره المديد أتاح لشعب مصر ـ مثل بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات ووادى السند ـ أن تكون الموطن الأول للحضارة البشرية والتدرج من البدائية إلى المدنية .

من أجل ذلك ـ وغير ذلك ـ تعرضت مصر للغزو أو محاولات الغزو نحواً من ثلاثين مرة على مدى خمسة وثلاثين قرناً بمعدل غزو كل مائة وعشرين عاماً فى المتوسط ، فإذا علمنا أن بعض هذه الغزوات قد استمكن بضع سنين أو بضعة عقود وأن بعضها قد جثم على أنفاس مصر بضعة قرون لتبين لنا كم قاسى شعب مصر وكم عانى حتى كان يستطيع فى كل مرة بعد فترة قصيرة أو طويلة أن ينتفض ويتحرر من جديد ... ليستقبل غزوة أخرى من غزوات الطامعين .

وسوف نلمس فى ثنايا عرضنا الموجز جداً لهذه الغزوات أى نوع من بينها كان فتح المسلمين لمصر ، وسوف يرى القارىء أنه لم يكن نوعاً من الغزو المألوف بحال ، ولكنه كان تحريراً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى وروح بل لقد كان أكثر من تحرير ... كان وسيظل نسباً وصهراً وامتزاجاً وتعايشاً حتى يحق لنا القول بأنه لو كان جيش عمرو بن العاص جميعه من المصريين الخُلّص ما فعل لمصر ولا لأبناء مصر ما فعله جيش عمرو من المسلمين العرب الخُلّص ، حتى لقد صار الفاتحون بعد ذلك من أهل مصر . قال ﷺ [1] «... الله الله فى أهل الذمة ، أهل المَدَرَة السوداء السُّحْم الجِعَاد ، فإن لهم نسباً وصهراً» قال عمر مولى غفرة نسبهم أن أم إسماعيل النبى ﷺ منهم ، وصهرهم أن رسول الله ﷺ تسرر فيهم . وقال ابن لهيعة : أم إسماعيل هاجر من أم العرب ، قرية كانت أمام الفرما من مصر ، وأم إبراهيم سريَّة النبى ﷺ أهداها له المقوقس من حِفْن من كورة أنْصِنَا . وقال ﷺ «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً» . فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : ما الرحم التى ذكر رسول الله ﷺ لهم؟ فقال كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

ولنأخذ فرصتنا للنظر إلى هذه القائمة من الغزوات التى تعرضت لها مصر ، تبصرة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٧ قال إبن إسحق حدثنى محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهرى ، أن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصارى ثم السُّلمى حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .

١ ـ الهكسوس [١] ١٦٥٠ ـ ١٥٤٢ ق . م . :

أول ما يطالعنا من الغزوات التى تعرضت لها مصر . والهكسوس جنس غير معروف بشكل مؤكد ، وُصفوا بأنهم الرعاة وقيل عنهم العمالقة ... قيل أصلهم من أواسط آسيا ، وقيل كانوا من جزيرة العرب ... ربهم أعلم بهم . وكان حضور نَبىّ الله يوسف بن يعقوب عليه السلام إلى مصر فى عهدهم ، ونحسب العزيز وامرأته اللذين جاء ذكرهما فى القرآن الكريم كانا من الهكسوس .

انصبوا إلى حوض دجلة والفرات ثم إلى بلاد الشام فاستقروا بها فترة ، ثم نزحوا إلى مصر يغريهم فى ذلك أنها كانت تمر بفترة انحلال وتدهور . جاءوا من فلسطين وقد تسلحوا بعربات القتال التى تجرها الخيول وقد كانت اختراعاً جديداً فى أسلحة الحرب .

اجتازوا سيناء ثم انصبت جحافلهم على دلتا مصر فجأة فاستولوا عليها دون معارك أو مقاومة واستقروا فى شرق الدلتا بينما أقاموا حكماً محلياً خاضعاً لهم فى غربها ، وقبل أمراء الوجه القبلى أن يؤدوا لهم الجزية . واتخذوا لأنفسهم عاصمة يحكمون منها فى أواريس بشمال شرقى الدلتا ، لعلها كانت فى صان الحجر أو تانيس أو جنوبى الفرما وذلك حتى لايتورطوا داخل البلاد وحتى تكون قواعدهم بفلسطين من ورائهم . ومن أواريس هذه راحوا يخربون البلاد ويعيثون فيها فساداً ويعصفون بحضارتها ويسيمون أهلها الخسف والهوان .

ظل هذا البلاء حتى حوالى ١٥٧٠ ق . م . حيث بدأت حرب التحرير من طيبة على يد سقن رع الذى قتل فى الحرب فخلفه إبنه كامس وقتل أيضاً فخلفه أخوه أحمس الذى استطاع أن يحاصر أواريس حتى سقطت فطارد فلول الهكسوس إلى داخل فلسطين وتخلصت مصر منهم .

٢ ـ الغزو الليبى [٢] :

حدث ذلك حوالى عام ١٢٢٣ ق . م . حيث قام الليبيون بالإشتراك مع أهل جزر الأرخبيل

(١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ٧٢ .
(٢) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ١٤٦ .

بمهاجمة مصر من الغرب ، فصدهم الفرعون منفتاح بن رمسيس الثانى وهزمهم فى غرب الدلتا وقتل آلافاً منهم وأسر آلافاً أُخَر وفشل الغزو .

٣ ـ حملة سرجون الثانى [١] :

وكان من الملوك الآشوريين جلس على العرش حوالى ٧٧٢ ق . م . وقد جرد حملة على مصر ولكن المصريين اشتبكوا به عند رفح وردوه فرجع .

٤ ـ حملة سنحريب SENAHRIB :

وهو ابن سرجون الثانى ، زحف بجيش ليهاجم مصر فتفشى الطاعون فى جيشه وارتد بالجيش ثم مات مقتولاً فى طريق العودة بيد أبنائه عام ٦٨١ ق . م .

٥ ـ حملة أسرحدون :

وهو ابن سنحريب . تحالف مع بدو الصحراء فأمدوه بالإبل لحمل المؤن والماء لجيشه ودلوه على الطرق والمسالك فسلك سيناء ثم وادى الطميلات وكان المصريون بقيادة طهارقة يقاومونه ولكن أسرحدون استطاع أن يستولى على منف وانسحب طهارقة جنوباً حوالى عام ٦٦٧ ق.م. ثم أعاد حشد قواته وعاد بها فاسترد منف ومات أسرحدون .

٦ ـ آشوربانيبال ACHOUR BANYPAL :

آشور بانيبال بن أسرحدون ، أعد جيشاً آخر أغار على مصر حوالى ٦٦١ ق . م . وهزم جيشها واستولى على منف ثم على طيبة وخربها تخريباً همجياً وحشياً .

ثم أمكن طرد الآشوريين بعد ذلك على يد أبسماتيك الأول حوالى عام ٦٤٠ ق . م . ، وتوفى أبسماتيك ٦٠٩ ق . م . فخلفه على العرش ابنه نيخاو الذى استولى على غزة وعسقلان ثم مملكة يهوذا وهزم جيشها فى سهل مجدو وواصل زحفه حتى بلغ الفرات واستعاد كل ممتلكات مصر السابقة .

(١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ١٥٦ .

٧ ـ نبوخذرصار [1] :

أوقع نبوخذرصار هزيمة بنخاو على نهر الفرات فعاد منسحباً نحو دلتا مصر عن طريق مملكة يهوذا . وسجل الكتاب المقدس ذلك حيث قال [2] :

«عن جيش فرعون نخو ملك مصر الذى كان على نهر الفرات فى كركميش الذى ضربه نبوخذرصار ملك بابل فى السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا ... لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين ولم يلتفتوا ... فى الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا ... فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للإنتقام من مبغضيه ... ياعذراء بنت مصر قد سمعت الأمم بخزيك وقد ملأ الأرض عويلك ... الكلمة التى تكلم بها الرب إلى أرميا النبى فى مجىء نبوخذرصار ملك بابل ليضرب أرض مصر . أخبروا فى مصر وأسمعوا فى مجدل وأسمعوا فى نوف ، الهلاك من الشمال جاء ... وقد أخزيت بنت مصر ودفعت ليد شعب الشمال . قال رب الجنود إله إسرائيل هاأنذا أعاقب آمون نو وفرعون ومصر وآلهتها وملوكها ، فرعون والمتوكلين عليه وأدفعهم ليد طالبى نفوسهم وليد نبوخذرصار ملك بابل» .

وراح جيش نبوخذرصار يطارد جيش نخاو وقد اعتزم أن يتبعه حتى حدود مصر وأن يغزوها ، ولكنه ما لبث أن علم بوفاة أبيه نابوبلاصر فرجع سريعاً ليرتقى العرش بعده . وفى ذلك جاء فى التوراه :

«لم يعد أيضاً ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر [3]» .

ومات نيخاو عام ٥٩٣ ق . م .

٨ ـ حملة قمبيز بن قورش [4] :

كان غزو قمبيز لمصر عام ٥٢٥ ق . م . من أسوأ الغزوات التى تعرضت لها البلاد . أعد

(١) تاريخ الأقباط ١٤٨/٤ .
(٢) أرميا ، إصحاح ٤٦ .
(٣) سفر الملوك ٢٤ : ٧ .
(٤) تاريخ الحركة القومية ١٦٦ .

قمبيز لحملته كل ما استطاع ومالأه اليهود مقابل أن صرح لهم ببناء معبدهم فى أورشليم ، فجعل من فلسطين قاعدة لتحركه نحو مصر ، كما اكتسب بذلك ولاء اليهود الذين كانوا فى جيش مصر . وانحاز إلى قمبيز رجل أغريقى إسمه فانيس كان قائدا لفرقة مرتزقة فى جيش مصر . ووشى فانيس بخطط المصريين لمقاومة الحملة كما أفاد قمبيز بدلالته على مسالك الصحراء وتسهيل الاتصال ببدو سيناء لإمداده بالماء والمؤونة عبر الصحراء .

ومات فرعون مصر أمازيس وارتقى العرش بعده ابنه الشاب أبسماتيك الثالث قبيل الغزو مباشرة . وسار قمبيز بجيشه من غزة كما تحرك أسطوله من عكا وكانت وجهته بيلوز {الفرما} فهزم أبسماتيك الثالث ، وكانت المعركة الثانية فى عين شمس ثم الثالثة فى منف . وهذا يعنى أن قمبيز قد سلك نفس الطريق الذى سلكه من بعد عمرو بن العاص . وفى منف وقع أبسماتيك أسيراً وسقطت عاصمته فى يد قمبيز .

كان قمبيز ملكاً همجياً فأذل المصريين إذلالاً مهيناً وأجلس أبسماتيك وكبار رجال دولته عند مدخل المدينة وألبس ابنته وبناتهم ملابس الإماء التى تكشف عن أجسادهن العارية وأجبرهن على حمل جرار الماء والسير حفاة أمامه وأمام الفرعون الأسير يسقين المنتصرين ويخدمن ، فلما دمعت عينا أبسماتيك أمر به قمبيز فقتل .

جاء فى الكتاب المقدس «فى سنة مجىء ترتان إلى أشدودحين أرسله سَرْجُون ملك آشور فحارب آشْدُود وأخذها . فى ذلك الوقت تكلم الرب عن يد إشَعْياء بن آموص قائلاً : إذهب وحُل المِسْحَ عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك ، ففعل هكذا ومشى معرى وحافياً ، فقال الرب : كما مشى عبدى إشَعْياء معرى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش ، هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفى الأستاه خزياً لمصر ، فيرتاعون ويخجلون من أجل كوش رجائهم ومن أجل مصر فخرهم . ويقول ساكن هذا الساحل فى ذلك اليوم هوذا هكذا ملجأنا الذى هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك آشور فكيف نسلم نحن [1]» .

(١) سفر إشعياء الإصحاح ٢٠ .

وأراد قمبيز أن يواصل غزوته إلى النوبة ولكنه هزم فارتد على أعقابه . ثم عاد فسير جيشه من طيبة غرباً إلى الواحات الخارجة ومنها إلى سيوه ولكن ريحاً عاتية ثارت على الصحراء فدفن هذا الجيش كله ولم ينجِ منه أحد ، ولا عثر عليه أحد بعد دخوله الصحراء . ولم يجد قمبيز بداً من العودة إلى فارس ولكنه مات فى الطريق عام ٥٢٢ ق . م . وقيل أنه انتحر .

٩ ـ الفرس مرة أخرى (١) :

وفى ٣٤١ ق . م . وجه الفرس حملة أخرى على مصر براً وبحراً إستطاعت أن تحتل مصر مرة أخرى حتى غزاها الإسكندر الأكبر بعد تسع سنوات .

١٠ ـ حملة الإسكندر الأكبر (٢) :

خرج بجيشه من اليونان متجهاً شرقاً حتى عبر الدردنيل ، ثم اشتبك مع الفرس عند نهر جرانيق الذى يصب فى بحر مرمرة وهزمهم ٣٣٤ ق . م . واجتاز هضبة الأناضول إلى خليج الإسكندرونة حيث هزم الفرس هزيمة ساحقة فى إيسوس وفر دارا الثالث ملك فارس إلى بابل .

بعد ذلك سار الإسكندر جنوباً ففتح بلاد الشام حتى وصل إلى مصر فى جيشه أربعين ألفاً وأسطوله يبحر بحذائه فى البحر . وسار من غزة إلى بيلوز {الفرما} ثم إلى منف ... نفس الطريق الذى سلكه قمبيز من قبل وعمرو بن العاص من بعد . واستسلم مازاكيس ـ الوالى الفارسى ـ للإسكندر دون مقاومة سنة ٣٣٢ ق . م . وأنشأ الإسكندر مدينة الإسكندرية ثم سار غرباً حتى سيوه وعاد إلى منف ثم غادر مصر فى ربيع ٣٣١ ق . م . ليواصل فتوحاته .

توفى الإسكندر بالملاريا فى ١٣ يونية عام ٣٢٣ ق . م . وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره فتمزقت إمبراطوريته واقتسمها قادته من بعده ، فكانت مصر من نصيب بطلميوس بن لاجوس وتوارثت ذريته من بعده حكم مصر إلى أن بلغوا أربعة عشر بطلميوساً ثم انتهى الأمر إلى كليوباترة أخت بطلميوس الثالث عشر وبطلميوس الرابع عشر .

(١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ١٧٧ .

(٢) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ١٩٠ .

مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ٣٩ .

كان حكم البطالمة لمصر حكماً عنصرياً عاملوا فيه المصريين باحتقار ، حكم المغلوبين على أمرهم .

١١ ـ الرومان (١) :

ولعبت كليوباترة دوراً شاذاً فى التاريخ إذ أوقعت يوليوس قيصر حاكم الدولة الرومانية فى حبها ثم تزوجها وانتقلت إليه فى روما . واغتيل يوليوس قيصر فعادت كليوباترة من روما إلى الإسكندرية ، وأعادت الكرَّة مع أنطونيوس قيصر فأحبها ثم تزوجها ووقعت الحرب بينه وبين أوكتافيوس قيصر . وهزم أوكتافيوس أسطول أنطونيوس وكليوباترة فى معركة أكتيوم البحرية غرب اليونان ، وفر أنطونيوس وكليوباترة إلى الإسكندرية فى حين اتجه أوكتافيوس إلى بيلوز {الفرما} فاحتلها باعتبارها مدخل مصر الشرقى ، ثم زحف منها نحو الإسكندرية واشتبك مع أنطونيوس شرقى المدينة فى الموقع الذى يشغله الآن حى بولكلى وانهزم أنطونيوس فانتحر وانتحرت كليوباترة . وهكذا صارت مصر ولاية رومانية عام ٣٠ ق . م ، أثر معركة غرامية فاشلة !!

وبدأ الحكم الرومانى الذى استمر قرابة سبعة قرون فكان أطول وأسوأ فترات تاريخها . أبقى الرومان فى مصر حامية رومانية من ثلاثين ألفاً عبارة عن ثلاث فرق وقوات مساعدة أخضعت البلاد وأخمدت ثوراتها وأحالتها إلى مزرعة تمد الإمبراطورية الرومانية بالمال والغلال لاسيما القمح حتى أن الإمبراطور تيبريوس عنّف حاكماً أرسل إليه حاصل الضرائب زائداً عن النصاب السنوى وقال له أنه إنما ولِّىَ على مصر ليجز وبرها لا ليسلخ جلدها ! ولا خلاف فى أن روما كانت تنظر إلى مصر على أنها بقرة حلوب دأبت على استنزاف لبنها ، فلم يكن كل قياصرة روما مثل تيبريوس ، ومع ذلك كان من رأيه أن يجز وبرها وأصبحت مصر مستعمرة بمعنى الكلمة وعاملت روما شعب مصر على أنه شعب مغلوب مقهور ، ومنحت اليونانيين واليهود امتيازات فى مصر ، وحظر على المصريين حمل السلاح وصارت حيازته عقوبتها الإعدام واتسم الحكم الرومانى بفداحة الضرائب والعسف فى الجباية وعاش المصريون قروناً معيشة ضنكاً حتى خربت البلاد اقتصادياً واجتماعياً .

(١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ١٩٩ ـ ٢٤٧ .

مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ١٠٨ ـ ٢٠٠ .

كتب المؤرخ اليهودى فيلون **Philon** فقال إن جباة الضرائب كانوا يستولون على جثة العاجز عن سداد الضرائب حتى يكرهوا ذوى قرباه على دفع الضرائب المتأخرة عليه استنقاذا لجثته ، كما ذكر أن الزوجات والأطفال وغيرهم من الأقرباء كانوا يحشرون إلى السجون ويصب عليهم التعذيب حتى يصل الرومان إلى المفلس الهارب فكان يحدث أن يهرب الأهالى من مدن برمتها .

وكانت جباية الضرائب تطرح فى مزاد عام يرسو على من يلتزم بتوريد أكثر ثم تطلق أيديهم فى تحصيل ما يشاءون بأبشع الوسائل ، حتى تناقص عدد السكان وظهرت المسئولية الجماعية بمضى الزمن ، فإذا اختفى أحد دافعى الضرائب وقعت مسئولية سدادها على زملائه ووقع واجب فلاحة أرضه على الآخرين . وبلغ الحال أن امتنع الملتزمون عن التقدم لهذا العمل فكانت السلطة تكرههم على ذلك وصار أولئك الذين كان من واجبهم ترشيح هؤلاء ضامنين مسئولين عما ينشأ من عجز .

هكذا عاشت مصر اقتصادياً وهذه كانت صورتها سبعة قرون ... منذ انتحار كليوباترة عام ٣٠ ق . م . حتى أنقذها الفتح الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص ٦٤٠ ـ ٦٤٢ م .

كان من الطبيعى أن تحدث ثورات على هذا الوضع . نشبت ثورة فى طيبة بعد بضعة أشهر من الغزو الرومانى ونكل الثوار بجباة الضرائب الرومان . وزحف إليهم الحاكم الرومانى جالوس من الإسكندرية حتى أسوان وما وراء الشلال الأول فأخمد الثورة ونكل بالثائرين . وتكررت الثورات فى الصعيد وفى شمال شرق الدلتا فكان الرومان يخمدونها ، ويبدو أن الأمر كان صعباً على الرومان فى بعض الأحيان فعقدوا صلحاً مع النوبيين أعفوهم فيه من دفع الجزية . وأقام الرومان حصوناً فى النوبة ، فى الدكة وكلابشة وقرطاسة وأبريم لتعينهم على أمرهم ، كما جدد الإمبراطور تراجان {٩٨ ـ ١١٧ م} بناء حصن بابليون ليكون المقر الرئيسى للحامية الرومانية فى داخل البلاد .

فكعادتهم استمال اليهود الرومان ضد المصريين فحدثت ثورة بالإسكندرية ضد اليهود ، ومهد ذلك كله لانتشار المسيحية فى مصر ، وقدم إلى الإسكندرية القديس مرقص

حوارى المسيح عليه السلام وبشر بالمسيحية بين الوثنيين فى مصر [١] فانتشرت المسيحية بينهم وكان الرومان على وثنيتهم يحكمون مصر بعقلية متألهة وظنوا أن من حقهم أن يتحكموا فى عقائد الناس فاضطهدوا النصارى وحاربوا دينهم وبلغ ذلك ذروته فى عهد الإمبراطور دقلديانوس **Diocletien** ٢٨٤ ـ ٣٠٤ م . حتى لقد أطلق على عهده «عصر الشهداء» لآلاف الأرواح التى أزهقت من قبط مصر بسبب اعتناقهم المسيحية وتمسكه بفتنتهم عن دينهم .

قال المقريزى :

«اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ... وكان من غير بيت الملك ، فلما ملك تجبر وامتد ملكه إلى مدائن الأكاسرة ومدينة بابل ، فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة أنطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر إلى أقصى المغرب . فلما كان فى السنة التاسعة عشرة من ملكه وقيل الثانية عشرة خالف عليه أهل مصر والإسكندرية فبعث إليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلّق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة الأصنام وبالغ فى الإسراف فى قتل النصارى .

«وأقام ملكا إحدى وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة دوّد منها بدنه وسقطت أسنانه . وهو آخر من عبد الأصنام من ملوك الروم ، وكل من ملك بعده فإنما كان على دين النصرانية . ويقال أن رجلاً ثار بمصر يقال له «أجلة» وخرج عن طاعة الروم ، فسار إليه دقلطيانوس وحاصر الإسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى أخذ أجلة وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبى والقتل . وبعث قائده فحارب سابور ملك فارس وقتل أكثر عساكره وهزمه وأسر

(١) وهناك رأى آخر . يقول هـ آيدرس بل «لاتزال معلوماتنا عن بدء انتشار المسيحية فى مصر طفيفة جداً ، ولئن كنا نميل إلى استبعاد القصة القائلة بأن القديس مرقس هو الذى أسس كنيسة الإسكندرية باعتبارها خرافة ، إلا أننا نظن أن الدين الجديد لم يكن ليتأخر فى الوصول إلى أكبر ميناء فى شرق البحر المتوسط وأنه لم يكن هناك محيص بعد ذلك عن انتشاره فى سائر أنحاء مصر . ومع ذلك فلم يترك الدين الجديد أى أثر فى برديات القرن الأول التى عثرنا عليها حتى الآن ، بل لاتمدنا حتى برديات القرن الثانى إلا بمعلومات ضئيلة جداً عن مدى تأثيره» . أ . هـ {مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ١٢٧} .

امرأته وإخوته وأثخن فى بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ، ثم أوقع بعامة بلاد رومة فأكثر فى قتلهم وسبيهم ، فكانت أيامه شنيعة ، وقتل فيها من أصناف الأمم وهدم من بيوت العبادات ما لايدخل تحت حصر ...

« وكانت واقعته بالنصارى هى الشدة العاشرة وهى أشنع شدائدهم وأطولها لأنها دامت عليهم مدة عشر سنين لايُفَتَّر يوماً واحداً ، يحرق كنائسهم ويعذب رجالاتهم ويطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل ، يريد بذلك قطع أثر النصارى وإبطال دين النصرانية من الأرض ... » .

وشأن جميع هذا النوع من أساطين الاستبداد فى تاريخ العالم من أمثال فرعون موسى ونمروذ ابراهيم وستالين وهتلر وغيرهم بمصر وسوريا وإيران والعراق وغيرها فى عهود مختلفة ، نجد بكل أسى من يلتمس لهم المعاذير ! قالوا إن دقلديانوس كان يرغب فى توحيد الإمبراطورية وكان الولاء العام لدين الدولة الرسمى هو الرباط الذى يربط أجزاءها ولكن المسيحيين رفضوا هذه المشاركة فى الوثنية وكان طبيعياً {هكذا !!} أن يدمجوا أو يستأصلوا ، ومع ذلك فيبدو واضحاً أن الاضطهاد الأكبر لم يحدث بناء على رغبة دقلديانوس وإنما أمر به وهو كاره له أشد الكراهية وتحت ضغط شديد من القيصر جاليريوس [1] Galerius . نفس الإعتذار المرفوض الذى يتعلق به كل مستبد تافه تورط فى مثل هذه الهمجية من وحوش التعذيب فى جميع العصور .

وبالرغم من ذلك يقول هـ آيدرس بِلْ [2] «إنه لمن الخطأ أن نعتقد أن الاضطهاد كان حملة متصلة وأن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات ، فقد كانت روما متسامحة كل التسامح فى المسائل الدينية ولم تحاول أن تستأصل شأفة أى عبادة جديدة إلا بحجة منافاتها للمبادىء الأخلاقية أو تعارضها مع السياسة العامة . كان المسيحيون فى نظر السلطات مواطنين أشراراً وعنصراً خطراً فى المجتمع لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ولايقدسون صور الأباطرة ... غير أنه كان هناك دائماً بين الوثنيين من كان مستعدا للتستر على أصدقائهم المسيحيين كما كان حكام الولايات يحجمون أشد الإحجام

(١) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ١٥٨ .

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ١٢٩ .

فى معظم الأحيان عن تطبيق قانون العقوبات عليهم . ولم يكن الاضطهاد عاماً إلا عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبى ، وكما قال ترتوليانوس : فإذا فاض نهر التيبر على الجسور أو غاض ماء النيل فلم يبلغ الحقول أو أمسكت السماء عن المطر أو زلزلت الأرض أو حدثت مجاعة أو انتشر وباء تعالت الصيحات على الفور «إقذفوا بالمسيحيين إلى الأسود» وفى تلك الأوقات كان بين الناس من يعوزهم الجلد وكان كثير منهم يصمدون للمحنة .

وللاقتناع بصورة الاضطهاد الذى كان ومداه وتجاوب من كانوا ينفذونه أو عدم تجاوبهم نستطيع أن نرى صورة واضحة ومجسمة لذلك إذا نظرنا إلى الاضطهادات المعاصرة . وفى تقديرنا أنها لاتختلف ، وقد صدر فى الموضوع عديد من الكتب التفصيلية .

على أى حال ، بعد ذلك بعشر سنوات اتخذ الإمبراطور قسطنطين بيزنطة عاصمة للامبراطورية الرومانية الشرقية ، وسميت القسطنطينية {هى إسطنبول اليوم} وأعلن اعتناقه المسيحية عام ٣٢٤ م .

يقول ايدرس بل [1] : فى وسعنا أن نشعر أن اعتناق الإمبراطور للمسيحية لم يكن خيراً كله ، فلم يعد اعتناق هذا الدين يعنى مجرد الأمان وإنما أصبح بدعة العصر وأسرع كثير من منتهزى الفرص إلى اعتناق الدين الجديد .

ولقد كانت مصر فى عام ٣٠٠ م بلداً وثنياً فى جوهره رغم وجود عدد كبير من المسيحيين . ولكنه فى عام ٣٣٠ م صار بلداً يدين معظم أهله بالمسيحية . وفى هذا يقول هـ . ايدرس بل [2] « ... ولاشك أن بعض هذا الانقلاب كان يرجع إلى توقف الاضطهاد لا إلى استمراره ، فقد حدث فى ٣٠ أبريل ٣١١ م أن أصدر جاليريوس ـ وكان يعانى مرضاً كريهاً ـ قراراً بوقف الإضطهاد ملتمساً من المسيحيين أن يصلّوا من أجله . ولقد استجابوا له ولكن دون جدوى إذ قضى نحبه بعد ذلك بأيام قلائل» .

والمصادر التاريخية التى تتعرض لهذه الفترة ما بين ظهور المسيحية حتى انحسار الوجود

(١) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ١٦١ .

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ١٥٩ .

الرومانى والبيزنطى عن منطقة الشرق الأوسط تطفح فى مرارة بالأخبار الكثيرة عن هذا الإضطهاد . يقول المؤرخ القبطى زكى شنودة [1] :

«حين جلس مكسيميانوس على العرش سنة ٢٣٥ إضطهد المسيحيين إضطهاداً شديداً وخاصة فى مصر فاستشهد كثيرون فى عهده ، واضطر كثيرون إلى الفرار من وجههم ومنهم البابا ياروكلاس بطريرك الإسكندرية» .

وعن عهد ديسيوس الذى جلس على العرش سنة ٢٤٩ م يقول القديس ديونيسيوس [2] «إن الخوف عم الجميع ، وقد فصل المسيحيين جميعاً من خدمة الحكومة مهما كانت كفاءتهم أو مقدرتهم فى عملهم . وكان الوثنيون يَشُون بالمسيحيين ويرشدون عنهم فيؤتى بهم فى الحال ويطلب إليهم تقديم الذبائح للأوثان ، ومن أولئك الأتقياء رجل اسمه يوليانوس كان مقعداً فحمله رجلان إلى دار الحكم وطلبوا إليه أن ينكر إيمانه فرفض ، وعندئذ حملوه على جمل وطافوا به شوارع الإسكندرية وهم يجلدونه بالسياط ثم أخيراً طرحوه فى لهيب النار فظل يحترق حتى مات» .

ونقتطف فيما يلى أسطراً من بين ما ذكره المقريزى دون أن يبين عن مصدره . غير أننا نلاحظ الآتى :

(١) أنها تتناول أخبار النصارى السابقة على ظهور الإسلام منذ بدء التبشير بدين النصارى حتى عهد الفتح الإسلامى .

(٢) أنها أخبار تتعاطف مع النصارى وتتحدث بلسانهم ، ولايعنى هذا الطعن فيها أو اتهامها بالميل .

(٣) أن المقريزى حين يسوقها يؤرخ لها بسنى إعتلاء البطاركة كرسى البطركية ويذكر مدة كل بطرك وأهم أحداث عهده واليوم الذى مات فيه .

(١) تاريخ الأقباط ١/١٠٥ .

(٢) تاريخ الأقباط ١/١٠٦ .

يدل هذا على أنه استقى أخباره هذه ـ وإن لم يصرح بذلك ـ من مصادر نصرانية والأرجح أنها كانت مصادر كنسية . قال [1] :

«وفى أيام الملك أندليانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثيرا وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد بقيتهم ، فنزل بهم بلاء لايوصف فى العبودية ...

«واشتد الأمر على النصارى فى أيام الملك أريدويانوس ، وقتل منهم خلائق لايحصى عددهم وقدم مصر فأفنى من بها من النصارى ، وخرب ما بنى فى مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردد عليها ، وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس إيلياء ، فلم يتجاسر نصرانى أن يدنو من القدس ...

« ... فقدم على الإسكندرية كلوتيانو (بطركاً) ... وفى أيامه اشتد الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً ...

« ... أثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاء كبيراً فى جميع مملكته وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى وهدم كنائسهم ، وبنى بالأسكندرية هيكلاً لأصنامه .

« ... فلقى النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ...

«ولقى النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة ، فإنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامه ، فأبوا عن السجود لها فقتلهم أشدَّ قتلة ...

«فأقام تؤوبا بطركاً ... وكانت النصارى قبله تصلى بالإسكندرية خفية من الروم وخوفا من القتل ، فلاطف تؤوبا الروم وأهدى إليهم تحفاً جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالإسكندرية فصلى بها النصارى جهراً . واشتد الأمر على النصارى فى أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقاً كثيراً .

فلما كانت أيام دقلطيانوس [2] قيصر خالف عليه أهل مصر والإسكندرية ، فقتل منهم

(١) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ٣/٥٢١ .

(٢) إعتلى دقلديانوس العرش يوم ٢٠ نوفمبر ٢٨٤ م بعد موت كارينوس Carinus وحكم حتى ٣٠٥ م .

خلقاً كثيراً وكتب بغلق كنائس النصارى وأمر بعبادة الأصنام وقتل من امتنع منها فارتد خلائق كثيرة جداً . وأقام فى البطركية بعد تؤويا بطرس فأقام إحدى عشرة سنة وقتل فى الإسكندرية بالسيف ، وقتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم عن السجود للأصنام ...

«وبدقلطيانوس هذا وقتله النصارى يؤرخ قبط مصر إلى يومنا هذا .

{يقول زكى شنودة : قيل إن الذين استشهدوا فى هذا الإضطهاد الذى استمر عشرين سنة يبلغ عددهم المليون [1]} .

« ... ثم قام من بعده مكسيمانوس [2] قيصر فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كانت القتلى منهم تُحمل على العَجَل {العربات} وتلقى فى البحر » .

وبعده جاء حكم قسطنطين {٣٠٦ ـ ٣٣٧ م} . يقول المقريزى [3] :

«وأكرم قسطنطين النصارى ودخل فى دينهم بمدينة نيقوميديا فى السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم {٣١٨ م} وأمر ببناء الكنائس فى جميع ممالكه وكسر الأصنام وهدم بيوتها ، وعمل المجمع بمدينة نيقية» .

وفى عهد قسطنطين بدأت الخلافات بين النصارى وصار الاضطهاد والتعذيب يمارسه النصارى مع بعضهم !!

يقول المقريزى [4] :

«ثم قام فى بطركية الإسكندرية بعد إسكندروس تلميذه إيناسيوس الرسولى ، فأقام ستاً

(١) تاريخ الأقباط ١/ ١١٠ .

(٢) حكم مسكيمانوس مع دقلديانوس أو من خلاله ٢٩٣ ـ ٣٠٥ م . وكان غاليروس صهر دقلديانوس وكان حاكم مصر فى عهده مكسيميان دازا فكان أقسى الحكام فى تطبيق أوامر الإمبراطور ، وقد فتك بالنصارى فى مصر فقتل منهم من قتل ، ومن بقى منهم حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليسخرهم فى العمل فى المحاجر والمناجم . ثم تنازل جاليريوس عن العرش لمكسيميان دازا سنة ٣٠٥ م ففاق جميع من سبقوه فى القسوة على النصارى وراح ضحيته آلاف الشهداء الأبرياء . {تاريخ الأقباط ١/ ١١٠} .

(٣) الموعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ٣/ ٥٢٣ .

(٤) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ٣/ ٥٢٥ .

وأربعين سنة ومات بعد ما ابتلى بشدائد ، وغاب عن كرسيه ثلاث مرات . وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس الأسقف آلت إلى ضربه وفراره .

« ... وأمر قسطنطين بإخراج اليهود من القدس وألزمهم بالدخول فى دين النصرانية ومن امتنع منهم قتل (!) فتنصر كثير منهم ، وامتنع أكثرهم فقتلوا ، ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفسح فى الكنيسة وأمرهم بأكل لحم الخنزير فأبى أكثرهم أن يأكل منه ، فقتل منهم فى ذلك اليوم خلائق كثيرة جداً .

«ولما قام قسطنطين بن قسطنطين { ٣٣٧ ـ ٣٥٠ م } فى الملك بعد أبيه غلبت مقالة أريوس [1] على القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية ، وصار أكثر أهل الإسكندرية وأهل مصر أريوسيين ومنانيين ، واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك إلى رأيهم وحمل الناس عليه (!) ثم رجع عنه (!!) .

« ... ثم لما ملك مولهيانوس ابن عم قسطنطين ، اشتدت نكايته للنصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً ومنعهم من النظر فى شىء من الكتب وأخذ أوانى الكنائس والديارات ، ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لأصنامه ، ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار وليأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ مايريد من المال ، فامتنع كثير من الروم وقالوا : نحن نصارى . فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده ...

«فلما ملك يوسيانوس على الروم وكان متنصراً ، عاد من كان فر من الأساقفة إلى كرسيه ، وكتب إلى ايناسيوس بطرك الإسكندرية أن يشرح له الأمانة المستقيمة فجمع الأساقفة وكتبوا له أن يلزم أمانة الثلاثمائة [2] وثمانية عشرة . فثار أهل الإسكندرية على أيناسيوس ليقتلوه ففر ، وأقاموا بدله لرفيوس وكان أريوسيا ، فاجتمع مجمع الأساقفة بعد خمسة أشهر وحَرَموه ونفوه وأعادوا إيناسيوس إلى كرسيه ، فأقام بطركاً إلى أن مات فخلفه بطرس ، ثم وثب الأريسيون عليه بعد سنتين ففر منهم ، وأعادوا لوقيوس فأقام بطركاً ثلاث سنين ووثب عليه أعداؤه ففر منهم فردوا بطرس ... فأقام سنة .

(١) مقالة أريوس مذهب اضطهد قسطنطين القائلين به . وهو مذهب ينكر القول بالطبيعة الواحدة .

(٢) أصحاب مذهب آخر .

«وقدم فى أيام واليس ملك الروم أريوس أسقف أنطاكية إلى الإسكندرية بإذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ، ونصب بدله أريوس السميساطى ، ففر بطرس من الحبس إلى رومية واستجار ببطركها .

«وكان واليس أريوسيا فسار إلى زيارة كنيسة مارتوما بمدينة الرها ، ونفى أسقفها وجماعة إلى جزيرة رودس ، ونفى سائر الأساقفة لمخالفتهم لرأيه ماعدا اثنين ، وأقام فى بطركية الإسكندرية طيماتاوس ...

«واشتد الملك تاوداسيوس [1] على الأريسيين وضيق عليهم ، وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى بعدما حكموها نحو أربعين سنة ، وأسقط من جيشه من كان أريوسياً وطرد من كان فى ديوانه وخدمه منهم ، وقتل من الحنفاء كثيراً ، وهدم بيوت الأصنام بكل موضع ...

«... إن ديسقورس [2] بطرك الإسكندرية قال : إن المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين . وكان رأى مرقيانوس ملك الروم أنه جسد ، وأهل مملكته أنه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد . فلما رأى الأساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا ديسقورس وستة أساقفة ، فإنهم لم يوافقوا الملك ، وكتب من عداهم من الأساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه .

فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه . فلما وصل إليه كتابهم كتب فيه أمانته هو ، وحرمهم وكل من يخرج عنها . فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله ، فأشير عليه بإحضاره ومناظرته ، فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً . فأشار الأساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على رياسته .

فدعا للملك وقال لهم : الملك لايلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ، ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة فإنهم يعرفون الكتب ، ولايكون له هوى مع أحد ويتبع الحق .

(١) حكم ثيودوسيوس الأول مع ڤالنتيان الثانى ٣٧٩ ـ ٣٩٢ ثم منفرداً ٣٩٢ ـ ٣٩٥ .
مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى ٢١٨ ، إضافة من المترجم إلى الكتاب .
(٢) المواعظ والإعتبار ٥٢٨/٣ .

وكانت بلخارية زوجة الملك مرقيانوس جالسة فقالت : ياديسقورس قد كان فى زمان أمى إنسان صلب الرأس مثلك ، وحرموه ونفوه عن كرسيه . {تعنى يوحنا فم الذهب بطرك قسطنطينية ٣٤٧ ـ ٤٠٧ م} .

فقال لها : قد علمتِ ما جرى لأمك ، وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه إلى أن مضت إلى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت .

فحنقت {بلخارية} من قوله ، ولكمته فانخلع له ضرسان ، وتناولته أيدى الرجال فنتفوا أكثر لحيته وأمر الملك بحرمانه ونفيه عن كرسيه . فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس .

ومن هذا المجمع افترق النصارى ، وصاروا مَلَكية على مذهب مرقيانوس الملك ، ويعقوبية على رأى ديسقورس ... وكتب مرقيانوس إلى جميع مملكته أن كل من لايقول بقوله يقتل .

وأما ديسقورس فإنه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها إلى الإسكندرية وقال : هذه ثمرة تعبى على الأمانة . فتبعه أهل الإسكندرية ومصر ، وتوجه فى نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرّفهم مقولته فتبعوه ... ومات وهو منفى ... وبقى كرسى المملكة بغير بطرك مدة مملكة مرقيانوس ، وقيل بل قدم برطاوس .

«ولما مات مرقيانوس وثب أهل الإسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه فى الكنيسة ، وحملوا جسده إلى الملعب الذى بناه بطلميوس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكى الإعتقاد ، فكانت مدة بطركيته ست سنين .

وأقاموا عوضه طيماتاوس وكان يعقوبياً فأقام ثلاث سنين ، وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ياويرس وكان ملكياً فأقام اثنتين وعشرين سنة ...

«... وفى هذه الأيام ظهر يوحنا النحوى بالإسكندرية ، وزعم أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد ، وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وأنه لطيف روحانى لايقبل الآلام إلا عند مقارفة الخطيئة ، والمسيح لم يقارف خطيئة ، فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم يمت ، وإنما ذلك كله خيال .

فأمر الملك البطرك طيماتاوس أن يرجع إلى مذهب الملكية فلم يفعل ، فأمر بقتله ، ثم شفع فيه ونفى . وأقيم بدله بولص ـ وكان ملكياً ـ فأقام سنتين ، فلم يرضه اليعاقبة ، وقيل أنهم قتلوه وصيروا عوضه بطركاً ديلوس ـ وكان ملكياً ـ فأقام خمس سنين فى شدة من التعب ، وأرادوا قتله فهرب وأقام فى مهربه خمس سنين ومات .

فبلغ ملك الروم [1] يوسطيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندرية ومصر وأنهم لايقبلون بطاركته . فبعث أثوليناريوس أحد قادته ، وضم إليه عسكراً كبيراً إلى الإسكندرية ، فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدّس ، فهم ذلك الجمع برجمه فانصرف وجمع عسكره ، وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس ، وضرب الجرس فى الإسكندرية يوم الأحد .

فاجتمع الناس إلى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال : يا أهل الإسكندرية إن تركتم مقالة اليعقوبية وإلا أخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحريمكم . فهموا برجمه ، فأشار إلى الجند فوضعوا السيف فيهم ، فقتل من الناس ما لايحصى عدده حتى خاض الجند فى الدماء . وقيل أن الذى قتل يومئذ مائتا ألف إنسان ، وفر منهم خلق إلى الديارات فى بريّة شيهات {وادى النطرون} ، وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة . ومن يومئذ صار كرسى اليعقوبية فى دير بومقار بوادى بريّة شيهات .

«... فكتب الملك إلى متولى الإسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فإن لم يقبلها أخرجه ، فعرض عليه ذلك فلم يقبله ، فأخرجه وأقام بعده بولص التنيسى ، فلم يقبله أهل الإسكندرية ومات . فغلقت كنائس القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة ...

١٢ ـ كسرى برويز :

«... وفى أيام فوقا ملك الروم ، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا إلى مصر فى طلبهم فقتلوا منهم أمة كبيرة وسبوا منهم سبياً لايدخل تحت حصر .

(١) حكم أناسطاسيوس ٤٩١ ـ ٥١٨ .

وساعدهم اليهود فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ، وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد المقدس فنالوا من النصارى كل منال ، وأعظموا النكاية فيهم ، وخربوا لهم كنيستين بالقدس وحرقوا أماكنهم ، وأخذوا قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطرك القدس وكثيراً من أصحابه ...

وفى أيام فوقا {فوكاس} [1] أقيم يوحنا الرحوم بطرك الإسكندرية على الملكية . فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فار من الفرس ، فخلا كرسى إسكندرية من البطركية سبع سنين لخلو أرض مصر والشام من الروم ، واختفى من بقى بها من النصارى خوفاً من الفرس .

«وكان هرقل [2] قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرس ... ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ما خربه الفرس منها . فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة ، وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك ، فأمّنهم وحلف لهم .

ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة ، فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خراباً ، فساءه ذلك وتوجع له . وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وأنهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس ، وقاموا قياماً كبيراً فى قتلهم عن آخرهم ، وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسّنوا له ذلك .

فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه ، فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسيهم بأنه لا حرج عليه فى قتلهم ، فإنهم عملوا عليه حيلة حتى أمّنهم من غير أن يعلم بما كان منهم ، وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه ، بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة فى كل سنة عنه على مر الزمان والدهور .

فمال إلى قولهم ، وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعاً فيها ، حتى لم يبق فى ممالك

(١) حكم فوكاس ٦٠٢ ـ ٦١٠ م .

(٢) حكم هيراكليوس ٦١٠ ـ ٦٤١ م .

الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى . فكتب البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بإلزام النصارى بصوم أسبوع فى السنة ، فالتزموا صومه إلى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل ، وتقدم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالاً كثيرا .

وفى أيامه أقيم أدراسلون بطرك اليعاقبة بالإسكندرية ، فأقام ست سنين ... فخربت الديار فى مدة بطركيته . وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين ، فعمر الدير الذى يقال له دير أبو بشاى ودير سيدة أبو بشاى وهما فى بريّة شيهات {وادى هبيب} ، فأقام تسعاً وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين .

ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام فيرش بطرك الإسكندرية ـ وكان منانيا {مارونياً} ـ وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه . وكان هرقل مارونياً ، فظفر بمينا أخى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد إلى القسطنطينية ....

... منها مدة كونهم تحت أيدى الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الأعضاء ...» أ . هـ .

إنتهى ما اقتطفناه عن المقريزى .

وكتب [1] جراتيان لوبير من العلماء المرافقين للحملة الفرنسية على مصر عن جولة فى إقليم المريوطية ، وهو الإقليم الذى يقع بين بحيرة ماريوتيس {مريوط} وبين البحر فى الشمال وممتد إلى وادى النطرون ، قال :

«وكان يسكن الجزء الأكبر من هذا الإقليم فى القرون الأولى للمسيحية فى عصر أباطرة القسطنطينية، المسيحيون الذين كانوا يفرون هرباً من اضطهاد وملاحقة الأريوسيين والدونانيين وأتباع المذاهب الأخرى ليجدوا ملاذاً فى صحارى مصر الغربية وفى الصعيد . وكان وادى مريوط مزدحماً بالسكان ، وبلغ عدد الأديرة التى بنيت هناك حدا دعا الإمبراطور فالون **Valens** فى القرن الرابع أن يكلف الكونت دوريان **D'orient** حاكم الإسكندرية أن يجرد حملة على الرهبان الذين يجدهم هناك قادرين على حمل السلاح .

(١) وصف مصر ٥١/٢ .

وقد بلغ عدد الذين جندوا قسرا فى إقليم الجنوب حوالى خمسة آلاف رحلوا جميعاً إلى القسطنطينية حيث ألحقوا بجيش الإمبراطور . أما الأديرة التى نجدها حتى اليوم فى وادى بحيرات النطرون وفى المناطق الأخرى من مصر فليست سوى بقايا تلك الالاف من الأديرة التى كانت تغص بها فيما مضى هذه الصحارى .

يقول فلورى **Fleury** فى كتابه «موجز التاريخ الكنسى» **"Abrégé De L'Histoire Écclesiastique"** : «أن الإمبراطور فالون **Valens** قد أمر عام ٣٧٦ بأن يجند الرهبان وأن يرغموا على حمل السلاح كجنود . وعلى الرغم من أنه قد ينظر إلى هذا الأمر على أنه صادر عن حاكم يضطهد الكنيسة ، إلا أنه يمكن القول بأن هذه الألوف الهائلة من الرهبان قد جعلت مثل هذا الأمر ضرورياً ، فقد بلغ عدد الأديرة فى مصر العليا وحدها خمسة آلاف دير ، وكانت مدينة أوكسيرينشيس **Oxeyrynchus** الواقعة فى الصعيد الأدنى تضم عشرة آلاف راهب وعشرين ألفا من الراهبات كما كان دير التبين **Tebenne** الذى أنشأه القديس باخوم فى الصعيد الأعلى يضم خمسة عشر ألف راهب ، أما الدير الذى أنشأته أخته والذى يقع فى مواجهة ديره فكان يضم أربعمائة فتاة ، وكان عدد الذين يحضرون الاجتماعات العامة السنوية التى تعقد تحت رياسته يصل إلى خمسين ألف راهب . وكان عدد الرهبان المقيمين فى الأديرة الكبيرة وحدها فى مصر يبلغ ٦٧ ألف راهب ، أما عدد الراهبات فقد بلغ حوالى العشرين ألفاً . ولايتضمن هذا الرقم أعداد الرهبان والراهبات فى الأديرة الصغيرة التى لايحصيها عدد وكان يخضع لسلطة الأب سيرابيون بالقرب من أرسينيوه **Arsinoé** عشرة آلاف راهب ... ذلك أن المسيحية التى انتشرت بعد المسيح فى صمت وسلام بدأت فى عهد قسطنطين {حوالى عام ٣٣٠ م} تنتشر بالاغراء والإرهاب وقوة السلاح ، وهنا بدأ الصليب يخضب الأرض بالدماء ... الخ» .

وهذا يعنى أن الرهبنة هو أهم نظام استحدثته مصر فى الديانة المسيحية [1] . ولقد كانت الميول الرهبانية واضحة فى الكنيسة المصرية منذ فجر تاريخها ، فى حين يعتبر البروتستانت الرهبنة جبناً وهروباً من مواجهة مسئوليات الحياة .

(١) مصر من الإسكندر حتى الفتح العربى ٦٤ .

ويقول هـ . أيدرس بل [1] عن الحالة الإقتصادية فى القرن السادس الميلادى :

«إن أبرز ظاهرة عن مصر وقتئذ أنها كانت بلداً ينقسم مجتمعه إلى نبلاء شبيهين بنبلاء الإقطاع وفلاحين أنصاف عبيد» .

يذكر الدكتور وليم سليمان [2] أن كنيسة مصر لم تنس قط الحقبة الأولى من تاريخها عندما لقى الأقباط كل تعنت واضطهاد على أيدى المسيحيين الملكانيين الذين ساموهم باسم المسيحية أشد أنواع العذاب ، وأنه حتى الآن لايكاد يمضى شهر إلا وفيه ذكرى لأحد شهداء هذه الفترة ، وحتى الآن تذكر الكنيسة أبناءها فى اجتماعات الصلاة بما لقيه آباؤهم على يد كنيسة بيزنطة من تعذيب .

إضطهاد وتعذيب وسجن ونفى وقتل وسلب ... الخ . تاريخ أسود من قرن الخروب لتلك الدولة الرومانية فى وثنيتها وفى نصرانيتها على السواء ، فهى لم تستفد شيئاً حضارياً أو أخلاقياً من الدين المسيحى بل كانت دولة مسيحية على الطريقة الوثنية .

وإذا كان يعوزنا تحقيق تفاصيل تلك الوقائع فمما لاشك فيه أنه صحيح فى مجمله ويحضرنا فى هذا الشأن حديث معاذ بن جبل مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ [3] ، قال : «خذوا العطاء مادام عطاء ، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه (!) فيمنعكم من ذلك مخافة الفقر . ألا إن رحا الإيمان دائرة ـ وإن رحا الإسلام دائرة ـ فدوروا مع الكتاب حيث يدور . ألا وإن السلطان والكتاب سيفترقان ، ألا فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنه سيكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم .

قالوا : فكيف نصنع يا رسول الله ؟

قال : كما صنع أصحاب عيسى ، «حُملوا على الخُشُب ونُشروا بالمناشير . موت فى طاعة خير من حياة فى معصية» .

(١) مصر من الإسكندر حتى الفتح العربى ١٤٨ .

(٢) المسلمون والأقباط ٣٣ .

(٣) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤ / ٢٦٧ ـ ٤٤٠٨ .

وقال محققه الأستاذ المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ، قال البوصيرى «رواه إسحق عن سويد بن عبد العزيز وهو ضعيف ، ورواه أحمد بن منيع ورواته ثقات ولفظهما واحد» .

١٢ ـ الغزو الفارسى (كسرى برويز) :

فى أواخر العهد البيزنطى جاء الغزو الفارسى الذى بعثه كسرى برويز ضد الدولة البيزنطية فانتزع منها الأناضول وبلاد الشام ومصر . فتح الفرس الإسكندرية عام ٦١٧ م وتم لهم إخضاع مصر ٦١٨ م وبلغوا أقاصى الصعيد حتى أسوان ، وبقى سلطانهم فى مصر حوالى عشرة سنوات .

ولكن هرقل عاد وتغلب على الفرس وغزا عاصمتهم المدائن وأجبرهم على الانسحاب من جميع الأراضى التى استولوا عليها ، عن آسيا الصغرى وعن بلاد الشام وخرجوا من مصر عام ٦٢٧ م . وهكذا عاد الروم إلى مصر فى عهد هرقل .

١٣ ـ الروم مرة أخرى :

خرج الفرس من مصر عام ٦٢٧ م وعاد إليها الروم البيزنطيون . وفى عام ٦٣١ م أرسل هرقل الأسقف سيروس Cyrus بطركاً للإسكندرية ـ وهو الذى ذكره المقريزى بإسم «فيرس» وذكره غيره بإسم «قيرس» ـ كان سيروس بيزنطياً من أصل يونانى ، وكان ملْكانى المذهب ، وأضاف أفتيشيوس أنه كان مارونياً على دين هرقل [1] . وإلى جوار أنه كان أسقفاً فقد كان نائباً عن هرقل فى حكم مصر ، وكانت الإسكندرية مازالت هى عاصمة البلاد .

وصل سيروس إلى الإسكندرية ، وبدأ اضطهاده [2] للقبط ليحملهم على اتباع المذهب الملْكانى الحكومى ، فكان عليهم أن يختاروا بين مذهب خلقيدونية بنصه أو الجلد أو الموت ، وبلغ السيل الزبى بقبط مصر ، فلئن كان حكم الفرس مما لم يرغبوا فيه لما كان معه من ظلم وجور فإن حكم الروم وبطشهم وعسفهم لم يكن مما يفرحون به ويحمدونه . جاء سيروس ليحرمهم حرية العقيدة . وتتفق كلمة المؤرخين أن اضطهاد سيروس للقبط قد استمر عشرة سنوات ، بمعنى كل مدة ولايته .

١٤ ـ الفتح الإسلامى :

ثم جاء الفتح الإسلامى لمصر عام ٦٤٠ ـ ٦٤٢ م ، وهو موضوع هذا البحث . هذا الفتح لم

(١) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لأفتيشيوس المُكَنّى سعيد بن بطريق ١٢ .

(٢) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ٢٥٣ .

يكن على أى نسق سابق أو لاحق ، وبالرغم من أن الفتح الإسلامى قد محا كل أثر لأى غزو سابق ، وبالرغم من أن أرض الكنانة مصر قد تعرضت لغزوات واحتلال أخرى بعد ذلك ، فإن أيًا منها لم يستطع أن يغير شيئاً من نتائج الفتح الإسلامى على يدى عمرو بن العاص فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . ظلت مصر عربية إسلامية إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة بإذن الله . وكان دخول المسلمين مصر فى أعقاب دول وحضارات سبقت ، بدأت بالفرعونية ثم الرومانية فالقبطية والبيزنطية .

ولأول مرة منذ زمن بعيد شارك المصريون فى إدارة بلادهم رغم انعقاد السيادة لحكام جدد ، فقد استخدم المسلمون القبط فى كثير من الوظائف ليحلوا محل الروم الذين طردوا من البلاد [(١)] .

١٥ ـ الغزو الفاطمى [(٢)] :

أرسل عبيد الله المهدى ـ أول الخلفاء الفاطميين ٢٩٧ ـ ٣٢٢ هـ ثلاث حملات لغزو مصر من المغرب ، الأولى ٣٠١ هـ ، والثانية إمتدت من ٣٠٧ ـ ٣٠٩ هـ ، والثالثة إمتدت من ٣٢١ حتى عهد القائم بن المهدى ٣٢٤ هـ ، وقد باءت جميع هذه الحملات بالفشل حيث استطاع الإخشيديون الدفاع عن مصر .

فلما كان المعز لدين الله ـ رابع الخلفاء الفاطميين ٣٤١ ـ ٣٦٥ هـ : ٩٥٢ ـ ٩٧٥ م ، مد سلطانه فى أفريقيا إلى المحيط الأطلسى ٣٤٨ هـ ٩٥٩ م ثم عزم على غزو مصر فأرسل جيشاً بلغ الواحات وتمكن كافور الأخشيدى من صده .

وتعرضت مصر لمجاعة أعقبها وباء رهيب هلك فيه أكثر من نصف مليون فضعفت مقاومة البلاد . وظل المعز يستعد لفتح مصر فمهد الطرق إليها وحفر عليها الآبار وأقام المنازل على كل مرحلة وجمع الأموال لهذه الغزوة ، ثم بعث مولاه جوهر الرومى الصقلى {نسبة إلى صقلية}

(١) مصر فى العصور الوسطى ٣٧ .
وحدة تاريخ مصر ١١٥ .
(٢) تاريخ جوهر الصقلى ٢٥ .
سيرة القاهرة ١١٧ .

الذى نشأ فى الامبراطورية البيزنطية ، بعثه على جيشه لغزو مصر . هذا الجيش قيل أنه زاد عن مائة ألف ينتمون لكتامه إحدى قبائل البربر .

سار جوهر بجيشه فى شهر ربيع الثانى ٣٥٨ هـ فبراير ٩٦٩ م ، وكان قائداً فذاً قال المعز فى وداعه «والله لو خرج جوهر وحده لفتح مصر ، وليدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ولينزلن فى خرابات ابن طولون ويبنى مدينة تقهر الدنيا » فقبّل جوهر يد الخليفة وحافر فرسه !!

إستسلمت الإسكندرية لجوهر دون مقاومة فمنع جنوده من التعرض لأهلها ، ثم سار إلى العاصمة فبلغ الجيزة فى ١١ شعبان ٣٥٨ هـ ٩٦٨ م وسار إلى منية الصيادين واستولى على مخاضة بمنية شلقان وعبرت مقدمته النيل إلى مدينة مصر . وفى ١٦ شعبان إشتبك جوهر مع جنود الإخشيديين فهزمهم وعبر نهر النيل عند الجيزة ، واستسلمت له مصر فى ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ ٥ أغسطس ٩٦٨ م وأمر جنوده بالكف عن السلب والنهب وأصدر عفواً شاملاً .

وبنى جوهر مدينة القاهرة ، ثم جاء الخليفة المعز لدين الله وجعلها عاصمة دولته واستقرت الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعى فى مصر .

١٦ ـ زحف القرامطة :

والقرامطة فئة من الإسماعيلية ، زحفوا على مصر فى أوائل عام ٣٦١ هـ بقيادة زعيمهم الحسن الأعصم ونشبت بينهم وبين جيوش المعز لدين الله بقيادة جوهر الصقلى معارك عنيفة على مقربة من الخندق قريباً من القاهرة انتهت بهزيمتهم وارتدادهم إلى الشام .

ثم جمعوا صفوفهم وزحفوا على مصر مرة أخرى بقيادة الحسن الأعصم أيضاً فلقيتهم جيوش المعز بالقرب من بلبيس وهزمتهم مرة أخرى وأمعنت فيهم قتلاً وذلك فى أواخر ٣٦٣ هـ .

١٧ ـ حملة أمورى الصليبية [(١)] :

إقتسمت بلاد الشام حكومتان ، سلطنة تركية فى دمشق ومملكة صليبية فى القدس

(١) الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ١٤٢ .
سيرة القاهرة ١٥٤ .

يحكمها أمورى {أو عمورى كما تسميه بعض المصادر} . وكانت الدولة الفاطمية فى مصر قد بلغت حدا من الضعف حتى أنها كانت تؤدى أتاوة مالية سنوية إلى أمورى .

وكان الوزيران شاور وضرغام يتنافسان على السلطة فى مصر وقد ضعف الخليفة الفاطمى ضعفاً شديداً . واستطاع ضرغام أن يطرد شاورمن الوزارة فاستنجد شاور بنور الدين سلطان دمشق . وتحالف ضرغام مع أمورى الصليبى ملك القدس وارسل إليه يغريه بغزو مصر ويذكر له ضعفها . فسار إلى ديروم ومنها اتجه نحو القاهرة .

وبعث شاور فرقة من الجيش بقيادة ولده طى إلى بلبيس . وجاء أمورى حتى نزل على بلبيس فى أول صفر ٥٦٤ هـ ثم قاتل المصريين حتى افتتحها وأشاع القتل فى أهلها والخراب فيها والتنكيل بالأسرى من أهلها وبقوا فى الأسر الصليبى أكثر من أربعين سنة ! واستنجد المصريون بالسلطان نور الدين فى الشام وأرسل الخليفة الفاطمى إليه خصلات من شعر نسائه تعبيراً عن أنه يستنجد به لصيانة عرضه ، فأرسل نور الدين قواته إلى مصر .

وسار الصليبيون إلى القاهرة فلما وجد شاور أنه لا طاقة له بهم أمر بإحراق مدينة الفسطاط وخرج الناس على وجوههم فتشتتوا فى جميع النواحى وكان ذلك الحريق فى ٩ صفر ٥٦٤ هـ واستعمل فيه عشرين ألف قارورة من النفط وظلت النار مشتعلة ٥٤ يوماً .

ثم طلب شاور من الصليبيين أن يساعدوه على طرد السوريين ـ الذين أنقذوه ـ من مصر والذين كان يقودهم أسد الدين شيركوه بمساعدة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى . ودارت معارك طويلة لم تكن حاسمة ثم عقدت هدنة بين الطرفين .

واتفق الخليفة الفاطمى العاضد وأسد الدين وصلاح الدين على التخلص من شاور . وركب شاور يوماً فى أبهته وعظمته وسط جنده فهابه الأمراء وأحجموا عنه ، ولكن صلاح الدين تقدم ودخل فى وسط موكبه ثم أخذ بتلابيبه وصاح عليه فهجم عسكر الشام على عسكر شاور وقتلوا منهم جماعة وأسر صلاح الدين شاور وأخذه ماشياً على قدميه حتى محبسه فى خيمته . وأمر الخليفة العاضد بقتله فقتل فى الحال فى ١٧ ربيع الأول ٥٦٤ هـ وأسندت الوزارة إلى أسد الدين .

١٨ ـ حملة أمورى الثانية :

وبلغ أمورى تملك أسد الدين شيركوه مصر فخاف بأن وجد نفسه بين نور الدين بالشام وأسد الدين فى مصر فنقض الهدنة واستنجد بملوك فرنسا وإنجلترا وسيسليا وغيرهم من ملوك أوروبا فلم ينجدوه ، فاستمد ملك الروم بالقسطنطينية فأمده بعمارة بحرية من مائة وخمسين مركباً محملة بالمؤن والعتاد والعدة والرجال . وجاء أمورى فى العام التالى براً وبحراً وقد عزم على غزو مصر وضمها نهائياً إلى مملكته .

سار أمورى إلى الفرما ثم اتجه إلى دمياط فعسكر بينها وبين البحر الأبيض المتوسط فى أول صفر ٥٦٥ هـ وقد أراد أن يتخذ من دمياط قاعدة يوجه منها هجماته إلى سائر مصر ويتصل عن طريقها بحراً بمملكته فى فلسطين . كانت دمياط تقاوم فى صمود وراء أسوارها وأبراجها . وأمدهما صلاح الدين بالمال والسلاح والعتاد وأرسل إليها قوات فى النيل . وخاف صلاح الدين أن ينتقل بنفسه ويترك القاهرة بسبب عدم اطمئنانه إلى الاستقرار الداخلى وأرسل إلى السلطان نور الدين فى دمشق بموقفه فبعث إليه نور الدين بالمدد من الشام كما قام من جانبه بغارات عنيفة على ممالك الصليبيين فى الشام .

ونفذت مؤن الصليبيين أمام دمياط ، وأقام المسلمون حاجزاً من السلاسل بعرض النيل لمنع اتصال الصليبيين بحراً بالشام فحل الجوع بمعسكرهم حتى كانوا يتشاجرون على كسرة الخبز . وهبت على معسكرهم الزوابع والأمطار والأنواء حتى غرق معسكرهم فى طوفان وتلاطمت مراكبهم فى النيل فتحطم أكثرها ووصلت حملة نور الدين إلى دمياط فى ١٥ ربيع الأول ٥٦٥ هـ وأحرق المسلمون ما بقى من مراكب الصليبيين ومنجانيقاتهم وآلات الحرب وقتلوا منهم كثيراً .

وانسحب الصليبيون إلى الشام بعد أن تعهد لهم المسلمون بعدم التعرض لهم فى انسحابهم وكان ذلك فى ٢١ ربيع الأول ٥٦٥ هـ . وبلغ صلاح الدين دمياط فى قواته الأساسية بعد أن غادر الصليبيون مواقعهم ، فوبخ الأمراء الذين سمحوا لهم بالانسحاب ثم عاد إلى القاهرة .

١٩ ـ حملة چان دى بريين الصليبية [١] :

أبحر أسطول صليبى ضخم من عكا يحمل جيشاً قدرته المراجع العربية بسبعين ألف فارس وأربعمائة ألف من المشاه بقيادة چان دى برين . وهبطت هذه الحملة عند رأس البر على الشاطىء الغربى للنيل شمالى دمياط فى ربيع الأول ٦١٥ هـ .

واتجهت هذه الحملة جنوباً نحو دمياط فى حين أبحرت سفنها فى النيل . فكان هناك على جانبى النيل شمالى دمياط برجان حصينان يمتد بينهما سلاسل حديدية لتمنع مرور السفن . ولقد توقفت الحملة أربعة أشهر أمام هذين البرجين . وخرج الكامل بن السلطان العادل من القاهرة على جيش حتى نزل العادلية قريباً من دمياط وعزز حامية البرجين . وكان السلطان العادل فى الشام حينذاك فبعث بالأمداد إلى مصر ولكنه توفى هناك .

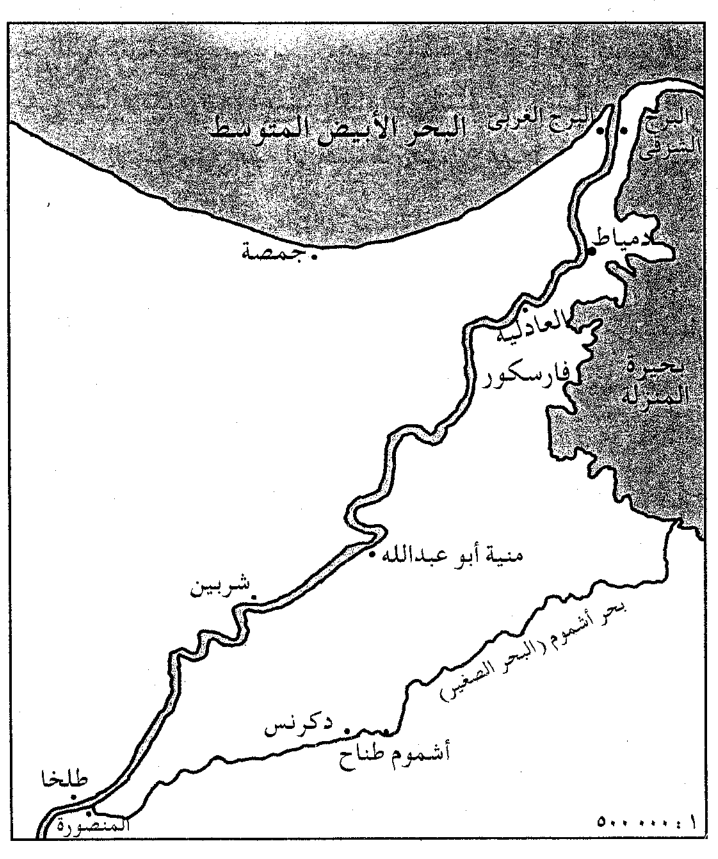
وسقط البرج الغربى فى يد چان دى برين فقطع السلاسل الحديدية التى كانت تحول دون انسياب سفنهم على صفحة النيل . ووقعت فتنة لخلع السلطان الكامل فغادر العادلية ليلاً إلى أشموم طناح {تبعد حوالى ٤٠ كيلو} وفت ذلك فى عزيمة الجند على الضفة الشرقية للنيل ففروا جنوباً وعبر الصليبيون النيل واستولوا على البرج الشرقى وأحكموا الحصار حول دمياط التى سقطت فى أيديهم فى شعبان ٦١٦ هـ بعد حصار استمر أكثر من ستة عشر شهراً فنزلوا قتلاً فى أهلها وأحالوا مسجدها إلى كنيسة .

وانسحب السلطان الكامل من أشموم طناح إلى حيث رابط على الشاطىء الشرقى للنيل تجاه طلخا . وزاد الصليبيون من تحصين دمياط واعتبروها قاعدتهم للزحف نحو القاهرة . واتجه الجيش الصليبى عشرة آلاف فارس ومائتى ألف من المشاة حتى بلغوا بحر أشموم {البحر الصغير} حيث كان جيش مصر رابضا على الضفة المقابلة . ونشب القتال بين الجيشين ودفع السلطان الكامل مائة سفينة قتال فى النيل فاشتبكت بسفن الصليبيين وأسرت عدداً منها وعدداً كبيراً من جنودهم .

وعجز الصليبيون عن التقدم أكثر من ذلك فحاولوا الصلح بشروط رفضها الكامل . وجاء

(١) الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ٣٢٠ .
معارك الإسلام الكبرى ١٥٠ .

فيضان النيل فبثق المصريون جسراً ببحر أشموم جهة الصليبيين وتدفق الماء نحو معسكرهم وأغرق الأرض من حولهم ولم يعد لهم سوى طريق واحد للرجوع . ولكن السلطان الكامل أقام بسرعة عدة جسور على بحر أشموم عبر عليها جيشه فقطع على الصليبيين خط رجعتهم إلى دمياط وسقطت بعض سفن التموين والسلاح الصليبية فى أيدى المصريين واضطر الصليبيون إلى طلب الصلح مقابل الإنسحاب والجلاء عن دمياط ، وقبل الكامل ذلك منهم خوفاً من أن يستمروا فى تحصنهم بدمياط بما لم يكن يضمن عاقبته . وتم جلاء الصليبيين عن دمياط فى ١٩ رجب ٦١٨ هـ بعد حرب امتدت ثلاث سنوات . وعقدت بين الطرفين هدنة مقدارها ثمانى سنوات ، وأقيمت مدينة المنصورة فى موقع معسكر السلطان الكامل تجاه طلخا .



٢ - حملة لويس التاسع [١] :

جاءت الأنباء ٦٤٧ هـ بتجهيز الحملة الصليبية السابعة لتوجيهها إلى مصر . وتأهب السلطان الكامل لملاقاتها وكان مريضاً يحملونه على محفة ، فبعث قوة للدفاع عن دمياط عبرت النيل ونزلت تجاهها بالجانب الغربى .

وأبحرت الحملة من مرسيليا بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا عام ٦٤٧ هـ فى نحو من خمسين ألفاً من المقاتلين فنزلت فى قبرص ومكثت بها حتى عام ٦٤٨ هـ فأبحرت مرة أخرى إلى الشواطىء المصرية فهبطت عند مصب النيل قريباً من دمياط عام ١٢٤٩ م ، ثم تحركت جنوباً على الضفة الغربية لنهر النيل واشتبكت مع القوة المصرية المرابطة تجاه دمياط . وانسحبت هذه القوة لانخفاض معنوياتها ، وعبرت النيل واتجهت إلى أشموم طناح فى حالة من الذعر حتى أنها تركت وراءها الجسر المقام على النيل بين دمياط والشاطىء الغربى فاستولى عليه لويس التاسع وعبر عليه إلى دمياط واستولى عليها فى سهولة ويسر وغنم كل ما بها .

وانسحب السلطان من أشموم طناح إلى المنصورة وشرع فى إعدادها للدفاع وتدفق إليه الجنود فى السفن من جميع أنحاء مصر . ومات السلطان ليلة النصف من شعبان ٦٤٨ هـ بالمنصورة فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر وحمل جثمانه سراً فى تابوت حيث دفن سراً فى قلعة الروضة .

ومكث الجيش الصليبى فى دمياط ستة أشهر فى لهو ومجون فكانت فرصة للمصريين لتعبئة قواتهم وتحصين مواقعهم . ولكن شاع خبر وفاة السلطان وعرف به الصليبيون فخرجوا من دمياط فى ٢٢ شعبان ٦٤٨ هـ واستولوا على مدينة فارسكور ثم تقدموا نحو المنصورة حتى وقفوا أمام بحر أشموم حيث رابطت تجاههم على الضفة الأخرى القوات المصرية ، تماماً كما فعل چان دى برين فى الحملة الخامسة ، واحتشدت سفن الفريقين فى النيل .

---

(١) معارك الإسلام الكبرى ١٥٧ .

وعبثاً حاول الصليبيون إقامة الجسور للعبور إلى الجيش المصرى فقد كان المصريون ينجحون فى إحباط كل محاولة باستخدام النار اليونانية التى كانوا يقذفونها تجاه الصليبيين . ولكن خائناً من البدو دل الصليبيين على مخاضة ضحلة يعبرون منها لقاء خمسمائة بيزانت ذهب قبضها مقدماً .

وكانت أول قوة عبرت عبارة عن ألف وأربعمائة فارس يقودهم كونت روبرتوس دارتوا شقيق الملك لويس ففاجأ جيش مصر بظهوره على جانبهم ولم تكن قواتهم معبأة للقتال فقتل قائدهم وفرت القوة أمام دارتوا الذى دمر مواقع المجانيق وقذائف النار التى كانت تصب قذائفها على الجيش الصليبى .

واندفع دارتوا بفرسانه نحو المنصورة فاقتحمها وكان الأمير بيبرس قائد المماليك قد تمكن من تجميع فلول الجيش الذى أخذته المفاجأة فحصر هذه المقدمة الصليبية داخل المدينة موجها إليها من يطاردها فى حين وقف خارج المنصورة ليمنع قوات الصليبيين الأساسية من اللحاق بالمقدمة . وشارك الأهالى من فوق الأسطح والنوافذ فى قتال الفرسان الذين حُصروا فى الأزقة ، واضطر لويس إلى الارتداد حيث عسكر على الضفة الجنوبية لبحر أشموم فى حين أبيدت القوة التى اقتحمت المنصورة عن آخرها ١٢٥٠ م وقتل دارتوا شقيق الملك لويس .

وهاجم القائد الجديد فارس الدين أقطاى رأس الجسر الذى أقامه لويس التاسع على بحر أشموم كما هاجم جيش الصليبيين فتمكن من تشتيته وقطع خط الرجعة إلى دمياط وحصر جيش لويس التاسع فلا هو دخل المنصورة ولا استطاع أن يعود إلى دمياط وقتل منه نحو ٣٠ ألفاً وغرق كثير منهم فى النيل وانتشر الجوع والوباء فى معسكر الصليبيين ومرض لويس حتى خافوا عليه الموت وأسر المسلمون ٢٢ مركباً صليبياً فى النيل ، ثم وقع لويس التاسع فى أسر المسلمين فى معركة وقعت غرب فارسكور فى ٢ محرم ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م وذلك بعد أن لجأ وأخوته وجميع قادة جيشه إلى منية أبى عبد الله وطلبوا الأمان ، وسيقوا جميعاً مقيدين بالسلاسل الحديدية إلى المنصورة حيث سجن لويس فى دار كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان ووكل أمر حراسته والقيام على أمره الطواشى صبيح المعظمى .

ثم تم الصلح مع الملك لويس على أن يطلق سراحه مقابل فدية قدرها ٨٠٠ ألف دينار (١٠

مليون فرنك) ويسلم مدينة دمياط وكانت مازالت محاصرة من المسلمين وبداخلها قوات صليبية وبها الملكة مرجريتا وقد ولدت بها ابنها تريستان {يعنى الحزين} . ورحل لويس وزوجته بحراً وانتهت حملته بالفشل الذريع .

٢١ ـ التتار [١] :

خطر داهم داهم داهم .

جاء من شرق آسيا وعلى وجه التحديد من صحراء جوبى حيث كانت تعيش قبائل المغول والتتار إذ تزعمهم جنكيزخان ونظم جحافلهم ثم نجح عام ٦١١ هـ فى غزو الصين . ووجه سيله الجارف بعد ذلك إلى الدولة الخوارزمية الإسلامية واجتاح بخارى وسمرقند ثم الرى وهمذان وآذربيجان والقوقاز كما غزا خراسان وسقطت الدولة الخوارزمية وعاد جنكيزخان إلى بلاده عام ٦٢٢ هـ حيث مات بعد عامين .

ثم خرجت الموجة الثانية فاتجهت نحو فيينا وبلغت سواحل الأدرياتيكى وانحسرت عام ٦٣٦ هـ .

وفى ٦٤٩ هـ بدأ السيل الجارف الثالث بقيادة هولاكو فاخترق أرض فارس وانحط منها على العراق فأسقط الخلافة العباسية وخرج الخليفة المستعصم لملاقاة هولاكو واستعطافه وطلب الصلح ، ولكن هذا أمر بقتله وجميع مرافقيه ودخل بغداد فى محرم ٦٥٦ هـ واستباحوها أربعين يوماً يقتلون وينهبون ويحرقون ويخربون .

وسار هولاكو إلى الجزيرة ثم الشام عام ٦٥٧ هـ ـ ١٢٥٩ م ففعلوا بحلب كما فعلوا ببغداد ، فاستسلمت لهم حماة ثم دمشق ، وعاد هولاكو إلى فارس فى حين أتم كتبغا {وكانوا ينقطونها أوكيتوبوقا} غزو الشام .

ومع انصراف هولاكو من الشام أرسل رسولاً مغولياً ومعه أربعون تابعاً إلى سلطان مصر يقول :

---

(١) جامع التواريخ ـ تاريخ المغول ٣١٠ .
معارك الإسلام الكبرى ١٧٣ .

« إن الله تعالى قد رفع شأن جنكيزخان وأسرته ومنحنا ممالك الأرض برمتها ، وكل من يتمرد علينا ويعصى أمرنا نقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه والمتصلين به (!) ، وبلاده ورعاياه كما بلغ ذلك أسماع الجميع . أما صيت جيشنا الذى لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار . فإذا كنت مطيعاً كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية وأقدم بنفسك واطلب الشحنة وإلا فكن مستعداً للقتال » .

وفى رواية أن كتاب هولاكو جاء به :

« من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القائد الأعظم ، يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية ، إنا نحن جند الله فى أرضه سلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر . ليس لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ، فمن طلب حربنا ندم ومن قصد أمننا سلم » .

واستشار قطز رجال دولته وأمراء خوارزم الذين فروا أمام الزحف المغولى على بلادهم ولجأوا إلى مصر . كانت الأرض من الصين إلى حدود مصر فى قبضة هولاكو ، امتلأت بدخان الحرائق وجثث القتلى ودمائهم والمناحات وخلت من الأزواج والأبقار والبذور . وقلبوا وجوه الرأى بين الاستسلام أو الجلاء عن الوطن أو القتال . ووجدوا أن الاستسلام لاتؤمن عواقبه فالمغول لا أمان لهم ولا عهد وكم من رؤوس قد احتزوها كانوا قد أمنوها ، وجلاء شعب إلى بلاد بعيدة أمر متعذر . قال قطز « الرأى عندى هو أن نتوجه جميعاً إلى القتال ، فإذا ظفرنا فهو المراد وإلا فلن نكون ملامين أمام الخلق » . واتفقوا على ذلك .

بعد ذلك نجد قطز يتبع مع المغول ذات أساليبهم . فأمر برسل المغول فأعدموا وصلبت جثثهم من الليل على أبواب القاهرة ، وفى رواية أن رؤوسهم علقت على باب زويلة {بوابة المتولى} . واستمر يتبع أسلوبهم ، فلم ينتظر جحافلهم وإنما بادر بالخروج بجيشه لملاقاتهم هناك على أرض الشام . خرج من قلعة الجبل يوم الإثنين ١٥ شعبان ٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠ م تتقدمه الطبول والأبواق وتشيعه دعوات الناس فاتجه نحو الصالحية وبعث أمامه مقدمة من الفرسان يقودها ركن الدين بيبرس .

كان المغول ينتظرون عودة رسلهم على الأرجح بخضوع مصر أو على الأكثر بالمماطلة ففوجئوا بفرسان قطز تطلع عليهم وتهاجمهم فى جرأة لم يعهدوها من قبل ، وانهزمت قوة المغول واستولى جيش مصر على غزة وطردهم منها وطاردهم حتي نهر العاصى بما يعنى جلاؤهم عن فلسطين بأكملها . وكانت هذه أول مرة يجلو المغول عن أرض غزوها .

واستشاط كتبغا غاضباً فجمع قواته وجاء معتمداً على قوته وسطوته وتحرك قطز بجيشه شمالاً من غزة على طريق الساحل فاجتاز يافا وقيسارية حتى بلغ جبل الكرمل جنوب حيفا . والتقت طلائعه بطلائع المغول عند عين جالوت وهى قرية صغيرة عند منابع نهر جالوت [أو جالود] بين بيسان وعافولة . وحشد قطز جيشه فى مرج إبن عامر وكان نحواً من ٤٠٠٠٠ مقاتل نصفهم من الفرسان الذين يغلب عليهم العنصر المملوكى ، هذا فى حين كان جيش المغول كله من الفرسان بعضهم من الرماة .

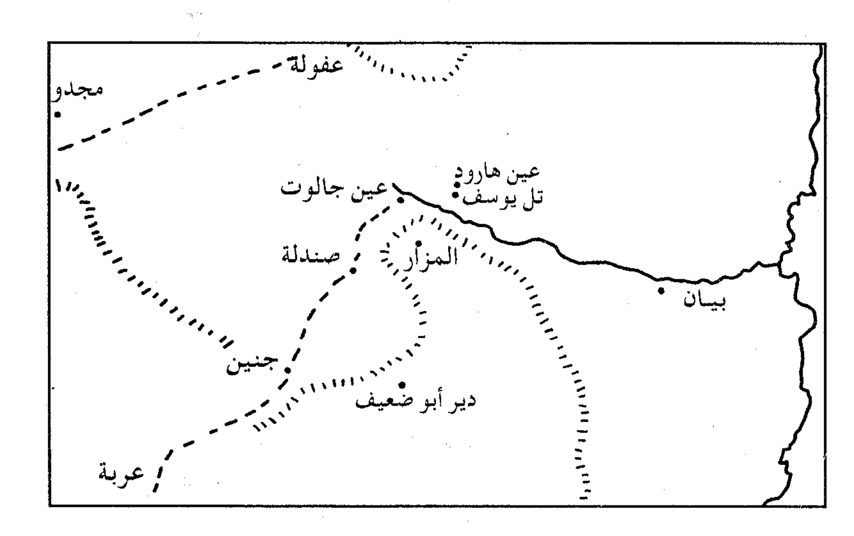
وكان الأسلوب المغولى يعتمد على إمطار عدوهم بوابل كثيف من السهام يعقبه هجوم خاطف بجحافل فرسانهم حتى إذا ماتزعزعت صفوفه ركزوا قوتهم على أضعف نقاط جبهته حتى يكتسحوه ، فإذا لم يتسنى لهم ذلك انسحبوا متصنعين الهزيمة إلى كمين أعدوه مسبقاً فإذا تعقبهم عدوهم فى هزيمتهم هذه أوقعوه فى كمينهم وأجهزوا عليه .

وكان قطز قد درس أسلوب المغول واستوعبه وعوّل على أن يستخدمه معهم ! فجعل جيشه ميمنة وقلباً وميسرة من المشاة ، ووضع معها فرقاً من الفرسان لتصلب عودها وجعل أقوى فرسانه بقيادة بيبرس خلف القلب . وكان تخطيط قطز أن تتلقى صفوف المشاة هجمة فرسان المغول حتى إذا أخذت صفوفهم فى الانتشار والفوضى تفسح مشاته لفرسان المماليك لتندفع من الخلف إلى الأمام لتشتبك بفرسان المغول المنتشرة . فإذا لم توفق هذه الخطة فإن الخطة البديلة أن يفسح للمغول مجالاً خلال صفوفه ليندفعوا منه إلى كمين معد من قبل حيث يطبق عليه ليضع نهاية للمعركة .

ووجد قطز مستنقعات تتجه إلى بيسان فأسند ميمنته إليها وأمن بذلك من التفاف المغول حول جناحه الأيمن حيث لاتصلح المستنقعات لعمليات فرسان المغول . ودارت المعركة صباح الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ ـ ٦ سبتمبر ١٢٦٠ . شن المغول هجوماً عنيفاً بفرسانهم على

صفوف قطز وإصطدمت بمشاته التى حاولت الصمود قدر طاقتها ولكنها تزحزحت تحت ضغط المغول الذين كانوا يضغطون بعنف على فرسان الحرس السلطانى الذين كان يقودهم قطز بنفسه وأخيراً حدثت الثغرة واندفع المغول من خلالها يتعقبون الفرسان المنكسرة ويقتلون كثيراً من المصريين . حتى إذا بلغوا الكمين كر عليهم قطز بفرسانه وأطبق عليهم الكمين من ثلاث جهات وهو يصيح «وا إسلاماه» ، اللهم انصر عبدك قطز على التتار . وحصر المغول بين أذرع الكمين وتعذرت عليهم المقاومة فانهزموا هزيمة حقيقية . وتقول المصادر المغولية أن كتبغا رفض الفرار حين نصحه به أعوانه حتى أحيط به ووقع فى الأسر واختفى فوج من فرسان المغول فى مزرعة قصب فأمر قطز فأحرقت عليهم وجىء بكتبغا إلى قطز فقال له «أيها الناكث للعهد ، ها أنت بعد أن سفكت كثيراً من الدماء البريئة وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة قد وقعت أخيراً فى الشرك» .

وأمر قطز بقتله فى حين كانت فلول فرسانه ترتد فى فوضى وتفرق نحو التلال الواقعة قرب بيسان وطاردتهم فرسان قطز فى جميع نواحى الشام حتى نهر الفرات .



هذا ما تذكره المصادر المغولية عن مقتل كتبغا ولكن المصادر العربية تذكر أنه قتل فى المعركة قتله الأمير جمال الدين أقوس الشمسى بضربة . واستولى المصريون على معسكرهم وما حوى ونزل قطز من على فرسه يمرغ وجهه فى الأرض ويقبلها وصلى ركعتى الشكر لله ، وقام بعملية المطاردة ركن الدين بيبرس . وانتفض أهل دمشق يعملون السيف فى المغول الذين فى مدينتهم . ودخل قطز دمشق فى موكب مشهود فى أواخر رمضان ٦٥٨ هـ .

٢٢ ـ الغزو العثمانى [1] ـ السلطان سليم الأول :

إنتصر السلطان العثمانى سليم الأول بن بايزيد على جيش فارس وفرغ من أمرها معه ثم بدأ يعد عدته فى ٩١٨ هـ لغزو مصر ، وباءت بالفشل محاولات السلطان الغورى بعقد صلح معه ، وكان الغورى يحكم دولة تمتد من سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً عاصمتها القاهرة .

واتجه سليم بجيش كبير إلى سوريا وكان مجهزاً بالمدافع التى لم يكن المماليك يعرفونها بعد . وسار الغورى على جيشه لملاقاة سليم الأول فالتقى الجيشان فى مرج دابق قريباً من حلب فى أغسطس ١٥١٦ وبدأت المعركة باكتساح فرسان المماليك لجيش السلطان سليم . ولكن سليماً لم يكن جاهزا بالمدافع فقط ، لقد أعد عدة أخرى أشد فتكاً من أى سلاح وهى الخيانة ، فقد استطاع ـ قبل زحفه ـ استمالة بعض رجال الغورى وأهمهم خاير بك نائب حلب {أو خاين بك كما أسماه المصريون} وجان بردى الغزالى نائب حماة ، ويونس العادلى والسمرقندى . انخذل خاير بك وجان بردى عن السلطان الغورى الذى أوفى على الثمانية والسبعين . كان هجوم المماليك ساحقاً ولكن فعلت الخيانة فعلتها فانهزمت الميمنة وتقهقرت الميسرة بقيادة خاير بك وهرب غزالى بك بقواته وانحازوا جميعاً إلى السلطان سليم ، والغورى يصيح «يا أغوات هذا وقت النجدة» فلا يسمع له أحد فأصابه فالج {شلل نصفى} وأرخى فمه وأشار يطلب ماء شرب منه قليلاً ومشى بفرسه خطوتين ثم سقط منه على الأرض وفقئت مرارته وخرج من حلقه دم أحمر وفاضت روحه من شدة القهر ووطأته خيل السلطان سليم فلم

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٥ / ٦٠ ـ ٢٣٢ .
مصر والشراكسة ٩٥ .
سندباد مصرى ٢٠ .

يعلم له خبر ولا وقف له على أثر ولا تعرف أحد على جثته من بين أحد عشر الفا من جثث المماليك التى غطّت أرض مرج دابق يوم ٢٥ رجب ٩٢٢ هـ ، يقول ابن دقماق «... وتركوا جثته على الأرض ، فكان آخر العهد به ، ولم ير له جثة ولا رأس ، ولا يعرف له مكان قبر فكأنما إبتلعته الأرض ، ولم يقف له أحد من الناس على خبر ... فصار مرمياً فى البرارى وقد تناهشته الذئاب والنمورة ، فمات وله من العمر ثمانى وسبعين سنة» . وغنم السلطان سليم معسكر الغورى بكل ما فيه . وبلغت الأخبار إلى القاهرة فبويع طومان باى خلفاً للغورى . وما لبث أن جاءه خطاب :

«من السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان سلطان البرين وخاقان البحرين ... الخ إلى طومان باى الشركسى :

الحمد لله . أما بعد ، فقد تمت إرادتنا الشاهانية وباد إسماعيل شاه الهرطوقى أما قنصوه الكافر الذى حملته القحة على مناوءة الحُجاج فقد نال جزاءَه منا ، ولم يعد لدينا إلا أن نتخلص منك ، فإنك جار معاد والله سبحانه وتعالى يساعدنا على معاقبتك . فإذا أردت اكتساب رحمتنا الملوكية اخطب لنا واضرب النقود باسمنا وتعال إلى أعتابنا وأقسم على طاعتنا والإخلاص لنا وإلا ... الخ» .

وزحف سليم فاحتل غزة والعريش ثم دخل مصر لا يلقى مقاومة حتى التقى به طومان باى قريباً من بركة الحج يوم الجمعة ٢٩ ذى الحجة ٩٢٢ هـ . وبعد قتال طويل انهزم طومان باى فتراجع إلى القاهرة يقاوم فيها وكانت لمدافع السلطان سليم التى لم يكن لطومان باى مثيل لها كان لها أثرها فاقتحم الأتراك القاهرة ونزلوا الروضة . وكر عليهم طومان باى إلا أنه لم يوفق وأمعن السلطان سليم فى القاهرة قتلاً وحرقاً وتخريباً .

ولجأ طومان باى إلى بعض الأعراب بالدلتا فخانوه وأسلمه شيخهم حسن بن مرعى إلى السلطان سليم مغلول اليدين .

وكافأ السلطان سليم الخونة فأقام خاير بك والياً على مصر فساسها بالشنق والخازوق والتوسيط والتكليب وقطع الأيدى وجدع الأنوف {ألفاظ غريبة لأفعال عجيبة} كما ولى جان بردى الغزالى بلاد الشام .

وبعد عشرة أيام من أسر طومان باى سيق يوم الإثنين ٢١ ربيع الأول ٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧ م في موكب من إنبابة إلى باب زويلة ، والناس تحييه على جانبى الطريق !! وأرخيت حبال المشنقة من قواعد البرج الغربى لباب زويلة فعرف طومان باى ما يراد به وقال للناس «إقرأوا لى الفاتحة ثلاث مرات» فرفع الناس أيديهم يقرأون الفاتحة بصوت عال ، واستدار إلى رئيس المشاعلية وقال له «إعمل شغلك» فوضع الخية فى رقبته ورفع الحبل فانقطع به وسقط الأشرف طومان باى على عتبة باب زويلة ، فأعادوا الكرة وانقطع مرة أخرى ثم كانت «التالتة تابتة» وعلق آخر سلاطين المماليك مكشوف الرأس وعلى جسده شاياه من جوخ أحمر فوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار وفى رجليه لباس من جوخ أزرق وخف أحمر . وصرخ الناس صراخاً عظيماً فقد كان طومان باى محبوباً من الناس حسن الشكل كريم الخلق بطلاً فى أسوأ الظروف . وبقيت جثته معلقة بكلاب من حديد عدة أيام .

ويجلس سليم يحيط به رهط من المرد مع بعض أمرائه الانكشاريين والإصباحية يتسامرون ويتحارفون وقد نصبت لهم شاشة بيضاء فى صدر الإيوان ، وقف خلفها أحد المخايلين بعد أن أطفأ الأنوار إلا مصباحاً كبيراً خلف الشاشة تلعب عليها ظلال تصاوير من الورق ترسم رحبة باب زويلة تحيط به الأجناد ، ويخرج من البوابة رجل يركب أكديشاً وربما جملاً ويترجل مرفوع الرأس طويل اللحية ، يتسلمه المشاعلية ليضعوا الحبل فى عنقه ، ويشدوا الحبل المعلق بقاعدة برج البوابة فينقطع الحبل بالمشنوق . ويعود المشاعلية إلى وضع الخية مرة أخرى حول عنق الرجل وينقطع الحبل مرة ثانية ، وفى الثالثة يتدلى الرجل وتستدير لحيته إلى أعلى وتلعب سيقانه فى الهواء هنيهة ثم يسكن حراكه والمحبّظ يصطحب مخايلته على خيال الظل هذا بأزجال وفكاهات يضحك الصبيان المرد من فحشها وسلاطتها والسلطان منشرح الصدر فينُعِم على المحبظ بثمانين ديناراً وبقفطان من المخمل المذهب ويقول له «تعال معنا إلى اسطنبول حتى يتفرج ابنى على ذلك» . !

٢٣ ـ الحملة الفرنسية ـ نابليون بونابرت :

وتمضى قرون ثلاثة ثم يجىء نابليون بونابرت بحملته الشهيرة [١] ـ الحملة الفرنسية . تم

(١) تاريخ الحركة القومية .

الإعداد الكبير للحملة دون أن يعلم أحد وجهتها ، وكانت مكونة من ٣٦٠٠٠ مقاتلاً واصطحب نابليون معه ١٤٦ من صفوة علماء فرنسا .

وأقلعت سفن الحملة من طولون يوم ١٠ مايو ١٧٩٨ ومن چنوا وأجاكسيو وغيرها ، ٣٠٠ سفينة تحرسها ٥٥ سفينة حربية ، واحتلت مالطة ٩ يونية ثم ترك بها نابليون حامية من ٣٠٠٠ وضم إلى جيشه ٢٠٠٠ من أهل مالطة عوضاً عنهم . وأقلع من مالطة حتى أنزل جنوده غربى الإسكندرية بجهة العجمى ليلة ١٨ محرم ١٢١٣ هـ ـ ٢ يولية ١٧٩٨ ثم تقدم فاحتل الإسكندرية من نفس اليوم ، وسار بعد ذلك إلى البيضاء إلى العكريشة إلى الكريون إلى بركة غطاس إلى دمنهور حيث تجمعت بها قواته يوم ٧ يولية . وغادرها يوم ١٠ يولية إلى الرحمانية ليلتقى هناك بقول آخر سار من الإسكندرية إلى رشيد إلى الرحمانية .

كان يحكم مصر إثنان من أمراء المماليك هما مراد بك وإبراهيم بك . وتقدم مراد بك فى ١٢٠٠٠ مقاتل منهم ٣٠٠٠ من فرسان المماليك والباقين من الفلاحين المسلحين بالبنادق والعصى ، والتقى بالحملة يوم ١٣ يولية ١٧٩٨ عند شبراخيت فدارت معركة برية ونهرية إنهزم فيها مراد بك وتقهقر إلى إمبابة حيث لحق به نابليون وجنوده ينهبون القرى . وأوقع نابليون بمراد بك هزيمة أخرى فى إمبابة يوم ٢١ يولية ١٧٩٨ بينما وقف إبراهيم بك على الشاطىء الشرقى للنيل يرقب ما يحدث لزميله .

وفر مراد بك بثلاثة آلاف جنوباً إلى الجيزة فى حين انسحب إبراهيم بك شرقاً إلى بلبيس ومنها إلى سوريا بعد ذلك ومعه ما استطاع حمله من الأموال . وخلت القاهرة من أى دفاع فعبر إليها الجيش الفرنسى واحتلها دون مقاومة .

وجاء الأسطول الإنجليزى فعثر على الأسطول الفرنسى مختبئاً فى خليج أبى قير فهاجمه فى أول أغسطس ١٧٩٨ وأسر ٦ من سفنه ودمر الباقى وقتل أميراله وأركانه و ٤٠٠٠ من رجاله . وبذلك أصيبت الحملة بضربة قاسية وضعفت معنويات جنودها وتضعضعت هيبة فرنسا فى مصر وفرض الأسطول الإنجليزى حصاراً بحرياً على الإسكندرية وتجرأ المصريون على حرب التحرير ضد الحملة ، فكانوا يقتلون جنودها ويتعرضون لفرقها فى تنقلها فى كل مكان

ويهددون خطوط مواصلاتهم وحاملى البريد ... الخ وقابل نابليون ذلك بالرهائن والإعدام وهدم الدور وإحراق القرى .

وفرضت الحملة ضرائب فادحة وتعسفت فى الجباية حتى ساءت أحوال الناس عما كانت عليه فى عهد المماليك ، وأخرج الفرنسيون كثيراً من أصحاب البيوت من بيوتهم بدعوى حاجتهم إليها ، وهدموا بعض المبانى والآثار والمساجد وأبواب الحارات والدروب وكانت تغلق ليلاً فيأمن أهل كل حارة ، وأسرفوا فى قتل الناس والرهائن والطواف برؤوسهم وتجريد الأهالى من سلاحهم ، فاندلعت ثورة القاهرة يوم ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ ـ ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ وهاجمت الجماهير مخافر الفرنسيين وقتلوا الجنود والحراس وقتلوا الجنرال ديبوى قومندان القاهرة وكذلك ياور نابليون وأقاموا المتاريس واحتشدوا فى الأزهر .

وصبت مدافع نابليون قذائفها من فوق جبل المقطم على الجامع الأزهر وما حوله من الظهر إلى الليل ثم اقتحم جنود الحملة المسجد الأزهر وعسكروا فيه بعد أن سقط ٤٠٠٠ شهيد وارتكب الفرنسيون فظائع بشعة فى إخماد الثورة وهدموا كثيراً من المساجد والدور وقطعوا النخيل وأحالوا مسجد الظاهر إلى قلعة مسلحة ، ودخله ٦٠٠ فارس بخيولهم وأقاموا بالقاهرة وحولها ١٩ قلعة !

وبعث نابليون الجنرال ديزيه لغزو الصعيد فلقى مقاومة عنيفة وثورات من الأهالى واشتبك بجيش مراد بك وغيره من المماليك عدة مرات ولقى متاعب جمة واجتاح الرمد جنوده حتى عمى كثير منهم ، ورغماً عن هذا استطاع ديزيه أن يحتل الصعيد بأكمله حتى أسوان وجزيرة فيلة ، ومع ذلك لم يتم له إخضاع الصعيد بل ظل مركز الفرنسيين مزعزعاً مهدداً وقتل منهم الكثير واستولى الأهالى على الأسطول الفرنسى كله بالنيل وكان ١٢ سفينة بعد معركة بينهم على الشاطىء وبين هذه السفن ثم سبحوا إليها وتسلقوها واستولوا عليها عنوة ، وانتحرت السفينة إيتاليا التى كانت سفينة نابليون الخاصة وذلك بتفجير مخزن ذخيرتها وقتل من الفرنسيين ٥٠٠ قتيل فى هذه المعركة وحدها ، واستولى المصريون على بعض المدافع وذخيرتها واستخدموها ضد الفرنسيين فكانت ذات أثر فعال . ولكن الفرنسيين ركزوا جهودهم لاسترداد مدافعهم وسفنهم حتى تم لهم ذلك .

٢٤ ـ حملة فريزر ـ ١٨٠٧ م (١) :

كان الصراع الداخلى على أشده بين محمد على باشا وبين المماليك . كما تصاعد أوار الحرب بين إنجلترا وفرنسا . وانحازت تركيا إلى جانب فرنسا وأعلنت الحرب بين إنجلترا وتركيا . وتواطأ المملوك محمد بك الألفى زعيم المماليك مع الإنجليز على غزو مصر ليكونوا سندا له ضد محمد على من جانب ، ولتضرب إنجلترا تركيا فى مصر من جانب آخر ، ولتضمها إلى إمبراطوريتها من جانب ثالث .

وكانت الحملة الإنجليزية من الجنود المشاه فقط إعتماداً على أن تستكمل عنصر الفرسان بقوات المماليك ، ولكن بعد أن تم هذا التدبير بين الألفى وبين الإنجليز مات الألفى وانفرط عقد مماليكه ووصلت الحملة إلى الإسكندرية بعد وفاته بأربعين يوماً وقبل أن يبلغهم خبره . وأراد الإنجليز استنهاض همم المماليك فلم يفلحوا .

كان محافظ الإسكندرية رجلاً تركياً يدعى أمين أغا قد تواطأ مع الإنجليز لقاء رشوة مالية تقاضاها من القنصل الإنجليزى بالمدينة . وهبطت الحملة على شاطىء العجمى غربى الإسكندرية ثم زحفت إلى المدينة فدخلتها ليلة ٢١ مارس ١٨٠٧ وسلم أمين أغا نفسه إلى الإنجليز كأسير حرب (!) دون أن تطلق رصاصة واحدة .

كانت الحملة مؤلفة من نيف وستة آلاف مقاتل يقودهم الجنرال فريزر **Fraser** وكانوا فرقتين الأولى بقيادة الجنرال ستيوارت **Stuart** والثانية قادها الجنرال ويكوب **Wacop** . وكان محمد على حينذاك فى أسيوط يتعقب قوات المماليك ، فلما بلغه الخبر عقد هدنة معهم وبدأ رحلة العودة إلى القاهرة .

وخرج ويكوب فى ٢٠٠٠ من الإسكندرية لاحتلال رشيد . وأندمجت حامية رشيد وكانت ٧٠٠ من الجند مع الأهالى واعتصموا جميعاً بالمنازل . ولم تجد الحملة أحداً يقاومها فدخلت المدينة صبيحة ٣١ مارس وجاس جنودها فى شوارعها . ثم صدرت إشارة محافظ المدينة على بك السلانكلى فانطلق الرصاص من النوافذ والأسطح ففقدت الحملة ٥٤٠ ما بين قتيل وجريح

(١) عصر محمد على ٤٦ ـ ٧٥ .

وأسير وقتل قائدهم ويكوب وهرب الباقون إلى أبى قير ومنها إلى الإسكندرية . وسيق الأسرى إلى القاهرة فى يوم مشهود .

وبعث فريزر بقوة أخرى قوامها ٤٠٠٠ بقيادة الجنرال ستيوارت فاحتل قرية الحماد التى تقع إلى الجنوب من رشيد بين النيل وبحيرة أدكو وذلك لتطويق رشيد ، كما احتلوا آكام أبى مندور وركبوا عليها مدفعيتهم والتف معظم جيشهم غربى رشيد وجنوبها وراحوا يصبون على المدينة حمم مدافعهم . وقتل الكثير من الأهالى واستمر الضرب ١٢ يوماً . ثم وصلت قوة أرسلها محمد على قوامها ٤٠٠٠ من المشاة و ١٥٠٠ من الفرسان . وأراد الإنجليز الإنسحاب ولكن فرسان الجيش المصرى أحاطت بهم فقتلوا منهم وأسروا حتى أبادوا معظم القوة التى عثروا عليها وفر الباقون إلى الإسكندرية . وأرسل الأسرى إلى القاهرة وكانوا ٤٨٠ أسيراً سيقوا فى شوارع القاهرة يتقدمهم قادتهم . واضطر فريزر أن يعقد صلحاً مع محمد على يسترد به أسراه وينسحب تماماً عن الأراضى المصرية ، وتم جلاء الحملة فى سبتمبر ١٨٠٧ إلى صقلية بعد أن حققت هذا الفشل وبعد أن عجزت عن الإبتعاد عن الشاطىء والتوغل فى الداخل ولم يتعد مسارها ما بين الإسكندرية ورشيد حيث منيت باكثر من هزيمة .

٢٥ ـ الإحتلال الإنجليزى ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ [1] :

كان فى مصر مجلسٌ للنواب كامل السلطة فى عام ١٨٨١ وكانت له مواقف حسنة ، ولكنه حُل ، وحل محله مجلس شورى القوانين بلا حول ولا سلطة ، وفى ابريل ١٨٨٢ علم أحمد عرابى أن بعض الضباط الشراكسة يدبرون لقتله وقتل الضباط المصريين والوزراء ، وشكا عرابى إلى الخديو توفيق ، فكوّن مجلساً للتحقيق توصل إلى أربعين اسما تم اعتقالهم فى ثكنة قصر النيل ، وصدر الحكم عليهم بالعزل والنفى إلى أقاصى السودان ، ورفع الحكم إلى الخديو للتصديق عليه فرفض وتمسكت الوزارة بإقراره .

واستشار الخديو قنصل انجلترا وقنصل فرنسا فأشار عليه بعدم إقرار الحكم ، واختلفت معه الوزارة ، وأخيراً تم تعديل الحكم إلى النفى خارج البلاد حيث يشاء كل منهم مع عدم حرمانهم من الرتب والنياشين ، وكان ذلك فى حضور القنصلين ، وذهب محمود سامى البارودى باشا

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى .

إلى الخديو ولامه لنزوله على إرادة القناصل ، وتفاقمت الأمور ، وكان من رأى عرابى التخلص من الخديو ومن أسرة محمد على كلها .

وأرسلت انجلترا وفرنسا أسطوليهما إلى الاسكندرية بذريعة حماية رعاياهما . فبدأ وصول البوارج يوم الجمعة ١٩ مايو ١٨٨٢ ، ثم أخذت الدولتان فى طلب استقالة البارودى وخروج أحمد عرابى من القطر المصرى . وفى ١١ يونية ١٨٨٢ وقع بالاسكندرية شجار بين أحد المالطيين ومصرى صاحب حمار اتسع نطاقه واستعمل الأجانب أسلحتهم حتى نتج عنه ٤٩ قتيلا منهم ٣٨ من الأجانب ، ونزح الأجانب من القطر المصرى إلى الاسكندرية وخرجوا منها بحرا يوم ١٢ يونية ١٨٨٢ يحملون أموالهم وأمتعتهم .

وانتقل الخديو فجأة من القاهرة إلى الاسكندرية ١٣ يونيه وودعه عرابى على محطة السكة الحديد ، فنزل سراى رأس التين . وبالرغم من أن الأحوال كانت تستدعى ترميم حصون الاسكندرية وطوابيها ، ورغماً من أنه من حق أى دولة أن ترمم حصونها ، وبالرغم من أن ذلك لم يحدث من الجانب المصرى ، فقد زعم الانجليز أن المصريين يرممون حصون الاسكندرية وعزموا على ضربها وقررت فرنسا عدم مشاركتها فى ذلك فانسحب أسطولها إلى بورسعيد .

كان الاسطول الانجليزى من ٨ بوارج كبيرة و ٥ سفن مدفعية وسفينة للطوربيد ، وأخرى كشافة ، وعدد مدافعها جميعا ٧٧ ، وكانت أقوى من مدافع الطوابى وأبعد منها مدى ، وكان الدفاع عن المدينة ضعيفا .

وفى الساعة السابعة صباح الثلاثاء ١١ يولية ١٨٨٢ بدأ الاسطول الانجليزى يضرب الحصون والمدينة ذاتها ضربا مروعا بقنابل محكمة الرمى شديدة الفتك وكانت البوارج تتحرك فى غلالة من الدخان يحجبها عن الرؤية ، وتتقدم فى بطء مثنى مثنى ثم تصطف تجاه كل طابية وتدكها بقنابلها الضخمة ثم تفتح رشاشاتها على الرماة الذين يحاولون القتال فى بسالة ، واستمر الضرب حتى الساعة السادسة قبل الغروب بساعة ، وكان رجال الحصون يدافعون قدر استطاعتهم ، فأصيبت سبع مدرعات انجليزية بأعطاب بعضها جسيم . كانت حاميات الحصون ١٧٦٢ بقيادة اسماعيل بك صبرى أما حامية المدينة فكانت فى حدود

٧٠٠٠ ، وتطوع كثير من الرجال والنساء من الأهالى فكانوا ينقلون الذخائر والجرحى وقتل من المصريين حوالى ٢٠٠٠ ومن الانجليز خمسة ، وأعلنت الأحكام العرفية .

كان الخديو يقيم فى سراى مصطفى باشا فاضل بالرمل ومعه بعض كبار الموظفين مثل سلطان باشا ، كان الخديو قليل الاكتراث ولم تكن عواطفه مع حماة الحصون . وفى صباح ١٢ يولية استأنف الاسطول الانجليزى الضرب فرفعت الأعلام البيضاء على وزارة البحرية وبعض الحصون وتوقف الضرب .

تأكد العرابيون أن الانجليز سيحتلون الاسكندرية بعد أن دمروا حصونها فآثروا الانسحاب منها ، وأشعلها قائد الألاى السادس دون استشارة عرابى يوم ١٢ يولية فصارت شعلة من النار حتى اليوم التالى ، وغادرت الحكومة المدينة إلى القاهرة ، وأقام عرابى استحكامات عند كفر الدوار ، وأنزل الأميرال سيمور كتيبة احتلت سراى راس التين وشبه الجزيرة ، وعاد الخديو إلى قصر رأس التين يوم ١٣ يولية ١٨٨٢ باتفاق مع الانجليز وظهر انضمامه اليهم ، وهجر أهل الاسكندرية مدينتهم وهم لايملكون شيئا ولايعرفون إلى اين يذهبون فى حر شديد ، كانوا مائة وخمسين ألفا .

وأصدر الخديو أمره إلى عرابى بالكف عن الدفاع وحمله مسئولية ضرب الانجليز الاسكندرية لأنه كان يحصنها وأمره بالحضور إليه فى قصر رأس التين . ولم يستجب عرابى وأعلن خيانة الخديو ، وأمر الخديو بعزل عرابى عن وزارة الحربية ، وحسَّن دخول الانجليز وحذر المواطنين من العصيان ! ورفضت الجمعية العمومية عزل عرابى ، وصدرت فتوى شرعية بمروق الخديو وخروجه عن الشرع والقانون ، وانضمت الأمة إلى عرابى ، وتم احتلال الاسكندرية وتعيين السير شارل برسفورد أحد ضباط الاسطول لإدارة البوليس وحفظ النظام .

وعسكر عرابى بقواته فى كفر الدوار ، وجاء إلى الانجليز ١٧٠٠ مددا للمقاتلين فصار عددهم ٣٦٨٦ عدا جنود الأسطول ثم جاءهم ١١٠٨ من مالطة وجبل طارق ، واستمرت الامدادات تتوالى . وكان الجنرال جارنت ولسلى القائد الانجليزى يرى - من قبل ضرب الاسكندرية - أن يكون تقدمهم نحو القاهرة من جهة قناة السويس وأن تكون الاسماعيلية هى قاعدة الزحف باعتبارها منتصف المسافة بين بورسعيد والسويس التى تأتيها امدادات من

الهند ، وباعتبارها أقرب إلى القاهرة {١٥٩ كيلو مترا} ومن الاسكندرية {٢٠٨ كيلو مترا} . لم يعلنوا عن ذلك ولكنهم أعطوا الانطباع أن زحفهم الأساسى سيكون من الاسكندرية . فعيّن عرابى بعد ضرب الاسكندرية محمود باشا فهمى رئيسا لأركان حرب الجيش ، فحدد خمسة مواقع رئيسية للدفاع ، فى كفر الدوار ، وفى رشيد ، وبين رشيد وبحيرة البرلس ، وفى دمياط ، وفى الصالحية والتل الكبير ، وأن تسد ترعة الاسماعيلية لمنع وصول المياه ، وكذا أن تسد قناة السويس ولكن عرابى رفض ذلك ظنا منه أن الانجليز سيحترمون حياد قناة السويس فلا يدخلون من جهتها ، وقد خدعه دلسبس فى ذلك ، وظلت الامدادات تأتى إلى الانجليز من الهند إلى السويس ومن مالطة وجبل طارق إلى الاسكندرية حتى بلغ عددهم ٥٠٦٠٠ مقاتل .

وأخذ السير كلفن المراقب المالى الانجليزى وأعضاء القومسيون لصندوق الدين ، أموال وزارة الخزانة وأموال صندوق الدين إلى السفن الحربية بالاسكندرية .

وفى ١٩ اغسطس ١٨٨٢ تحركت قوة كبيرة من الاسكندرية ، وتصدى لهم المصريون وكبدوهم خسائر كبيرة بقيادة طلبة عصمت ، فارتدت إلى الاسكندرية ، وأعاد الانجليز الكرة فى أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ فانهزموا وارتدوا .

ودخل الأسطول الانجليزى قناة السويس بالجنود والمعدات حتى مدينة الاسماعيلية واحتلتها . كان رجل اسمه سلطان باشا ينوب عن الخديو فى مرافقة الجيش الانجليزى وتسهيل مهمته ورشوة بدو الشرقية . فى ٢٠ اغسطس ١٨٨٢ احتل الجنرال ولسلى بورسعيد والقنطرة والاسماعيلية والشلوفة {بجهة السويس} ومنع مرور السفن التجارية بالقناة ، واحتجت شركة القناة على خرق حيادها !!!

وكانت طلائع الجيش المصرى ٢٠٠٠ فى نفيشة غربى الاسماعيلية بثلاثة كيلو مترات وأطلقت البوارج الانجليزية نيرانها عليهم . وفى ٢٢ أغسطس ١٨٨٢ وضع الانجليز أيديهم على السكة الحديد وترعة الاسماعيلية بين السويس والاسماعيلية . وفى ٢٣ أغسطس احتل الانجليز نفيشة وفى ٢٤ منه احتلوا المجفر ثم المسخوطة يوم ٢٥ بعد معركة عنيفة ووقع محمود باشا فهمى رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى الأسر ، ثم استولى الانجليز على المحسمة {غرب نفيشة ٢٢ كيلو مترا} كما استولوا على سبعة مدافع كروب وكمية كبيرة من

البنادق وعلى قطار من الذخيرة ، ثم احتلوا القصاصين يوم ٨/٢٦ دون مقاومة تذكر . وانتقل عرابى من كفر الدوار إلى التل الكبير ، وجاءت آلايات من كفر الدوار ومن دمياط .

كان الجنرال جراهام فى القصاصين ، والجنرال درورى لو قائد الفرسان فى المحسمة ، والجنرال ويليس فى المسخوطة ، فهاجم الجيش المصرى مواقع الانجليز فى القصاصين يوم ١٨٨٢/٨/٢٨ واستولى على المواقع الأمامية للانجليز ولكن الجنرال درورى كر عليهم بفرسانه فأجلاهم إلى التل الكبير وقتل من الانجليز ٨ وجرح ٦١ وامتد القتال إلى الليل .

وأعلن السلطان العثمانى عصيان عرابى ! وفى صبيحة السبت ١٨٨٢/٩/٩ هجم الجيش المصرى بقيادة الفريق راشد باشا حسنى لاسترداد مواقعه ولكنه فشل وانتصر الانجليز فكانت

ضربة شديدة وكان لذلك سببين ، تفوق قوة الانجليز وخيانة الأميرالاى على بك يوسف خنفس بالجناح الأيسر ، رغم ثبات الآخرين فى بطولة نادرة ، وكثر القتلى من الفريقين . وبدأ اليأس يتسرب إلى عرابى ومن معه .

أراح الجنرال ولسلى جيشه يوم ١٢ سبتمبر ولما دخل الليل بدأ الجيش الانجليزى يتحرك الساعة الثانية صباح يوم ١٣ سبتمبر وقد أطفأ جميع أنواره ، وكان المرشدون لهم هم لفيف من الضباط الموالين للخديو وبعض الأعراب . ولم يكن لعرابى طلائع للاستكشاف ، واستمر الانجليز فى سيرهم حتى مطلع الفجر وقد صارت كتائبهم على مسافة ١٥٠ ياردة من طلائع التل الكبير ، وكان أفراد الجيش المصرى مازالوا نائمين بعد أن سهروا فى سماع ذكر أرباب الطرق الصوفية ، فاستيقظوا على أصوات البنادق الساعة الرابعة و ٤٥ دقيقة . وهجم ولسلى على شكل نصف دائرة أحاطت بمعسكر العرابيين ، وكان الهجوم فجائيا وشديدا فاستولى الانجليز على الاستحكامات الأمامية ثم الثانية ، ثم تقدموا وقد فتكت بنادقهم بالمصريين فتكا ذريعا .

وهجم فرسان الجيش الانجليزى بقيادة الجنرال درورى على ميسرة العرابيين فأحدقوا بها ، وأخذ المصريون على غرة فى الميمنة والميسرة ، وصمد آلايان من السودانيين حتى استشهد معظمهم وقائدهم الاميرالاى محمد بك عبيد ، كما استبسلت آلايات أخرى من البيادة والطوبجية ، ولم تدم المعركة اكثر من عشرين دقيقة ، ولم يزد ممن اشترك فيها من المصريين عن ٣٠٠٠ أما الباقون فقد تولاهم الذعر فلاذوا بالفرار وقد ألقوا أسلحتهم ولم تزد خسائر الانجليز عن ٥٧ قتيلا وتراوحت عند المصريين بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ {وقيل بلغوا عشرة آلاف} واستولى الانجليز على جميع مهمات الجيش ومدافعه وذخائره ومؤونته . يقول عبدالرحمن الرافعى "كانت معركة التل الكبير سلسلة خيانات وفضائح انتهت بهزيمة الجيش المصرى لم يحصل فيها قتال بالمعنى الصحيح إلا من ثلاثة آلاف من الجند ... الخ» .

معركة التل الكبير

رجع عرابى إلى القاهرة ظهر ١٣ سبتمبر وقرر المجلس العرفى بقصر النيل التسليم إلى الانجليز ، واستولى الجيش الانجليزى على القاهرة واستسلم عرابى وغصت السجون بما يربو على ثلاثين ألفا من المصريين ، ورجع الخديو يوم ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢ بقطار خاص وزينت له المحطة وركب إلى القصر عربة كان معه فيها الجنرالات الانجليز وجنودهم على الصفين ، ثم تمت محاكمة عرابى ومن معه ونفيه إلى سيلان .

٢٦ ـ الحملة التركية [1] :

وجاءت الحرب العالمية الأولى . كانت مصر من الناحية الرسمية مازالت سلطنة تابعة للدولة العثمانية فى تركيا . إلا أنها من الناحية الواقعية كانت واقعة تحت الإحتلال الإنجليزى فى حين كانت تركيا تقف إلى جانب ألمانيا فى تلك الحرب ضد إنجلترا وفرنسا .

وفى ٢ أغسطس ١٩١٤ أعلنت تركيا التعبئة العامة لمهاجمة قناة السويس والاستيلاء عليها . وتم تعيين أحمد جمال باشا قائداً للحملة ، وكان فيما سبق وزيراً للبحرية التركية ، وصار تحت قيادته ٢٠ ألفاً بالإضافة إلى ٩ بطاريات مدفعية . وكان مع جمال باشا أركان حرب من الضباط الألمان .

وبنى جمال باشا آماله على أن المصريين سوف ينحازون إلى جانب الحملة التركية باعتبارهم مسلمين أمثالهم ولكن جمال باشا كان قبل ذلك سفاحاً شنق المسلمين فى دمشق فلم يكن ذلك التجاوب منتظراً مع اسم مثل إسمه فضلاً عن أن الإلتقاء على الإسلام بعد أن بعدت عنه الإدارة التركية كان محتاجاً إلى تدعيم فى نفوس الناس ولكن الأتراك ظنوا أن تقديم الرشاوى إلى مشايخ الأزهر كان كفيلاً بتحقيق ذلك !

فقد كان مركز تجمع الحملة فى دمشق ثم سارت إلى فلسطين على طريق داخلى ومنها إلى النقب متجنبة الطريق الساحلى حتى لاتتعرض لخطر مهاجمة الأسطول الإنجليزى أو الفرنسى لها من جهة البحر . ومن النقب إتجهت الحملة غرباً إلى العريش ثم اجتازت مفازة سيناء إلى الإسماعيلية بعد مسيرة عسيرة إعتمدت على ٧٠٠٠ بعير لنقل السلاح والذخيرة والماء

(١) الحرب العالمية الأولى ـ عمر الديراوى ٢٣٢ ـ ٢٣٥ .

والتموين . وأبقت الحملة قوة صغيرة نسبياً بالعريش وتوجهت قوة صغيرة نحو السويس بينما اتجهت القوة الرئيسية إلى الإسماعيلية .

لو جهل الانجليز هذا التخطيط لاضطروا إلى توزيع قواتهم بطول القناة ولكن جواسيسهم استطاعوا شراء بعض الضباط الأتراك بالذهب فعرفوا الخطة التركية .

ركز الإنجليز قواتهم بالإسماعيلية غرب القناة ، ووصلت الحملة التركية فلما حاولت العبور ليلة ٣ فبراير كانت الرشاشات الإنجليزية فى انتظارها فأعجزتها عن بغيتها . وفشل جمال باشا فى تلك المعركة إن صح أنها كانت معركة وانسحبت بعدها الحملة إلى العريش .

٢٧ ـ حملة جراتسيانى :

إنهارت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية أمام الغزو الألمانى لأراضيها ، فأعلنت إيطاليا {حليفة ألمانيا} الحرب على الحلفاء {إنجلترا وفرنسا} لتفوز بنصيب من الغنيمة . وكانت مصر تحت الإحتلال البريطانى فى حين كانت ليبيا تحت الحكم الإيطالى ، فنشأ عن ذلك توتر وزحف بين الطرفين اتخذت مسالكها على رمال الصحراء الكبرى بحذاء الساحل الشمالى .

وبدأ ذلك بزحف الجيش الإيطالى من البردية [١] فعبر الحدود المصرية الغربية فى منتصف سبتمبر ١٩٤٠ وكانت القوات الإيطالية تفوق القوات البريطانية عدداً ولكن الإنجليز كانوا أفضل تسليحاً وتدريباً .

وقد اختار الإنجليز أن ينسحبوا أمام الزحف الإيطالى على أن يتوقفوا عند مرسى مطروح . ولكنهم إذ توقفوا عند مرسى مطروح لتدور عندها معركة مصر توقف الجيش الإيطالى ـ الذى كان يقوده جراتسيانى عند سيدى برانى ولم يحاول أن يستكمل هجومه ، الأمر الذى أتاح للإنجليز أن يعدوا دفاعات فى صحراء مصر الغربية . فلما طال جمود جراتسيانى وتوقف الجيش الإيطالى بدأ الإنجليز هجومهم فى آخر نوفمبر ١٩٤٠ ولم يكن عسيراً عليهم أن يوقعوا بالإيطاليين عدداً من الهزائم المتتالية كانت تنتهى كل منها بعشرات الألوف من

(١) معارك الشرق الأوسط ٣٧ ـ ٨١ .
مذكرات رميل ٢ / ١ ـ ١٣ .

الأسرى الإيطاليين وتغلغل الجيش البريطانى فى برقة حتى دخل ولاية طرابلس وقد بلغ عدد الأسرى الإيطاليين ١٣٠ ألفاً !! وبذلك انهار جيش جراتسيانى تماماً .

ولكن ألمانيا تحركت بسرعة لإنقاذ حليفتها إيطاليا وحتى لاتفقد تماماً هذا الميدان الهام فأرسلت قواتها إلى ليبيا بقيادة قائدها المشهور روميل .

ويعزى الفشل الذريع لهذه الحملة إلى أن الجيش الإيطالى كان تسليحه قديماً غير متطور وغير جدير بمواجهة سلاح عدوه وكان أكثره مشاه مترجلين غير محمولين وفى أرض مثل تلك الصحارى ليس مناسباً الاعتماد على المشاة الراجلين بذلك النطاق الواسع . فضلاً عن ذلك فإن حرب الصحراء تحتاج إلى تدبير الشئون الادارية على مستوى عال وهو ما لم يكن متوفراً لهذه الحملة . وأخيراً فقد جمد جراتسيانى فى سيدى برانى لم يتعداها ولم يحاول .

٢٨ ـ هجوم روميل :

فى ١٢ فبراير ١٩٤١ طار روميل إلى ليبيا مكلفاً من قيادته العليا [١] أن يقدم لها قبل ٢٠ أبريل مشروعاً بخطة للهجوم يتوخى الحذر . وأخفيت هذه التحركات ولم يعلم الإنجليز بوجود قوات ألمانية على مقربة منهم حتى ٢٨ ساعة قبل أن تتقدم قوات روميل . وقام روميل بنفسه بعملية استطلاع جوية اكتشف فيها إمكان قيامه بهجوم يأخذ به عدوه على غرة ، فلم يضع الخطة المطلوبة منه ولم يرجع إلى قيادته وإنما قام من فوره فى ٣١ مارس ١٩٤١ بهجوم جسور مفاجئ على مواقع البريطانيين فى العجيلة بقوات قليلة نسبياً ولكن بقيادة بارعة فوقع فى أسره ثلاثة من أكبر القادة الإنجليز واختل توازن القوات البريطانية فانسحبت فى اتجاه طبرق . واستغل روميل هذا الموقف الجديد ولم يضيع الفرصة فهاجم المواقع البريطانية جنوباً بقوات خفيفة وهدد خطوط مواصلاتهم .

ووجد البريطانيون أنفسهم مجبرين على انسحاب وراء انسحاب وهم يتلقون الضربات العنيفة البارعة من عدوهم الجديد روميل ـ هذا فى حين كانت تعليمات وزارة الحرب الإنجليزية إلى قائدهم الجنرال ويفل أن يبدأ الهجوم فى صحراء مصر الغربية حين يسمح له الموقف . ولما

(١) مذكرات روميل ـ الجزء الثانى .
معارك الشرق الأوسط ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ .

أراد ويقل أن يفعل ذلك فى منطقة السلوم عند الحدود المصرية الليبية أفقده روميل عدداً كبيراً من دباباته وأوشك أن يطوق مشاته فاضطر إلى الانسحاب حتى الحدود المصرية وذلك فى أواخر يونية ١٩٤١ .

وفى نوفمبر ١٩٤١ قام الإنجليز بمحاولة هجوم آخر كان نصيبه الفشل الذريع وفقدوا أكثر من ثلثى دباباتهم .

٢٩ ـ الغزو الثلاثى [١] : إسرائيلى فرنسى إنجليزى ١٩٥٦ :

منذ قامت اسرائيل عام ١٩٤٨ بمساعدة انجلترا على أرض فلسطين وهى بقعة داكنة فى منطقة لا تمت اليها بصلة ، الدولة يهودية عنصرية فى وسط عالم عربى اسلامى لا هى تقبله ولا هو يرحب بها وتعاملت مع شعب فلسطين بأسلوب عدائى همجى لا يمت إلى الأخلاق بصلة ، وظلت على ذلك .

وفى ١٩٥٤ قدمت مصر إلى البنك الدولى طلباً لتمويل مشروع السد العالى وحتى ديسمبر ١٩٥٥ كان البنك وكذلك الولايات المتحدة على استعداد لذلك التمويل ولكن الولايات المتحدة ربطت ذلك بأن تعقد مصر صلحاً مع اسرائيل . ولما لم يتم ذلك قررت الولايات المتحدة العدول عن تمويل المشروع . كما كانت مصر تساعد ثورة الجزائر للتحرر من فرنسا فاتجهت فرنسا إلى اسرائيل للضغط بها على مصر ، فأعلن جمال عبد الناصر فى ٢٦ يولية ١٩٥٦ تأميم قناة السويس . وفى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ تم توقيع اتفاق بين إسرائيل وإنجلترا وفرنسا على أن :

١ ـ تقوم القوات الإسرائيلية فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بشن هجوم واسع على القوات المصرية بهدف الوصول إلى منطقة قناة السويس فى اليوم التالى .

٢ ـ توجه الحكومتان البريطانية والفرنسية نداء إلى الحكومة المصرية بوقف كامل لإطلاق النار وسحب كل القوات المسلحة إلى مسافة عشرة أميال غرب قناة السويس .

---

(١) حقائق وأسرار ، من النكسة حتى الإستنزاف ـ طه المجدوب .
ملفات السويس ، محمد حسنين هيكل .

٣ ـ القبول بصفة مؤقتة باحتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية فرنسية وذلك لضمان حرية المرور فى القناة لبواخر جميع الأمم .

كما توجه نداء إلى الحكومة الاسرائيلية بوقف كامل لإطلاق النار وسحب قواتها المسلحة مسافة عشرة أميال إلى الشرق من القناة .

وإذا تأخر قبول ذلك من أى من الطرفين فى خلال ١٢ ساعة تقوم القوات البريطانية والفرنسية فى الساعات الأولى من صباح ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ بالهجوم على القوات المصرية ، وللحكومة الإسرائيلية أن تبعث بقواتها لاحتلال الشواطىء الشرقية لسيناء على خليج العقبة وجزيرة تيران وصنافير لضمان حرية الملاحة فى الخليج .

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر ١٠/٢٩ بدأ الهجوم الاسرائيلى بتقدم اللواء السابع المدرع فى اتجاه الكونتيلا ، وبعد خمس دقائق تلقى جمال عبد الناصر أول نبأ عنه أذاعته الأنباء الأمريكية يونايتد برس . كان ذلك مفاجأة . فقد كان الجيش المصرى قد تم سحبه من سيناء ماعدا ست كتائب موزعة على طول خطوط الهدنة مع اسرائيل ، كتيبتين فى أم قطف شرقى أبو عجيلة بكيلو مترات قليلة وكتيبتين فى الشيخ زويد وكتيبتين فى العريش {الكتيبة ٤٠٠ ـ ٥٠٠} ، تعزيزاً للحرس الوطنى فى غزة ، حتى كتب كبير مراقبى الهدنة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة أن تقلص حجم القوات المصرية يمثل اغراء شديداً لإسرائيل .

كانت خطة المواجهة المصرية الموضوعة من قبل كالآتى :

١ ـ تتمسك الكتائب الست بمواقعها ٤٨ ساعة ، ولا تسمح للقوات الإسرائيلية بالإندفاع إلى العمق (!) وقد نجح دفاع أم قطف فى ذلك .

٢ ـ فى ظرف ٢٤ ساعة تكون الفرقة المدرعة الرابعة قد عبرت قناة السويس إلى الشرق وتتقدم إلى بير روض سالم فى قلب سيناء لضرب الهجوم الإسرائيلى .

٣ ـ يقوم الطيران المصرى باستطلاعات فى مدى ٢٤ ساعة ثم يكون مستعداً لمساندة المدرعات .

وفى الساعة السادسة مساء أغارت الطائرات البريطانية على مطار الماظة ، وقرر جمال عبد الناصر الانسحاب من سيناء وإرجاع الفرقة المدرعة الرابعة التى عبرت إلى سيناء فى الليلة السابقة .

وأسقطت إسرائيل كتيبة مظلات فى ممر متلا تحت قيادة العقيد شارون فتقاتلت مع الكتيبة المصرية التى كانت فى موقع «سدر» وخسرت ٤١ قتيلاً و ٦٨ جريحاً ثم أنقذ موقفها غارات الطيران الفرنسى على مواقع الكتيبة المصرية .

كان الطيران البريطانى والفرنسى يضرب مصر من ٣١ أكتوبر إلى ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، وفى هذا اليوم ٤ نوفمبر بدأت قوات المظلات البريطانية الفرنسية بقيادة الجنرال بوفر تهبط فوق المنطقة الشمالية من قناة السويس وتشتبك مع القوات المصرية بالأسلحة الصغيرة بينما كانت مدافع الأسطولين تطلق أثقل قنابلها على مدينة بورسعيد وما حولها .

وفجر ٥ نوفمبر بدأت حاملات الجنود تنزل موجاتها على الشواطىء ، فى حين كانت الأمم المتحدة تقرر وقف إطلاق النار والإنسحاب من سيناء ، وكذلك طلبت الولايات المتحدة ، وأعلن الإتحاد السوفييتى تعاطفه مع مصر ووجه إنذاراً إلى كل من بريطانيا وفرنسا ولكنه كان تعاطفاً شفوياً ، وأعلنت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية قبولهما لذلك وكذلك مجلس الوزراء الاسرائيلى . وانسحبت اسرائيل من سيناء فى مارس ١٩٥٧ ، ووضعت قوات دولية ، مع شرط سرى لم يعلن عنه هو السماح بالملاحة الاسرائيلية من مضيق تيران .

٣٠ـ نكسة ٥ يونية ١٩٦٧ [(١)] :

جاءت القرارات السياسية {يعنى التى كان يصدرها جمال عبد الناصر} من ١٤ إلى ٢٣ مايو ١٩٦٧ فى شكل تصاعدى مثير ومتلاحق فاجأت قيادات القوات المسلحة وأجهزة القيادة العامة المصرية مفاجأة كاملة ، دفعت بالأحداث فى سرعة غير طبيعية نحو حافة الهاوية ثم إلى الهاوية ذاتها ، وهو ما عبر عنه بالنكسة {نكس الشىء فانتكس قَلَبه على رأسه} .

ففى ١٤ مايو ١٩٦٧ بناء على تعليمات من القيادة السياسية أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة قراراً مفاجئاً بإعلان حالة الطوارىء ورفع درجة استعداد القوات المسلحة إلى الحالة القصوى وإعلان التعبئة العامة ، وألغيت الأجازات وأوقفت كل الدورات التدريبية ، ثم راحت تحشد قواتها فى شبه جزيرة سيناء بطريقة تظاهرية وعلنية ودعائية .

وفى ١٩٦٧/٥/١٥ صدر قرار سياسى بسحب قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة من شبه جزيرة سيناء على أن تجمع فى قطاع غزة . ثم أعلن فى ٥/٢٣ قفل خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ، وبذلك صار حتماً أن تقع الحرب ، ولم يكن للموقف العسكرى فرصة

(١) حقائق وأسرار ، من النكسة حتى الإستنزاف ـ طه المجدوب .
ملفات السويس ، محمد حسنين هيكل .

اللحاق بذلك وبالتطورات العسكرية المترتبة عليها ، وفى ٢٥ مايو كان الجيش الاسرائيلى قد أتم استعداده .

حدث ذلك دون أى مشاركة إيجابية من أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة التى لم تكن تعلم المهمة المطلوبة منها لمواجهة الاحتمالات ، بل صاحب ذلك ضجة إعلامية وخطب سياسية باعتبار أن ذلك يثير الرعب لدى اسرائيل . وكان وراء ذلك كله الصراع على السلطة فى مصر بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر .

يعتمد جيش اسرائيل أساساً على الاحتياط ، فوصل حجم قواته فى أيام معدودة من ٤٠ ألف جندى إلى نحو ٢٥٠ ألفاً {بلغت ١٥٠ ألفاً فى حرب ١٩٥٦} وأضاف إلى قواته الجوية ٦٠٠ طيار و ١٢٥٠ مقاتلاً أجنبياً من المتطوعين اليهود من ذوى الخبرات ، بما يحسب بأن قوات إسرائيل قد تضاعفت إلى سبعة أمثال القوات العاملة فى أسبوعين ، وبذلك تكون قد عبأت لحرب ١٩٦٧ ما يعادل ١١٪ من إجمالى عدد سكانها وهى نسبة عالية تناهز ٢٥٪ من القوة البشرية العاملة فى اسرائيل .

وكانت اسرائيل قد عنيت بدعم قواتها بالأسلحة الثقيلة من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة وكانت عناصرها :

* القوات الجوية من الطائرات القاذفة المقاتلة ، سوبر مستير ثم ميراج من فرنسا .
* القوات المدرعة والميكانيكية والمهندسين فشملت دبابات سنتوريون من بريطانيا ودبابات باتون وهليكوبتر من ألمانيا الغربية والولايات المتحدة والمدفعية ذاتية الحركة والمضادة للطائرات والناقلات المدرعة وغيرها .

ففى ١٩٦٢ حصلت على صواريخ أرض جو من طراز هوك من الولايات المتحدة وفى ١٩٦٦ على طائرات سكاى هوك القاذفة المقاتلة من الولايات المتحدة وصارت استراتيجيتها تقوم على الهجوم حماية للأهداف الحيوية والتغلب على ضآلة العمق الاسرائيلى . وكان التركيز على القوات الجوية لحسم الموقف فى الجو ، والقوات المدرعة بالبر مع دعمها بالقوات الجوية .

وكانت الفكرة ضرورة أن تفتتح الحرب بضربة جوية مفاجئة وبدأت اسرائيل تضع خططها لذلك منذ عام ١٩٦٢ ، وأن تكون مهمة القوات المدرعة نقل الحرب إلى أرض العدو والوصول بها إلى نتائج حاسمة تقوم على إختراق الدفاعات وشق الطريق إلى العمق .

قبل ذلك كان تأميم قناة السويس فى ٢٦ يولية ١٩٥٦ ، وقامت الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨ وحدث الانفصال فى سبتمبر ١٩٦١ ، ثم كانت ثورة اليمن فى ١٩٦٢ وأرسلت مصر إليها قوات عسكرية بلغت ٤٠٪ من حجم قواتها البرية بالإضافة إلى عدة أسراب من الطائرات والقطع البحرية من سبتمبر ١٩٦٢ حتى ١٩٦٧ فصارت مصر على جبهتين واسعتين يفصل بينهما نحو ٣٠٠٠ كيلو متراً وفقدت مصر الآلاف فى اليمن ، هذا فضلاً عن ارسال قوات إلى الجزائر ١٩٦٣ لمعارك بينها وبين المغرب عادت فى مارس ١٩٦٤ دون أن تقاتل وقوة محدودة إلى العراق بعد ذهاب عبد الكريم قاسم لم تفعل شيئاً ، وكذلك قوة إلى الكونغو .

وفى ٦٧/٤/٧ شنت ستون طائرة إسرائيلية هجوماً جوياً على سوريا وهدد رئيس أركانهم باحتلال دمشق وفى مايو ١٩٦٧ أبلغ الإتحاد السوفييتى مصر بوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية ، وفى صباح ٥ يونية ١٩٦٧ ضرب الطيران الإسرائيلى طائرات القوات الجوية المصرية وهى مكشوفة فى مطاراتها ، ودارت عجلة النكسة .

ظلت إسرائيل تضع يدها على سيناء وتنهب ثرواتها لاسيما البترول وأقامت خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس ، حتى فاجأها الرئيس أنور السادات بعبور القناة وإسقاط خط بارليف فى ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بعد أن مات جمال عبد الناصر فى ٢٧ رجب ١٣٩٠ هـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

الباب الثانى

مصروالقبط

مصر والقبط

جاء فى موسوعة تاريخ الأقباط [1] أن الرأى الراجح أن الآشوريين عرفوا مصر بإسم «هيكو بتاح» وهو الإسم الذى كان يطلقه المصريون على عاصمة ملكهم «منف» ومعناه «بيت روح بتاح» وقد ترجمه اليونانيون بمعناه إلى «إيچپتوس» ، فإذا حذفت علامة الرفع فى اللغة اليونانية فى آخر الكلمة «اوس» بقيت كلمة «إيچيپت» المستعملة فى اللغات الأوروبية حتى اليوم ، وهى مركبة من مقطعين «إى» بمعنى أرض أو دار ، و «چيپت» أى قفط أو جفط كما ينطقها أهل صعيد مصر إلى اليوم ، فيكون معناها أرض القبط أو دار القبط . إلا أن العرب ظنوا أن المقطع الأول «إى» حرف تعريف أو حرف استهلال فحذفوه وبقيت الكلمة بعد ذلك «چيپت» ثم حوروها إلى النطق العربى الأسهل فصارت «قبط» بمعنى مصر . وانتهت الموسوعة إلى أن قبط معناها مصر وأن القبطى إذن هو المصرى وجمعها أقباط أى مصريون .

وهذا التحوير من الجيم المعطشة إلى حرف القاف ليس غريباً على اللغة العربية بل له مثيل فى القرآن الكريم ، ففى قوله تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم «جاء فى تفسيرها هو العدل بالرومية» [2] ولعل المقصود أن كلمة قسطاس العربية تعنى كلمة **Justice** الرومية وكلمة قسط تساوى كلمة **Just** .

والذى نلاحظه أن الكتاب لم يعودوا يفرقون بين كلمة «قبط» وكلمة «أقباط» ولكن طبقاً لقواعد اللغة العربية فإن قبط جمع كثرة وأقباط جمع قلة ، فإذا غفل الكتاب المحدثون عن هذا فنحسب أن المؤرخين القدماء لم يغفلوا فكانوا يستعملون كلمة قبط إذا أرادوا جمع الكثرة حين كان أكثر أهل مصر منهم ، ثم صاروا يستعملون كلمة أقباط بعد أن صارت الأكثرية مسلمة .

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط ١ / ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ـ سورة الإسراء ٣٥ .

واللغة القبطية [1] هى الصورة الأخيرة من تطور اللغة المصرية القديمة التى استعملها المصرى القديم منذ حوالى عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد ، وكانوا يكتبون لغتهم تلك بثلاثة أقلام :

* القلم الهيروغليفى ، وكانوا يكتبون به على الأحجار والمعابد والمسلات .

* القلم الهيراطيقى وكان خاصاً بالكهنة .

* القلم الديموطيقى وكان يستخدمه العامة فى كتابة عقودهم ووثائقهم وخطاباتهم .

وقد سادت الكتابة الديموطيقية منذ الأسرة الخامسة والعشرين حتى القرن الرابع الميلادى .

ولما استولى الإسكندر الأكبر على مصر سادت اللغة اليونانية بها واستخدمها المصريون فى وثائقهم وخطاباتهم ، وكتب بعضهم اللغة المصرية بحروف يونانية فكانت تلك هى اللغة القبطية التى استعملها المصريون فى العصر المسيحى كتابة ومخاطبة وصلاة ، وازدهرت هذه اللغة فى القرنين الرابع والخامس الميلادى ، وقد استخدمت اللغة القبطية منذ أواسط القرن الثالث الميلادى فى تدوين الرسائل والوثائق ودُوّن بها الكتاب المقدس بعد ترجمته من اليونانية وكذا العظات وكتب الطقوس وسير القديسين وغير ذلك .

وأهم آثار اللغة القبطية هو الكتاب المقدس الذى ترجم كاملاً عن اليونانية إلى اللهجتين البحيرية والصعيدية للغة القبطية . وكان العهد القديم قد ترجم قبل ذلك بمدينة الإسكندرية من العبرانية إلى اليونانية بواسطة ٧٢ من أحبار اليهود بناء على طلب بطلميوس فيلادلفوس حوالى عام ٢٨٢ ق . م .

ثم ازدهرت اللغة القبطية مرة أخرى فى القرن الثامن ، إلا أنها ما لبثت أن اضمحلت شيئاً فشيئاً منذ القرن التاسع ، حتى إذا جاء القرن الثالث عشر كانت اللغة العربية هى التى سادت ، وفى هذا القرن وضع علماء الأقباط كل مؤلفاتهم اللاهوتية باللغة العربية .

يقول زكى شنودة إن اللغة القبطية ظلت مع ذلك لغة التخاطب فى الوجه القبلى حتى القرن السابع عشر {لم يبن عن مصدره فى ذلك} وفى القرن الثامن عشر بدأ الأقباط يكتبون اللغة

(١) موسوعة تاريخ الأقباط ١ / ٩ ـ ١٥ .

ـ حجر رشيد والهيروغلوفية ـ أحمد عادل كمال .

العربية بحروف قبطية واللغة القبطية بحروف عربية ، ثم انتهى الكلام باللغة القبطية فى القرن التاسع عشر ، حتى إذا جاء القرن العشرون ضعف استعمال اللغة القبطية حتى كلغَة كنسية وتهاون الاكليروس فى الصلاة بها .

وقد تركت اللغة القبطية بعض الألفاظ فى اللغة العربية المتداولة لدى المصريين منها أسماء مثل : برسيم ، بلح ، شونة ، أردب ، لقمة ، قُلّة ، سلة ، نبوت ، ذهبية ، شبورة ، سمك بورى ، ومنها أسماء الشهور القبطية : بابه ، هاتور ، كيهك ، طوبة ، أمشير ... الخ ، ومنها أسماء بعض المدن مثل : شبرا ، طرة ، حلوان ، بنها ، بسيون ، شطانوف ، طوخ ، صهرجت ، شبراخيت ، شبرامنت ، مطاى ، طهطا ، قوص ، كوم امبو ، إسنا ، ومنها بعض الأفعال مثل : هَلْوَس ، هوّس ، لَكْلَك ، فتفت ، حَمْرَأ {أى غش فى اللعب} ، يشطف {يغسل الملابس} ومنها طشت {آنية الغسيل} ، يشطح {يدرك} ، شأشأ {شاهشا أى سطع أو أضاء} ، رَخّ {نزل المطر} ، ومنها أيضاً بُعْبُع {أصلها بوبو بمعنى عفريت يخيف الأطفال} ، بِخْ بمعنى عفريت أو شيطان ، ومَمّ {موم بمعنى طعام} ، أمبو {شراب} ، ونِنَّه وهى دعوة إلى النوم ، وتاتا معناها إمشى ، وطظ فيش {توس فيش الشىء اليابس المكسور الذى لايثمر} ، وإبن الإيه يعنى إبن البقرة ، وخُن {داخل} ، ونونو {صغير} ، وصَهْد {نار أو لهب} ، وبوش {سلب ، ومنها راح بوش} ، وياما {أصلها آما بمعنى كثير} ، وكانى مانى {يعنى سمن وعسل} . كما أن هناك كلمات مشتركة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية مثل : حسب ، فهم ، ختم ، خر ، شد ، تم ، زعق ، عشق ، حزن ، نعى ، قطف ، بصق ، ذئب ، جناح ، قمح ، موت ، يم ، بركة ، منحه ، همهمه ، عين ، صُبَاع {أصبع} ، إيد {يد} ، ودن {أذن} ، معى {م . عاى} ، معنا {م . عانا} ، معك {م . عاك} .

ويقدر بعض الباحثين الكلمات القبطية التى استخدمت فى العامية [1] العربية بالمئات أو الآلاف أصلاً أو تحويرا أو ترجمة .

ليس سهلاً على العربى بطبيعته البدوية أن يغير من لغته ، فضلاً عن وحدته مع ما فتح الله على المسلمين فى الشام والعراق ومشارق الأرض ومع أصوله ببلاد العرب ، ولعل أقوى

(١) وحدة تاريخ مصر ٧٨ ـ ٨١ ، ١١١ .

من ذلك كله فى ربط الإنسان العربى بلغته هو نزول القرآن الكريم عربياً . وعلى ذلك فلابد بعد دخول المسلمين مصر أن بدأت اللغة العربية فى الإمتزاج والإختلاط باللغة المحلية والإنسياب من خلالها وكذا بالحلول تماماً محل اللغة اليونانية فى إدارة البلاد ، وهو ما حدث فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فقد عرّب جميع دواوين الدولة من الفارسية فى فارس والعراق ومن اليونانية فى مصر والشام ونقلها من لغاتها تلك إلى اللغة العربية ، ومن هنا بدأت نشأة العالم العربى فى قلب الأمة الإسلامية . وفى مصر لم يعد من أبنائها من ليس لسانه عربياً كيفما كانت ديانته .

الرهبانية والأديرة :

نظام استهوى نفوس القبط فى مصر منذ الجيل الثالث بعد المسيح عليه السلام ، وانتشر فيها حتى صار من سماتها حين قدم عمرو بن العاص وصحبه لفتح مصر . وغاية الرهبانية من وجهة النظر النصرانية هى التسامى بالروح إلى الحد الذى فيه تعاين الله ، وذلك بإذكاء مشاعر القلب بإضناء الجسد ومنعه عما يصبو إليه من لذات مادية وحرمانه مما يبغيه من إشباع ما يتنزى به جوهره الفانى من شهوات ونزوات . وتقوم الرهبنة على أسس خمسة [1] :

* التوحد : يعنى العزلة والإنقطاع .
* التبتل : يعنى مخالفة الجسد بما جبل عليه من نداء الجنس .
* التقشف : بحرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات وفاخر الثياب .
* الصلاة : فى تفرغ وحرارة .
* التأمل .

وقد ظهر أوائل النساك المتوحدين فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادى ، فوضعوا أسس الرهبنة ، وكانوا يعيشون فى الكهوف والمغارات أو فى ما يبنونه لأنفسهم فينقطعون فيه لايرون الناس ولايراهم الناس .

ثم كثر فى القرن الرابع طلاب الترهب وظهرت الحاجة إلى جمع شمل الرهبان الذين عجزوا

(١) تاريخ الأقباط ١ / ١٨١ ـ ١٨٥ .

عن حياة الوحدة فعادوا يعيشون فى جماعات تتوافر لها أسباب الأنس بالزمالة والجوار والأمن من عادية الضوارى واللصوص حتى بنوا الأسوار العالية فنشأت فكرة الأديرة . حتى إذا أقبل القرن الخامس كانت الأديرة تملأ برارى مصر وقفارها حتى بلغت الآلاف وصارت تضم عشرات الآلاف من الرهبان [1] .

وقد ورد فى سيرة الأنبا بطرس البطريرك الرابع والثلاثين أنه كان فى غربى الإسكندرية ستمائة دير عامرة بالرهبان ، وقد ورد ما يؤيد ذلك فى تاريخ غزو الفرس لمصر ، فلما فتح كسرى برويز الإسكندرية خرّب ستمائة دير كانت عامرة مثل أبراج الحمام [2] .

الأنبا بنيامين :

ولا يمضى الباحث فى فتح مصر دون التوقف عند البطرك الثامن والثلاثين للكنيسة المصرية وهو الأب بنيامين ، وقد ذكره ابن عبد الحكم [3] باسم « أبو منيامين » ولعله كان يقصد « أبّا بنيامين » بمعنى الأب بنيامين ، وذكره السيوطى [4] بإسم « ميامين » ، وذكره ابن تغرى بردى [5] باسم « أبو ميامين » . وبطبيعة الحال فإن اسمه فى المصادر القبطية هو الأصح وهو بنيامين .

جاء بنيامين بطركاً بعد الأب أندرونيكو الذى بقى فى كرسيه ست سنوات كان محل رضا من قومه ، وفى أيامه وقع الغزو الفارسى الذى بعثه كسرى برويز على دولة الروم البيزنطية . وكان فى الشمال الشرقى للإسكندرية دير قيريوس يقوم عليه شيخ كبير اسمه تاونا ، وبالرغم من أن الفرس خربوا جميع الأديرة ونهبوا محتوياتها فقد نجا هذا الدير على وجه الخصوص بما يشبه الأعجوبة [6] .

وكان بنيامين من ضيعة برشوط بالبحيرة ، وقد رغب فى الرهبنة والزهد فهجر والديه وكانا

(١) تاريخ الأقباط ١ / ١٨٩ .

(٢) تاريخ الأقباط ١ / ٢٢٤ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ قال غير ابن عفير من مشايخ أهل مصر .

(٤) حسن المحاضرة ١ / ١٠٧ .

(٥) النجوم الزاهرة ١ / ٧ .

(٦) سير الآباء البطاركة ١٠٤ .

أغنياء جداً وقصد إلى ذلك الدير فألبسه تاونا أسكيم الرهبنة وتعهده بالرعاية فحفظ الكتب حتى فاق معلمه ، وكان أكثر ما يقرأ فى إنجيل يوحنا . ثم قدمه تاونا إلى البطرك أندرونيكو فأعجب به واصطفاه لنفسه ونصبه قساً وصار معه مساعداً له فى أعمال البيعة ، فلما دنت وفاة أندرونيكو أوصى ببنيامين أن يكون بطركاً بعده ، وتم تنفيذ الوصية ، فكان البطرك الثامن والثلاثين من بطاركة الكنيسة القبطية وكانت رسامته فى كنيسة القديس مرقص بالإسكندرية فى يناير ٦٢٣ وقد بلغ الخامسة والثلاثين .

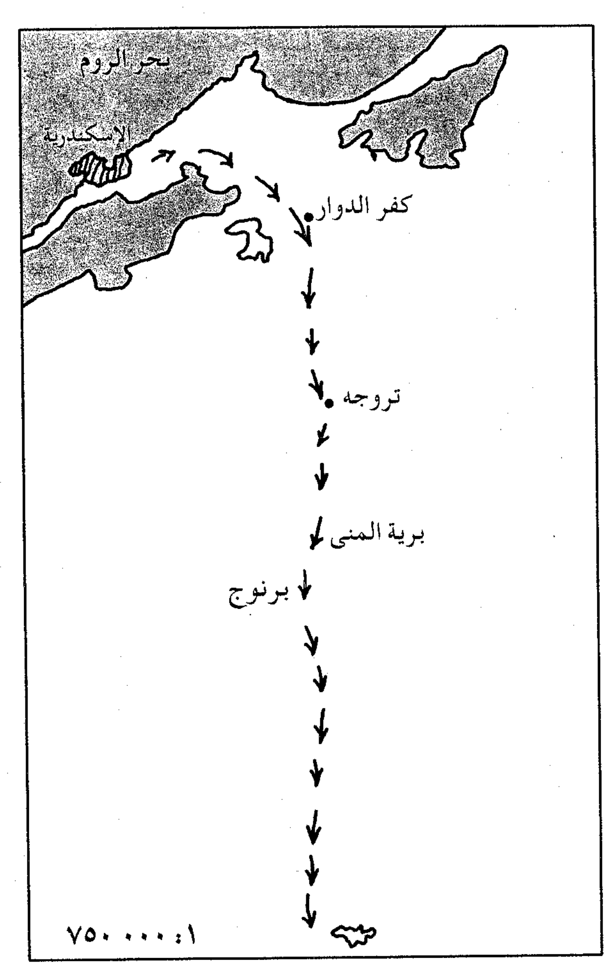
فلما استرد هرقل جولته على كسرى ورده عن دولته وجَلَت جيوش الفرس عن مصر عام ٦٢٧ وعاد جيش الروم بحراً فى شتاء ٦٢٨ ـ ٦٢٩ . بعث هرقل سيروس ليكون مقوقسا يحكم مصر من قِبَله ، وأيضاً ليكون بطركاً لكنيسة الإسكندرية المِلْكانية ، وكان بين تلك الكنيسة وبين الكنيسة اليعقوبية القبطية خلافات هامة حول طبيعة المسيح ، وكانت سياسة الروم لقبط مصر تقوم على الاستنزاف والاضطهاد ، فما أن وصل سيروس إلى الإسكندرية حتى هرب بنيامين . وتذكر المصادر القبطية أن ملاكاً ذكر لبنيامين أن هذا البلاء يستمر عشر سنوات .

أوصى بنيامين أساقفته وكهنته وشعبه بالتمسك بعقيدتهم حتى الموت وكتب إلى أساقفة مصر أن يختفوا حتى تنجلى الغمة ، ثم خرج من الإسكندرية سائراً على قدميه إلى مريوط ومعه اثنان من تلاميذه حتى وصل إلى تروجة ثم إلى برية المنى عند جبل برنوج ثم إلى برية شيهات {وهى وادى النطرون} وكان الرهبان به قليل لقرب العهد بالخراب أيام البطرك دميانوس [1] ، فتوجهوا إلى دير برموس ومكسيموس ودوماديوس ثم إلى دير أبو مقار . ثم مضى بنيامين إلى الصعيد فاختفى فى دير صغير إلى تمام السنين العشر . ومارس سيروس العذاب على القبط وعمل على فتنتهم ليتحولوا إلى عقيدة خلقيدونية . يقول ساويرس بن المقفع [2] «ضل جماعة منهم لايحصى عددهم ، قوم منهم بالعذاب ، وقوم بالهدايا والتشريف وقوم بالسؤال والخداع» وأن سيروس أُسِفَ فى نقيوس ، وخالف بقطر أسقف الفيوم العقيدة

(١) سير الآباء البطاركة ١١٤ .

(٢) سير الآباء البطاركة ١٠٦ .

الأرثوذوكسية وظفر سيروس بمينا أخ بنيامين ـ وكان بديناً ـ فعذبه وأشعل فى جنبيه المشاعل حتى سال شحمه إلى الأرض وقلع أضراسه وأسنانه باللكم ثم أمر به فوضع فى جوال مثقل بالرمل ودخلوا به فى البحر مقدار سبع غلوات وألقوا به لإصراره على رفض مذهبهم .



وفى أثناء ذلك {سنة ٣٥٧ لدقلديانوس} وخلال السنين العشر جاء عمرو بن العاص بجيشه يفتح مصر وكان بنيامين مازال هارباً من مكان إلى مكان ، ويذكر ابن عبد الحكم أن بنيامين كتب إلى القبط أنه لاتكون للروم دولة وأن مُلكهم قد انقطع ، وأمرهم بتلقى عمرو ،

فكانوا له أعواناً . ويذكر حنا النقيوسى أنه لما تم الفتح جاء رجل اسمه شنودة {سانوتيوس} وأخبر عمرو بن العاص بموضوع بنيامين ، فأصدر عمرو له أماناً وعاد إلى الإسكندرية {عام ٣٦٠ لدقلديانوس} ، حتى بلغ بنيامين الشيخوخة فأصابه مرض فى رجليه ولبث معه سنتين حتى دعا له محبوه بالراحة من الحياة الدنيا فتوفى اليوم الثامن من طوبة ٣ يناير ٦٦٢م بعد أن ظل بطركاً تسعاً وثلاثين سنة وكان فى غاية الرضا من جميع القبط . وقد قدر بتلر عمره بخمسة وسبعين عاماً .

وكتب الأنبا بنيامين بطريرك الإسكندرية فى عهد عمرو بن العاص يقول أنه كان ذاهباً إلى دير الأنبا مكاريوس ليكرس كنيسة هناك ، وعلى بعد ميلين من الدير خرج للقائه الرهبان يتقدمهم الشبان أولاً بأيديهم سعف النخل ثم الشيوخ حاملين الصلبان والمجامر وهم يسبحون بألحان ويرتلون بتهليل «فاهتز الجبل جميعه من كثرتهم ، وقد بدت صفوفهم كجند السماء طغمات [١]» .

كتب بتلر [٢] «وقد وافق اختيار بنيامين لولاية الدين هوى فى قلوب الناس ، فإننا إن شككنا فى حكمته وحسن رأيه فى آخر أمره (لعله يقصد تعاونه مع المسلمين) لايمكن أن ننكر أنه كان حبيباً إلى الناس عزيزاً عليهم ، وأنه قد بقى على محبة الناس له وإجلالهم إياه لم ينقص من ذلك شيء على تغير الأحوال وتقلب الظروف . وكانت مدة ولايته أكثر عهد فى تاريخ القبط تقلباً وأعظمه حوادث . ولكنه لم يتساهل فى أمر الدين ولم يغض عن رذيلة فى الخلق ، فشرع منذ أول أمره يأخذ قسوسه بالشدة إذا هم جازوا حدود الحمى فى حياتهم ، وما كان أكثر من يفعل ذلك منهم ، ثم جعل يقضى على السوء الذى حل فى مواضع كثيرة ولم يستطع الأساقفة أن يتلافوه إذ منعتهم من ذلك ضجة الحرب ومشاغلها . وقد زار بابليون مرة قبل ولايته فلما ولى البطركة أرسل كتاباً إلى أساقفته قال لهم فيه : لقد رأيت فى مقامى فى حلوان وبابليون جماعة من أهل العناد والكبر وكانوا قسوساً أو شمامسة وما أشد ما كرهت نفسى أفعالهم ، وإنى باعث بكتابى هذا إلى الأساقفة جميعاً آمرهم أن ينظروا مرة فى كل شهر فى أمر كل من عندهم ممن لم تمض عليه عشر سنوات فى زمرة أهل الدين ... الخ .

(١) تاريخ الأقباط ١ / ٢٢٤ .

(٢) فتح العرب لمصر ١٢٨ .

الإسلام والرهبانية :

فى القرآن الكريم [١] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ <٨٢> وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ <٨٣> وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ <٨٤> فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ <٨٥>﴾ .

وقال ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ <٢٧>﴾ [٢] .

كيف كان ذلك ؟

نقل أبو الحسن الندوى عن الأستاذ ليكى [٣] قوله :

« ... ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً فى الدين والأخلاق إلى قرنين وروى المؤرخون من ذلك عجائب فحدثوا عن الراهب مكاريوس أنه نام ستة أشهر فى مستنقع ليقرص جسمه العارى ذباب سام ، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد ، وكان صاحب الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من حديد وقد أقام ثلاثة أعوام فى بئر نزح . وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة ، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة . وكان بعض الرهبان لايكتسون دائماً وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ، وكان أكثرهم يسكنون فى مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش ، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون

(١) سورة المائدة ٨٢ ـ ٨٥ .

(٢) سورة الحديد ٢٧ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٥٨ ـ ١٦٠ عن «تاريخ أخلاق أوروبا» للأستاذ ليكى .

من غسل الأعضاء ، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم فى النجاسات والدنس ، يقول الراهب أتهينس إن الراهب أنتونى لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره ، وكان الراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة . وقد قال الراهب الإسكندرى بعد زمن متلهفاً : وا أسفاه ! لقد كنا فى زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات !! ...» الخ .

وقد نجد فى هذا مصداق الآيات عن الرهبانية {آيتى سورة المائدة وآية سورة الحديد} ، فإن القرآن الكريم لم يأخذ على النصارى ابتداع الرهبانية ولكنه أخذ عليهم عدم رعايتها حق رعايتها ، ونحسب عدم الرعاية كانت من مثل ما ذكرنا من أمثلة .

كما وأن ما يستخدم عند غير المسلمين هو لفظ المسيحية والمسيحيين وهو ما لم يستخدمه المسلمون قط إلا عن شخص المسيح عليه السلام ، أما اللفظ الجارى فهو «النصارى» ، ونذهب إلى أنها مأخوذة من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ لِلحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِن بَنِي إِسرائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾ ‹١٤› [1] فالنصارى هنا هم أنصار الله .

المقوقس :

لم تكن كلمة «المقوقس» إسماً لرجل وإنما كانت لقباً أو إسماً لوظيفة . فهى كلمة يونانية معناها المفخّم أو المبجّل [2] ، كما نقول اليوم صاحب الجلالة أو سمو الأمير أو عظمة السلطان أو فخامة الرئيس .

وقد ظهر هذا اللفظ أول ما ظهر فى تاريخنا فى رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ، ثم عاد إلى الظهور مرة أخرى فى أحداث فتح مصر . ونذهب إلى أنه لم يكن مقوقساً

(١) سورة الصف ١٤ .

(٢) يؤيد هذا ما جاء فى تاريخ الأمم والملوك ، قال «فكان أهل مصر يتدفقون على الأجَلّ ، وأهل مكران على راسل وداهر وأهل سجستان على الشاه وذويه و ... الخ {٤ ـ ١١١} كتب إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن أبى سعيد الربيع بن النعمان عن عمرو بن شعيب ، قال .

واحداً إنما كان هناك مقوقسان ، أولهما الذى تلقى رسالة النبى ﷺ وكان إسمه جورج كما قال عنه الرواة المسلمون جريج بن قرقب الرومى وكان هو الحاكم الرومى من قبل القسطنطينية ، وكانت رسالة النبى ﷺ إليه تدعوه إلى الإسلام ، وبالرغم من أنه لم يسلم لكنه أجاب جواباً جميلاً وبعث إلى النبى ﷺ ببعض الهدايا .

أما المقوقس الثانى فقد ذكرته المصادر العربية بإسم «قيرس» وكتبها بعضهم «فيرس» ، ونختار أن نكتبها كما تنطق وهى سيروس **Cyrus** وهو إسم مازال معروفاً عند اليونانيين وغيرهم ، وكان هو الحاكم الرومى من قِبَل هرقل على ولاية مصر كما كان البطرك المِلكانى لكنيسة الإسكندرية ، فاجتمعت فى يده السلطتان .

وبعض من كتب ذهب إلى أنه كان مصرياً قبطياً ، وبعضهم استند إلى رسالة النبى ﷺ إليه التى استهلها بعبارة «من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط» ويبنون على ذلك أنه كان من القبط ، ولكن فى روايات واضحة أنه كان من الروم ، وفى أوضاع كالتى كانت فى مصر حينذاك كان عظيم القبط من الروم .

كانت الكنيسة قد انشقت إلى كنيستين ، الكنيسة اليعقوبية فى الإسكندرية تقول أن للمسيح إرادة واحدة وطبيعة واحدة إلهية ، والكنيسة البيزنطية تقول أن للمسيح إرادة واحدة وطبيعتين . وأراد هرقل التوفيق بين الكنيستين ، وابتدع سرجيوس بطرك القسطنطينية بدعة جديدة بأن للمسيح إرادة واحدة وأن يمتنع الناس عن الخوض فى طبيعته ، وتبنى هرقل هذا المذهب وقبله سيروس مطران فاسيس فى مستهل عام ٦٣١ م فولاه هرقل بطركة الإسكندرية كما أسند إليه حكم مصر وجمع خراجها .

ولكن بنيامين تزعّم القبط فى رفض هذا المذهب المِلكانى ، وراح المقوقس يحارب القبط ومذهبهم ويضطهدهم لإجبارهم على مذهبه حتى صار إسمه مفزعاً للقبط كريهاً لديهم ، ويذكر مؤرخو القبط أنهم ولمدة عشر سنين كانوا يخيرون بين قبول مذهب خلقيدونية أو الجلد أو الموت حتى قال بتلر «... علينا أن نبين هنا بياناً لاشك فيه أنه لم يكن فى ذلك الوقت شىء إسمه القبط فى ميدان النضال ولم تكن منهم طائفة لها يد فيه ، بل كان القبط إذ ذاك بمنحاة عنه قد أذلهم قيرس وأرغم أنوفهم ...» .



ليس بين أيدينا صفات للمقوقس أو عن شكله وملابسه
ولكن من حيث أنه ـ سيروس ـ كان بطركا ملكانيا
فقد وجدنا رسما لواحد منهم فى ذلك العصر {الموسوعة ٧ / ١٢٤٨}

وقد دبر فريق من الجايانية من القبط لقتل سيروس ولكن أخبار المؤامرة نمت إلى علمه فقضى عليها . ولم يكن القبط وحدهم الذين عارضوا المقوقس سيروس وإنما الملكانيون أيضاً لم يعجبهم ذلك المذهب الوسط بين المذهبين وتزعم معارضتهم صُفرونيوس بطرك القدس .

ثم جاء المسلمون وفتحوا الفرما ثم بلبيس ثم هزموا الروم فى عين شمس وحاصروا حصن بابليون وكان به المقوقس ، ثم عبر إلى جزيرة (الروضة) فى ٦ يونيه ٦٤١ م وبعث إلى عمرو ليفاوضه ، ومال المقوقس إلى الصلح ولكن من معه عارضوه فرحل إلى الإسكندرية فى النهر .

واستاء منه هرقل فاستدعاه إلى القسطنطينية ورفض الصلح وأسلمه إلى حاكم المدينة ليهينه ويشهّر به ثم نفاه .

ومات هرقل وكانت زوجته مارتينا ذات نفوذ وكان سيروس من حزبها فأعيد إلى الإسكندرية ومعه أمداد من جند الروم وعاد إلى عسفه بالقبط ، ثم قدم على عمرو فى بابليون وأذعن له بأداء الجزية واتفق معه على تسليم الإسكندرية بعد ١١ شهراً .

لم يذكر المقوقس أمر الصلح لأهل الإسكندرية حتى حل الموعد وتحرك المسلمون إليها فأعلن الأمر وغضب الناس وتظاهروا عند قصره ، وبرر ما عمل بأنه لصالحهم وحقن دمائهم ولعجز دولتهم ، فقبلوا كلامه وجمعوا الجزية وحملها سيروس إلى عمرو {ربما فى حوالى أول محرم ٢٢ هـ ـ ديسمبر ٦٤٢م} .

وفى القسطنطينية زال أمر مارتينا وتم نفيها وإذلالها فتكاثرت على سيروس الأحزان وقد زال أمره هو الآخر وأصيب بالدوسنتاريا مع شيخوخته فمات فى ٢١ مارس ، لم يكن سيروس مقوقساً يوم مات لكنه كان مازال بطركاً للكنيسة المِلكانية بالإسكندرية . وبعد ثلاثة أشهر ألبسوا الشماس بطرس رداء البطركة فى ١٤ يولية .

الباب الثالث

رواة فتح مصر

رواة فتح مصر

كما ذكرنا فى المقدمة أننا نبحث عن مفاتيح نقرأ بها تاريخ فتح مصر خاصة للترجيح بين ما تضارب من مرويات ، وأن من هذه المفاتيح النظر فى الرواة الذين نقلوا إلينا أخبار الفتح ، وقد أسندت بعض المصادر العربية رواياتها إلى رواتها ، وبعضها نقل عمن سبقه ، وبعضها تجاهل ذلك فساقت مروياتها غير مسندة مع أن الإسناد أساس لإثبات صحة الرواية أو ترجيحها على سواها . أما المصادر التى سطرها غير المسلمين فجميعها غير مسندة حيث لم يُعرف الإسناد وعلم الرجال عند غير المسلمين ، فالمسلمون هم أصحاب ذلك العلم أسسوه حفاظاً على حديث رسول الله ﷺ وتمييز صحيحه من ضعيفه . هذه المصادر العربية يمكن ترتيبها كالآتى :

		توفى	حوالى	
١) فتوح مصر وأخبارها	عبدالرحمن بن عبدالحكم	٢٥٧ هـ	٨٧١ م	مسند
٢) فتوح البلدان	البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر	٢٧٩ هـ	٨٩٢ م	مسند فى أكثره ومادة الفتح قليلة
٣) تاريخ الأمم والملوك	الطبرى، محمد بن جرير	٣١٠ هـ	٩٢٢ م	مسند
٤) ولاة مصر	الكندى، محمد بن يوسف	٣٥٠ هـ	٩٦١ م	مسند
٥) دول الإسلام	الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان	٧٤٨ هـ	١٣٧٧ م	غير مسند
٦) المواعظ والإعتبار	المقريزى، أحمد بن على	٨١١ هـ	١٤٤٢ م	غير مسند
٧) النجوم الزاهرة	يوسف بن تغرى بردى	٨٧٤ هـ	١٤٧٠ م	الإسناد قليل جداً
٨) الفضائل الباهرة	ابن ظهيرة، ابراهيم بن على	٨٩١ هـ	١٤٨٧ م	فيه اسناد واحد
٩) حسن المحاضرة	عبدالرحمن السيوطى	٩١١ هـ	١٥٢٢ م	ينقل عن إبن عبدالحكم
١٠) بدائع الزهور	محمد بن أحمد بن إياس الحنفى	بعد ٩٠٩ هـ		ينقل عن إبن عبدالحكم والواقدى

وقد وجدنا من الروايات التى أخذها المؤلفون والكتاب المحدثون ـ حتى من اشتهر منهم ـ

ما لايصح الأخذ به ، وبالبحث فى رواتها تبين أن منهم الضعفاء ، وحتى هؤلاء كان يمكن قبول رواياتهم ما لم تتناقض مع المعقول المقبول أو مع روايات من هم أوثق منهم ، ولكن بالبحث وجدنا منهم ـ كما جاء فى مصادر علم الرجال ـ من لايجوز الأخذ عنهم أو اعتماد رواياتهم حيث جاء عنهم أنهم كانوا يكذبون ، أو أنهم كذابون . فما لم يرو حكاياتهم آخرون غير متهمين فإنها لاتعتبر ولايجوز إظهارها على السطح دون كشفها . من ذلك ما حكاه بعضهم عن النابغة أم عمرو بن العاص ، وما حكاه غيرهم من حكايات غير مقبولة مثل أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يختم رقاب أهل الذمة بالرصاص ... الخ ، وهى جوانب تركها الكاتبون تحرجاً أن يتورطوا فيها ، ولكننا آثرنا إظهار حقيقتها وبيان كذبها وأسماء الكذابين الذين ساقوها ومصادر ذلك من كتب علم الرجال الذى نشأ أصلاً لتوثيق أو عدم توثيق أحاديث النبى ﷺ ، وليس من مصادر فتح مصر .

إننا فى هذا البحث التاريخى إنما نحاول أن نتبع أسلوب وطريقة البحث فى علم الحديث بحيث نصوّب الحدث أو نتشكك فيه أو حتى ننفيه ، وهذا هو المنهج الصحيح ، سَبَقَنا إليه علماء أجلاء فى علم الحديث ووضعوا له قواعده ، وليتنا نستطيع أن نتبع منهجهم .

وليكون ذلك صحيحاً فإن الأمر يسير فى شعبتين ، الرواية والدراية . قال عز الدين بن جماعة «علم الحديث علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن ، وموضوعه السند والمتن ، وغايته معرفة الصحيح من غيره» . وقال الإمام النووى «إن المراد من علم الحديث تحقيق معانى المتون ، وتحقيق علم الإسناد والمُعَلَّل ، والعلة عبارة عن معنى فى الحديث خَفِيٍّ يقتضى ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، وتكون العلة تارة فى المتن وتارة فى الإسناد ... الخ» (١) .

يقول شمس العلماء شبلى النعمانى : هناك طريقتان لتفحص الأحداث هما «الرواية» و «الدراية» . والمقصود من الرواية هو بيان الحدث عن طريق الشخص الذى كان هو نفسه حاضراً أو معاصراً للحدث ، وتذكر الرواية بسند متصل حتى الراوى الأخير ، إلى جانب التحقق أن جميع الرواة كانوا صحيحى الرواية وضابطين لها أم دون ذلك ؟ والمقصود من

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ـ ٥١ .

الدراية هو نقد الواقعة من ناحية القواعد العقلية (٢) . وقد أخذنا من مصادر فتح مصر عن ١٥٥ راو، وقفنا فى كتب علم الرجال التى رجعنا إليها على ذكر ١٢٢ منهم {بنسبة ٧٩٪} .

ومصادر علم الرجال أكثر من أن نلم بها جميعاً ، ولكننا اعتمدنا على عديد منها فأمدتنا بمادة طيبة عمن كشفنا عنهم وإن كانت لم تتناولهم جميعاً .

وأقدم كتب من كتب عن فتح مصر كتاب عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، توفى ٢٥٧ هـ ، فى «فتوح مصر وأخبارها» ولو أنه لايستوفى شرح خطوات الفتح الحربى لمصر وتفاصيله ، ورواياته ليست وفيرة بدرجة مشبعة إلا أنه أو فى المصادر القديمة التى بين أيدينا ، وكان يأتى بالروايات حتى ما تعارض منها ويسندها إلى رواتها . وكتب البلاذرى ـ أحمد بن يحيى بن جابر المتوفى ٢٧٩ هـ كتابه «فتوح البلدان» مسنداً فى أكثره ، ومادة الفتح فيه غير وفيرة . ثم كتب محمد بن جرير الطبرى ـ توفى ٣١٠ هـ ـ «تاريخ الأمم والملوك» مسنداً أيضاً . ثم ظهر كتاب «ولاة مصر» للكندى محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبى المتوفى ٣٥٠ هـ مسند كذلك . ولم نذكر هنا الذين ضاعت كتبهم مثل القضاعى وابن زولاق . وبعد مدة طويلة جاء الذهبى ـ محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨ هـ ـ فلم يسند رواياته ، ثم كان ابن ظهيرة ـ وهو على الأرجح ابراهيم بن على المتوفى ٨٩١ هـ فساق اسناداً واحداً أخذه عن القضاعى . وجاء آخرون فنقلوا عمن سبقهم .

واختلاف الروايات تبدأ مع بداية الفتح أو حتى قبله ، فعلى سبيل المثال حكى بعض الرواة أن عمرو بن العاص لقى عمر بن الخطاب بالجابية حين ذهب إلى الشام لاستلام بيت المقدس ففاتحه فى شأن فتح مصر ومازال به حتى حصل على موافقته ، وبعضهم حكى أن عمرو بن العاص تقدم من فلسطين إلى مصر بغير إذن من عمر ، وبعضهم حكى أن عمر قال لعمرو أن يسير إلى مصر وسوف يستخير الله فإن جاءه منه كتاب قبل دخولها بالرجوع فليرجع ، وبعضهم روى أن عمر هو الذى كتب إلى عمرو بعد فتح الشام أن يسير إلى مصر ، وهكذا ... وأخيراً وجدنا فى عصرنا من ينقل عن جميع هؤلاء ويحاول أن يعتمد رواية دون أخرى بأسلوب أن هذه معقولة وأن الثانية يستبعدها ، وهكذا دون أن يقترب أحد ولو قليلاً من أسانيد الرواة وأن يبحث حالهم ، ولا واحد فى حدود علمنا .

(١) سيرة الفاروق ـ ١٩ .

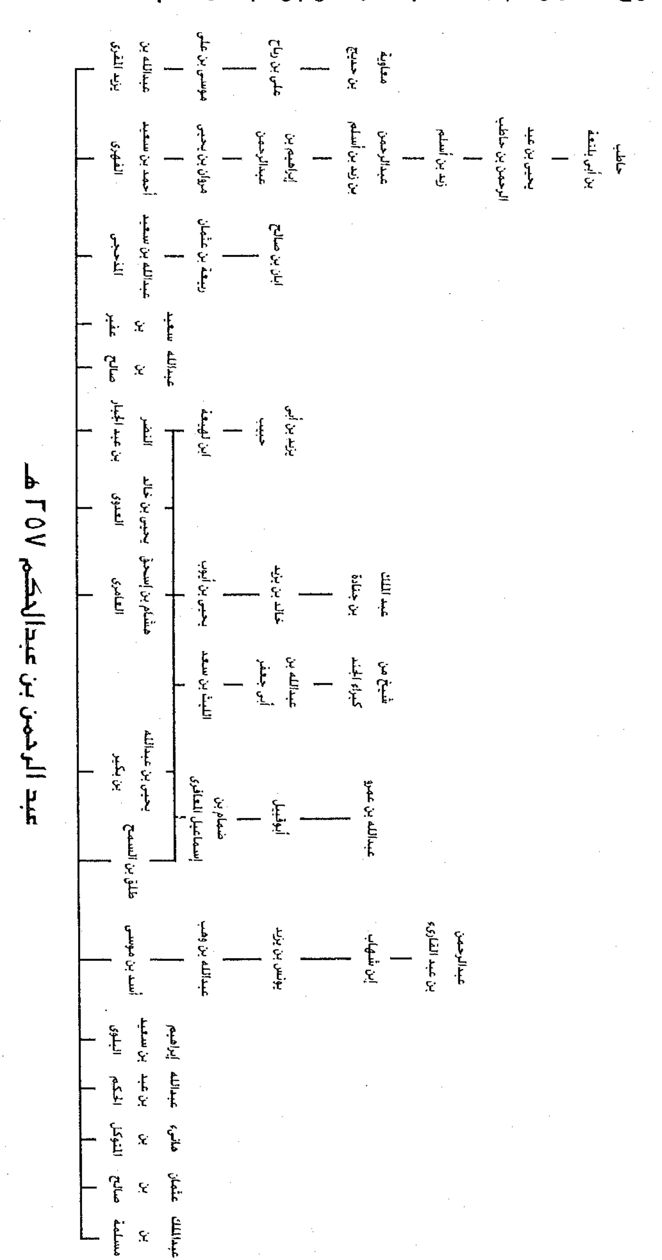
من هنا وجدنا أنه من اللازم أن ننظر فى الرواة الذين رووا فتح مصر فى المصادر التى أسندت رواياتها ، فإذا كان الرواة من الثقات الصادقين فإن هذا يدعم رواياتهم ، وإذا كان فى سلسلة من الرواة ضعيف فإنه يضعف الرواية . أما إذا كانت الحكاية غير مسندة أو كان الكتاب كله لايعتمد على الإسناد فإننا نأخذ منه ما يسد الثغرات ويكمل التاريخ ولو كانت من مصادر غير المسلمين وذلك ما لم يكن متعارضاً مع رواية موثوقة ، وهكذا صارت الروايات الموثوقة عن رواة ثقات هى التى تضع الإطار التاريخى لعملية فتح مصر ، وصار الآخرون ـ ولو كثرت مادتهم ـ يكملون ما يذكر هؤلاء .

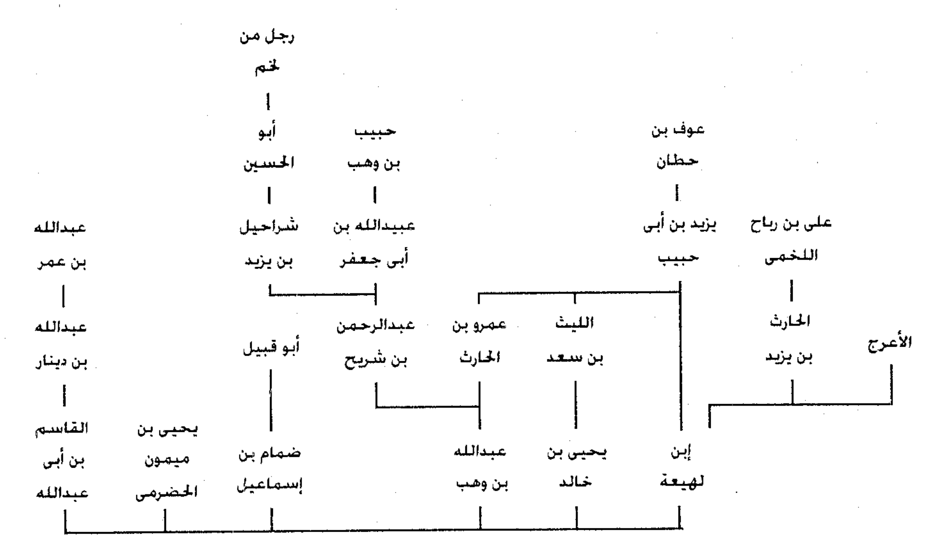
وقد لاحظنا ملاحظتين نأسف لهما ولكن لا حيلة لنا إزاءهما . الأولى أن أكثر سلاسل الرواة لاتتصل حياة رواتها حتى زمن الفتح بل ينقطع أكثرها قبل ذلك بما يقرب من قرن من الزمان ، والثانية أن بعض هذه الحلقات تتسع حتى تصل إلى أربعين عاماً أو يزيد . فإذا روى ابن عبد الحكم {توفى ٢٥٧ هـ} عن النضر بن عبد الجبار {توفى ٢١٩} عن ابن لهيعة {توفى ١٧٤} عن يزيد بن أبى حبيب {توفى ١٢٨} نلحظ أن بين وفاة ابن عبد الحكم ووفاة النضر ٣٨ عاماً ، وبين هذا وابن لهيعة ٤٥ عاماً ، وبين هذا ويزيد ٤٦ عاماً ، وأن يزيد توفى بعد الفتح بأكثر من قرن من الزمان ، وعنده تقف السلسلة .

وبالرغم من هذا فهو أقوى وأوثق من انعدام الإسناد تماماً كما فى التاريخ عند غير المسلمين ، وإذا أسقطنا الروايات التى بين أيدينا لهذا السبب لوجب إسقاط علم التاريخ الإسلامى وغير الإسلامى برمته .

وقد كان من رأى بعض الذين اطلعوا أنه تطويل لا مبرر له وأنه كان يكفينا أن نذكر ما انتهينا إليه دون أن نشق على القارىء . ونقول هذا رأيهم ، ولكن من وجهة نظرنا أننا أمام بحث يستحق ذلك ، ولا ضير على من لايرغب فى الرجوع إليها أن يعتمدها أو لا يعتمدها أو حتى أن يترك قراءتها . ولايضيره فى ذلك إلا ثمن الصفحات التى شغلها هذا الباب الثالث ونحسبها فى إطار معشار الكتاب .

١ ـ فتوح مصر وأخبارها : عبد الرحمن بن عبد الحكم ٢٥٧ هـ :

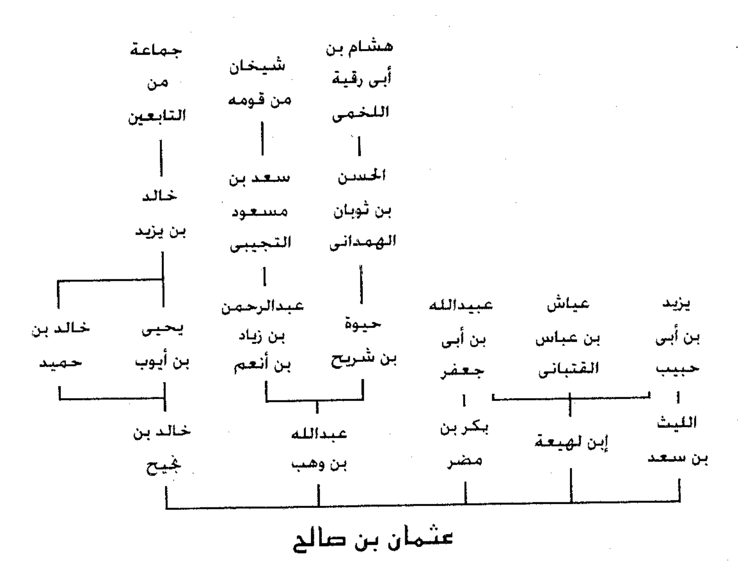




عبد الملك بن مسلمة

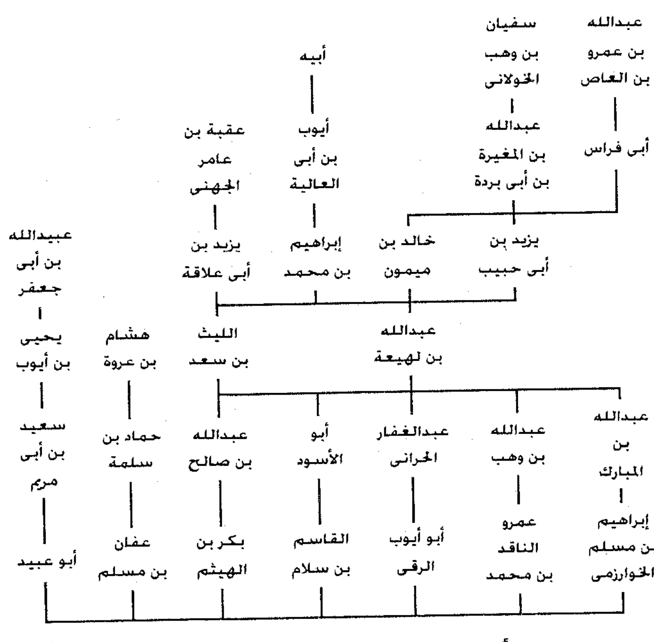


هانىء بن المتوكل



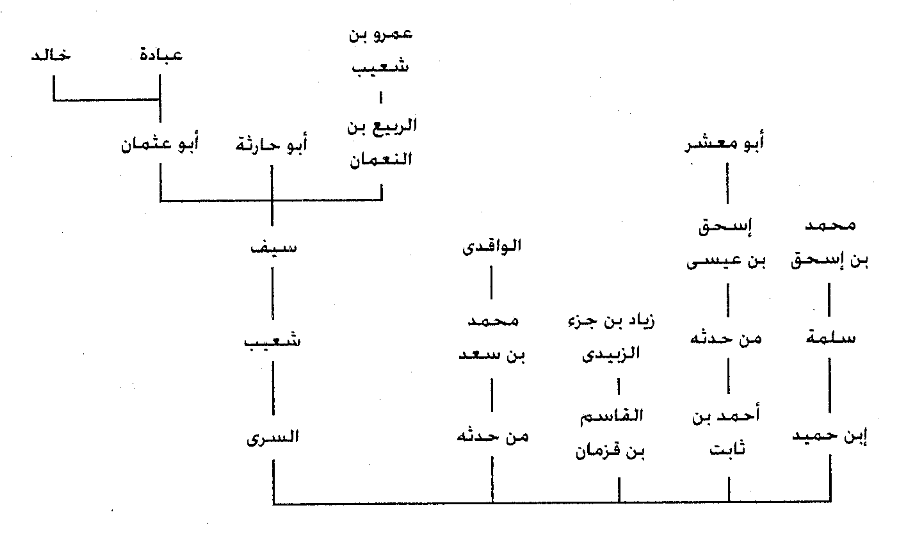
عثمان بن صالح

٢ ـ فتوح البلدان : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ٢٧٩ هـ :

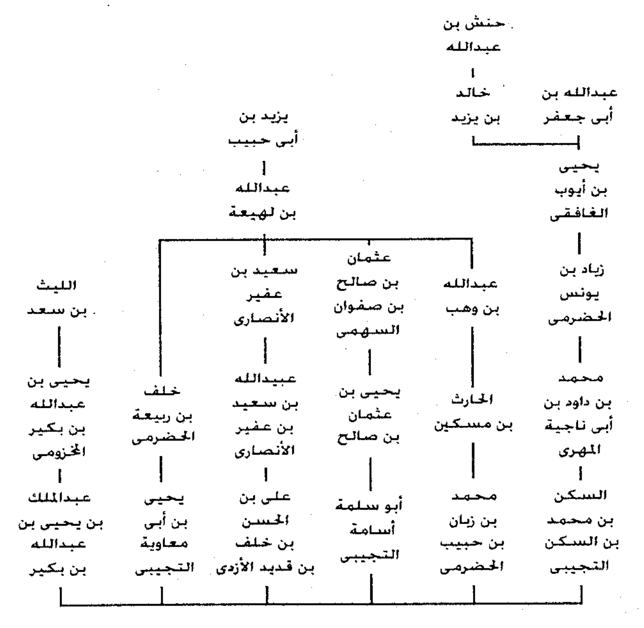


أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى

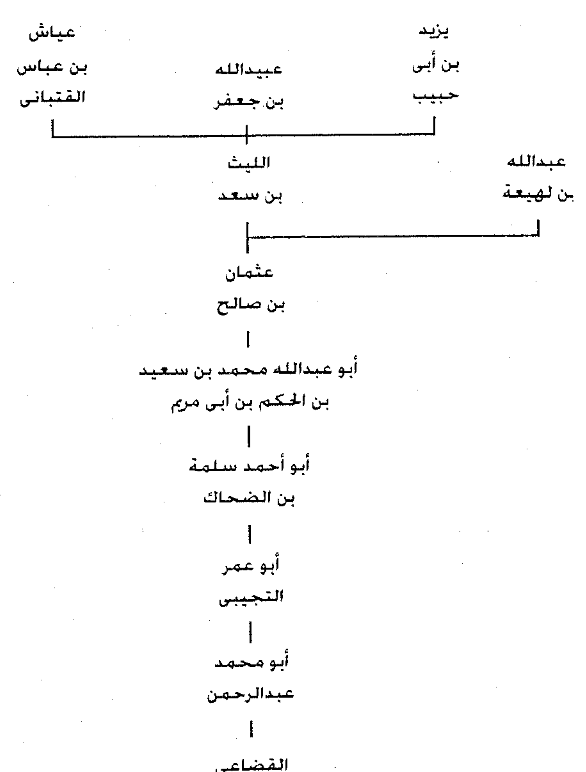
٣ـ تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبرى ٣١٠ هـ :



٤ـ ولاة مصر : محمد بن يوسف الكندى ٣٥٠ هـ :



٥ـ الفضائل الباهرة : إبن ظهيرة {إبراهيم بن على على الأرجح} ٨٩١ هـ :



أبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشى التيمى روى عن أنس ومجاهد والحسن وعطاء ، وروى عنه ابن جريج وعبدالله بن أبى جعفر وابن إسحق . وفى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم روى عنه ربيعة بن عثمان عن الحوار بين حاطب بن أبى بلتعة والمقوقس . وثّقة ابن معين وأبو حاتم ، ووهم ابن حزم فجَهَّلَه وابن عبد البر فضَعَّفَه . قال ابن سعد ولد ٦٠ هـ ومات بعسقلان ١١٥ هـ .

إبراهيم بن سعيد البلوى حدث ابن عبد الحكم ـ ولم يسند إلى أحد قبله ـ عن فتح مدينة الإسكندرية ورسالة عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بشأنها وأن بواباً لأحد أبوابها فتح له بابها وبعض وصفها وأن بها ٤٠٠٠٠ يهودى عليهم الجزية . {فتوح مصر وأخبارها} .

إبراهيم بن عبدالرحمن بن أدعج من الرواة فى كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وعنه مروان بن يحيى الحاطبى عن حوار المقوقس مع حاطب بن أبى بلتعة .

إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى {سمعان} المدنى الأسلمى وقال ابن جريج هو إبراهيم بن محمد بن أبى عطاء ، وهو أبو إسحق بن محمد الذى روى عنه الواقدى . من أهل المدينة . قال يحيى بن معين «إبراهيم بن أبى يحيى كذاب» وكان رافضياً قَدَرياً . كان مالك وابن المبارك ينهيان عنه ، وتركه يحيى القطان وابن مهدى وكان الشافعى يروى عنه . قال يحيى بن سعيد القطان «لم يُترك إبراهيم بن أبى يحيى للقَدَر إنما تُرِك للكذب» وقال «أشهد عليه أنه كان يكذب» . وله فى فتوح البلدان للبلاذرى ، روايات عن أيوب بن أبى العالية ، وعنه عبدالله بن لهيعة ، بأن عمرو بن العاص جاء إلى مصر فى ٣٥٠٠ ثم أمده عمر بـ ١٢٠٠٠ وأن مصر فتحت بغير عهد فأراد الزبير أن يقسمها ولكن عمر لم يوافق ، كما ذكر شروط الصلح مع المقوقس وبعض قرى مصر ، وهى أخبار لم ينفرد بها وإنما أوردها غيره أيضاً . روى عن الحارث بن فضيل وسهيل بن أبى صالح وصالح مولى التوأمة والزهرى والعلاء بن عبدالرحمن . وعنه الشافعى وعبدالرازق وسعيد بن سالم القداح والحسن بن عرفة وهو آخر من حدث عنه . وقال ابن عَدِيّ ليس له حديث منكر وإنما يروى المنكر من قبل شيخه أو الراوى عنه . مات ١٨٤ هـ . {المجروحين لابن حبان ١٠٥ ـ الضعفاء والمتروكين ٥ ـ طبقات الحفاظ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير ٤٩٧} .

إبراهيم بن مسلم الخوارزمى من رواة فتوح البلدان للبلازدى ، روى عن عبدالله بن المبارك أن مصر فتحت عنوة وذكر الخراج والجزية . سكن أردبيل ، يروى عن وكيع ، وعنه الحنبل بن عصام وأهل بلده يغرب . قاله ابن حبان فى الثقات . {لسان الميزان ١ / ١١١} .

أبو عبيد بن سالم (بجر أو بجير) .

أبو بكر الهذلى ، هو سُلْمى بن عبدالله بن سلمى ، تناول النابغة {أم عمرو بن العاص} فى «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسى . كان من أصحاب أبى جعفر المنصور . وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أحداً أغزر علماً من أبى بكر الهذلى وكان يمتدحه ويثنى عليه ،

وهذا يعنى أن أبا بكر الهذلى كان عباسى المشرب ، وكان يتفاخر بالغنى . من أهل الكوفة وسكن البصرة وساق له ابن عدى عشرين حديثاً . واهٍ متروك الحديث ضعيف ليس حديثه شىء . كان يروى الموضوعات عن الأثبات . جالس الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وحدث عنهما وعن عكرمة مولى أبى عباس وعامر الشعبى وابن شهاب الزهرى وغيرهم . وعنه اسماعيل بن زكريا الخلقانى وأبو معاوية الضرير وعبدالله بن المبارك وغيرهم . وهو خال عباس بن الوليد بن بكار . قال أبو حفص «لم أسمع يحيى ولا عبدالرحمن يحدثان عن أبى بكر الهذلى بشىء قط» ، وضعّف أحمد بن حنبل أمره وقال يحيى بن معين «أبو بكر الهذلى ليس بشىء» . وقال غندر «كان يكذب ، ليس بشقة» وقال على {بن المدينى} «ضعيف ضعيف ليس بشىء» وقال البخارى «سُلْمى بن عبدالله أبو بكر الهذلى متروك الحديث» . وقيل لشعبة ما تقول فى أبى بكر الهذلى ؟ فقال «دعنى لا أقىء» . مات ١٥٩ هـ . {عيون الأخبار ١ / ٢١٧ ـ الطبقات الكبرى ٢ / ٢ / ١٣٥ ـ لسان الميزان ٣ / ٧١ ـ تاريخ بغداد ٩ / ٢٢٣ ـ الضعفاء والمتروكين ٢٣٣} .

أحمد بن ثابت الرازى . عن سلمه ، وعنه أبو معشر أن مصر فتحت سنة عشرين والأسكندرية سنة ٢٥ ، وعن مُحَدِّث عن اسحق بن عيسى . وأن عمر قتل لأربع بقين من ذى الحجة ٢٣ هـ «تاريخ الأمم والملوك» جـ ٤ وعن سنة طاعون عمواس وعن عام الرمادة ١٨ هـ .

أحمد بن سعيد الفهرى من رواة فتوح مصر وأخبارها عن مروان بن يحيى الحاطبى عن حوار المقوقس مع حاطب وهداياه إلى النبى ﷺ . حدث عن ابن عبد الحكم .

أسامة بن أحمد (أبو سلمة) التجيبى المصرى من رواة «ولاة مصر» حدث عنه أبو سعيد بن يونس . يعرف وينكر . روى عن الطاهر بن السرح وهارون بن سعيد ومحمد بن سخبر ومحمد بن زياد الميمونى وعلى بن زيد الفرائضى وغيرهم . وعنه أبو بكر الشافعى وأبو سعيد بن الأعرابى وجعفر بن أحمد بن جعفر التجيبى وابنه أحمد بن أسامة بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبد الله بن السمح والحسن بن رشيق ومحمد بن معاوية بن الأحمر وأبو الأحمد بن عدى وآخرون . كان ثقة عالماً بالحديث توفى رمضان ٣٠٧ هـ . {لسان الميزان ١ / ٣٤١ م} .

إسحق بن عيسى ، أبو هشام من الرواة عند الطبرى . أقام بمكة وروى عنه أهل البصرة . صدوق فى الثقات ، وربما أخطأ . مات ٢١٥ هـ . {عن الطريق إلى دمشق} .

إسحق بن الفرات بن الجعد الكندى التجيبى . الإمام الكبير فقيه الديار المصرية وقاضيها ، أبو نعيم التجيبى مولاهم المصرى . تلميذ مالك الإمام ، مولى معاوية بن حديج . حدث عن حميد بن هانى وهو أقدم شيخ له ويحيى بن أيوب والليث ومالك وطائفة ، وعنه أبو الطاهر بن السَّرح وأحمد بن عبدالرحمن بن نصر الخولانى . قال الشافعى ما رأيت أحداً أعلم باختلاف العلماء من إسحق بن الفرات . توفى ٢٠٤ هـ {تهذيب الكمال ٢ / ٤٤٦ ـ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٢٤} .

أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموى المصرى صاحب المسند يقال له أسد السُّنَّة . من الرواة فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها عن عبدالله بن وهب عن كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس ، وعن ابن لهيعة أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن بيت المال يرث من لا وارث له من الرهبان . روى عن شعبة وشيبان النحوى وروح بن عبادة وحماد بن زيد وابن أبى ذئب وحماد بن سلمة وابن لهيعة وابراهيم بن سعد وإسرائيل بن يونس وعنه أحمد بن صالح المصرى والربيع بن سليمان المرادى وهشام بن عمار وابن عبد الحكم . قال النسائى «ثقة ، لو لم يصنف لكان خيراً له» ، وقال البخارى «مشهور الحديث» . ولد بمصر ١٣٢ وتوفى ٢١٢ هـ عن ثمانين سنة . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣١ ـ طبقات الحفاظ ١٦٧ ـ العبر ١ / ٣٦١} .

الأسود بن مالك الحميرى {عند ابن ظهيرة عن يحيى بن ذاخر المعافرى} .

أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى العامرى الجعدى ، أبو عمر الفقيه المصرى صاحب مالك وأحد الأعلام حدث عن الليث بن سعد ويحيى بن أيوب وابن لهيعة . وعنه الحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبدالله بن عبد الحكم . كان فقيهاً حسن الرأى ممن نشر الفقه المالكى بمصر وكان رئيساً للمالكية وآلت هذه الرئاسة إلى عبدالله بن عبدالحكم بعد وفاة أشهب . ولد ١٠٤ وتوفى بمصر ٢٠٤ هـ ٨١٩ م عقب وفاة الشافعى . قال الشافعى «ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه» . {وفيات الأعيان ١ / ٢٣٨ ـ

العبر ١ / ٣٤٥ ـ طبقات الشافعية {الهامش} ٣١ ـ تاريخ وآثار مصر ٥ ، ١٠ ، ١١٤١} .

أيوب بن أبى العالية ، أبو قناق . روى فى «فتوح مصر وأخبارها» أن مصر فتحت عنوة وليس لأهلها عهد وأن لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به . روى عن أبيه وحدث عنه ابن لهيعة .

أبو أيوب الرقى ، المؤدب ، من الرواة فى فتوح البلدان عن مقدار خراج مصر وجزيتها وأن عمرو بن العاص وجَّه معاونيه لفتح جهات مصر ، وفى فتوح البلدان عن عبد الغفار الحرانى بن الحكم والحجاج بن أبى منيع الرصافى وأبى عبدالله القرقسانى .

بحير بن ذاخر المعافرى كان من حرس عبد العزيز بن مروان . وروى عن أبى هريرة وعنه ابنه على . وعند ابن ظهيرة روى عنه الأسود بن مالك الحميرى . {الجرح والتعديل ٢ / ٤١١} .

بسر بن سعيد ، مولى ابن الحضرمى المدنى العابد روى فى فتوح مصر وأخبارها عن جنادة بن أبى أمية وعنه بكير بن عبدالله عن قتال فتح الإسكندرية . وقد روى عن سعد بن مالك وزيد بن ثابت وأبى هريرة وأبى سعيد ، وعنه عثمان وأبو سلمة وزيد بن أسلم ومحمد بن إبراهيم التيمى . قال ابن معين «ثقة» وقال ابن سعد «كان من العباد المنقطعين وأهل الزهد فى الدنيا والورع» وهو من كندة . مات ١٠٠ هـ بالمدينة فى خلافة عمر بن عبد العزيز . {الطبقات لابن خياط ٢٥٥ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٧} .

بكر بن عمرو الخولانى المعافرى إمام جامع مصر . عن مشرح بن عاهان وبكير بن الأشج وعنه حيوة بن شريح ويحيى بن أيوب ويزيد بن أبى حبيب وهو أكبر منه وروى فى «فتوح مصر وأخبارها» عن قتال فتح الإسكندرية رواها عنه ابن لهيعة . له فى البخارى فرد حديث . مات بعد ١٤٠ هـ فى خلافة المنصور {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٥١} .

بكر بن مضر بن محمد بن حكيم مولى شرحبيل بن حسنة ، أبو محمد أو أبو عبدالملك المصرى . عن أبى قبيل وجعفر بن ربيعة ويزيد بن أبى حبيب وعنه ابن وهب وابن القاسم

وقتيبة روى فى «فتوح مصر وأخبارها» أن للقبط عهد عن عبيدالله بن أبى جعفر وعنه عثمان بن صالح . {ولاة مصر ١٥٨ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٥٢} .

أبو بكر الهذلى = سُلْمِىّ بن عبدالله تناولناه فى موضعه من الكتاب .

بكر بن الهيثم روى عن أبى صالح عبدالله بن صالح {توفى ٢٢٣ هـ} وعنه فى فتوح البلدان أن أهل الجزية بمصر صولحوا على دينارين دينارين .

بكير بن عبدالله بن الأشج المخزومى مولاهم ، أبوعبدالله المدنى ثم المصرى . له عن بسر بن سعيد وعنه ابن لهيعة خبراً عن قتال فتح الإسكندرية وقد روى عن أبى أمامة بن سهل وابن المسيب وحمران ، وعنه ابنه مخرمة وابن عجلان وعمرو بن الحارث . قال النسائى «ثقة ثبت» . وقال النسائى والواقدى مات ١٢٧ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٥٢} .

ثابت بن أسلم البنانى أبو محمد البصرى روى عن أنس وعبدالله بن الزبير وأبى برزة الأسلمى وعمر بن أبى سلمة وغيرهم ، وعنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة وحميد الطويل وشعبة ، كان محدثاً كبير القدر من الثقات المأمونين ، صحيح الحديث ، مات ١٢٧ هـ عن ست وثمانين سنة . {طبقات الحفاظ ٥٠ ـ الطريق إلى دمشق} .

جراد أبو المجالد . فى تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٠ أن الرمادة كانت عام ١٨ هـ .

جنادة بن أبى أمية بن زهران بن كعب الأزدى ، أبو عبدالله الشامى ، دمشقى . روى عن قتال شهده عند الإسكندرية رواه عنه بسر بن سعيد ـ المتوفى ١٠٠ هـ ـ فى «فتوح مصر وأخبارها» . روى عن عمر وعلى و عن عبادة بن الصامت وعنه ابنه سليمان وعمرو بن هانىء . قال ابن يونس «صحابى» وقال العجلى «تابعى ثقة» مات ٨٠ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٦٤ ـ الطبقات لخليفة بن خياط ١٢٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩} .

الجيشانى أبو تميم . تابعى كبير ثقة . فى «فتوح مصر وأخبارها» عن أمر عمر بكسر منبر عمرو بن العاص وعنه ابن هبيرة وابن لهيعة بزيادة صلاة الوتر . روى عن عمر وعلى وعمرو بن العاص . مات ٧٧ أو ٧٨ هـ فى خلافة عبدالملك بن مروان . وجيشان من قضاعة . الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٢٠٠ .

الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموى ، أبو عمرو المصرى الفقيه قاضى مصر من الرواة فى كتاب «ولاة مصر» للكندى أن عمرو بن العاص قدم مصر بـ ٣٥٠٠ ثلثهم من غافق ثم مد بالزبير بن العوام فى ١٢٠٠٠ . روى عن أشهب بن عبد العزيز وابن وهب وابن عيينة وعبدالرحمن بن القاسم . وعنه أبو داود والنسائى وأبو يعلى . وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . كان فقيهاً على مذهب مالك وممن نشر المذهب بمصر من طبقة عبدالرحمن بن القاسم وأشهب بن عبدالعزيز وعبدالله بن عبدالحكم . ثقة فى الحديث ثبتاً . حبسه المأمون فلما ولى المتوكل أطلقه . ولد ١٥٤ ومات ٢٥٠ هـ . {طبقات الحفاظ ٢٢٤} .

الحارث بن يزيد الحضرمى أبو عبد الكريم المصرى ، فى «فتوح مصر وأخبارها» روى عن على بن رباح اللخمى ورواه عنه ابن لهيعة أن أبا بكر الصديق بعد وفاة الرسول ﷺ بعث حاطباً إلى المقوقس فهادن أهل قرى الشرقية حتى انتقضوا لما جاء عمرو وله فى كتاب «ولاة مصر» رواية عن أمه هند بنت شمس الحضرمية أنها رأت نائلة امرأة عثمان بن عفان تُقَبِّل رِجْل معاوية بن حديج بعد أن قتل محمد بن أبى بكر . روى عن جبير بن نفير وعبدالرحمن بن حجيرة ، وعنه بكر بن عمرو والأوزاعى والليث . وثقة أحمد وأبو حاتم . وقال ابن سعد كان يصلى كل يوم ستمائة ركعة . توفى ببرقة ١٣٠ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب ٦٩} .

حرملة بن عمران التجيبى ، أبو حفص المصرى وأبو عبدالله . له فى كتاب «ولاة مصر» رواية عن وفاة عمرو بن العاص وصلاة عبدالله بن عمرو عليه يوم العيد . هو حرملة بن يحيى بن عبدالله بن حرملة بن عمران بن قُرار مولى سلمة بن مخرمة التجيبى الزميلى المصرى صاحب الإمام الشافعى ، كان حافظاً للحديث ، روى عن محمد بن وهب المصرى وعن عبدالرحمن بن شماسة وغيره وروى عنه المبارك وابن وهب ومسلم بن الحجاج وأكثر فى صحيحه من ذكره . وثقة أحمد ويحيى . ولد ١٦٦ وتوفى فى شوال ٢٤٣ أو ٢٤٤ هـ بمصر . {حسن المحاضرة ١ / ٢٧٢ ـ وفيات الأعيان ٢ / ٦٤ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٧٤} .

الحسن بن ثوبان الحمدانى الهوزنى أبو ثوبان المصرى . له فى «فتوح مصر وأخبارها» روايات عن وصف الإسكندرية وأن عدد أهلها كان ٦٠٠٠٠٠ سوى النساء والصبيان وأن مصر فتحت بصلح ، رواها عن حسين بن شفى بن عبيد وعن هشام بن أبى رقية اللخمى وعنه

رشدين بن سعد وحيوة بن شريح . وقد روى الحسن بن ثوبان عن عكرمة وقيس بن رافع ، وعنه عمرو بن الحارث والليث . قال أبو حاتم «لا بأس به» . مات ١٤٥ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٧٦} .

الحسن بن الأسود عن يحيى بن آدم أن الزبير بن العوام طلب من عمرو بن العاص قسمة مصر . «فتوح البلدان» . توفى ٢٥٤ هـ .

الحسين بن شُفَى بن ماتع الأصبحى المصرى ، روى أن فتح الإسكندرية كان عنوة بغير صلح ولاذمة ، رواه عنه الحسن بن ثوبان فى «فتوح مصر وأخبارها» . روى عن أبيه وعبدالله بن عمرو إن صح ، وعنه حيوة بن شريح ويحيى بن عمر الشيبانى . وذكره ابن حبان فى الثقات . توفى ١٢٩ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٨٣} .

أبو الحسين عنه شراحيل بن يزيد ، وهو عن رجل من لخم أن المسلمين لايتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ، فى «فتوح مصر وأخبارها» .

حماد بن سلمة بن دينار الربعى أو التميمى أو القرشى مولاهم ، أبو سلمة البصرى ، ألمح أن الزبير بن العوام جاء إلى مصر فوضعوا السلالم وصعدوا عليها ، حكاها عن هشام بن عروة ورواها عنه عفان بن مسلم . وحماد أحد الأعلام روى عن ثابت وسماك وسلمة بن كهيل وابن أبى مليكة وقتادة وحميد وخلق . وعنه ابن حديج وابن إسحق شيخاه وشعبة بن مالك وحبان بن هلال والقعنبى وأمم . قال القطان «إن رأيت الرجل يقع فى حماد فاتهمه على الإسلام» . وقال ابن المبارك «ما رأيت أشبه بمسالك الأول من حماد» ، وقال وهيب بن خالد «كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا» . وقال حماد «من طلب العلم لغير الله مكربه» . توفى ١٦٧ هـ . له مناكير وهو من الرواة عند الطبرى . {طبقات الحفاظ ٨٧ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٩٢} .

حميد الطويل بن أبى حميد ، الإمام الحافظ أبو عبيده البصرى وهو حميد بن سرويه . ثقة جليل ، كان يدلس . لم يدع علماً إلا وعاه . ولد ٦٨ هـ عام موت ابن عباس . حدث عنه ابن عون ، وهو يروى عن أنس . روى عنه عاصم بن بهدلة وشعبة وزياد بن سعد . قال يحيى القطان : مات وهو قائم يصلى . مات ١٤٠ هـ أو ١٤٢ أو ١٤٣ . {سير أعلام النبلاء ٦ /

٣٧٥ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ١٨٧ ـ ميزان الإعتدال ١ / ٦١٠ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر ٥١٢} .

حنش بن عبيدالله {الملقن عبدالله} أو ابن على السبئى من الرواة فى كتاب «ولاة مصر» للكندى عن زيارة عمرو بن العاص مصر فى الجاهلية وسقوط كرة الذهب فى حجره . وهو أبو رشيد الصنعانى ثم الأفريقى روى عن على وابن عباس وفضالة بن عبيد ، وروى عنه خالد بن معدان والجلاح أبو كثير وعامر بن يحيى . قال ابن حجر «شيخ مجهول روى عنه محمد بن زريق الموصلى» وقال ابن يونس «مات سنة ١٠٠ هـ» . {لسان الميزان ٢ / ٣٦٧ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال} .

حيوة بن شريح بن صفوان التجيبى من كندة . له فى «فتوح مصر وأخبارها» عن الحسن بن ثوبان وعنه ابن وهب ويحيى بن عبدالله بن داود أنه كان بالإسكندرية ١٢٠٠٠ بقال وأن عمرو بن العاص قتل رجلاً أخفى كنزاً . أبو زرعة المصرى الفقيه الزاهد العابد . قال أبو حاتم «حيوة أعلى القوم وأحب إلىّ من الفضل بن فضالة والليث بن سعد . كان من البكائين ويعرف بالإجابة وكان ضيق الحال جداً . روى عن يزيد بن أبى حبيب ، وعنه ابن المبارك وابن وهب والليث بن سعد وهانىء بن المتوكل الإسكندرانى . {الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٢٠٣ طبقات الحفاظ ٨٠ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٩٦ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٧} .

خالد بن حميد المهرى ، أبو حميد الإسكندرانى . له فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها» روايات عن حصار حصن بابليون وعبور المقوقس إلى الجزيرة ووفد المقوقس إلى عمرو بن العاص ومعارك سلطيس وكريون والإسكندرية والصلح مع المقوقس ، عن خالد بن يزيد وعنه خالد بن نجيح . روى عن أبى هانىء وعنه بقية . قال أبو حاتم «لا بأس به» . مات ١٩٩ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٠٠} .

خالد بن ميمون من الرواة فى «فتوح البلدان» للبلاذرى أن عمر بن الخطاب لم يقبل قسمة مصر ، عن أبى إسحق وعبدالله بن المغيرة بن أبى بردة {توفى ١٣١ هـ} ، وعنه سعيد بن أبى عروبة وابن لهيعة. خالد بن ميمون الخرسانى روى عن أبى اسحق، وروى عنه سعيد بن

أبى عروبة وعبدالله بن شوذب ، ومحمد بن إسحق ، قال أبَى لا بأس به . {الجرح والتعديل ٣ / ٣٥٢} .

خالد بن نجيح ، له فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها» روايات عن حصار حصن بابليون وعن فتح الإسكندرية وقتال مسلمة بن مخلد للمبارز الرومى بالإسكندرية ، عن يحيى بن أيوب وعنه عثمان بن صالح . روى عن سعيد بن أبى مريم وأبى صالح . قال أبو حاتم «كذاب يفتعل الحديث ويضعها فى كتب أبى مريم وأبى صالح . وكان يصحب عثمان بن صالح المصرى ، وأبا صالح كاتب الليث وابن أبى مريم وهو كلام مستقيم . منكر الحديث ، مات ٢٥٤ هـ . {لسان الميزان ٢ / ٣٨٨} .

خالد بن يزيد الجمحى ، مولاهم ، من الرواة فى «فتوح مصر وأخبارها» و «ولاة مصر» عن حضور عمرو بن العاص إلى مصر فى الجاهلية وحكاية وقوع كرة الذهب فى كمه أو فى حجره ، كما له رواية عن خروج المقوقس من حصن بابليون إلى الجزيرة وعنه يحيى بن أيوب وخالد بن حميد . وهو أبو عبد الرحيم المصرى الإسكندرانى ، عن عطاء والزهرى ، وعنه الليث ومفضل بن فضالة . وثقة النسائى . أقام عند عطاء سنة فلزم الإسكندرية حتى مات ١٣٩ هـ . {خلاصة تهذيب الكمال ١٠٤ ـ حسن المحاضرة ١ / ٣٠٠ ـ المعرفة والتاريخ ١ / ١٢٠} .

خلف بن ربيعة بن الوليد أبو سليمان الحضرمى . له رواية فى كتاب «ولاة مصر» للكندى أن مصر فتحت فى مستهل محرم ٢٠ هـ . روى عن أبيه وعن ابن وهب ، وعنه يحيى بن أبى معاوية التجيبى . كان عالماً بأخبار مصر . توفى ٢٦٢ هـ . {فضائل مصر ـ الهامش ٢١} .

داود بن عبد الله الحضرمى روى أن عمرو بن العاص قال «ليس لأهل مصر عهد ولا عقد» رواها عن أبى قنان أيوب بن أبى العالية وعنه ابن لهيعة {المتوفى ١٧٤} «فتوح مصر وأخبارها» .

ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عبدالله بن الهدير التيمى . روى حواراً بين حاطب بن أبى

بلتعة والمقوقس ، عن أبان بن صالح وعنه عبدالله بن سعيد المذحجى المتوفى ١١٥ هـ وعنه عبدالله بن سعيد المذحجى {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن محمد بن يحيى بن حيان ونافع وعنه ابن المبارك وابن إدريس . وثقة ابن معين وقال النسائى «ليس به بأس» ، وقال أبو زرعة «ليس بذاك القوى إلى الصدق ما هو» ، وقال أبو حاتم «منكر الحديث يكتب حديثه» . مات ١٥٤ . {خلاصة تهذيب الكمال ١١٦} .

رِشْدين بن سعد المهرى {أو الفهرى} ، أبو الحجاج المصرى . ذكر خراج مصر وجزيتها ، وأرقاماً عن الإسكندرية وأن بعض مصر فتح عنوة وبعضها بعهد فجعلها عمر بن الخطاب كلها ذمة ولم يقسمها ، عن عقيل بن خالد والحسن ابن ثوبان ، وعنه هانىء بن المتوكل ويحيى بن خالد {فتوح مصر وأخبارها ـ وله روايات أيضاً فى «ولاة مصر»} . روى عن عقيل ويونس بن يزيد وعمرو بن الحارث وعنه ابن المبارك وابن وهب وقتيبة وأبو كريب . وهّاه ابن معين وغيره وأحمد بن صالح . كان محدث مصر لكنه ضعيف وفيه دين وصلاح ، وقيل كان رجلاً صالحاً أدركته غفلة الصالحين فخلط فى الحديث ، وقال البخارى «كان لايبالى ما دُفع إليه فيقرؤه» ، وقال النسائى «متروك الحديث» ، وقال ابن عدى «هو مع ضعفه محله ممن يكتب حديثه» وقال ابن حنبل «أرجو أنه صالح الحديث» وقال ابن معين «ليس بشىء» مات ١٨٨ هـ . {الضعفاء الصغير ١٢٢ ـ الضعفاء والمتروكين ٢٠٣ ـ المجروحين والضعفاء والمتروكين ١ / ٣٠٣ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١١٧ ـ شذرات الذهب ١ / ٣١٩ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر ٥١٦ ـ حسن المحاضرة ١ / ٢٨٣} .

أبو رهم السماعى هو أحزاب بن أسيد بفتح الألف أو ضمها ويقال بن أسد . مختلف فى صحبته . روى عن النبى ﷺ وعن أبى أيوب خالد بن زيد والعرباض بن سارية ، وعنه الحارث بن زياد وخالد بن معدان . {تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٠ ـ التاريخ الكبير ١ / ٢ / ٦٥ ـ أسد الغابة ١ / ٥٢ ـ ٥٣} .

زياد بن جَزْء الزبيدى عنه رجل من أهل مصر أنه كان فى جند عمرو . «تاريخ الأمم والملوك» . روى عنه القاسم بن قزمان .

زياد بن يونس الحضرمى ، أبو سلامه الإسكندرانى . له رواية عن قدوم عمرو بن العاص

إلى مصر فى الجاهلية وسقوط كرة الذهب فى حجره {ولاة مصر} عن يحيى بن أيوب الغافقى وعنه محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى . روى عن ثابت بن أبى الغصن ونافع بن عمر وروى عنه أحمد بن سعيد الهمدانى ويونس بن عبدالأعلى ، قال ابن حيان «مستقيم الحديث» وقال ابن يونس توفى ٢١١ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال} .

زيد بن أسلم العدوى ، مولاهم المدنى مولى عمر بن الخطاب ، أحد الأعلام . من رواة «فتوح مصر وأخبارها» عن بعث حاطب إلى المقوقس وهدايا المقوقس إلى النبى ﷺ وأن ليس لأهل مصر عهد وأن عمر كتب إلى عمرو يستغيث فى عام الرمادة . روى عن أبيه وابن عمر وجابر وعائشة وأبى هريرة وسلمة بن الأكوع ، و قال ابن معين لم يسمع منه ولا من جابر ، وعنه بنوه وداود بن قيس ومعمر وروح بن القاسم . قال مالك «كان زيد يحدث من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترىء عليه أحد . وثقة أحمد ويعقوب بن شيبة وأبو حاتم والنسائى . أدرك جماعة من الصحابة وكان له حلقة فى المسجد النبوى ، وكان فى حلقته أربعون فقيهاً . مات فى ذى الحجة ١٣٦ . {طبقات الحفاظ ٥٣ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢٦} .

سعد بن مسعود التجيبى الكندى ، روى عن عبدالرحمن بن حيويل ، وروى عنه يزيد بن أبى حبيب وعبد الرحمن بن يحيى . وكان عمر بن عبدالعزيز يبعثه ليفقههم ويعلمهم دينهم . {الجرح والتعديل ٤ / ٩٤} .

سعيد الجريرى عن أبى نضرة ، وعنه مهدى بن ميمون عن خطبة لعمر بن الخطاب أنه يقتص من ولاته إذا عدوا على رعاياهم «فتوح مصر وأخبارها» .

سعيد بن سابق ، الرازى ، والد محمد بن سعيد بن سابق . روى عنه إسماعيل بن أبى خالد وليث بن أبى سليم ، وروى عنه جرير وحكام وهارون بن المغيرة . كان حسن الفهم بالفقه وكان محدثاً روى عن انتقاض الإسكندرية . {الجرح والتعديل ٤ / ٣٠} .

سعيد بن أبى عروبة ، واسمه مهران العدوى اليشكرى مولى بنى عدى بن يشكر ، أبو النضر البصرى الحافظ العلم ، عن الحسن والنضر بن أنس حديثاً واحداً وأبى النياح ومطر الوراق وابن سيرين وأيوب وخلق . قال أحمد قدرى لم يكن له كتاب إنما كان يحفظ ، وقال ابن

معين ثقة من أثبتهم فى قتادة ، وقال أبو حاتم ثقة قبل أن يختلط ، وقال دحيم اختلط سنة ١٤٥ وقال النسائى لم يسمع من عمرو بن دينار وزيد بن أسلم والحكم بن عتبة . مات ١٥٦ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٤١ ـ طبقات خليفة بن خياط ٢٢٠ ـ طبقات الحفاظ ٧٨١} .

سعيد بن عفير هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصارى مولاهم ، أبو عثمان المصرى الحافظ له روايات فى فتح مصر ، أن عمرو بن العاص أدركه عيد النحر وهو بالعريش ، وأنه ترك فسطاطه قائماً ليمام وضع بيضه فيه وأن عبدالله بن سعد كان على ميمنة عمرو وأنه حدث شىء بين الزبير بن العوام وبين شرحبيل بن حجية فى تسلق حصن بابليون وأن عمرو بن العاص حاصر الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة . {فتوح مصر وأخبارها . ولاة مصر} . كانت له دار بالفسطاط قبالة خطة الأزد . روى عن ابن وهب والليث ومالك وطائفة وعنه البخارى وأبو بكر محمد بن إسحق الصاغانى وعثمان بن خرزاذ وابن عبد الحكم . قال ابن عدى «صدوق ثقة» وقال ابن يونس «كان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب ، أديباً فصيحاً . ولد ١٤٦ هـ . تلقى العلم بمصر ثم رحل فى طلب العلم إلى بغداد وإلى المدينة وسمع عن الإمام مالك بن أنس وعاد إلى مصر فدرس على الليث بن سعد {توفى الليث ١٧٥} ، وتوفى سعيد ٢٢٦ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٣٠ ـ تاريخ وآثار مصر الإسلامية ٩٥٤} .

سعيد بن أبى مريم الجمحى ، مولاهم ، ابن الحكم بن محمد بن سالم المصرى الحافظ . له فى «فتوح البلدان» روايتان الأولى عن ابن لهيعة أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى حيان بن شريح عامله على مصر أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، والثانية عن يحيى بن أيوب أن وردان كتب إلى معاوية بن أبى سفيان أن فى عهد القبط ألا يزاد عليهم . روى عن مالك والليث وأسامة بن زيد وخلق ، وعنه ابن معين والبخارى والذهلى ومحمد ابن إسحق الصاغانى وأبو حاتم وآخرون . كان فقيهاً ولد ١٤٤ ومات ٢٢٤ هـ . {طبقات الحفاظ ١٦٧} .

سفيان بن عيينة الهلالى أبو محمد الكوفى الأعور ـ أحد أئمة الإسلام ، روى عن عمرو بن دينار والزهرى وزياد ابن علاقة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق ، وعنه

الشافعى وابن المدينى وابن معين وابن راهويه والفلاس وسواهم . مات بمكة أول رجب ١٩٨ . روى عن ابن أبى نجيح وعنه عبدالله بن عبدالحكم عن مكان تجرى فيه السفن {الخليج} . « فتوح مصر وأخبارها » و « فضائل مصر » . {طبقات الحفاظ ١١٣} .

سفيان بن وهب الخولانى أبو أيمن . شهد فتح مصر واختط بالفسطاط . روى أن مصر فتحت عنوة بغير عهد وأن الزبير أراد قسمتها فلم يوافق عمر ورواها عنه عبيدالله بن المغيرة بن أبى بردة {فتوح مصر واخبارها ـ وفتوح البلدان} . له صحبة ورواية ووفادة ، شهد حجة الوداع وفتح أفريقية وسكن المغرب . لم يرو عنه غير أهل مصر ولهم عنده حديثان . وشهد خطبة عمر يوم الجابية . توفى ٩١ هـ {المعرفة والتاريخ ١ / ٤٦٤} .

السكن بن محمد بن السكن التجيبى . عن محمد بن داود بن أبى ناجية وعنه محمد بن يوسف الكندى فى « ولاة مصر » .

سُلْمِىّ بن عبدالله = أبو بكر الهذلى . تناولناه فى صلب الكتاب .

شراحيل بن يزيد المعافرى المصرى . روى دخول ٥٠٠ من الفرسان من مغار بنى وائل نحو حصن بابليون وحصاره سبعة أشهر عن أبى الحسين وعنه عبدالرحمن بن شريح . روى عن أبى قلابة وعنه حيوة بن شريح وابن لهيعة . وثّقه ابن حبان . مات بعد ١٢٠ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٦٤} .

الصلت بن أبى عاصم ، عنه ابن لهيعة أن مصر فتحت عنوة . « فتوح مصر وأخبارها » .

ضمام بن إسماعيل المعافرى ختن أبى قبيل . روى جرح عبدالله بن عمرو فى قتال كريون ووصف الإسكندرية . كان بها ١٢٠٠٠ بقال وأنه قتل من المسلمين ٢٢ فى فتحها {فتوح مصر وأخبارها} ، عن أبى قبيل المعافرى وعياش بن عباس ويزيد بن أبى حبيب وعنه عبد الملك بن مسلمة وهانىء بن المتوكل وطلق بن السمح . وعنه سعيد بن أبى مريم ونعيم بن حماد ويحيى بن بكير . مصرى صالح قال أبو حاتم صدوق متعبد . من مشاهير المحدثين مات ١٨٥ هـ عن ٨٦ سنة . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٧٨ ـ شذرات الذهب ١ / ٣٠٨} .

طلق بن السّمح بن شرحبيل اللخمى أبو السمح البصرى ، له رواية فى « فتوح مصر وأخبارها » عن القتال فى كريون عن ضمام بن إسماعيل المعافرى . روى عن حيوة بن شريح وابن لهيعة وموسى بن على ، وعنه عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم وابنه حيوه والربيع الجيزى وسعيد بن عفير . قال أبو حاتم شيخ بصرى ليس بمعروف ، وقال غيره محله الصدق إن شاء الله . مات ٢١١ هـ بالإسكندرية . {حسن المحاضرة ١ / ٢٨٦ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٨١} .

أبو العالية ، أيوب بن أبى العالية أبو قنان ، روى أن ليس لقبط مصر عهد رواه عن أبيه وعنه ابن لهيعة {فتوح مصر وأخبارها} . هو رفيع بن مهران البصرى الرياحى من كبار التابعين وهو ثقة مجمع على توثيقه . روى له البخارى ومسلم . {طبقات الحفاظ ٢٢ ـ الوفيات لابن قنفد ٩٩ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٥٣ .

العباس بن الوليد بن بكار الضبى ، أورده ابن عبد ربه الأندلسى فى العقد الفريد فى رواة قصة النابغة {أم عمرو بن العاص} بصرى مات بالبصرة ٢٢٢ هـ عن ٩٣ سنة ، يعرف بابن الفارسى. نزل إفريقية. سمع حماد بن زيد وأبا الأحوص وابن عيينه وربما لقى مالكاً . ثقة حافظ صدوق روى عنه الشيخان . مات ٢٧١ هـ . {لسان الميزان ٣ / ٢٤٥ ـ تاريخ دمشق} .

عبدالحميد بن جعفر بن عبدالله بن عبدالحكم الأنصارى المدينى الإمام المحدث الثقة ، أبو سعيد . حدث عن أبيه ونافع ومحمد بن عمر وآخرين ، وحدث عنه يحيى القطان وابن وهب . مات ١٥٣ هـ . {ميزان الإعتدال ٢ / ٥٣٩ ـ سير أعلام النبلاء ٧ / ١٩} .

عبدالرحمن بن حاطب بن أبى بلتعه من رواة بعث النبى ﷺ حاطباً إلى المقوقس {فتوح مصر وأخبارها} . هو من أولاد الصحابة روى عن أبيه وعنه ابنه يحيى . وثّقة ابن سعد وابن معين والعجلى . مات ٦٨ هـ . وحاطب رجل من أهل اليمن كان حليفاً للزبير بن العوام . {الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٦ / ١٠ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الرجال ٢٢٥ ـ المعرفة والتاريخ ١ / ٤١١} .

عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى أبو أيوب قاضى إفريقية . من الرواة فى « فتوح

مصر وأخبارها » أن مصر فتحت عنوة عن أشياخه وعنه ابن وهب . روى عن أبيه وعنه ابن المبارك وابن وهب . وثقه يحيى بن سعيد القطان ، وقال يعقوب بن شيبة «رجل صالح من الآمرين بالمعروف» . وقال أحمد «حديثه منكر» وقال ابن عدى «عامة مايرويه لايتابع عليه» وقال البخارى «هو مقارب الحديث» . مات ١٥٦ . {الطبقات لخليفة بن خياط ٢٩٦ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٢٧} .

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدنى مولى عمر بن الخطاب . له رواية عن بعث حاطب إلى المقوقس عن أبيه وعنه إبراهيم بن عبدالرحمن بن أدعج ، ورواية عن كتاب عمر إلى عمرو يستحثه على الفتح وعنه يحيى بن خالد {فتوح مصر وأخبارها} . يروى عن أبيه وعن أبى حازم وعنه وكيع وابن وهب وقتيبة وخلق . وهو زاهد من أهل البصرة . ضعّفه أحمد وابن المدينى والنسائى وغيرهم وقال يحيى بن معين «بنو زيد بن أسلم ليسوا بشىء» . ومالك والشافعى لايشهدان له . مات ١٨٢ . {الضعفاء الصغير ٢٠٨ وفيات الأعيان ٥ / ٢٤٧ ـ الضعفاء والمتروكين للنسائى ٣٦٠ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٢٧} .

عبدالرحمن بن سعيد بن مقلاص ، له رواية فى «ولاة مصر» للكندى وفى حسن المحاضرة للسيوطى أنه جرت سهام ١٢٣٠٠ فى فتح بابليون بعد من أصيب بالقتل أو الموت ، وروى القضاعى عنه أن عمرو بن العاص سار إلى الإسكندرية فى شهر ربيع الأول ٢٠ هـ أو فى جمادى الآخرة .

عبدالرحمن بن شريح ، أبو شريح المعافرى الإسكندرانى ، له بعض الروايات فى «فتوح مصر وأخبارها » مثل حكاية الرجل الذى أصيب جمله فدبر له عمرو غيره بعد الوصول إلى العريش ، وحكاية راعى الغنم بالقواصر وأن المسلمين اقتربوا إلى بابليون من مغار بنى وائل وأن مصر فتحت عنوة ولم يوجد عند عُمر عهد لأهل مصر ورواية أخرى أن للقبط عهد به ستة شروط منها ألا يزاد عليهم ولايؤخذ من أرضهم شىء ، عن يعقوب بن مجاهد وعبدالكريم بن الحارث وشراحيل بن يزيد وعبيد الله بن أبى جعفر وعنه ابن وهب وهانىء بن المتوكل . روى عن أبى هانى وأبى الزبير وعنه ابن المبارك وعبدالرحمن بن القاسم . وثّقه أحمد . ومات ١٧٧ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٢٨} .

عبدالرحمن بن شماسة المهرى ، أبو عمرو و له رواية عن مأبور الخصى الذى أهداه المقوقس إلى النبى ﷺ ورواية عن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن زيد بن ثابت وعبدالله بن عمرو وأبى ذر وعنه كعب بن علقمة ويزيد بن أبى حبيب . وثّقه العجلى وابن حبان . كان صالح الحديث ومات بعد المائة . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٢٨} .

عبدالرحمن بن عبد القارّى ، أبو عبدالله الجَدَلى منسوب إلى القارة قبيلة مشهورة بجودة الرمى . من رواة كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس ، عن ابن شهاب {فتوح مصر وأخبارها} روى عن عمرو بن أبى طلحة ، وعنه السائب بن يزيد من أقرانه وعروة . وثّقه ابن معين . توفى بالمدينة ٨٠ هـ عن ٧٨ سنة . {الطبقات ، خليفة بن خياط ١٤٣} .

عبدالرحمن بن غَنْم الأشعرى الشامى . قيل له صحبة . بعثه عمر إلى الشام يفقه الناس ، ويُعرف بصاحب معاذ لملازمته له . مات ٧٨ . عنه عبادة وخالد ، عن عام الرمادة . «تاريخ الأمم والملوك» . {طبقات الحفاظ ١٥} .

عبدالغفار بن الحكم الأموى ، مولاهم ، أبو سعيد الحرانى . له رواية عن خراج مصر وجزيتها ورواية أن عمرو بن العاص استجمع فتح جهات مصر ، عن ابن لهيعة وعنه أبو أيوب الرقى {فتوح البلدان} . روى عن فضيل بن غزوان والليث وعنه محمد بن يحيى . وثّقه ابن حبان . مات ٢١٧ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٤١} .

عبدالكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمى ، أبو الحارث ، المصرى العابد . له رواية فى «فتوح مصر وأخبارها » عنه عبدالرحمن بن شريح ، عن رجل أصيب له جمل فأعطاه عمرو جملين . روى عن المستورد مرسلاً والزهرى وعنه بكر بن مضر وابن لهيعة . توفى ١٣٦ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٤٢} .

عبدالله بن دينار البهرانى ، أبو محمد الحمصى . روى أن عمر بن الخطاب كتب أن يختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص وأن تجز نواصيهم ، رواها عنه القاسم بن عبدالله {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن عمر بن عبدالعزيز والزهرى وعنه معاوية بن صالح والجراح بن مليح .

قال المفضل عن يحيى «ضعيف» ووثّقه أبو على النيسابورى ، وقال الدارقطنى «لايعتبر به» . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٩٦} .

عبدالله بن سعيد المذحجى عن ربيعة بن عثمان ، وعنه عبدالرحمن بن عبدالحكم . عن حوار بين حاطب بن أبى بلتعة والمقوقس فى «فتوح مصر وأخباها» .

عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى مولاهم ، أبو صالح المصرى . له عدة روايات عن الصلح مع القبط وصلح عمرو مع المقوقس وغضب هرقل من ذلك وأن المقوقس كان روميـاً وعن قتال الاسكندرية وتعقب الروم بعد فتحها وسبى بعض القرى {فتوح مصر وأخبارها} وهو كاتب الليث بن سعد وحدث عنه . روى عن معاوية بن صالح وموسى بن عُلَىّ ويحيى بن أيوب . قال ابن عدى هو عندى مستقيم الحديث إلا أنه يقع فى حديثه غلط وقال أبو زرعة حسن الحديث . روى عنه يحيى بن معين وكان يوثقه ، وقال صالح بن على «عندى كان يكذب فى الحديث» ، وقال أحمد «كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشىء» وقال ابن المدينى «ضربت على حديثه فما أروى عنه شيئاً» وقال النسائى «ليس بثقة» وقال ابن حبان «منكر الحديث جداً ، يروى عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات وعنده المناكير الكثيرة عن أقوام مشاهير أئمة . وكان فى نفسه صدوقاً يكتب لليث بن سعد الحساب وكان كاتبه على الغلات وإنما وقع المناكير فى حديثه من قبل جار له رجل سوء . قال ابن خزيمة «كان له جار بينه وبينه عداوة فكان يضع الحديث على شيخ عبدالله بن صالح ويكتب فى قرطاس بخط يشبه خط عبدالله بن صالح ويطرح فى داره فى وسط كتبه فيجده عبدالله فيحدث به فيتوهم أنه خطه وسماعه، فمن ناحيته وقع المناكير فى أخباره . قال زيد بن أيوب «نهانى أحمد بن حنبل رحمه الله أن أروى حديث عبدالله بن صالح» . وقال أبو حاتم «هو صدوق أمين ما علمت» . وسئل محمد بن عبدالله بن عبدالحكم عن أبى صالح فقال «تسألنى عن أقرب رجل إلى الليث لزمه وكان يخلو معه كثيراً ، لاينكر لمثله أن يكون سمع منه كثرة ما أخرج عن الليث وأجازها له» . قال ابن معين «أقل أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب عن الليث وأجازها له» . {طبقات الحفاظ ١٦٩ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٢٠٥ ـ المجروحين من المحدثين ـ الضعفاء والمتروكين لمحمد بن حبان ٣٥٤ جـ ٢ ص ٤٠ ـ الضعفاء والمتروكين للنسائى ٣٣٤ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٠١} .

عبدالله بن عبدالحكم بن أعين بن ليث بن رافع ، قيل مولى عثمان أبو محمد المصرى . روى عن مالك والليث وابن لهيعة والربيع بن سليمان بن داود الأزدى الجيزى ، وعنه بنوه محمد وعبد الرحمن وسعد وعبد الحكم ومحمد بن نمير . وثّقه أبو زرعة وقال أبو حاتم «صدوق» . ولد بمصر ١٥٠ أو ١٥٥ ومات ٢١٤ هـ . كان فقيهاً مالكياً أعلم أصحاب مالك ، وكان من ذوى الأموال والأرباع وله جاه عظيم . قبره إلى جانب قبر الإمام الشافعى مما يلى القبلة وهو الأوسط من القبور الثلاثة . {وفيات الأعيان ٣ / ٣٤ ـ طبقات الشافعية {الهامش ٢٥} ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٠٤} .

عبدالله بن عمر بن على ـ له فى النجوم الزاهرة عن أن والى الروم على بابليون كان اسمه جريج بن مينا ، رواه عن زهرة بنت عمر ، وعنه أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى .

عبدالله بن عمرو بن العاص ، من فضلاء الصحابة وعبادهم المكثرين فى الرواية . من أهل مكة . له رواية عن قتاله فى الكريون وإصابته بجراحه {فتوح مصر وأخبارها} أسلم قبل أبيه وكان يقرأ بالسريانية . شهد الحروب والغزوات وحمل راية أبيه يوم اليرموك وشهد صفين مع معاوية فلما ولى يزيد الخلافة امتنع عبدالله عن مبايعته وانزوى منقطعاً للعبادة وعمى فى آخر حياته . ولما توفى عمرو ٤٣ هـ خلفه ابنه عبدالله فى ولاية مصر وصلى على جنازته قبل صلاة عيد الفطر ، ثم عزله معاوية بن أبى سفيان وولى معاوية بن حديج . وذكر المقريزى أن أهل مصر كانوا يتبعون فى الأكثر فتاوى عبدالله بن عمرو ولهم عنه قرابة ١٠٠ حديث . توفى فى النصف الثانى من جمادى الآخرة ٦٥ هـ بالفسطاط ولم يستطع أحد أن يخرج فى جنازته لشغب من الجند على مروان بن الحكم وقيل أنه دفن فى داره . وكان ممن تصدر مجالس العلم بمسجد عمرو . {وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٥ ـ ٧ / ٢١٥ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٠٨ ـ تاريخ وآثار مصر الإسلامية ١٠٢٦ ، ١١٤٣ ، ١٢١٥} .

عبدالله بن لَهِيْعَة بن عقبة الحضرمى الغافقى أبو عبدالرحمن المصرى الحافظ قاضى مصر وعالمها ومسندها . له روايات عن فتح مصر فى «فتوح مصر وأخبارها» وفى «ولاة مصر» وفى «فتوح البلدان» وفى «الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة» ، ومن مروياته أن عمرو بن العاص خاطب عمر بن الخطاب فى الجابية عن فتح مصر وأقنعه بها ، عن

يزيد بن أبى حبيب وعنه عبدالملك بن مسلمة ، وفى رواية أن عمرو سار من فلسطين بدون إذن من عمر فكتب إليه عمر ، عن يزيد بن أبى حبيب وعنه عبيد الله بن سعيد الأنصارى وابن وهب وعثمان بن صالح والنضر بن عبدالجبار . وعن سير عمرو حتى بابليون وأنه قدم فى ٣٥٠٠ ثم جاءه الزبير بن العوام فى مدد من ١٢٠٠٠ وأن مصر فتحت فى مستهل ٢٠ هـ . وفى رواية أن عمر عقد لعمرو على ٤٠٠٠ كلهم من عك ، وعن حصار عمرو حصن بابليون ، وعن تخيير قبط سلطيس بين الإسلام وبين دينهم ، وأن مصر فتحت بصلح وأن مصر فتحت عنوة وأن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . {فتوح مصر وأخبارها ـ ولاة مصر ـ الفضائل الباهرة} .

وروى ابن لهيعة عن عطاء والأعرج وعكرمة وعبيد الله بن أبى جعفر وعمرو بن شعيب وخلق وروى عنه شعبة وعمرو بن الحارث والليث وابن وهب وعثمان بن صالح وخلق . كان صالحاً لكنه كان يدلّس عن الضعفاء . وقال أحمد بن صالح احترقت كتبه وهو صحيح الكتاب طلاّبه للعلم ، ومن كتب عنه قديماً فسماعه صحيح . وقال سفيان الثورى «عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع» . وقال يحيى بن معين «ليس بالقوى» وقال مسلم «تركه وكيع ويحيى القطان وابن مهدى» وعن يحيى بن سعيد أنه كان لايراه شيئاً . قرنه مسلم بآخر وروى له البخارى فى صحيحه والنسائى ولم يصرحا بإسمه . وقال النسائى ضعيف وضعفه ابن سعد . ولد ٩٦ أو ٩٣ هـ . ولى قضاء مصر فى خلافة المنصور فى مستهل ١٥٥ وصرف عنه ١٦٤ هـ ومات ١٧٤ هـ عن ٨١ سنة . {وفيات الأعيان ٣ / ٣٨ ـ طبقات الحفاظ ١٠١ ـ العبر ١ / ٢٦٤ ـ الضعفاء الصغير ١٩٠ ـ الضعفاء والمتروكين ٣٤٦ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢١١} .

عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم ، أبو عبدالرحمن المروزى . أحد الأئمة الأعلام . روى عن حُمَيد الطويل وحسين المعلم وسليمان التيمى وخلق ، وعنه معمر والسفيانان وهم من شيوخه والوليد بن مسلم وخلق . وكان صاحب حديث حافظاً . كان ثقة متثبتاً صحيح الحديث ، مات منصرفاً من الغزو سنة ١٨١ وله ثلاث وستون سنة . {طبقات الحفاظ ١١٧} .

عبدالله [أو عبيد الله] بن المغيرة الكنانى بن أبى بردة ، أبو المغيرة المصرى . له رواية أن مصر فتحت عنوة ، عن سفيان بن وهب الخولانى {توفى ٩١ هـ} وعنه يحيى بن ميمون ، وأن الزبير بن العوام أراد قسمتها بعد فتحها فأبى عمر بن الخطاب {فتوح مصر وأخبارها} . سمع من سفيان بن وهب الخولانى وعن ابن عباس ، وعنه أبو شيبة يحيى بن عبدالرحمن . توفى ١٣١ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٥٣} .

عبدالله بن هبيرة السبأى الحضرمى أبو هبيرة المصرى . له رواية أن مصر فتحت عنوة عنه ابن لهيعة {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن أبى تميم الجيشانى وقبيصة بن ذؤيب ، مات ابن هبيرة ١٢٦ هـ وروى عنه ابن لهيعة {مات ١٧٤} .

{الطبقات لخليفة بن خياط ٢٩٣ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢١٧} .

عبدالله بن وهب بن مسلم الفهرى القرشى مولاهم أبو محمد المصرى . له روايات عن بعث النبى ﷺ حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس وهدايا المقوقس إليه ، عن يونس بن يزيد وعنه أسد بن موسى ، وحكاية راعى الغنم بالقواصر عن عبدالرحمن بن شريح وعنه عبدالملك بن مسلمة وأن عمرو بن العاص أخرج ٥٠٠ فارس من وراء الجبل فدخلوا مغار بنى وائل إلى حصن بابليون عن عبدالرحمن بن شريح وأنه فرض عليهم فرضاً لأصحابه ، وأن عمر بعث الزبير فى ١٢٠٠٠ مدداً عن عبدالرحمن بن الحارث وعنه عبدالملك بن مسلمة ، وأنهم مكثوا أمام الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه عن الليث وعنه عثمان بن صالح ، وأنه كان لقريات عهد ، عن عمرو بن الحارث وعنه ابن لهيعة وأنه كان لأهل مصر عهد بستة شروط ، عن عبدالرحمن بن شريح وعنه عبدالملك بن مسلمة {فتوح مصر وأخبارها} . وعبدالله بن وهب أحد الأئمة وصاحب الإمام مالك . روى عن يونس بن يزيد وحيوة بن شريح وأسامة الليثى ومالك والثورى وخلق . وعنه الليث شيخه وابن مهدى وسعيد بن أبى مريم وسعيد بن منصور وخلائق . قال أحمد «ما أصح حديثه» وقال ابن معين «ثقة» وقال ابن حبان «حفظ على أهل مصر والحجاز حديثهم» وقال أحمد بن صالح «حدث بمائة ألف حديث» وقال ابن سعد «كان كثير العلم ثقة فيما قال وكان يدلس» . فقيه مالكى مصرى صحب الإمام مالك عشرين سنة وكان صالحاً خائفاً لله تعالى . و لد بمصر ١٢٤ أو ١٢٥ ومات ١٩٧ أو ١٩٩ عن ٧٤ سنة .

قرأ على ابن وهب كتابه فى أهوال القيامة فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام . {طبقات الحفاظ ١٢٧ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٦ ـ طبقات الشافعية ٣١ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٢٠٥ ـ شذرات الذهب ١ / ٣٤٨} .

عبدالله بن يزيد القصير مولى آل عمر أبو عبدالرحمن المصرى المقرىء ، نزيل مكة . روى عن أبى حنيفة وموسى ابن على وحيوة بن شريح ، وعنه البخارى وأحمد وإسحق وأبو خيثمة وخلق . له رواية عن إرسال عمرو بن العاص معاوية بن حديج إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية {فتوح مصر وأخبارها} . وثقه النسائى . توفى ٢١٣ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢١٩} .

عبد الملك بن جنادة نسبت إليه رواية أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سريج أن تكون جزية موتى القبط على أحيائهم وأنهم ليس لهم عهد {فى فتوح مصر واخبارها} .

عبد الملك بـن مسلمة بن جبر . له روايات أن عمر كتب إلى عمرو أن يسير لفتح مصر ، وتضحية عمرو عن أصحابه بكبش حين أدركه النحر وهو بالعريش (عن ابن لهيعة) وأن عمر أرسل ١٢٠٠٠ عليهم الزبير بن العوام إلى عمرو {عن ابن وهب} وأن أبا بكر بعث حاطباً إلى المقوقس فهادن قرى من الشرقية {عن ابن لهيعة} وأن عمرو دخل مصر بـ ٣٥٠٠ ثلثهم من غافق {عن ابن لهيعة} وأن المقوقس صالح عمرا عن القبط {عن إبن لهيعة} وعن معركة كوم شريك {عن ابن لهيعة} وعن تخيير أهل سلطيس بين الإسلام ودينهم وردهم إلى قراهم { عن ابن لهيعة } وأن مصر فتحت سنة ٢٠ وأن مصر فتحت عنوة {عن ابن لهيعة} ، وعن مؤذن المسجد ومن حضر مصر من الصحابة وأن عمرو اختط لعمر داراً عند المسجد {عن ابن لهيعة وعن ابن وهب} من كتاب «فتوح مصر وأخبارها» . روى عن الليث وابن لهيعة . قال ابن يونس «منكر الحديث» وقال ابن حبان «يروى المناكير الكثيرة عن أهل المدينة» ـ والمنكر ما لا يعرف متنه عن غير راويه وكان راويه ضعيفاً بعيداً عن درجة الضبط . متروك ، وقال أحمد بن حنبل أنه كان يكذب ، وقال يحيى ابن معين عنه إنه كذاب خبيث وقال الفسوى متروك مهجور ، لم يوثقه أحد {أبو حاتم} وقال الدارقطنى لايعتبر به . وثقه النيسابورى ولانعرف أحداً غيره وثقه . {المجروحين والضعفاء والمتروكين ٢ / ١٣٤} .

عبـد الملك بن يحيى بن عبـدالله بن بكير المخزومى . روى عن أبيـه عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص أقام ببابليون ٧ أشهر . {ولاة مصر} .

عبيدالله بـن أبى جعفر الكنانى المصرى ، أبو بكر الفقيـه مولى بنى أمية . روى عن حضور عمرو إلى مصر فى الجاهلية وحكاية كرة الذهب ورواها معه خالد بن يزيد وعنهما يحيى بن أيوب {ولاة مصر} وأن عمرو بن العاص خلا بعمر بن الخطاب لما قدم الجابيه بالشام عام ١٨ أو ١٩ وأستأذنه فى السير إلى مصر لفتحها حتى ركن عمر إلى ذلك فعقد له على أربعة آلاف أو على ٣٥٠٠ كلهم من عك {الفضائل الباهرة ـ فتوح مصر وأخبارها} . وعن حصار حصن بابليون وقدوم المدد إلى عمرو {فتوح مصر وأخبارها} وأن للقبط عهد أو أن ليس لهم عهد وقد روى عن أبى عبدالرحمن الحُبُلى والشعبى وعطاء ونافع ، وعنه ابن لهيعة وابن إسحق وآخرون . قال ابن سعد «ثقة فقيه زمانه» . مات ١٣٢ أو ١٣٥ أو ١٣٦ هـ . {طبقات الحفاظ ٥٦ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٢٠٢ ـ خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٩} .

عبيـد الله بن سعيـد بن كثير بن عفير الأنصارى ، أبو القاسم المصرى . روى أن عمرو بن العاص كان بفلسطين فتقدم إلى مصر بغير إذن فكتب إليه عمر ، وأنه تقدم حتى هزم الروم بالفرما {ولاة مصر ، عن أبيه وعنه على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى} . يروى عن أبيـه الثقات الأشياء المقلوبات ولايشبه حديثه حديث الثقات . قال الحسن بن اسحق الأصبهانى «لايجوز الإحتجاج بخبره إذا انفرد» . {المجروحين ٢ / ٦٧} .

عبيـد الله بن عبـدالله بن عتبة . الإمام الفقيه مفتى المدينة وعالمها وأحد الفقهاء السبعة ، أبو عبدالله الهذلى المدنى الأعمى ، وهو أخو المحدث عون . ولد فى خلافة عمر أو بعدها . ثقة كثير الحديث والعلم بالشعر ، حدث عن عائشة وأبى هريرة وعتبة (بن مسعود) وآخرين ، وحدث عنه الزهرى وضمرة بن سعيد وعراك بن مالك . توفى ٩٩ وقيل غير ذلك . له رواية عن ابن عباس أن عمر سأل هرمزان عن سبب انكشاف فارس عن الروم فأخبره {فتوح مصر وأخبارها} {سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٣ ـ تذكرة الحفاظ ١ / ٧٨ ـ الكاشف ٢ / ٢٠٠} .

عبيد الله بن محمد بن حفص المحاربى الكوفى {ابن عائشة} بن حفص التيمى . ورد ذكره من روايات حكاية النابغة أم عمرو بن العاص ، عن حماد بن سلمة {فى كتاب بلاغات النساء لابن طيفور} . روى عن ابن أبى ذئب وحمد بن مهاجر وعنه ابنه محمد والقاسم بن زكريا . قال ابن عدى «له مناكير» . {خلاصة تهذيب الكمال ٤٧٦ ، ٢٥٥} .

عبيد الله بن المغيرة بن أبى بردة ــ ينظر عبدالله بن المغيرة .

عثمان بن صالح بن صفوان السهمى ، مولاهم أبو يحيى المصرى . له روايات عن ظهور الروم وفارس على مصر وعن بناء حصن بابليون وزيارة عمرو لمصر فى الجاهلية ، وأن عمرو بن العاص سار ليلاً من قيسارية إلى مصر بعد استئذان عمر وعن قتاله بالفرما وأن عبدالله بن سعد كان على ميمنة عمرو وعن نزول المسلمين بالقواصر ثم بلبيس وحصار حصن بابليون ومجىء الزبير بن العوام على المدد وتسلقه الحصن ثم السير من الفسطاط إلى الاسكندرية وفتحها بعد حصارها وقتال مسلمة بن مخلد بها ، وبعث معاوية بن حديج إلى عمر بفتحها ومعاملة أهل سلطيس وقرى مصر أنهم لافَئْ ولاعبيد {فتوح مصر وأخبارها} وأن جيش المسلمين كان ١٥٥٠٠ {ولاة مصر} و {حسن المحاضرة} . وهو قاضى مصر روى عن مالك والليث وابن وهب وابن لهيعة وعنه البخارى والقاسم بن سلام ومحمد بن يحيى الذهلى . وثّقه ابن حبان . مات ٢١٧ أو ٢١٩ هـ . {خلاصة تهذيب الكمال ٢٦٠} .

عفان بن مسلم بن عبد الله الأنصارى ، مولى عزرة بن ثابت أبو عثمان البصرى الصفار . روى أن الزبير قال إنما جئنا للطعن والطاعون ، ووضعوا السلاليم فصعدوا عليها {عن حماد بن سلمة ـ فتوح البلدان} . أحد الأئمة الأعلام . عن هشام الدستوائى وشعبة وهمام وحماد بن سلمة وطبقتهم ، وعنه البخارى وأحمد واسحق وابن معين وابن المدينى وعمرو بن على وخلائق . قال العجلى ثقة ثبت صاحب سنة ولم يجب فى المحنة . وقال أبو حاتم إمام ثقة متقن متين . وقال ابن عدى «عفان أوثق من أن يقال فيه شىء» . اختلط ٢١٩ ومات ٢٢٠ هـ . {طبقات الحفاظ ١٦٣ ـ خلاصة تهذيب الكمال ٢٦٨} .

على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى ، أبو القاسم المصرى المحدث . له رواية أن عمرو بن العاص كان بفلسطين فسار إلى مصر بغير إذن فكتب إليه عمر {ولاة مصر} . وأنه

كان على حصن بابليون جريج بن مينا {النجوم الزاهرة} وأن جيش عمرو بن العاص كان ١٥٥٠٠ . روى عن محمد بن رمح وحرملة {حسن المحاضرة} وعبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم . توفى ٣١٢ هـ .

عُلَىّ بن رباح اللخمى بن قصير {أو قيصر} أبو عبدالله المصرى . له رواية أن أبا بكر الصديق بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس وأنه عقد هدنة مع قرى من الشرقية ، ورواية بأن عمرو بن العاص بعث معاوية بن حديج إلى عمر بفتح الإسكندرية {فتوح مصر وأخبارها} . ثقة ، روى عن زيد بن ثابت وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وأبى قتادة ومسلمة بن مخلد وعنه ابنه موسى ويزيد بن أبى حبيب . وثقه النسائى . قيل مات بعد ١١٠ وقيل ١١٧ هـ . {الطبقات الكبرى ٧/٢/٢٠١ ـ خلاصة تهذيب الكمال ٢٧٣} .

على بن سهل بن قادم النسائى أبو الحسن ، الرملى ، عن الوليد بن مسلم ، ثقة مات ٢٦١ هـ ، روى عن فتح النوبة وعن رماة الحدق . {تاريخ الأمم والملوك} ـ {خلاصة تهذيب الكمال} .

عمرو بن الحارث {أو حريث} بن يعقوب الأنصارى مولى قيس بن سعد بن عبادة ، أبو أمية المصرى الفقيه المقرئ أحد الأئمة . له روايات أن عمر بعث الزبير بن العوام على ١٢٠٠٠ مددا لعمرو وأنه كانت لقريات من مصر عهد {فتوح مصر وأخبارها} عن أبيه والزهرى وعمرو بن شعيب وخلق ، وعنه شيخه بكير بن الأشج والليث ومالك وابن وهب وخلق . وثّقه ابن معين ، وقال ابن وهب لو بقى لنا عمرو ما احتجنا إلى مالك . مات ١٤٨ هـ . {وفيات الأعيان ٣ / ٣٩ ـ خلاصة تهذيب الكمال ٢٨٧} .

عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، وعنه ابن لهيعة ، عن الراهب يموت وليس له وارث فيؤول ماله إلى بيت المال وعن التقاء خيل المقوقس وخيل عمرو بعين شمس . «فتوح مصر وأخبارها» و «تاريخ الأمم والملوك» . وعنه أبو سعيد الربيع بن النعمان .

عمرو الناقد هو عمرو بن محمد أبو عثمان الناقد . روى أن عمرو بن العاص جاء إلى مصر ومعه ٣٥٠٠ ثم جاءه الزبير فى ١٢٠٠٠ وأن مصر فتحت بغير عهد فأراد الزبير قسمتها ولكن عمر لم يقبل {فتوح البلدان} . سكن بغداد لأربع أو ست خلون من ذى الحجة

٢٣٢ هـ وكان ينزل الرقة . روى عن إسماعيل بن علية وهشيم وابن عيينة وعفان وخلق . روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وحاتم . قال ابن سعد «ثقة صاحب حديث ثبت» . وكتب عنه أهل بغداد كتبا كثيرة وكان فقيهاً ومن الحفاظ المعدودين . {طبقات الحفاظ ١٩٤} .

عوف بن حطان له رواية أن أهل بعض القرى ظاهروا الروم على المسلمين فأراد بعض المسلمين أن يجعلوهم فيئا ، فلم يقبل عمر بن الخطاب وإنما خيرهم بين أن يدخلوا فى الإسلام أو يرجعوا إلى قراهم . وأورد ذلك كتاب «فتوح مصر وأخبارها» عن يزيد بن أبى حبيب عنه .

عياش بن عباس القِتباني الحميري المصري أبو عبدالرحيم أو عبدالرحمن . له روايات ، أن عمرو بن العاص خلا بعمر فى الجابية عام ١٨ هـ ليسمح له بفتح مصر حتى ركن عمر إلى ذلك وعقد له على أربعة آلاف كلهم من عك {أو على ثلاثة آلاف وخمسمائة} وعنه عبيد الله بن أبى جعفر ، وأن عمرو حاصر حصن بابليون ثم استمد عمر فأمده بأربعة آلاف عليهم أربعة الرجل منهم بألف ، وحكاية عن قتال الإسكندرية حكاها عنه ضمام بن إسماعيل {فتوح مصر وأخبارها ـ الفضائل الباهرة} . وقد روى عياش عن أبى سلمة وأبى الخير اليزني وأبى عبدالرحمن الحُبُلي وواهب بن عبدالله المعافري والهيثم بن شُفَي وبكير بن الأشج وعنه سعيد بن أبى أيوب والمفضل بن فضالة والليث . وثقه أبو داود . توفى ١٣٣ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٠٠} .

عياض بن عبدالله بن عبدالرحمن الفهري المدني ثم المصري . روى أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عقد ولا عهد {فتوح مصر وأخبارها . عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن وعنه ابن وهب} . روى عن الزهري وأبى الزبير وعنه الليث بن سعد وعبدالله بن وهب . وثّقه ابن حبان وقال أبو حاتم «ليس بالقوى» . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٠٠} .

عيسى بن حماد بن مسلم التجيبي مولاهم ، أبو موسى المصري . له رواية عن حملة لعبادة بن الصامت على بعض الروم عند حصن بابليون {فتوح مصر وأخبارها} . عن الليث

وابن وهب وعنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ووثقه . مات ٢٤٨ هـ . {حسن المحاضرة ١ / ٢٨٨ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٠١} .

أبو فراس عنه أبو نضرة عن خطبة لعمر بن الخطاب أنه يقتص من الولاة إذا عَدَواْ على رعاياهم . «فتوح مصر وأخبارها» .

القاسم بن سلام الأزدي مولاهم ، حدث أن المغرب فتح كله عنوة (وكانت مصر معدودة من المغرب) {عن عبدالله بن صالح فى فتوح البلدان} . وهو أبو عبيد البغدادي صاحب التصانيف وأحد الأعلام الأئمة ، كان أبوه عبداً رومياً . روى عن هشيم وابن عيينة وابن المبارك ، وعنه عباس الدوري ومحمد بن اسحق الصاغاني . قال اسحق «أبو عبيد أفقه منى وأعلم» ، وقال أحمد «أبو عبيد أستاذ» وقال أبو داود «ثقة مأمون» وقال الدارقطني «جبل إمام» . توفى بمكه ٢٢٤ وكان ذا دين وسيرة جميلة ، حسن الرواية صحيح النقل . ولد ١٥٠ هـ . {طبقات الحفاظ ١٧٩ ـ وفيات الأعيان ٤ / ٦٠ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣١٢} .

القاسم بن عبدالله بن عمر بن حفص العمري المدني . له رواية أن عمر بن الخطاب كتب أن يختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص وأن تجز نواصيهم {عن عبدالله بن دينار ، فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها»} . روى عن ابن المنكدر عمرو بن شعيب وعنه سعيد بن أبى مريم وقتيبة . قال أبو حاتم «متروك» وقال أبو نعيم الأصفهاني «ليس بشىء ، قاله على بن المديني ويحيى بن معين» وقال البخاري «سكتوا عنه» وقال أحمد «كان يكذب» وكذلك قال ابن معين «كذاب خبيث» وقال ابن حبان «كان ردىء الحفظ كثير الوهم ممن يقلب الأسانيد حتى يأتى بالشىء الذى يشبه المعمول» . ووَهّاه غير واحد . وقال الفسوي «متروك مهجور» وذكره فيمن لايرغب فى الرواية عنهم . ولم يوثقه أحد . {الضعفاء ، للبخاري ٩٥ ـ التاريخ الصغير ، للبخاري ٢ / ١٤٢ ـ المجروحين ٢ / ٢١٢ ـ كتاب الضعفاء لأبى نعيم الأصبهاني ١٣١} .

القاسم بن قزمان ، عن زياد بن جَزْء الزبيدي وعنه محمد بن اسحق ، عن فتح الريف وفتح الإسكندرية «تاريخ الأمم والملوك» .

أبو قبيل {حى بن ناضرة ، أو ابن هانىء} عن عبدالله بن عمرو وعنه ضمام بن إسماعيل المعافرى ، عن معركة الكريون وعنه عبدالملك بن مسلمة عما وجد عمرو بالإسكندرية بعد فتحها . «فتوح مصر وأخبارها» .

قيس بن الحجاج الكُلاعى السلفى المصرى عن حنش الصنعانى وعنه عمرو بن الحرث والليث وابن لهيعة . وثقه ابن حبان قال أبو حاتم صالح الحديث . مات ١٢٩ هـ . فى فتوح مصر وأخبارها وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم عن تقليد إلقاء فتاة فى النيل فى ١٢ بؤونة . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٢١} .

كعب بن ماتع الحميرى ، أبو اسحق الحبر ، المعروف بكعب الأحبار من آل ذى رعين أو من ذى الكلاع ثم من بنى ميتم ، من مسلمة أهل الكتاب ، عن عمر وصهيب ، وعنه أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين . خَرَّجَ له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى . توفى ٣٢ هـ . بحمص فى خلافة عثمان . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٢١} .

الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمى أبو الحارث مولاهم . روى أن عمرو ضحى بكبش عن أصحابه حين أدركه عيد النحر وهو بالعريش ، وأن المقوقس صالح عمرو بن العاص عن القبط ، عن يزيد بن أبى حبيب وعنه عبدالله بن صالح {فتوح مصر وأخبارها} . عالم مصر وإمامها وفقيهها ورئيسها وأشهرهم فى القرن الثانى . روى عن سعيد المقبرى وعطاء ونافع وقتادة والزهرى وخلائق ، وعنه أمم . قال الشافعى «كان أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . ولد ٩٣ أو ٩٤ بقرية قلقشندة بالقليوبية وكانت أسرته من أصبهان وتوفى ١٧٥ هـ ٧٩١ م . {طبقات الحفاظ ٩٥ ـ الوفيات لابن قنفذ ١٣٩ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٢٣} .

مالك بن أنس بن مالك . روى أن مصر فتحت سنة عشرين {عنه عبد الملك بن مسلمة فى فتوح مصر وأخبارها} . إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد ٩٣ هـ {وقيل بين ٩١ و ٩٥} بالمدينة . سمع الزهرى ونافعاً مولى عبدالله بن عمر وأبا الزبير وغيرهم من التابعين . كان صلباً بعيداً عن الأمراء والملوك . توفى بالمدينة ١٧٩ ودفن بالبقيع. {الوفيات لابن قنفذ ١٤١} .

مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى أبو عمرو الكوفى أحد الأعيان ، عن الشعبى وأبى الوداك وطائفة وعنه ابنه اسماعيل والثورى وابن المبارك وخلق ، وضعفه ابن معين ، وقال ابن عدى عامة ما يرويه غير محفوظ وقال النسائى ثقة وفى موضع آخر ليس بالقوى ، خرج له مسلم مقروناً مات ١٤٤ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٦٩} .

محمد بن داود بن رزق بن داود بن ناجية المهرى . روى عن حكاية قدوم عمرو بن العاص إلى مصر فى الجاهلية ووقوع كرة الذهب فى حجره ، وأن عمرو استأذن عمر فى فتح مصر ، {عن زياد بن يونس الحضرمى وعنه السكن بن محمد بن السكن التجيبى وأبو سلمة بن أسامة التجيبى ـ ولاة مصر} . روى عن أبيه وابن عيينه وابن وهب وحمزة بن ربيعة . قال ابن يونس مات ٢٥١ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال} .

محمد بن رمح بن المهاجر التجيبى مولاهم المصرى أبو عبدالله المصرى ، الحافظ ، روى عن الليث وابن لهيعة وحكى عن مالك ، وثقة أبو داود وقال النسائى ما أخطأ فى حديث قط . توفى ٢٤٢ .

محمد بن زيان بن حبيب الحضرمى ، روى عن قدوم عمرو إلى مصر فى ٣٥٠٠ ثلثهم من غافق ثم جاءها الزبير بن العوام فى ١٢٠٠٠ مددا له {عن الحارث بن مسكين ـ ولاة مصر} .

محمد بن سعيد الهاشمى له رواية أن ٧٠٠٠٠ من اليهود رحلوا عن الإسكندرية لدى دخول عمرو {عنه هانىء بن المتوكل ـ فتوح مصر وأخبارها} . يقال مولى بنى هاشم ويقال الشامى ويقال الأردنى ويقال الأزدى ويقال الأسدى ويقال الطبرى . قال «إنى لأسمع الكلمة الحسنة فلا أرى بأساً أن أنشىء لها إسناداً» . وكان يضع الحديث على الثقات ويروى عن الأثبات ما لا أصل له قال عنه أحمد بن حنبل كان كذاباً وكان عمداً يضع الحديث . وقال سفيان الثورى أنه كذاب . متروك الحديث قال النسائى عنه «غير ثقة ولا مأمون» وكان من أصحاب مكحول وغيروا اسمه ستراً له وتدليساً لضعفه وقال ابن حيان «لايحل ذكره فى الكتب إلا على سبيل القدح فيه ولا الرواية عنه بحال من الأحوال» {الضعفاء للأصبهانى

١٣٧ ـ الضعفاء الصغير {وهامشه} ١٠٠ ـ الضعفاء والمتروكين ٩٢ ـ المجروحين لابن حبان ٢٤٨ ـ المعرفة والتاريخ ١ / ٧٠٠} .

محمد بن يحيى الإسكندرانى . روى عن قتال الإسكندرية ونزول عمرو بحلوة شهرين ثم تحوله إلى المقس وأنه قتل بكنيسة الذهب ١٢ رجلاً من المسلمين {فتوح مصر وأخبارها} عن مالك . قال ابن يونس «روى مناكير» وفى الثقات لابن حبان محمد بن يحيى الإسكندرانى يروى عن العلاء بن كثير . روى عنه يحيى بن بكير وهانى بن المتوكل ، ليس بمشهور وعن أبى زرعة أنه ثقة مصرى وسمى جده زكريا . آخر من حدث عنه مقدام بن داود . {لسان الميزان ٥ / ٤٢٣} .

محمد بن يوسف الكندى التجيبى ، أبو عمر . مؤرخ نسابة محدث . ولد بمصر ١٠ ذى الحجة ٢٨٣ وتوفى ٣٥٠ هـ . من تصانيفه فضائل مصر المحروسة ، والولاة والقضاة . {معجم البلدان ٣ / ٧٩١} .

مروان بن يحيى الحاطبى عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن أدعج ، وعنه أحمد بن سعيد الفهرى ، عن حوار حاطب بن أبى بلتعة مع المقوقس . «فتوح مصر وأخبارها» .

معاوية بن حُدَيْج التجيبى المصرى . بعثه عمرو بن العاص إلى عمر بفتح الإسكندرية {فتوح مصر وأخبارها} . قال البخارى له صحبة وشهد فتح مصر وذهبت عينه يوم دمقلة {دنقلة} من بلاد النوبة ، وولى غزو المغرب . روى عن أبى ذر ، وعنه ابنه عبدالرحمن وعلى بن رباح . مات ٥٢ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٨١} .

معاوية بن يحيى الصدفى ، الدمشقى ، يكنى أبا روح ، كان على بيت المال بالرى . روى عن مكحول والزهرى ويونس بن ميسرة . وعنه هقل بن زياد وعيس بن يونس . قال عنه يحيى بن معين أنه لاشىء . وقال أبو زرعة عنه «ليس بالقوى ، أحاديثه كلها مقلوبة» . روى عن انكشاف فارس عن الروم . {فتوح مصر وأخبارها} ـ {الجرح والتعديل ٨ / ٣٨٣} .

مهدى بن ميمون الأزدى المِعْوَلى مولاهم أبو يحيى البصرى ، روى عن الحسن وابن سيرين وهشام بن عروة وغيرهم ، وعنه هشام بن حسان وابن مهدى وعفان ومسدد وخلق .

مات ١٧١ أو ١٧٢ . روى أن عمر قال من ضرب من عماله أحداً فإنه يقتص منه {فتوح مصر وأخبارها} ـ {طبقات الحفاظ ١٠٣} .

موسى بن أيوب بن عامر الغافقى المصرى . حكى عن بعض صفات الإسكندرية ورحيل الروم عنها وأن مصر فتحت صلحاً {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن عمه إياس بن عامر ، وعنه الليث وابن المبارك وهانىء بن المتوكل وابن لهيعة . وثّقه يحيى بن معين وأبو داود وابن المدينى . مات ١٥٣ . {حسن المحاضرة ١ / ٢٧٨ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٨٩} .

موسى بن عُلَىّ بن أبى رباح اللخمى أبو عبدالرحمن أمير مصر . روى أن عمرو بن العاص بعث معاوية بن حديج إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية {فتوح مصر وأخبارها} عن أبيه وابن المنكدر وجماعة ، وعنه أسامة الليثى وعبدالله بن يزيد المقرىء وطائفة . وثّقه النسائى وأبو حاتم وابن معين وأحمد والعجلى . ولى مصر لأبى جعفر المنصور وتوفى ١٦٣ بالإسكندرية . {الطبقات الكبرى ٧/٢/٢٠٣ ـ الطبقات لابن قنفد ٢٩٦ ـ ولاة مصر ١٤١ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٩٢} .

أبو نضرة {المنذر بن مالك البصرى} عن أبى فراس وعنه سعيد الجريرى ، عن خطبة عمر بن الخطاب أنه يقتص من ولاته إذا عَدَوْا على رعاياهم . «فتوح مصر وأخبارها» .

النضر بن عبدالجبار ، **أبو الأسود** المرادى المصرى الزاهد العابد . روى عن ابن لهيعة أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة وأن عمر بن الخطاب أرسل فى أثره الزبير فى اثنى عشر ألفاً وأن مصر فتحت بغير عقد ولا عهد . {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن الليث وابن لهيعة والمفضل بن فضالة ، وعنه أحمد بن صالح ومحمد بن يحيى وابن عبد الحكم . قال أبو حاتم «صدوق» وقال النسائى «ليس به بأس» وثّقه ابن معين . توفى ٢١٩ هـ. {وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٦ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٠٢ ـ حسن المحاضرة ١ / ٢٨٧} .

هانى بن المتوكل الإسكندرانى . له رواية عن رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس وهدايا

المقوقس للنبى وعن مأبور قريب مارية القبطية ، {فتوح مصر وأخبارها عن ابن لهيعة} ورواية عن رجل أصيب له جمل فعوضه عمرو بجملين {عن عبدالرحمن بن شريح} وأن عمرو فى فتح الاسكندرية نزل بحلوة شهرين ثم تحول إلى المقس وقُتل من المسلمين بكنيسة الذهب إثنا عشر رجلاً {عن محمد بن يحيى الاسكندرانى} ورواية عن بعض الأرقام عن الاسكندرية وأن مصر فتحت صلحاً إلا الاسكندرية وأنه قتل من المسلمين فى فتحها اثنان وعشرون رجلاً {عن ضمام بن اسماعيل المعافرى ، وموسى بن أيوب ورشدين بن سعد} . وهانى بن المتوكل هو آخر من حدث عن حيوة بن شريح . وهو أبو هاشم المالكى الفقيه . روى عن مالك ومعاوية بن صالح وعنه بقى بن مخلد وجماعة . وعمّر دهراً طويلاً لعله أزيد من مائة سنة . قال ابن حبان «كانت تدخل عليه المناكير وكثرت فلا يجوز الإحتجاج به بحال» . وقال ابن القطان «لايعرف حاله» وقال أبو حاتم الرازى «أدركته ولم أكتب عنه» . {المجروحين والضعفاء والمتروكين ٣ / ٩٧} .

هشام بن أبى رقية اللخمى له رواية أن رجلاً أخفى كنزاً فقتله عمرو {عنه الحسن بن ثوبان الهمدانى ـ فتوح مصر وأخبارها} وأن مصر فتحت عنوة ولم تحدد قيمة الجزية ، وعن سبب نقض أهل الإسكندرية عهدهم {حسن المحاضرة} لم نجد له ذكر فيما رجعنا إليه من كتب الرجال .

هشام بن إسحق العامرى له روايات عن كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس بعد الحديبية وعن حواره مع حاطب ، وأن للقبط ثلاث كتب بعهد وأن بها ستة شروط للقبط ورأى المقوقس فى عمار مصر وخرابها {فتوح مصر وأخبارها} .

هشام بن سعد القرشى ـ مولاهم . روى أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص يستغيثه عام الرمادة فأجابه عمرو يستصعب حفر الخليج فهدده عمر واستجاب عمرو {فتوح مصر وأخبارها} يتيم زيد بن أسلم روى عنه فأكثر وهو أثبت الناس فى زيد بن أسلم ، وروى عنه نافع . وعنه الليث بن سعد وابن مهدى . ضعّفه ابن معين والنسائى وابن عدى ، وقال أبو زرعة شيخ محله الصدق . مات ١٦٠ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال} .

هشام بن عروة بن الزبير بن العوام من أكابر العلماء وجلة التابعين المشهورين . ولد ٦١ هـ وتوفى ١٤٦ هـ . عنه أبو عبد الله البرجمى عن قتل عمر بن الخطاب . {تاريخ الأمم والملوك ـ الطريق إلى دمشق} .

الهِقْل بن زياد السَّكْسَكى الدمشقى ، أبو عبدالله ، روى عن الأوزاعى والمثنى بن الصباح ، وعنه ابنه محمد وأبو صالح كاتب الليث والحكم بن موسى وأبو مُسْهَر وهشام بن عمار وآخرون . وكان أعلم الناس بالأوزاعى وبمجلسه وحديثه وفتواه . وكان صالحاً وكان حافظاً متقناً مات ١٧٩ . {طبقات الحفاظ ١١٩ ـ الجرح والتعديل ٩/١٢٢} .

يحيى بن أزهر . روى عن الحجاج بن شداد أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر أنه اختط له داراً عند الجامع فكتب له عمر أن يجعلها سوقاً {فتوح مصر وأخبارها} .

يحيى بن أيوب الغافقى أبو العباس المصرى . له روايات عن قدوم عمرو بن العاص إلى مصر فى الجاهلية وحكاية كرة الذهب {عن خالد بن يزيد وعبيد الله بن أبى جعفر وعنه ابن لهيعة وزياد بن يونس الحضرمى ـ فتوح مصر وأخبارها وولاة مصر} ومفاتحته عمر بن الخطاب فى فتح مصر ١٩ هـ . كما روى عن معارك سلطيس وكريون والإسكندرية وعن سبى سلطيس وأن مصر فتحت عنوة {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن جعفر بن ربيعة وبكير بن الأشج ويزيد بن أبى حبيب وأبى حنيفة ومالك ، وعنه ابن حديج والليث وابن وهب . وثّقه ابن معين ويعقوب بن سفيان وضعّفه النسائى وقال «ليس بذاك القوى» ، وقال أحمد «سيء الحفظ» وقال أبو حاتم «محله الصدق ولا يحتج به» . وقال ابن معين «يكتب حديثه ولايحتج به» وقال ابن سعد «كان منكر الحديث» احتج به الستة وتوفى ١٦٨ هـ . {الضعفاء والمتروكين للنسائى ٦٢٦ ـ طبقات الحفاظ ـ الطبقات الكبرى ٧/٢/٢٠٤ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٢١} .

يحيى بن خالد العدوى من الرواة عن حضور عمرو إلى مصر فى الجاهلية وحكاية كرة الذهب ، وأن عمر كتب إلى عمرو بالسير إلى مصر {عن الليث ، فتوح مصر وأخبارها} وعن حصار وصلح الإسكندرية وأن مصر فتحت بعضها بذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب جميعاً ذمة .

يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة اللخمى أبو محمد المدنى . من الرواة عن رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس وهدايا المقوقس {فتوح مصر وأخبارها} . روى عن أبيه وأسامة بن زيد ، وعنه زيد بن أسلم ومحمد بن عمرو بن علقمة . وثقه النسائى ، له فى صحيح مسلم فرد حديث . مات ١٠٤ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٢٥} .

يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومى مولاهم ، أبو زكريا المصرى الحافظ . له روايات عن القتال فى الكريون وعن موت هرقل ٢٠ هـ وعن وصف الإسكندرية وأن عمرو حاصر حصن بابليون ٧ أشهر حتى فتحه وأن القبط بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم {فتوح مصر وأخبارها ـ ولاة مصر} . روى عن مالك والليث وبكر بن مضر وخلق ، وعنه البخارى وحرملة بن يحيى وابن معين وأبو زرعة وضمام بن إسماعيل المعافرى . ضعَّفَه النسائى ووثقه ابن حبان واحتج به البخارى ومسلم . كان إماماً غزير العلم عارفاً بالأثر . توفى ٢٣١ . {طبقات الحفاظ ١٨ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٢٥} .

يحيى بن عبدالله بن داود ، عنه ابن مقلاص أن عمرو بن العاص وجد بالإسكندرية ١٢٠٠٠ بقال {فتوح مصر وأخبارها} .

يحيى بن عثمان بن صالح ، أبو زكريا السهمى المصرى . روى أن جيش عمرو بن العاص كان ١٥٥٠٠ ، وأن عمروا مات ولم يترك إلا سبعة دنانير {ولاة مصر} . روى عن أبيه وعبدالغفار الحرانى . قال ابن أبى حاتم «يتكلمون فيه» ، كان عالماً بأخبار البلدان وبموت العلماء وكان حافظاً للحديث وحدث بما يوجد عند غيره . توفى ٢٨٢ أو ٢٢٨ على خلاف . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال} .

يحيى بن أبى معاوية التجيبى . عن خلف بن ربيعة وعنه الكندى أن مصر فتحت أول محرم ٢٠ هـ {ولاة مصر} .

يحيى بن ميمون الحضرمى المصرى أبو عمرة القاضى ، له رواية عن عبيد الله بن المغيرة وعنه ابن لهيعة أن عمر بن الخطاب أقر مصر على حالها ولم يقبل قسمتها {فتوح مصر وأخبارها} ورواية أن عمرو صالح عن جميع من فى مصر من الذكور البالغين فبلغوا ثمانية

ملايين {عنه ابن لهيعة ويزيد بن أبى حبيب} . روى عن سهل بن سعد وأبى سالم الجيشانى ، وعنه عياش بن عقبة وعمرو بن الحارث . قال أبو حاتم «صالح الحديث» وقال النسائى «ليس به بأس» . ذكره خليفة بن خياط فى الطبقة الثانية من أهل الشامات ، وفى طبقات ابن سعد «أبو المعلى العطار إسمه يحيى بن ميمون وكان ثقة كثير الحديث» . {الطبقات لخليفة بن خياط ٢١٧ ، ٣١١ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٣١ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٢٨} .

يزيد بن أبى حبيب ، مولى شريك بن الطفيل الأزدى ، أبو رجاء المصرى . له روايات عن رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس وهدايا المقوقس إليه . وأن عمرو بن العاص سار ليلاً من قيسارية إلى مصر بعد استئذان عمر وأنه دخل مصر بجيش قوامه ٣٥٠٠ ثلثهم من غافق ثم أمده عمر بالزبير بن العوام على ١٢٠٠٠ ، وأن عمرو ضحى فى العريش بكبش عن أصحابه وأن المقوقس صالحه عن القبط ، وعن رد سبى بلهيب وسلطيس وأن المقوقس كان رومياً وأن الروم قطعوا رأس رجل من مهرة فقطعت مهرة رأس رجل من الروم وأن حصار الاسكندرية كان أشهراً وأن عمرو استحل مال قبطى لأنه ظاهر الروم وكان يطلعهم على عورات المسلمين وأن للقبط ستة شروط فى صلحهم ، ورواية أخرى بأن مصر فتحت بغير عهد ورواية أنها فتحت صلحاً «فتوح مصر وأخبارها ـ وفتوح البلدان ـ والفضائل الباهرة ـ وولاة مصر» . ويزيد فقيه مصر وشيخها ومفتيها وعالمها وأبرز رجالها فى القرن الثانى الهجرى . روى عن عبدالله بن الحارث بن جزء وسالم ونافع وعكرمة وأبى الخير اليزنى وعطاء وطائفة من التابعين وتابعيهم ، فهو من الطبقة الثالثة من تابعى مصر {عن ابن سعد} . وعنه يزيد {أو زيد} بن أنيسة وحيوة بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد ويحيى بن أيوب وخلق . كان حليماً عاقلاً ، وقال الليث يزيد عالمنا وسيدنا وقال ابن سعد ثقة كثير الحديث . وكان أبوه من سبى دنقلة الذى كان تؤديه النوبة إلى مصر بمقتضى اتفاقية البقط ، وكان يزيد من مفتى مصر زمن عمر بن عبدالعزيز ، ونقل كثيراً من أخبار فتح مصر . ولد ٥٢ هـ ومات ١٢٨ هـ ٧٤٥ م . {الطبقات لخليفة بن خياط ٢٩٤ ـ طبقات الحفاظ ٥٢ ـ الطبقات الكبرى ٢٠٢/٢/٧ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٣٠ ـ تاريخ وآثار مصر الإسلامية ٢١٥} .

يعقوب بن مجاهد القرشى ، مولاهم . له رواية عن زيد بن أسلم أنه كان لعمر بن الخطاب تابوت فيه كل العهود فلم يكن به عهد لأهل مصر وعنه عبدالرحمن بن شريح {فتوح مصر وأخبارها} وهو أبو حَزَرة المدنى القاضى ، روى عن القاسم بن محمد ومحمد بن كعب وعنه إسماعيل بن جعفر والواقدى . وثّقه النسائى . قيل مات ١٥٠ هـ . {خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٣٧} .

يوسف بن عدى روى عن مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر وأبى المليح وغيرهم . وروى عنه أُبَى وأبو زرعة . قال عبدالرحمن سئل أُبَى عنه فقال ثقة ، وسئل أبو زرعة عنه فقال «ثقة» ، ذهب إلى مصر فى التجارة ومات بها . {الجرح والتعديل ٩ / ٢٢٧} .

يونس بن يزيد الأموى مولاهم أبو يزيد الأيلى . روى عن بعث حاطب إلى المقوقس وهداياه إلى النبى ﷺ عن ابن شهاب وعنه عبدالله بن وهب {فتوح مصر وأخبارها} وعن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة . عنه وهب الله بن راشد {ولاة مصر} . روى يونس عن عكرمة والقاسم ونافع وطائفة وعنه الأوزاعى وعمرو بن الحارث والليث وخلق . قال ابن مهدى وابن المبارك «كتابه صحيح» وقال أحمد بن صالح نحن لانقدم أحداً على يونس فى الزهرى ، ووثّقه النسائى وغيره . وقال ابن سعد «ليس بحجة» ، ربما جاء بالشىء المنكر . قال البخارى توفى ١٥٩ بالصعيد وقيل مات ١٥٢ هـ . أخرج له البخارى ومسلم فى صحيحيهما . {طبقات الحفاظ للسيوطى ٧١ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٤١ ـ شذرات الذهب ١ / ٢٣٣} .

وقبل أن نفرغ من ذكر الرواة نعرض لكتاب نهل منه عديد من الباحثين ، سبق أن تعرضنا له فى كتابنا «الطريق إلى دمشق» ، ذلك هو ما اشتهر بعنوان «فتوح الشام للواقدى» ، والكتاب ليس للواقدى ولا هو كتاب صحيح ، إنما نتناوله للتحذير منه .

وسبب تعرضنا له هنا مرة أخرى أن به نحو مائة صفحة عن فتح مصر امتلأت بأخبار غير صحيحة ، مثل مشاركة خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان فى فتح مصر وأن عملية الفتح كانت حرباً بين المسلمين وقبط مصر ، وأن حاطب بن أبى بلتعه وهو يحمل

رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس تقاتل مع رجال فى الطريق وقتلهم ، وأنه كان للمقوقس ابن إسمه أرسطوليس قتل أباه وقعد مكانه ، كما اخترع حكاية ابنة للمقوقس أسماها أرمانوسة تزوجت ابناً لهرقل اسمه فلسطين ووقعت فى أسر المسلمين فأعادها عمرو بن العاص معززة مكرمة إلى أبيها ، وأن عمرو عمد إلى كنيستهم وعملها جامعاً وهو المعروف به ، وأنه وقعت معركة بين المسلمين والقبط فى مكان أسماه بحر الحصى فأطبق المسلمون عليهم حتى صاروا كأنهم طيور وقعت عليهم شبكة صياد ... الخ . ونقتبس هنا صفحات قلائل مما ذكرنا عن ذلك الكتاب فى كتابنا «الطريق إلى دمشق» .

الواقدى محمد بن عمر بن واقد الأسلمى الواقدى . أحد الأعلام وقاضى العراق وبغداد . روى عن ابن عجلان وابن حديج ومالك وكثير غيرهم ، كما سمع من مالك بن أنس وسفيان الثورى ومعمر بن راشد وغيرهم . وروى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهرى صاحب الطبقات الكبرى وجماعة من أعيان الرواة وكان عارفاً برأى مالك والثورى .

ولد الواقدى سنة ١٣٠ هـ وتوفى عام ٢٠٧ هـ . وقال البخارى مات سنة ٢٠٩ هـ أو بعدها بقليل .

أئمة أجلاء كثيرون يجرّحون الواقدى مثل على المدينى ويحي بن معين وأحمد بن حنبل وابن عدى والدارقطنى والبخارى وابن حجر وزكريا بن يحيى الساجى [1] ومعمر والنسائى [2] وإبن راهويه والشافعى . وأئمة أجلاء كثيرون مثل الأمام مالك ومحمد بن الحسن وأبو عبيد بن القاسم بن سلام الثقة المشهور وياقوت الحموى وإبراهيم بن إسحق الحربى ومحمد بن إسحق صاحب الفهرست ومصعب بن الزبير والحافظ الدراوردى ومحمد بن سلام الجمحى والخطيب البغدادى يعدّلونه ! وقد لاحظ المستشرق فِلْهَوْزِن [3] أن روايات الواقدى يغلب عليها معرفة التواريخ، وقد لاحظنا ذلك أيضاً .

---

(١) لسان الميزان ٧ / ٥٢١ ـ ٥٨٦٩ .
الفتنة ووقعة الجمل ـ المقدمة ص ٧ .
(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين ١٢٣ .
(٣) تاريخ الدولة العربية ـ المقدمة صفحة خ .

وقد لاحظنا ملاحظات تضع الباحث من أمر الواقدى فى أشد الحيرة ، فإن بعض أولئك الذين يجرحونه أو يعدلونه وإن كانوا قد عاصروه فقد كانوا يسبقونه زمنياً فى عصره ومنهم من مات قبله ، فقد توفى الشافعى عام ٢٠٤ هـ قبل الواقدى بسنوات ثلاث أو خمس ، وتوفى الإمام مالك عام ١٧٩ هـ قبل الواقدى بثمان وعشرين عاماً . أما مصعب بن الزبير فقد توفى عام ٧٢ هـ قبل مولد الواقدى بثمان وخمسين عاماً ، إلا أن يكون المقصود خلاف مصعب بن الزبير بن العوام . الحق نقول إن فى النفس شىء مما نقل عن الواقدى جرحاً وتعديلاً .

لقد رجعنا ننظر فى كتاب «فتوح الشام» المنسوب إلى الواقدى ، وهو الذى يهمنا فى بحثنا هذا ، فوجدناه مليئاً بالمبالغات الظاهرة والعبارات المسجوعة على ألسنة أبطال الفتوح خلافاً لأسلوب عصرهم . ولكن الواقدى [1] فيما نسب إليه يدافع عن كتابه بقوله «والله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ما اعتمدت فى خبر هذه الفتوح إلا الصدق وما أخذته إلا عن قاعدة الصدق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله ﷺ لأرغم بذلك أهل الرفض والخارجية عن السنة والفرض ، إذ لولاهم بمشيئة الله عز وجل لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين ، فلله درهم ، لقد جاهدوا وصابروا وثبتوا للقاء العدو وبذلوا جهدهم وما قصروا حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتهيأ لمسيره وأزالوا كسرى وقيصر والجلند بن كركى ، حتى علا الإسلام وظهر ، وذل الكفر وتقهقر ، لا جرم قال الله فيهم : «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» .

لقد اطلعنا على ثلاث طبعات من الكتاب ، الأولى لدار الجيل ببيروت غير مثبت عليها سنة النشر ، والثانية للحلبى مصر وبهامشه كتاب تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين نشر سنة ١٣٥٨ ـ ١٩٦٦ م . وبمضاهاة الطبعتين وجدناهما متطابقتين تماماً فهما من أصل واحد لم يبين عنه أى من الناشرين ولم يقدم أحد منهما ما نشر بأى تقديم ولا ذكر شيئاً عن مصدره أو تحقيقه . ثم اطلعنا على نسخة من طبع كلكتا عام ١٩٥٤ م تحقيق المستشرق الأيرلندى وليم ناسوليس **W. Nassaulees** وقد جاء فى تقديمه أنه اعتمد على

(١) فتوح الشام طبعة كلكتا ، تقديم المستشرق وليم ناسوليس ص ١٨ .

نسختين تختلف إحداهما عن الأخرى بفروق كبيرة جداً وتمنى لو كانتا أكثر صحة مما هما عليه ولو أنهما كانتا قد كتبت بعناية أكبر . وذكر أن النسخ الخطية لفتوح الشام قليلة وأن فى المكتبات الشرقية فى أوروبا عشر نسخ حررت خمس منها فى السنوات ٧٧٣ ، ٨٢٧ ، ٨٦٣ ، ٩٩٤ ، ١٠٠٩ هـ . وقد اعتمد ناسوليس على نسخة تخص العقيد **Raw Linson** حررت عام ٨١٥ هـ ، ووصفها بأنها نسخة دمشق وعلى نسخة ثانية تخص مولوى محمد حسن وهو مواطن من كانپور **Kanpoor** حررت عام ٩٥٢ هـ ، ولم تكتب أياً منهما بعناية وبهما أخطاء عديدة هجائية ونحوية وصرفية وخلط بين التذكير والتأنيث وبهما من التناقضات ما جعله يفترض أنه كان هناك إصداران للكتاب . وأضاف أنه أحياناً لايجد قطاعات بأكملها من صفحة أو أكثر فى إحداهما ، وأن نسخة كنبور أكثر إمتلاء من نسخة دمشق فى جزئها الأول بينما تزيد نسخة دمشق فى جزئها الأخير ، وأن محرر نسخة العقيد رولنسون عمد إلى إجراء بعض التصحيحات حتى تبدو أنها أصلية غير مقلدة ولكنه لم يوفق فى دقة النقل .

ويضيف المستشرق ناسوليس أنه لم يستطع الترجيح بين اختلافات مؤرخى الفتوح وأنه ما لم يقم أحد بهذا العمل فسوف يكون من المحال الوصول إلى أى نتيجة تستحق التصديق . كما ذكر أن ما يعلمه الأوروبيون بصفة عامة عن حروب المسلمين فى الشام إنما تعتمد على هذا الكتاب. وإن صح هذا فإننا نأسف أشد الأسف إذ أن كتاب فتوح الشام هذا يقوم على أسلوب تعصبى إستفزازى للمسيحيين خاصة ، فهو مثلاً يكثر من ذكر استنصار الروم بالصلبان ثم تقع هذه الصلبان على الأرض ويحطمها المسلمون كما يكثر من ذكر استعاذه القساوسة الروم بالمسيح وأمه ويحرص على بيان أن ذلك لم يغنهم شيئاً أمام المسلمين المؤمنين بالله ، ويفيض الكتاب فى مثل تلك التحديات بين المسلمين والروم بصورة لانجدها فى أى مصدر آخر ولقد وجدنا فى طبعة كلكتا فقرات بأكملها لم نجدها فى طبعة دار الجيل ببيروت أو طبعة الحلبى بمصر .

كنا بصدد دراسة عن الصحابى البطل ضرار بن الأزور فقادتنا هذه الدراسة إلى شىء خطير جدير بالتسجيل فيما يتعلق بتحديد تاريخ وفاة هذا الصحابى الجليل ، وليس هذا التاريخ هو ما يعنينا هنا ولكن الذى لفت نظرنا هو ما يقرره الواقدى فى هذا الشأن . ولعل أقرب الرواة

إلى الواقدى هو كاتبه محمد بن سعد صاحب كتاب «الطبقات الكبرى» قال فى ترجمته [1] عن ضرار «قال عبدالله بن جعفر مكث ضرار بن الأزور باليمامة مجروحاً قبل أن يرحل خالد بيوم فمات ... قال محمد بن عمر {يعنى الواقدى} وهذا أثبت عندنا من غيره» . وذكر البلاذرى [2] عن الواقدى قوله «المجمع عليه عند أصحابنا أن ضراراً قتل باليمامة» . وقال الفقيه الحافظ [3] المحدث أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبى وذكر الواقدى قال : قاتل ضرار بن الأزوريوم اليمامة قتالا شديداً حتى قطعت ساقاه جميعاً فأخذ يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت ، وقيل مكث ضرارٌ باليمامة مجروحاً ثم مات قبل أن يرحل خالد بيوم . قال «وهذا أثبت عندى من غيره» . وقال عز الدين بن الأثير [4] «... وشهد قتال مسيلمة باليمامة وأبلى فيه بلاء عظيماً حتى قطعت ساقاه جميعاً ، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت ، قاله الواقدى» . وقال ابن حجر [5] عن ضرار «... واختلف فى وفاته فقال الواقدى استشهد باليمامة ...» .

ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ والبلاذرى المتوفى ٢٧٩ هـ وأبو عمر المتوفى ٤٦٣ هـ وابن حجر المتوفى ٥٨٢ هـ وابن الأثير المتوفى ٦٣٥ هـ . خمسة مصادر موثوقة تنسب إلى الواقدى تأكيده أن ضراراً استشهد باليمامة وقد كانت معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب عام ١١ هـ ... فى حين امتلأت صفحات هذا الكتاب «فتوح الشام» المنسوب الى الواقدى ببطولات أسطورية لضرار بن الأزور الأسدى فى كل معركة من معارك فتح الشام ، بل وذهب إلى أبعد من هذا فجعل له ذكراً فى معركة القادسية وفى فتح الجزيرة وفى فتح مصر ، وقد كانت هذه جميعاً بعد حروب الردة بسنوات ولم ينسب أحد من هؤلاء الخمسة ولا من غيرهم إلى الواقدى ما نجده الآن فى هذا الكتاب .

أفلا يسوقنا هذا إلى الشك فى صحة نسب النسخ المطبوعة بين أيدينا اليوم من كتاب

(١) الطبقات الكبرى ٦ / ٢٥ .
(٢) فتوح البلدان ٣٠٠ ـ ٦١٢ .
(٣) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب .
(٤) أسد الغابة .
(٥) الإصابة .

فتوح الشام إلى الواقدى ، بل إلى القطع بانعدام هذه الصحة ؟ إن الأمر يحتاج إلى بحث شامل ـ ليس هذا مكانه ـ وراء النسخ الخطية لذلك المصدر حيث وجدت ، للتحرى عن تاريخها وعن الفروق فيما بينها وعما اشتملت من تناقضات أو اتفاقات مع مرويات الواقدى المنقولة عنه فى المصادر الأخرى ... إنه جهد ندعو باحثينا وجامعاتنا إلى القيام به . ويقول فتحى عثمان فى كتابه «أضواء على التاريخ الإسلامى» حين عرض للواقدى «له كتاب التاريخ الكبير وكتاب الطبقات ، ولم يبق لنا مما يصح من كتبه إلا كتاب المغازى ...» وأغفل ذكر كتاب فتوح الشام .

لقد بحثنا فيما رجعنا إليه من مصادر عن ذكر لكتاب فتوح الشام للواقدى ، فوجدنا أن محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى وابن حجر فى لسان الميزان وابن قتيبة الدينورى فى المعارف كل قد ترجم للواقدى ترجمة مختصرة دون الإشارة إلى الكتاب ولا إلى أى من مصنفاته . ولم نعثر فى الإصابة على إشارة إلى الكتاب . كما ذكر ابن الأثير فى مقدمة أسد الغابة المصادر التى أخذ عنها ولم يذكر كتاب فتوح الشام ولا أى كتاب للواقدى ... لقد ذكر فى كتابه أشياء نسبها إلى الواقدى ولكنه لم يبين مصدرها . وذكر صاحب الإستيعاب أن تاريخ الواقدى أخبره به خلف بن القاسم عن على بن العباس عن ... الخ ولم يذكر كتاب فتوح الشام . أما أول ذكر عثرنا عليه للكتاب فهو ما ذكره ياقوت فى معجم الأدباء فى معرض تعداده لمصنفات الواقدى . ثم ذكر شمس الدين الذهبى فى كتابه «دول الإسلام» من مات عام ٢٠٧ هـ فقال «... وقاضى بغداد محمد بن عمر الواقدى صاحب المغازى» ولم يذكر فتوح الشام .

ما معنى أن نعثر على الذكر الوحيد لهذا الكتاب لدى الأولين على لسان ياقوت المتوفى ٦٢٦ هـ ثم يختفى هذا الذكر من لسان ابن الأثير المتوفى ٦٣٠ والذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ ؟ نذهب إلى أن الكتاب قد ظهر قبل ياقوت . ونستبعد أنه كان مجهولاً لدى ابن الأثير ولدى الذهبى ولو أن علمهما به لم يثبت ، وأغلب ظننا أنهما لم يذكراه رأياً منهما فى عدم صحة نسبته إلى الواقدى .

وقد لاحظنا أن محمد بن أحمد بن إياس قد أخذ فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع

الدهور» عن ذلك الكتاب المدعو «فتوح الشام» ، لم يسند إليه إنما ساق ما ذكر من غير إسناد . وبدائع الزهور يتناول تاريخاً حتى حكم السلطان المنصور محمد بن الناصر محمد بن قلاون الذى خلع من السلطنة فى ١٤ شعبان ٧٦٤ هـ ٢٩ مايو ١٣٦٣ م بما يعنى أن ابن إياس توفى بعد ذلك ، يعنى جاء بعد الواقدى . ذكر ابن إياس [١] أنه فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة أرسل عمرو بن العاص المقداد بن الأسود إلى دمياط فحاصر أهلها من العسكر حتى فتحها ، وكان بها شخص من القبط يقال له الهاموك وكان خال للمقوقس ، وأنه كان للهاموك ولدٌ اسمه شطا فأسلم وأتى إلى المقداد ودله على مكان دخل منه إلى المدينة حتى ملكها ، ومات شطا فى المعركة ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وعشرين ودفن خارج المدينة «وقبره يزار إلى الآن رحمة الله عليه» . ثم نجد هذه الرواية فى كتاب «فتوح الشام» الزائف ولا نجدها أو ما يتفق معها عند غيره من المراجع التى يُعوّل عليها .

كما لاحظنا أن المقريزى ـ المتوفى ٨٤٥ هـ ١٤٤٢ م أخذ فى كتابه «المواعظ والاعتبار» عن ذلك الكتاب ، لم يشر إليه ولا ذكره ، إنما قال «وذكر الواقدى» ثم ذكر أكذوبة أنه كان للمقوقس إبنة إسمها أرمانوسة [٢] ... الخ .

ومعنى هذا أن ذلك الكتاب الساقط قد جاز على ابن إياس وعلى المقريزى فأخذا عنه كما أخذا عن غيره فلزم التنبيه إلى ذلك حيث أن تحرى مصدر الخبر أمر له اعتباره وأهميته .

نستخلص مما سبق أن «فتوح الشام» كتاب لقيط مجهول النسب ينتسب إدعاء إلى غير كاتبه ، بصرف النظر عن توثيق الواقدى أو تكذيبه .

وفى كتاب «فتوح الشام» هذا روايات وفيرة عن هذه الفتوح ، أوفر مما رواه كل مصدر من المصادر الأخرى بل لعلها أوفر مما روته مجتمعة . وقد أغفلنا هذا الكتاب كلية كمرجع ، فلم نأخذ عنه شيئاً على الإطلاق لسقوطه عندنا أمام البحث والفحص .

ديوان حنا النقيوسى :

من المصادر التى وصلتنا عن فتح مصر هذا الديوان . والنسخة التى بين أيدينا مصورة عن

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١٠٧ .

(٢) وذلك عندما تناول فتح مدينة بلبيس ١ / ٣٤٣ .

نسخة إنجليزية بعنوان The Chronicle Of John, Bishop Of Nikiu قام بترجمتها عن النص الحبشى د . هـ . شارل كاهن بكنيسة وستمنستر وزميل الأكاديمية البريطانية ونشره وليامز أند نورجيت فى لندن ١٩١٦ . ويقع فى ٢٠٣ صفحة ، وقد تعرض لفتح مصر وما عاصره فى ٢٥ صفحة من ١٧٨ إلى ٢٠٣ فضلاً عن بعض صفحات أخرى عما سبق ذلك .

وترجع أهمية الديوان إلى أكثر من اعتبار . فالكتاب به من الأخبار والمعلومات ما ليس فى سواه وقد انفرد بمعلومات هامة عن العمليات الحربية بين المسلمين والروم ، كما ألقى الضوء على ما كان يقع فى الجانب البيزنطى سواء فى عصر الفتح على عهد الإمبراطور هرقل أو قبله أيام موريس وفوكاس مما يعتبر تمهيداً تاريخياً لما كان بعد . والكتاب مصدر غير إسلامى فكاتبه أسقف نقيوس من قبط مصر فهو يتناول الفتح من رؤية أخرى غير رؤية المسلمين .

ولديوان حنا النقيوسى خط مميز واضح وهو ضد المسلمين ولا يخفى بغضه وكراهيته لهم ويناقض ما جاء فى مصادر المؤرخين المسلمين عن فتح مصر . فبينما تؤكد هذه المصادر رحمة المسلمين وإنسانيتهم مع القبط وفى حين تزخر بأحاديث النبى ﷺ عن توصية المسلمين بقبط مصر وتذكيرهم بالنسب والمصاهرة منذ إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ ، فقد جاء ما ذكره حنا أسقف نقيوس عكس ذلك تماماً .

فالمسلمون قد استولوا على غنم المصريين فى طريقهم إلى فتح الفيوم [١]. ثم جاء هؤلاء الإسماعيليون [سلالة إسماعيل ويقصد بهم المسلمين] وأجبروا أهل مدينة الفيوم على فتح أبوابها ووضعوا السيف فى جميع من استسلم بما فى ذلك الشيوخ والنساء والأطفال [٢] .

وأن عمرو بن العاص قبض على القضاة الروم وقيد أيديهم وأرجلهم بالقيود الحديدية والخشبية وجردهم من متعلقاتهم وضاعف الضرائب على الفلاحين واستولى منهم قسراً على علف الخيل وقارف من العنف ما يفوق الحصر [٣] .

(١) ديوان حنا النقيوسى ١٧٩ ـ ١١١ / ٧ .

(٢) ديوان حنا النقيوسى ١٧٩ ـ ١١١ / ٧ .

(٣) ديوان حنا النقيوسى ١٨٢ ـ ١١٣ / ٤ .

وأنه سار إلى مصر السفلى وأحرق المحاصيل عند دمياط (١) .

ودمر منازل السكندريين الذين هربوا (٢) .

وأن أهل أنتينوى { من المصريين } أرادوا الوفاق مع واليهم الرومى حنا لمهاجمة المسلمين ولكنه هرب وخذلهم (٣) .

ثم دخل المسلمون نقيوس واستولوا عليها ولم يكن بها جندا فوضعوا السيف فى رجالها ونسائها وأطفالها فى الشوارع والكنائس ولم تأخذهم رحمة بأحد (٤) .

ثم ساروا إلى الجهات الأخرى ونهبوها واغمدوا السيف فى الأهالى ، ويقول أنه اكتفى بذلك لأنه من المحال أن يحكى جميع العسف والمظالم التى اقترفها المسلمون (٥) ... الخ .

وأصبحت مصر مستعبدة للشيطان (٦) .

ووصف الذين تعاونوا من القبط مع المسلمين بأنهم كانوا يحبون الكافرين {يعنى المسلمين} ويكرهون النصارى ، وأن المصريين كانوا ينفذون أوامرهم قسراً وبخوف لاينقطع (٧) .

ويذكر أن الجزية كانت باهظة لايقدرون على دفعها ، ولايستطيع أحد أن يحكى الحزن والنواح اللذين حلاّ بالإسكندرية حتى أعطى أهلها أطفالهم مقابل المبالغ الكبيرة التى طولبوا بها . ثم يشتم المسلمين ويصفهم بالأوغاد (٨) .

ويتجاوز حنا التاريخ المجرد فيدعو على المسلمين « ... وحين تضىء عدالة الله على أولئك الإسماعيليين ندعو الله عليهم كما فعل من قبل بفرعون . ولكنه بسبب خطايانا فقد أجازهم ليتصرفوا معنا هكذا » (٩) .

(١) ديوان حنا النقيوسى ١٨٣ ـ ١١٥ / ٣ .
(٢) ديوان حنا النقيوسى ١٨٣ ـ ١١٥ / ٥.
(٣) ديوان حنا النقيوسى ١٨٤ ـ ١١٥ / ١٠ .
(٤) ديوان حنا النقيوسى ١٨٨ ـ ١١٨ / ٨ .
(٥) ديوان حنا النقيوسى ١٨٨ ـ ١١٨ / ١٠ .
(٦) ديوان حنا النقيوسى ١٨٩ ـ ١١٩ / ١ .
(٧) ديوان حنا النقيوسى ١٩٥ ـ ١٢٠ / ٣٠ ـ ٣١ .
(٨) ديوان حنا النقيوسى ٢٠٠ ـ ١٢١ .
(٩) ديوان حنا النقيوسى ١٩٥ ـ ١٢٠ / ٣٣ .

ومرة أخرى يتجاوز الأسقف التاريخ والدعاء على المسلمين فيصف النبى ﷺ بالوحش The Beast ويشتم النصارى الذين أسلموا (١) .

توجيه :

من نصدق فى هذا التناقض بين الرواة المسلمين وبين حنا أسقف نقيوس ؟ ليس البحث العلمى مجرد عواطف وإلا بادرنا كمسلمين إلى تصديق المسلمين ! ولكننا نبحث ما وسعنا البحث عن الدليل فنتبعه . لقد وضع المسلمون قواعد علم الرجال مقياساً للثقة فى الرواة فيميزون بين الغث والسمين . ولكن علم الرجال إختص بالمسلمين فلم يعرض لغيرهم ولانجد فى كتب الرجال أحداً من غير المسلمين ، فهذا العلم قد وضع أصلاً لرواة الحديث عن النبى ﷺ ، كما لم نجد فيما أتيح لنا من كتب القبط تقييماً للرجل فقد اختص المسلمون بهذا العلم فلم يجاريهم فيه أحد .

أمانة الأسقف :

وذهبنا نقلب صفحات المصادر بحثاً عن أى شىء يلقى الضوء حتى وجدناه !

ولد حنا على الأرجح حوالى سنوات الفتح الإسلامى لمصر (٢) ثم كان أسقف نقيوس على عهد الخليفة الأموى مروان بن الحكم من ذى القعدة ٦٤ حتى رمضان ٦٥ هـ {يونية ٦٨٤ ـ أبريل ٦٨٥ م} ثم فى عهد عبد الملك بن مروان من رمضان ٦٥ هـ حتى شوال ٨٦ {أبريل ٦٨٥ ـ أكتوبر ٧٠٥ م} يعنى بعد فتح مصر بما لايقل عن أربعة وأربعين عاماً وإلى ست وستين عاماً . فى ذلك الوقت كان يوحنا {الثالث} بطركاً على الإسكندرية لمدة ٩ سنوات . وقد اعتاد كثير من البطاركة أن يختاروا فى حياتهم من يخلفهم بعد مماتهم .

يقول ساويرس بن المقفع أن البطرك يوحنا «سأل الرب أن يظهر له من يصلح ليجلس بعده على الكرسى ، فلما علم عن أخ عالم فضيل مشتمل بكل فضيلة متعبد فى دير القديس أبو مقار بوادى هبيب إسمه إسحق ... فأحضره إليه وكان يحفظه مثل حدقة العين . وكان الأخ

(١) ديوان حنا النقيوسى ٢٠٠ ـ ١٢١ / ١٠ .
(٢) تقديم ديوان حنا النقيوسى ص حـ .

إسحق مجتهداً فى أعمال الله وفى الكتابة والنسخ (١) ... الخ» . واختار يوحنا إسحق ليكون بطركاً من بعده على كرسى الإسكندرية .

ومرض البطرك يوحنا وهو يصحب عبدالعزيز بن مروان والى مصر إلى مصر فأعد له مركباً إنحـدرت به إلى الإسكندرية (٢) وهناك زاره رجال الكنيسة غريغوريوس أسقف القيس وصاحبنا أبو حنا أسقف نقيوس (٣) وأبو يعقوب أسقف أرواط وأبو يوحنا أسقف سخا وأبو تيد أسقف مليدس وجماعة من الشعب وكانوا كلهم حزانى . ثم مات يوحنا فاجتمع الأساقفة وفى مقدمتهم غريغوريوس ويعقوب ويوحنا أسقف نقيوس وجماعة من الشعب وتشاوروا مع كهنة الإسكندرية واتفقوا أن يقدموا الشماس جرجه الذى من سخا بطركاً بدلاً من إسحق الذى من شبرا من غير مشاورة الأمير عبدالعزيز بن مروان . ونسوق هنا الحكاية كما رواها ساويرس بن المقفع بألفاظه ولغته (٤) .

«وقالوا إن هو ـ عبد العزيز بن مروان ـ وَجِد علينا أو تقمقم قلنا له أن أبا يوحنا البطرك تقدم لنا بأن يكون هذا يجلس مكانه من بعد وفاته وأخذ علينا عهودا وايمانا بذلك فلم يمكننا مخالفته . ثم أخذوا الشماس جرجه فأقسموه قساً وألبسوه أسكيم الرهبنة ثم نادوا فى البيعة غداً يقسم البطرك ، وسَهَواْ عن قول كتاب الرب يعذر آراء الأمم ويبطل أفكار الشعوب ويوقف أمور الملوك . ولما كان بالغداة ألبسوه ثوب البطريركية وأعدوا حوايجهم وأخرجوه بتعظيم وكانوا مجتهدين فى إصلاحه ، واجتمعوا بأرشيدياكون المدينة وكان اسمه مرقس رجل فهم فاضل مميز فى المدينة فمنعهم ، وقال إن لم تجوا يوم الأحد على ما جرت به العادة فى القوانين وتجتمع جميع أهل المدينة وإلا فما أُوَسِّمه .

«فلما كان بالغداة وصل قوم من أصحاب الأمير {عبدالعزيز بن مروان} وقالوا أين الذى

(١) سير الآباء البطاركة ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) عبارة ساويرس «وكان كاتب هذه السيرة معه» بما قد يفهم منه أن ساويرس بن المقفع كان صحبتهم ، ولما كان ذلك فى القرن السابع الميلادى فى حين عاش ساويرس فى القرن العاشر {كما جاء فى مقدمة بتلرص ٢٥} فلا يكون ذلك إلا أن كان ساويرس قد نقل تلك السيرة بهذا النص عن كاتب سابق .

(٣) سير الآباء البطاركة ١٢٩ .

(٤) سير الآباء البطاركة ١٣١ .

أوسموه بطركاً وأين الأساقفة والكهنة نمضى بهم إلى مصر {الفسطاط} موكلين بهم ؟ فأخذوهم وساروا فلما كشفوا الأمر وجدوا الكتب تشهد أنه ليس الذى قال عنه أبو يوحنا البطرك فى حياته . فغضب الأمير عبدالعزيز وبطل أمر جرجه وأمر بتقديم إسحق وكان الأمر من الله ، فمضوا به الأساقفة وأوسموه وجلس على الكرسى ثلاث سنين وكان الرب معه يعينه ...» .

وبالرغم مما ملأ به أسقف نقيوس ديوانه عن أخبار استبداد المسلمين وعسفهم فقد كان عبدالعزيز بن مروان فى غاية التساهل فى هذه القصة . صحح الوضع ثم لم يعمد إلى أى عقاب على الأساقفة المزورين ومن بينهم حنا أسقف نقيوس ، فقد ذكر ساويرس بن المقفع (١) بعد ذلك أن عبدالعزيز بن مروان سلم إلى أبى يوحنا أسقف نقيوس تدبير حال الديارات لأنه كان خبيراً بتقلب {تكريز} الرهبان وقوانينهم ، وأعطاه سلطاناً عليهم وكانوا يعمرون القلالى بغير فتور والأراخنة يقوموا بأحوالهم» . كان ذلك سنة ٦٩٦ م (٢) ثم عزل بعد ذلك عن مراكزه بسبب أنه سب رئاسته **Abused His Powers** .

لابد أن نلحظ الجرم الذى شارك فيه حنا أسقف نقيوس ونحسبه ـ أو يجب أن يكون من أكبر الكبائر عند أهل ملته ـ بعبارة مبسطة وصريحة لقد زوّر اختيار البطرك بعد وفاة البطرك السابق ودلس عليه قولاً عظيماً لم يقله وترشيحاً لم يحدث بل حدث غيره . ولم يترك عبدالعزيز الأمر يمر بل قام بتصحيحه وكشف المزورين أمام شعب الكنيسة ولكنه حين وجد أن النقيوسى كان خبيراً بقوانين الرهبان وكَل إليه تدبير أحوال الأديرة عملاً على صلاح أمر الكنيسة ، وليس أدل من هذه الواقعة أن عبدالعزيز بن مروان كان يغضب ولا يحقد .

والذى نريد أن نضع الأصابع عليه أن هذه هى أمانة الأسقف المؤرخ . لقد رد البخارى وأسقط أحاديث رجل رواها عن رسول الله ﷺ لأنه رفع حجره ليظن بعيره أن به طعاماً فيحضر إليه ليمسك به باعتبار ذلك كذباً . وهذا الأسقف كتب ديواناً فى تاريخ فترة زاخرة فقال ما قال وألجأنا إلى التنقيب وراء ذمته وأمانته حتى استبانت . وهذه الرواية من الذى

(١) سير الآباء البطاركة ١٣٥ .

(٢) تقديم ناشر ديوان حنا النقيوسى ص جـ . ولم يذكر مصدره . وفى عزل حنا رواية أخرى يأتى ذكرها رواها ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين .

أوردها ؟ إنه ليس ابن عبدالحكم ولا السيوطى ولا المقريزى ، ولكنه ساويرس بن المقفع ، أسقف أيضاً لايقل عن صاحبنا أسقف نقيوس فى رتبته الكنسية .

ولقد وقع حنا النقيوسى فى ورطة أخرى ذكرها ساويرس أيضاً . قالوا أن قوماً من محبى الشهوات أخرجوا عذراء من ديرها ودخلوا بها وادى هبيب حيث اغتصبوها . فأخذ حنا أسقف نقيوس الراهب الذى عمل الخطيئة وضربه ضرباً مبرحاً فمات الراهب . فاجتمع أساقفة مصر سراً وسألوا الأسقف عن قضية الراهب فاعترف أنه هو الذى ضربه ، فقطعوه وقالوا له «ما أنت فى حل أن تدنو إلى شىء من آلة الهيكل من الآن بل تأخذ السراير كراهب» . وأقاموا مكانه آخر إسمه مينا من دير أبى مقار . فقال حنا النقيوسى «كما قطعتمونى ظلماً الرب الإله الذى اعرف اسمه يجعل جميعكم يا أساقفة غرباء عن كراسيكم إلى تمام الزمان الذى حكمتم علىّ فيه» [1] . وهنا جاءت عبارة كبيرة الدلالة على أن ساويرس لم يكن يبغض حنا أو يتجنى عليه فقد ذكر أنه بعد أيام قلائل تم كلام الأسقف على الأساقفة المساعدين على قطعه وعلى كل الأساقفة ووصفه بالقديس ثم يسوق قصة رجال تركوا الحلال وقارفوا الزنا وكانت وبالاً على هؤلاء الأساقفة إظهاراً لجلال حنا النقيوسى .

تقييم حنا النقيوسى :

فإذا أردنا أن نقيّم حنا أسقف نقيوس كمؤرخ نرى الآتى :

١ ـ عاش حنا النقيوسى فى مصر فى عهد عبدالعزيز بن مروان فى زمن وقعت فتنة بين القبط والمسلمين ، قام عبدالعزيز بقمعها . ولابد أن حنا قد رأى من شدة ذلك الحاكم المسلم عبدالعزيز ماساءه . ولعل هذا هو الذى دفع حنا إلى موقفه المتعصب من المسلمين فكان بعيداً عن أمانة المؤرخ حين كتب عن سنوات سابقة لزمنه بانطباع ـ نابع من زمانه الذى عاش فيه وكانت مشاعره حانقة فتنكب جادة الصواب وافترض فى عمرو بن العاص زمن الفتح وتحرير القبط إفترض الشدة التى رآها فى عبدالعزيز بن مروان زمن الفتنة .

٢ ـ يضاف إلى ذلك أن هذا المؤرخ المتعصب مجرح فى أمانته على النحو الذى كشفه لنا ساويرس فى موضوع تنصيب البطرك . وبالرغم من أن دينه يأمره بقوله «أحبوا

(١) سير الآباء البطاركة ١٣٥ .

مبغضيكم باركوا لاعنيكم وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم» فلقد مر بنا كيف يشتم المسلمين والقبط على السواء ويدعو عليهم جميعاً وهو المكلف ليس فقط باعتباره من أتباع المسيح عليه السلام بل وأسقفاً من رعاة الكنيسة أن يدعو إلى هداية الخراف الضالة ، فإذا به يسب ويشتم ويلعن ... ويزوّر !

٣ ـ روايات حنا هذه تنقضها روايات الثقات من المؤرخين المسلمين ، كما تنقضها روايات الكتاب القبط الأكثر اعتدالاً منه مثل أسقف الأشمونين ساويرس بن المقفع . أين أسلوب حنا أسقف نقيوس الذى مرت بنا نماذج منه من أسلوب ساويرس بن المقفع الذى كان أكثر تهذيباً ... قال ساويرس :

«ثار رجل من العرب من نواحى القبلة مكة ونواحيها إسمه محمد فرد عباد الأوثان إلى معرفة الله وحده وأن يقولوا أن محمداً رسول الله ، وكانت أمة مختونة بالجسد لا بالناموس ، ويصلون إلى جهة القبلة مشرّقين إلى موضع يسمونه الكعبة ، وملك دمشق والشام وعبر الأردن وسادمة وكان الرب يخذل جيش الروم قدامه لأجل أمانتهم الفاسدة ... فلما تمت عشرة سنين من مملكة هرقل والمقوقس وهو يطلب بنيامين البطرك وهو هارب منه من مكان إلى مكان مختف فى البيع الحصينة ، أنفذ ملك المسلمين سرية مع أمين {أو أمير} من أصحابه يسمى عمرو بن العاص فى سنة ٣٥٧ لدقلاديانوس قاتل الشهداء . فنزل عسكر الإسلام إلى مصر بقوة عظيمة [1] فى اليوم الثانى عشر من بؤونة وهو الرابع من دنكطنين من شهور الروم ... حتى وصلوا إلى قصر مبنى بالحجارة بين الصعيد والريف يسمى بابلون ... وبعد قتالهم ثلاث دفعات غلب المسلمون الروم فلما رأى رؤساء المدينة هذه الأمور مضوا إلى عمرو وأخذوا أمانا على المدينة لئلا تنهب وهذا العهد الذى أعطاهم محمد رئيسهم سموه الناموس يقول فيه كورة مصر ومدينة يستقر مع أهلها دفع الخراج لكم وأن تتعبد لسلطانكم ، عاهدوهم ولا تظلموهم ومن لايرضى ذلك ويخالفكم انهبوهم وأسروهم . فلذلك أمسكوا أيديهم عن الكورة وأهلها وأهلكوا جنس الروم [2] ...» .

(١) سير الآباء البطاركة ١٠٧ .

(٢) سير الآباء البطاركة ١٠٨ .

بل إن ما كتبه حنا أسقف نقيوس يحمل بين طياته معنى الحرية التى تمتع بها ليكتب ضد المسلمين ويشتمهم ويدعو الله عليهم كما فعل بفرعون ! ولايجوز أن يقال أن كتابه كان مجهولاً للمسلمين ، نعم كتبه حنا باللغة اليونانية ولكنه ترجم إلى العربية ومنها إلى الحبشية بعد قرون وأخيراً إلى الإنجليزية ، بل ويبدو أن بعض ما كتبه المؤرخون المسلمون بعد ذلك بقليل قد نقلوه عن ديوان حنا النقيوسى ، فالقول بالجهل به قول لا محل له .

لقد ظل بنيامين بطركاً تسعاً وثلاثين سنة [1] منها عشر قبل الفتح ، ثم خلفه أغاثوا فبقى على كرسيه تسعة عشر عاماً يعنى حتى عام ٦٨ هـ ، لم يذكر ساويرس شكاة واحدة من معاملة المسلمين فى تاريخهما .

٤ ـ إن الفاتحين المسلمين كانوا ذوى دين يلتزمون بشريعته وأحكامه ، ولم يؤثر عنهم فى العهد الأول للصحابة وخاصة عهد عمر بن الخطاب أن تنكبوا أساسيات دينهم ، وليس من تلك الأحكام ما حكاه حنا نقيوس من ذبح الأطفال والنساء والشيوخ والمغالاة فى فرض الضرائب حتى أعطى المصريون أطفالهم ... الخ .

ولقد نسى حنا أن المسلمين حين جاءوا إلى مصر فقد جاءوا يحاربون الروم ولم يكن بينهم وبين القبط حرب بل كان العكس ، فقد أمرهم بنيامين أن يتعاونوا مع المسلمين ، ولاشك أن بنيامين كان أدرى بالموقف كله من استنتاجات وتأولات المستشرقين المتأخرين .

٥ ـ إن أحاديث الرسول ﷺ تتنبأ بفتح مصر وتوصى المسلمين بقبط مصر خيراً «فإن لكم فيهم نسباً وصهراً» ... «فهم خير أجناد الأرض» بخلاف حكايات حنا . وما نجد سبباً أن يخالف المسلمون أوامر نبيهم على هذا النحو .

٦ ـ لقد ظهر منهج المسلمين الفاتحين لأهل البلاد المفتوحة فى فارس والعراق والشام ، كانوا يفتحون قلوب الناس بسماحة دينهم قبل أن يفتحوا الأرض بالسيف وكانت سبباً لدخول تلك الشعوب فى دين الإسلام ، فما كان لأهل مصر أن تشذ معاملتهم دون العالمين . إنه شذوذ لم يقدم له حنا ـ ولا غير حنا ـ أى تفسير أو مبرر ، سوى عدم صحته .

---

(١) سير الآباء البطاركة ١١٢ .

حين يدهش المسلمون المعاصرون من تحامل بعض القبط فقد نجد تفسير ذلك فيما كتب حنا ومن نقل عنه . فليس كل من يقرأ يبحث ويحقق ويصبر على ذلك .

الديوان كمصدر :

وإذا كنا نهدر روايات حنا النقيوسى إذا ناقضها ما هو أوثق منها ففى رأينا أننا نستطيع الأخذ برواياته حين تكون بعيدة عن مجال التعصب والتحامل . من ذلك أخباره التى تطابق أخبار غيره أو تكملها وكذلك أخباره التى انفرد بها ولايناقضها غيره . ولقد انفرد حنا بأخبار عن مواقع حربية بين المسلمين والروم وهى تملأ فراغاً فى الأحداث لابد من تبريره ، وهذه الروايات هى الوحيدة بين أيدينا حتى الآن التى تملأ ذلك الفراغ . كذلك أفاد بكثير من الأخبار عن البلاط البيزنطى وما كان يجرى داخله والتاريخ البيزنطى سواء فى عصر هرقل أو قبله أو بعده وهذا أيضاً كان مقبولاً عندنا .

والكتاب الذى بين أيدينا يروى فى الفصل ١١٠ قتل فوكاس {فوقا} والعذاب الذى أوقعه به هرقل بسبب هتكه عرض امرأته وابنته [1] . ثم يبدأ أحداث الفتح الإسلامى بأن تيودور كان هو قائد جيش الروم وذكر ظهور المسلمين على تخوم الفيوم وهزيمة الروم ووصول المسلمين إلى البهنسا [2] وإثخانهم فى الروم . ويذكر أن أول معارك عمرو بن العاص مع الروم كانت فى مدينة أون {هليوبوليس} [3] ، وأنه أوقع الروم فى كمين لم يفلت منه سوى ٣٠٠

---

(١) الفصل ١١١ .

(٢) الفصل ١١٢ .

(٣) من أشهر المدن المصرية القديمة ، موقعها فى الشمال الشرقى للقاهرة ناحية المطرية من ضواحى القاهرة وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها وإسمها المصرى القديم «أنوم» و «رع» ومعناها الشمس ، والعبرى «أون» والرومى هليوبوليس أى مدينة الشمس وقد اندثرت هذه المدينة ومحلها اليوم يعرف بتل الحصن وما جاوره بأرض المطرية حيث توجد إحدى المسلتين اللتين أقامهما الملك سنوسرت الأول المعروف بسيزوستريس الأول على باب معبد المدينة . وكان بجوار هليوبوليس نبع ماء شهير سماه العرب عين شمس فغلب اسمه عليها مضافاً إليه كلمة شمس التى كانت معبود أهلها . ويرجع محمد رمزى أن إسم عين شمس أتى من أون وهو الإسم العبرى محرفاً إلى «عين» العربية وأضيف إليها ترجمتها بالعربية وهى شمس فصار إسمها عين شمس . والآن يطلق الإسم على المبانى الواقعة بجوار محطة عين شمس فى ضواحى القاهرة . {القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ـ محمد رمزى ـ القسم الأول ص ١٥٩} .

استطاعوا الفرار فسقطت تندونياس [١] فى أيدى المسلمين ، وهربت حامية الفيوم إلى نقيوس ، فسار عمرو إلى الفيوم وأبويط ففتحهما . فالديوان الحالى ينقصد كل ما يتعلق بالغزو الفارسى لمصر وكذا جلاؤهم عنها والتحركات الأولى للفتح الإسلامى منذ بدئه إلى تغلغله وعن اضطهاد المقوقس سيروس لقبط مصر عشر سنوات ، كل ذلك ساقط من الكتاب الحالى . كما نراه اختلط ترتيبه الزمنى فلم يعد منتظماً .

ثم يذكر النقيوسى أن عمرو بن العاص كلف الوالى چورچ [٢] أن ينشىء قنطرة على مدينة قليوب فاستولى على مدن مصر وأتريب وقورديس ومنوف وتعاون الناس معه ، كما شيد قنطرة عظيمة على النيل قريباً من بابليون ليمنع السفن من المرور إلى نقيوس والإسكندرية فأذعنت جميع كور مصر ، وهرب الأهالى إلى الإسكندرية تاركين متعلقاتهم ومواشيهم فاستولى عليها المسلمون . { ولا نفهم كيف تعاونوا ثم هربوا } . ورفضت الميليشيات

(١) أم دنين والمكس والمقس والمقسم كلها أسماء مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عماد الدين ثم شارع رمسيس (الملكة نازلى ـ سابقا) فى النهاية البحرية لشارع عماد الدين ثم ميدان محطة مصر ثم شارع غمرة إلى فم الترعة الإسماعيلية .
وقرية أم دنين يسميها الروم تندونياس **Tendunyas** وكانت وقت فتح مصر تشغل المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بميدان باب الحديد فشارع رمسيس فشارع عماد الدين ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ، ومن الشرق شارع الكنيسة المرقسية (الدرب الواسع) وسكة شق الثعبان وحارة الحدرة ، ومن الشمال شارع بين الحارات إلى أن ينتهى بميدان باب الحديد .
ويدخل فى هذه المنطقة القسم البحرى من شارع الجمهورية (إبراهيم باشا) وفيه جامع أولاد عنان وهو فى مكان الجامع الذى أنشأه فى المقس الحاكم بأمر الله أبو المنصور على فى سنة ٩٣ هـ بإسم الجامع الأنور ويقال له جامع المقس أو جامع المقسى أو جامع باب البحر .
ولايدخل فى حدود قرية أم دنين شارع كامل الذى كان جزءاً من شارع الجمهورية ولا حديقة الأزبكية ، لأن قرية أم دنين كانت واقعة على شاطىء النيل فى أرض ذات منسوب مرتفع لا تغمره مياه النيل وقت الفيضان وأما شارع كامل وحديقة الأزبكية فأرضهما منحطة عن منسوب أرض سكن أم دنين وكان فى موضعهما أرض زراعية ـ يغمرها ماء النيل سنوياً ، وكان يتخلف فيها بعد الفيضان بركة عرفت بعد ذلك ببركة الأزبكية وإليها ينسب شارع وجه البركة الذى يرى من يمر فيه أنه أوطى من منسوب شارع القبيلة والحارات المتفرعة بينه وبين شارع وجه البركة ، وعادة تكون المساكن فى الأراضى المرتفعة وليست بأرض البرك . {القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ـ محمد رمزى ـ القسم الأول ص ١٢٨} .
(٢) الفصل ١١٣ .

المحلية [١] محاربة المسلمين ، فسار المسلمون نحو بوصير وحصنوها ـ والرواية بهذا تعود بعمليات الفتح من الشمال إلى الجنوب بجهة الفيوم مرة أخرى بدون منطق مفهوم .

ويذكر أن عمرو بن العاص قضى اثنى عشر شهراً [٢] فى قتال «المسيحيين» فى الشمال وأنه فشل فى إخضاع مدنهم فرجع إلى قواته التى فى حصن بابليون وأعطاهم غنائمه من الإسكندرية ـ دون أن يذكر قبل ذلك أن المسلمين استولوا على حصن بابليون ولا كيف حصلوا على غنائم الإسكندرية .

ثم يذكر أن هرقل مات فى السنة الحادية والثلاثين لعهده فى عام ٣٥٧ لدقلديانوس فخلفه قسطنطين ابنه من زوجته يوديكيا ولكنه مات بعد مائة يوم فتم تنصيب هرقل أخيه من أبيه وكان طفلاً ، وعاد البطرك سيروس واشتد عنفه على القبط . وأن عمرو حاصر حصن بابليون[٣] ثم تعهد لمن اعتصم به ألا يقتلهم على أن يجلوا عنه فاستولى على الحصن فى اليوم التالى لعيد القيامة ، وقبل جلائهم جلدوا القبط الذين كانوا بسجن الحصن وقطعوا أيديهم .

وأرسل عمرو قوة إلى الإسكندرية ، وأعيد سيروس من قبل بيزنطة بطركاً عليها مع صلاحية أن يعقِد صلحاً مع المسلمين ، وعاد معه القائد تيودور فى ليل السابع عشر من مَسْكَرَم {الشهر الحبشى الأول ويبدأ ١٠ سبتمبر = الخميس ٢٧ سبتمبر ٦٤١ ـ ١٧ شوال ٢٠ هـ ـ ٣٠ توت ٣٥٨ ق} ثم اتجه إلى المسلمين فى بابليون ومعه الجزية لإيقاف الحرب ، وتحفظ على مهلة أحد عشر شهراً ليرحل جيش الروم عن الإسكندرية ، ورحلوا إلى قبرص وعاد البطرك بنيامين [٤] إلى الإسكندرية فى العام الثالث عشر بعد هروبه من الروم .

وقد كتب الديوان أصلاً باللغة اليونانية وذهب الناشر وكذا زوتنبرج صاحب الترجمة الفرنسية إلى أن بعض فصوله التى تتعلق بالشئون المصرية الصرفة قد كتبت باللغة القبطية ،

(١) الفصل ١١٤ .
(٢) الفصل ١١٥ .
(٣) الفصل ١١٧ .
(٤) الفصل ١٢١ .

ثم ترجم من اليونانية {والقبطية} إلى العربية ومنها إلى الأثيوبية عام ١٦٠٢ م بمعرفة جبريل المصرى بن حنا القليوبى كما جاء بإحدى النسختين الأثيوبيتين وهى المحفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم ٨١٨ . ثم فقدت الترجمة العربية تماماً . ولقد حرص الناشر كما حرص بتلر فى كتابه فتح العرب لمصر أن يذكر أن أميلينو **Amelineau** كتب فى كتابه «حياة البطرك القبطى إسحق» أنه يعرف عن مخطوطة عربية لديوان حنا لكن حين سأله بتلر عن بيانات أكثر لم يأت بشىء حيث قال [١] : إنها فى أعماق إقليم من أقاليم مصر . ونحن بدورنا نذكر ذلك عسى أن يكون صحيحاً ويقف عليه أحد فينشره . ولقد ذكر الناشر الإنجليزى أن النسخة الأثيوبية تعطى انطباعاً أنها عن النسخة العربية وأنها كتاب مولّد {مخلط} بين اللغتين . ويذكر بتلر أن أميلينو أورد نقداً عجيباً [٢] انتقص فيه من مقدار حنا النقيوسى ومن تاريخه وأنه لا يوافقه على ذلك .

---

(١) فتح العرب لمصر ـ مقدمة المؤلف ٢٢ .

(٢) فى كتابه **Vie Du Patr Copte Isaac** ص ٢٧ .

الباب الرابع

عمرو بن العاص

عمرو بن العاص قبل الإسلام

الأب [1] :

هو العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيد (أو سعد) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . ومن بواكير ما نجد عن العاص بن وائل ما تعلق بحلف الفضول الذى كان قبل بعثة النبى ﷺ بعشرين سنة . فقد جاء رجل من زبيد (من قبائل اليمن) إلى مكة ببضاعة ليبيعها فاشتراها منه العاص بن وائل ، وكان ذا قدر وشرف بمكة ، ولكنه حبس عن صاحب البضاعة حقه ، فاستعدى عليه الرجل بنى عبد الدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعدى بن كعب وهم أحلاف مكة فأبوا أن يعينوه على العاص .

فصعد الزبيدى على جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة وصاح بأعلى صوته :

يا آل فهرٍ لمظلومٍ بضاعتهُ ببطن مكة نائى الدارِ والنَّفَرِ

ومحرمٍ أشعثَ لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحِجْر والحَجَرِ

إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجِرِ الغَدِرِ

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال «ما لهذا مترك» واجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جُدعان وتحالفوا حلف الفضول وانصفوا الزبيدى من العاص بن وائل .

ثم ظهرت دعوة الإسلام فكان العاص بن وائل ممن عارضوها عمره كله . كان من أشراف مكة الذين خاطبوا عم النبى ﷺ ـ أبا طالب ـ أن يخلّى بينهم وبين النبى ﷺ وكان من

(١) عن السيرة النبوية لابن هشام .

عرضوا عليه أن يسوّدوه أو يملّكوه على أن يرجع عن الإسلام . وهو الذى قال عن النبى ﷺ أنه أبتر لاعقب له فأنزل الله ﴿إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ ‹١› فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَر ‹٢› إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ ‹٣›﴾ (١) وكان من المستهزئين الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إنَّا كَفَينَاكَ المُستَهزِئِينَ ‹٩٥›﴾ (٢) .

وخرج على حمار له يريد الطائف فبرك به عند شجرة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته .

الأم من هى :

فى أسد الغابة (٣) لترجمة عمرو بن العاص ، قال :

أمه النابغة بنت حرملة ، سَبِيَّة من بنى جلاّن بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عَنَزَة ، وأخوه لأمه عمرو بن أثاثة العدوى وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى .

وسأل رجل عمرو بن العاص عن أمه فقال : سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بنى عَنَزَة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبدالله بن جُدْعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت ، فإن كان جُعِل لك شىء فخذه (٤). وذكر محمد بن يوسف الكندى أنها النابغة بنت خزيمة .

وذكر الدينورى (٥) :

جعل رجل جُعْلاً لرجل على أن يقوم إلى عمرو بن العاص يسأله عن أمه . فقام إليه وهو يخطب على منبر تِنّيس فقال له : أيها الرجل أخبرنا من أمك ؟ فقال : كانت امرأة من عَنَزَة أصيبت بأطراف الرماح فوقعت فى سهم الفاكه بن المغيرة فاشتراها أبى فوقع عليها . فانطلق وخذ ما جُعِل لك على هذا .

(١) سورة الكوثر .
(٢) سورة الحجر ٩٥ .
(٣) أسد الغابة ٣٩٦٥ . وولاة مصر للكندى ٢٩ .
(٤) أسد الغابة ٣٩٦٥ .
(٥) عيون الأخبار ١ / ٢٨٤ .

كما ذكر العقاد (١) أنه يروى أن النابغة كانت على صلة بالعاص وأبى لهب وأمية بن خلف وأبى سفيان ، فولدت عمراً فألحقته بالعاص ، وسئلت فى ذلك فقالت أنه كان ينفق على بناتى .

وقال : شتم عمرو أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بمجلس معاوية فانتهرته قائلة «وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة وآخذهن لأجرة ؟ اربْعِ (٢) على ظَلْعِكِ واعن بشأن نفسك ، فوالله ما أنت من قريش فى اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش كلهم يزعم أنه أبوك فسئلت أمك عنهم فقالت : كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحِقوه به» (٣) .

كانت سلمى بنت حرملة وشهرتها النابغة إذاً من بنى جِلاّن بطن من عَنَزَة . والظاهر أن جلاّن كانت أقل شأناً من أن يذكرها النسابون ، فكثير من كتب الأنساب لا يذكرها ، ومن ذكرها لا يذكر عنها شيئاً من التاريخ أو الجغرافيا . ولقد أورد معجم قبائل العرب القديمة (٤) والحديثة «جِلاّن بطن من ربيعة بن نزار من العدنانية» . كما جاء فى جمهرة أنساب العرب عن عَنَزَة «..... ومنهم بنو جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عَنَزَة ، وفيهم يقول امرؤ القيس (٥) :

كِنَانِيَّةٌ بانت وفى الصَّدْرِ وُدُّها   مجاورة جِلاّن والحى يَعْمَرَا

فأضاف امرؤ القيس بهذا البيت إلى معلوماتنا أن جلان كانت تجاور يَعْمَراً فأيهما اهتدينا إلى منازله عرفنا من أين جاءت النابغة .

وبالبحث وجدنا أن يَعْمَرَ تشارك جِلاّن فى خمول الذكر فلا يكاد يذكرها النسابون . ذكر

(١) عمرو بن العاص للعقاد ١٢ ولم يبن عن مصدره ، والرواية فى العقد الفريد .
(٢) ارفق بنفسك ، واقعد على عيبك .
(٣) هذه قصة ساقطة رواها كذابون كما سيأتى بيانه . كما وأنه لم يرد فى أى موضع من تاريخ عمرو أو تاريخ الفتح أن عمرو بن العاص قد زار تنيس أو خطب على منبرها .
(٤) معجم قبائل العرب ١ / ١٩٩ عن الاشتقاق لابن دريد ١٩٦ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٩٤ .

ابن حزم [1] بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقال « ... ومنه بنو يعمر بن مالك بن بُهثه بن حرب بن وهب بن جُلَىّ بن أَحْمَس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ونذهب إلى أن يعمر ليس هو المقصود فى شعر امرىء القيس لأنه طبقاً لهذا النسب يكون يعمر بن مالك معاصراً جيل العاص بن وائل وسلمى بنت حرملة فلا يكون حيّاً إلا بعد ذلك بأجيال فضلاً عن أنه يكون جاء بعد عصر امرىء القيس والأرجح أن المقصود هو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة [2] فهو الذى يسبق الزمن الذى نتحدث عنه بنحو من خمسة أجيال لاسيما وهو من كنانة وامرؤ القيس يذكر كنانية .

وحيث لم نصل حتى الآن إلى منازل جلاًن فقد ذهبنا نبحث عما هو أكبر حجماً ... عَنَزَة بن أسد بن ربيعة . فوجدنا ديارهم كانت عين التمر [3] من برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار من برية العراق ، ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر فأقاموا هناك ، وورثت بلادهم غزية من طيء ومعهم أحياء من طيء ينتجعون معهم ويشتون فى برية نجد .

كما جاء [4] أن منازلهم تمتد من نجد إلى الحجاز فوادى سرحان فالحمّاد فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب .

ونذهب إلى أن انتقالهم من منازلهم الأولى بعين التمر إلى جهات خيبر أو الشام قد حدثت فيما بعد ، أما فى العصر الذى ندرسه فالظاهر أنهم كانوا ينزلون من نواحى عين التمر إلى قريب من البصرة بصحراء العراق كما سيتبين فيما بعد .

من أيام العرب :

سلمى بنت حرملة الملقبة بالنابغة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ . أى رماح العرب تلك وكيف كان ذلك ؟ عمرو بن العاص الذى ذكر لنا ذلك لم يفصح ، ولم يذكر ـ هو ولا غيره ـ ما ينير لنا الطريق أو يلقى الضوء على مأساة المرأة البائسة .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٩٣ و ٤٧٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦١٠ .

(٣) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ٣٧٨ و ٣٨ .

ابن خلدون ٢ / ٣٠٠ .

(٤) معجم قبائل العرب ٢ / ٨٤٦ .

ومن حق البحث أن نبذل جهدنا لاستجلاء أى شيء فى هذا الباب ، ولقد وجدنا أن العرب قد حفظوا أحاديث عما كان يقع بينهم قبل الإسلام وعرف ذلك فى كتب الأدب أكثر منه فى كتب التاريخ وذلك تحت عنوان « أيام العرب» . وشمل ذلك ما كان يحدث بين القبائل من إغارات وإلى مستوى أن يلقى الرجل الرجل فيضربه أو يضرب بعيره فيعد ذلك من أيام العرب . وإذ كانت تلك الأيام كثيرة متنوعة فى شتى أنحاء شبه الجزيرة فقد ذهبنا ننظر فيما بلغنا من ذلك على كثرته مسترشدين بأمور لابد أن تتوافر حتى يصح الظن فيها :

١ ـ أن تكون الموقعة قد حدثت مع قبيلة عَنَزَة .

٢ ـ أن تكون قد حدثت فى منازل عنزة حيث بناتها ونساؤها .

٣ ـ أن تكون الدائرة قد دارت على عنزة .

٤ ـ أن تكون القبيلة قد فقدت من أموالها وأبنائها ،

٥ ـ أن تكون وقعت فى زمن يناسب جيل النابغة .

٦ ـ ألا تكون هذه المواصفات قد تكررت ، فإن حدث التبس الأمر بين الأيام التى تشابهت .

على ضوء هذه العلامات وجدناها لا تنطبق على شيء إلا يوماً واحداً من أيام العرب عرف بيوم ثَيْتَل ، ولا يلتبس بيوم آخر له ذكر .

فماذا كان ثيتل ذاك ؟

يوم ثَيْتَل :

ثيتل ماء قريب من النباج على عشر مراحل من البصرة [حوالى ٣٠٠ كيلو متراً] . وكان الذين قاموا بالإغارة بطن من تميم هم بنو مقاعس [1] وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، خرجوا يريدون غزو بكر بن وائل حيث نالت بكر من تميم قبل ذلك فى يوم الوقيط .

خرجت مقاعس ورئيسها قيس بن عاصم المنقرى ومعه سلامة بن ظَرِب على بطون من تميم

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢١٧

يعرفون بالأجارب (١) لأنهم كانوا يعدون الناس بكثرة شرهم . وتنازع قيس وسلامة فى الإغارة ثم اتفقا على أن يغير قيس بن عاصم على أهل النباج ويغير سلامة بن ظَرِب على أهل ثَيْتَل . فبعث قيس رجلاً اسمه سنان بن سُمَىْ وكان مشهوراً (٢) بالأهتم لايعرف إلا بها ، بعثه طليعة ليستكشف ما هناك . فلقى رجلاً من بكر بن وائل فتعاهدا ألا يتكاتما وعرف كل منهما من الآخر أخبار قومه . ورجع الأهتم إلى قيس بالخبر فعرف أن أمامه اللهازم وبنى ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم من بكر بن وائل وكذلك عنزة بن أسد .

وكتم قيس بن عاصم عن سلامة ما عرف ، فلما أصبح سقى خيله ثم أطلق أفواه القرب فأراق الماء ، وقال لأصحابه : قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم . ثم أغاروا على أهل النباج فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت بكر وأَسَر الأهتم حمرانَ بن عبد عمرو ، وأسر فَدَكى بن أعبد ، جَثَّامة الذهلى وأصابوا غنائم كثيرة ثم رجعوا مسرعين إلى سلامة بن ظرب ومن معه فوجدوهم لم يغيروا بعد على من بثيتل . فأسرع قيس بن عاصم بالإغارة على ثيتل فقاتلوهم ثم هزموهم وأصابوا غنائم وإبلاً كثيرة .

وجاء سلامة بن ظرب إلى قيس بن عاصم فقال : أغرتم على ما كان إلىّ ! فتجادلا وتلاحّا حتى كاد الأمر يتفاقم ، ثم اتفقا على أن سلّم قيس بن عاصم غنائم ثيتل إلى سلامة .

ويظهر مما روى عن هذا اليوم أن الرؤوس التى أسرت وكانت من بكر بن وائل كانت فى النباج ، أما عنزة فالأرجح أنها كانت فى ثيتل حيث لم يؤخذ منها أحد فاخرت مقاعس بأسره وهذا يناسب أن يكونوا قد أخذوا بعض الفتيات والنساء مثل سلمى بنت حرملة . جاء فى الأغانى « ... فكان أشهر يوم يوم ثيتل لبنى سعد ، وظفر قيس بما شاء وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم » .

لماذا كانت العزة فاشية فى تميم وبكر وغيرهما من قبائل العرب ماعدا عَنَزَة ؟ يبدو أن الأمر ـ كالعادة ـ كان يتعلق بقضية الحكم . كان أبناء القبيلة يتعرضون لحكم استبدادى غير

(١) الأجارب هم بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم إلا عمرو وعوف ابنى كعب .

(٢) سمى بالأهتم لأن قيس بن عاصم ضربه بقوسه فهتم فمه ، وهو سنان بن سُمَىْ بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم . {المعارف ٤٠٣} .

مألوف بين قبائل العرب من قحطان وعدنان جميعاً ، وقد ذكر ابن حزم (١) شيئاً شاذاً كان عند قبيلة عنزة ، قال : كان الحارث {بن الدول بن صُباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة} إذا مصَّر ثوبيه ـ يعنى صبغهما بالحمرة ـ مصَّرت عَنَزَة معه ، فمن لم يفعل نزعوا كتفه !! هكذا دائماً ... ما استبد حاكم بشعبه فقبل منه إلا ضربه الله بالذل . وكم من فتاة غير سلمى راحت فى تلك الإغارة لم يذكرها أحد لأنها لم تلد مثل عمرو . ولعلنا بذلك قد عثرنا على السبب فى خمول ذكر عنزة وذهاب ريحها .

وفى تلك الإغارة قال قرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذى شق المزاد وقد رأى … بثيتل أحياء اللهازم حُضَّرا

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم … فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا

سقاهم بها الذّيفان (٢) قيس بن عاصم … وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا … إذا الماء من أعطافهن تحدَّرا

فلم يرها الراءون إلا فجاءة … نثرن عجاجاً بالسنابك أكدرا

وحمران أدته إلينا رماحنا … فنازع غِلاً فى ذراعيه أسمرا

وجثّامة الذهلى قُدناه عُنْوَةً … إلى الحى مصفود اليدين مفكرا

ولم نعثر فيما رجعنا إليه من مراجع على ما يمكن أن تتوفر فيه الشروط الخمسة غير يوم ثيتل . وعليه فطبقاً لهذا المنهج فى البحث نرى أن قيس بن عاصم المنقرى هو الذى سبى سلمى بنت حرملة من ثيتل ، ثم أسلمها فيمن أسلم إلى سلامة بن الظرب رأس الأجارب إرضاء لهم فباعوها بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ومن هنا تتصل الحلقات .

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٩٤ .

(٢) الذّيفان السم الناقع .

فى السبى :

بطل هذه القصة [١] قيس بن عاصم كان شاعراً فارساً شجاعاً حليماً كثير الغارات مظفراً فى غزواته . أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما ، اشتهر أكثر ما اشتهر بالحلم . قيل للأحنف بن قيس : ما أحلمك ؟ قال : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقرى . ووصفه النبى ﷺ بأنه سيد أهل الوبر . ولكنه فى الجانب الآخر قال قيس أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها . ولقد قص على رسول الله ﷺ أن امرأة له ولدت بنتاً له وهو غائب فأخفتها عند أخوالها حتى كبرت وزعمت له أنها ولدت جنيناً ميتاً ثم جاءت الإبنة يوماً لزيارة أمها فرآها عندها وأخبرته خبرها فأخذها فوأدها وهى تسأله فى براءة إن كان سوف يهيل التراب على وجهها أيضاً ، حتى ردمها وكتم أنفاسها . فدمعت عينا النبى ﷺ ثم قال «إن هذه لقسوة وإنّ من لا يَرْحَم لا يُرْحَم» . وعن أبى هريرة أن قيس بن عاصم دخل على رسول الله ﷺ وفى حجره بعض بناته يشمها . فقال له : ما هذه السَّخلة تشمها ؟ قال «هذه إبنتى» . فقال : والله لقد ولد لى بنون ووأدت بُنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكراً قط . فقال رسول الله ﷺ «فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك !» .

قال الأصفهانى فى الأغانى أن قيس بن عاصم هو الذى استن فى العرب سنة وأد البنات ففعلوا مثله . وكان ممن ارتد وتبع سجاح وأسره خالد بن الوليد فى اليمامة فحلف له أنه جاء إلى مسيلمة يطلب ولداً له كان عنده فتركه خالد .

هذا هو قيس بن عاصم العنيف الحطمة الذى سبى سلمى بنت حرملة فأعطاها إلى سلامة بن ظرب رئيس الأجارب ، فباعها بعكاظ إلى الفاكه بن المغيرة .

ثم باعها الفاكه إلى عبدالله بن جدعان .

ثم باعها ابن جدعان إلى العاص بن وائل . وفى رواية أنه وهبها إليه .

هل وهبها أو باعها ؟ يبدو أنه لا فرق بين أن يكون وهبها أو باعها إذ الحاصل أنها قد انتقلت من مِلْك هذا إلى مِلْك ذاك ... ولكننا نريد النظر فى الأمر لسببين .

(١) الأغانى ٤٩٤٣ ـ ٤٩٦٤ .
عيون الأخبار ١ / ٢٢٥ و ٢٨٦ و ٣٢٤ .
المعارف ٣٠١ .

السبب الأول تساؤل ... لماذا لم تستمر النابغة عند مالك واحد ؟ ليس هذا فقط ... لماذا تعدد من يملكها كثيراً ؟ لقد ذكرنا ثلاثة سادة ثم بعد ذلك أنجبت عروة بن أثاثة بن عبدالعزى بن حرثان العدوى ، ثم ولدت أرنب بنت عفيف بن العاصى [١] ، ثم أنجبت عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضارب بن الحارث بن فهر . فكأنما عاشت المرأة حياتها فى كنف ستة رجال على الأقل ، ولاتسعفنا الروايات التى عثرنا عليها إن كانت عاشت فى كنف غيرهم ، فأن الذى أبقى ذكر بعض هؤلاء أنها أنجبت منهم ، ولكن فيما نسب إليها أنها ذكرت أن العاص بن وائل كان ينفق على بناتها ، بما يعنى أنها كانت لها بنات لم نعرف منهن غيرأرنب [٢] بنت عفيف ، وسنذهب بعد ذلك إلى نفى رواية الإنفاق على بناتها تلك .

أما السبب الثانى فهو البحث فيما كان بين الرجلين من علاقة ، عبدالله بن جُدعان والعاص بن وائل ... البائع والمشترى حيث كانت هناك علاقة .

عن السبب الأول ، ما الذى كان يدعو الرجل أن يقتنى جارية فى تلك الجاهلية ؟

أكثر من سبب .

التسرِّى سبب لمن لايقدر على الزواج من حرة ، أو لمن يريد مزيداً من النساء .

والعمل سبب لمن يحتاج إلى تشغيل العبيد والإماء .

واللهو سبب لمن يهوى اللهو والرقص والغناء .

والدعارة سبب لابتغاء الكسب . ولقد ذكر القرطبى [٣] وابن كثير [٤] فى تفسيرهما قوله تعالى ﴿ .. وَلا تُكرِهُواْ فَتَيَاتِكُم عَلَى البِغَاءِ إن أرَدنَ تَحَصُّناً .. ﴾ [٥] أن أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمَة أرسلها تزنى وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت ، فلما جاء الإسلام نهى

(١) نسب قريش ٤٠٩ .
(٢) الإصابة ٤ / ٢٢١ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن .
(٤) تفسير القرآن العظيم .
(٥) سورة النور ٣٣ .

الله المسلمين عن ذلك ، وكان سبب نزول الآية فى شأن عبدالله بن أُبَىّ بن سلول ، فإنه كان له جارية اسمها معاذة وجارية اسمها مُسَيْكة ، فكان يكرههما على الفجور والبغاء ، وكان الزانى يفتدى ولده من المزنى بها بمائة من الإبل يدفعها إلى سيدها . فكأنما هى كنز لايفنى !!

أى تلك كانت النابغة ؟

تذكر الروايات أنها كانت تغنى بمكة وتأخذ الأجرة ومع ذلك لم يحتفظ بها رجل طويلاً .

فهل كان عَرَض الحياة الدنيا الذى كانت تجبيه ضعيفاً بما يزهد فيها سيدها ؟ أو كان ذلك العَرَض كبيراً بما يرفع من قيمتها عند من يريد توظيف ماله فى ذلك المجال فيدفع فيها الكثير حتى يشتريها ؟ أى ذلك كان ؟

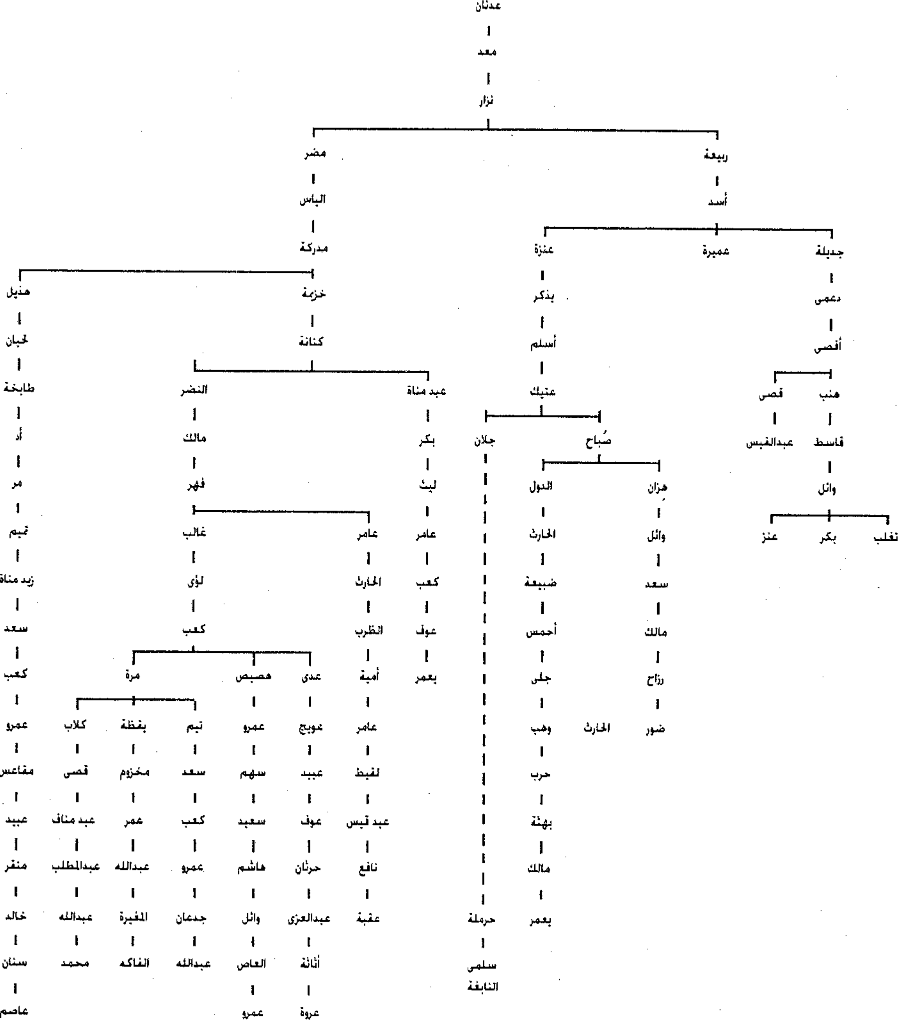
الله أعلم ، ولكن لو صحت الحكاية فإننا نرجح الإفتراض الثانى ، فقد كانت النابغة ـ لاسيما مع الرجال الثلاثة الأول ـ تحت رجال من سادات قريش وسراتها سواء فى ذلك الفاكه وعبدالله والعاص وإن كان من هؤلاء من عرفت عنه الفضيلة والمروءة ونعنى به عبدالله بن جدعان . ثم أن وصفها بأنها «آخذهن لأجرة» فى هذه الحكاية يعنى أنها كانت مورداً غزيراً للمال فيما لو صحت هذه الحكاية .

وأما قول النابغة أن العاص كان ينفق على بناتها فهو قول غريب من وجهين ، الأول ما عرف عن العاص بن وائل من البخل والشح حتى أنه لم يكن ينفق على ولده عمرو حتى عُرِف عن العاص الغنى والثراء وعن عمرو ضيق ذات اليد فى شبابه ، فكيف ينفق على بنات للنابغة ، والثانى أنه لم يعرف للنابغة بنات إلا أرنبا ، ولو افترضنا أنها كانت لها بنات فلم يكن من المناسب أن تكون هى المسئولة عن نفقاتهن فضلاً عن العاص بن وائل .

وقد ذكر بعضهم أن عقبة بن نافع كان ابن خالة عمروبن العاص [1] ، ولكى نقبل هذا القول يتعين أن يكون للنابغة أخت معروفة والثابت أنها كانت سبيّة من بنى جلان ... عشيرة لم تظهر فى حياة الجارية ولم يظهر لها أثر ولم يحاول أحدٌ منهم استنقاذها أو فداءها وبالتالى

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٢٣٥ .
فتوح مصر وأخبارها ١١٦ وفتوح البلدان ٢٨٠ .

لم يكن لها عزوة فذهب أفرادها جميعاً نكرات فى التاريخ لم يسجل أحداً منهم ولم يعرف منهم أحد ، ولولا أن جعل رجل لرجل جُعْلاً ليحرج عمرو بن العاص على المنبر فأجاب بما أجاب ما عرفنا شيئاً عن تلك المرأة .



ولكن يمكن أن يصح هذا القول من وجه آخر ، أن نافع بن عبد القيس الفهرى كان أخاً للعاص بن وائل لأمه ، فالأبوان هما اللذان كانا ابنى خالة .

إن التسليم بأخوة عقبة لعمرو فى الأم يقودنا إلى شىء آخر يكشفه لنا عن الحياة الغامضة للأم ، ذلك أن مولد عمرو بن العاص كان عام ٥٩٣ م على المختار [١] عندنا فى حين ولد عقبة بن نافع عام ٦٢١ م [٢] ، وعلى ذلك يكون بين أكبر أبناء النابغة وأصغرهم ثمانية وعشرون عاماً . فإذا افترضنا - افتراضاً معقولاً - أن النابغة حين ولدت عمرو بن العاص لم تكن تقل عن الخامسة عشرة من عمرها فإن هذا يعنى أن مولدها هى لم يكن بعد عام ٥٧٨ م {٥٩٣ - ١٥} . وإذا افترضنا - افتراضاً معقولاً - أنها حين وضعت عقبة لم تكن تتجاوز الخمسين من عمرها فإن هذا يعنى أن ميلادها لم يكن قبل عام ٥٧١ م {٦٢١ - ٥٠} ... يعنى أن النابغة وُلدت فيما بين عام ٥٧١ م وعام ٥٧٨ م ، وإذا أردنا أن نضيق هذه الفجوة نستطيع القول أنها وُلدت بين عام ٥٧٢ م وعام ٥٧٧ م . سوف يصل بنا البحث أن النابغة عاشت ثلاث سنين فى السبى قبل أن تلد عمرو بن العاص وهذا يصل بنا إلى أنها سبيت حوالى عام ٥٩٠ م ، وحتى تكون النابغة قد وضعت عمراً وهى بين الخامسة عشر والسادسة عشر من عمرها فإن هذا يعنى أنها سبيت وهى بين الثانية عشر والثالثة عشر وعليه يكون مولدها عام ٥٧٧ أو ٥٧٨ م وتكون قد بلغت الثالثة والأربعين أو الرابعة والأربعين عام هجرة النبى ﷺ ٦٢١ م .

هذه المرأة التى أنجبت عمرو بن العاص فاتح مصر وعقبة بن نافع فاتح المغرب ... الجارية أم العظماء ... من أعجب الأمور ألا يذكر أحد من المؤرخين عنها شيئاً أكثر مما ذكرنا نقلاً عن الرواة .

متى ماتت ؟ ... لا أحد يعرف !

(١) توفى عمرو أول شوال ٤٣ هـ = ٦ يناير ٦٦٤ م وكان سنه تسعين سنة أو ثلاثاً وسبعين سنة أو سبعين سنة على أقوال . وقد رجح بتلر بعد مناقشة معقولة أن عمرو بن العاص لابد قد مات فى سن السبعين وهذا يعنى أنه ولد حوالى عام ٥٩٦ م . والذى نراه معقولاً أكثر لاعتبارات متعددة أن وفاة عمرو كانت فى الثالثة والسبعين من عمره ، وعليه يكون مولده عام ٥٩٣ م .

(٢) لا خلاف أن مولد عقبة كان قبل الهجرة بعام واحد .

أين وكيف كانت تعيش ؟ وكم عاشت مع كل رجل ؟

وهل بقيت أَمَة إلى آخر عمرها ؟

هل قامت بتربية عمرو كأم أم حالت ظروفها دون ذلك ؟

هل أسلمت أو لم تسلم ؟

... الخ كل ذلك وأشباهه لاشىء عنه فى المصادر وكأنما عاملها رواة التاريخ معاملة الإماء فلم يشفع لها أنها أنجبت من أنجبت .

وما يهدينا إليه البحث والنظر أن آخر من أنجبت كان عقبة بن نافع بن عبد القيس وأن ذلك كان قبل الهجرة بعام . وكان أبوه نافع بن عبد القيس مع هبّار بن الأسود هما اللذين روّعا زينب بنت رسول الله ﷺ وهى تحاول الهجرة إلى المدينة فى أعقاب غزوة بدر ، روّعاها وهى فى هودجها بذى طوى فطرحت جنينها ثم ظلت تنزف بعد ذلك حتى ماتت بالمدينة ، وأمر رسول الله ﷺ من ظفر بهما أن يحرقهما بالنار ثم عاد ونهى [١] عن ذلك ، وعلى أيةحال لم يظفر به المسلمون حيث مات نافع [٢] {أب عقبة} قبيل الفتح .

وأغلب الظن أن النابغة قد بقيت مع نافع إلى وفاتها وأنها توفيت قبل فتح مكة حيث لم يرد لها أى ذكر بعد الفتح ، وهو كما نرى مجرد ظن لا دليل عليه إلا اختفاء ذكرها بعد ذلك ، ولو كانت بقيت على قيد الحياة إلى عام الفتح لكان لعمرو شأن مذكور مع أمه . لقد كان فتح مكة عام ٨ هـ = ٦٢٩ م وإذ انتهينا إلى أن النابغة قد ولدت بين عامى ٥٧٢ م و ٥٧٧ م فإن هذا يعنى أنها عاشت إلى ما بين الثانية والخمسين والسابعة والخمسين من عمرها .

وإذ كان عمرو فى مجال تحدٍّ حين واجه ذلك الرجل الذى خاطبه على منبر تنيس يسأله عن أمه ، وأخذا فى الاعتبار أن عمرو بن العاص كان رجلاً يحب الفخر ، فالذى نراه أن النابغة ظلت جارية حتى آخر عمرها وأنها ماتت دون أن تسلم إذ لو كانت غير ذلك لكان ذلك الموضع

(١) إبن هشام ١ / ٦٥٤ - ٦٥٧ .

(٢) الإصابة ٣ / ٨٠ - ٦٢٥٧ .

هو الذى يذكر فيه عمرو تحررها أو إسلامها ، خاصة وأن نافع بن عبد القيس ـ آخر سادتها ـ المعن فى الكفر قد عاش إلى قبيل الفتح ، فليس من السهل افتراض أنها أسلمت تمرداً عليه من غير أن يكون لذلك ذكر .

الإبن الثانى للنابغة ـ بعد عمرو ـ كان عروة بن أثاثة {أو ابن أبى أثاثة} بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب {العدوى} ويقال فيه عمرو بن أبى أثاثة . كان قديم الإسلام بمكة وكان (١) من مهاجرة الحبشة . ولانجد عن عروة الكثير فى التاريخ والسيرة ، ذلك أنه كان ممن هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة وقد كانت (٢) عام ٦١٩ م ، ثم هلك (٣) عروة بأرض الحبشة . فلم يرجع إلى الحجاز . ونرجح أن وفاته كانت مبكرة حيث أرسلت قريش أخاه الأكبر عمرو بن العاص وهو مازال كافراً إلى نجاشى الحبشة ليعيد إليها المسلمين المهاجرين ، ومع كثرة ما يروى من تفاصيل عن هذه الرحلة وعن المحاورات التى جرت بين الفريقين أمام النجاشى والتى انتهت بإسلام عمرو على يدى النجاشى ، فلم تذكر أى رواية شيئاً عن مواجهة أو مواقف بين الأخوين عمرو وعروة ، وهذا هو الذى يجعلنا نفترض أن وفاة عروة بالحبشة كانت مبكرة قبل سفارة عمرو إلى النجاشى .

إن الأمومة لا تمحوها العبودية ولا تنال منها ، بل لعلها تزيد عند الإماء عنها عند الحرائر فهى كل ما يتبقى لهن بعد ضياع كل شىء . وكأننا بالأم الثكلى يعتصر قلبها الحزن والألم وهى بمكة يبلغها خبر وفاة ابنها الشاب مهاجراً مغترباً فى أرض الحبشة . وكما توفى عروة بالحبشة كذلك توفى هناك ابن عمه عدى بن نضلة بن عبد العزى فى حين رجع النعمان بن عدى بن نضلة فيمن رجع مع جعفر بن أبى طالب فى منتصف عام ٦٢٨ م .

فإذا أخذنا فى الاعتبار أن مولد عمرو كان عام ٥٩٣ م وأن بعثة النبى ﷺ كانت عام

(١) الإصابة ٢ / ٤٦٨ .
الاستيعاب ٣ / ١١٠ .
أسد الغابة ٤ / ٢٦ .

(٢) لم يذكره ابن إسحق فيمن هاجر إلى الحبشة وذكره موسى بن عقبة وأبو معشر والواقدى . وذكر المقريزى أنه كان بين خروجهم إلى الحبشة وبين غزوة بدر خمس سنين وأشهر ـ يعنى قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث ـ إمتاع الأسماع ٢٠ .

(٣) ابن هشام ٣ / ٣٦٥ ـ ٣٦٧ .

٦٠٨ م وأن الهجرة الثانية إلى الحبشة كانت عام ٦١٩ هـ ، وأن وصف عروة بأنه كان قديم الإسلام بمكة يدفعنا إلى أن نقدر سنه بأكبر ما تسمح به هذه الأرقام لاسيما وكان ممن خرج معه مهاجراً ابن ابن عمه ، ومن جهة أخرى لم يخرج مع عروة زوج ولا ولد شأن عديدين من غيره الأمر الذى قد يعنى أنه لم يكن تزوج ، وحيث كان بين مولد عمرو وبين هذه الهجرة إلى الحبشة ستة وعشرون عاماً ، فلعل عروة كان فى الخامسة والعشرين أو الرابعة والعشرين من العمر يوم هاجر ، يعنى كان مولده حوالى عام ٥٩٥ م ، وهذا يحتم علينا افتراض أن النابغة قد انتقلت من مِلْك العاص بن وائل إلى مِلْك أثاثة بن عبد العزى سريعاً بعد مولد عمرو ، ولعلها لم تمكث مع وليدها الأول إلا مقدار ما أرضعته حتى فطمته .

حياة بائسة يائسة تعيسة نَكِدة .

انتهينا إلى أن النابغة قد سبيت حوالى عام ٥٩٠ م ، يعنى كانت بين الثالثة عشر والثامنة عشر من عمرها . فلما بيعت بعكاظ اشتراها الفاكه بن المغيرة ، وكان من سادات قريش وهو عم خالد بن الوليد ، وأخ الوليد بن المغيرة وقد كان الوليد من كان عُتُواً ، كانا من بنى مخزوم الذين قال عمر بن الخطاب فيهم «إبتلى بنو مخزوم بالجفاء» . وكان أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة واحداً من خمسة رجعوا عن الإسلام بمكة (١) بسبب ما صُبَّ عليهم من العذاب . هذا العذاب الذى نال أبا قيس إما أنه كان من أبيه الفاكه نفسه وإما أنه ـ وهو من سادات قريش ـ كان يستطيع منعه فلم يشأ . هذا الرجل غليظ القلب كان أول من اشترى النابغة من سلامة بن ظَرِب رئيس الأجارب الشرير ، ذلك لنتصور كيف عاشت الجارية عند الفاكه وأى معاملة عاملها .

لم تمكث النابغة كثيراً عند الفاكه ولعلها لم تمكث عنده أكثر من عام ، فباعها إلى عبدالله بن جدعان . كان ابن جدعان سيد بنى تيم من قريش وكان من الكرماء الأجواد المطعمين فى الجاهلية وكان يطعم التمر والسويق واللبن والبُر والشهد . قالت السيدة عائشة (٢) : يا رسول

(١) إمتاع الأسماع ٢٠ .

(٢) السيرة النبوية لإبن هشام ١ / ١٣٣ .
والهامش عن الروض الأنف .

الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال « لا ، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » . وعبدالله بن جدعان مشهور أيضاً بأنه الذى عقد حلف الفضول فى بيته ، ذلك الحلف الذى كان قبل البعثة النبوية بخمس عشرة عاماً وشهده رسول الله ﷺ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره . كان حلف الفضول عام ٥٩٤ م وكان عمرو قد ولد قبل ذلك عام ٥٩٣ بما يعنى أن النابغة انتقلت إلى ملك العاص حوالى عام ٥٩٢ م وهكذا لاتكون قد مكثت عند الفاكه وعند عبدالله بن جدعان كليهما سوى سنتين ، وعليه فقد كانت النابغة عند العاص بن وائل حين عقد حلف الفضول . ولكن رواية ابن كثير أن حلف الفضول كان قبل المبعث بعشرين سنة فى شهر ذى القعدة ، فإن صحت هذه الرواية يكون النبى ﷺ قد شهد الحلف وهو فى سن العشرين ويكون الحلف قد حدث عام ٥٨٩ م ويكون ذلك قبل مولد عمرو بسنوات أربع ، بعبارة أخرى قبل سبى النابغة .

حلف الفضول (١) :

إنها رواية جمعت عبدالله بن جُدعان المالك الثانى ، والعاص بن وائل المالك الثالث ، جمعتهما فى قصة واحدة . أشرنا إلى هذا الحلف حين تناولنا العاص بن وائل .

اجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنه ومكانته وصنع لهم طعاماً فتعاقدوا وتعاهدوا فى ذى القعدة من الأشهر الحرم ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا أنصفوه وكانوا يداً واحدة على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه . وفى هذا الحلف قال رسول الله ﷺ «لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن له به حُمْر النَّعْم ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت» .

وسواء كان حلف الفضول قبل سبى النابغة أو بعد أن آلت إلى العاص فقد كان ابن جدعان يومذاك مُسِنّاً صاحب عدل ونصفه وهو الأوحد بين جميع من امتلك صاحبتنا الذى كان على تلك الصفة ، ولكنها لتعاستها ونكد حظها لم تمكث عنده أكثر من عام .

(١) البداية والنهاية ٢ / ٢٩١ .

الفنانة المغنية :

إذا ذهبنا نبحث عن النابغة المغنية المشهورة فى عصرها كما ذكرت الرواية الموضوعة عن أروى بنت الحارث تعاير عَمْراً ، لانجد شيئاً . فإن المرجع الأول ـ بل يكاد يكون الأوحد ـ وهو كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى لايذكر النابغة البته ولاشيئاً من غنائها كما يذكر عن الأخريات والآخرين .

وإذا كان أبرز ما يميز الإنسان ويحقق شخصيته هو إسمه ، فإنه مما يشبع حب التأله عند السيد المتجبر أن يمحو شخصية العبد أو الجارية ويهدر آدميته فيغير اسمه ويختار له إسماً من عنده وينتج عن ذلك ـ فيما يحدث ـ ناتج جانبى غير مقصود ... أن يدوخ الباحث اليوم وهو يلهث بحثاً وراء الجارية .

من أجل ذلك حفظ الإسلام للرقيق ما يجب أن يُحفظ له وكفل له من الحقوق ما يحفظ عليه ـ وهو رقيق ـ آدميته ، ومن ذلك اسمه ونسبه . ليس أبلغ فى هذا الشأن من زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ حين أطلق عليه الناس اسم زيد بن محمد ، وكان فى ذلك من التكريم له ما فيه وكان زيد نفسه يحب محمداً أكثر من حبه لأبيه ، ولكن الله يأبى ذلك . فأنزل قوله تعالى (١) :

﴿ .. وَمَا جَعَلَ أدعِيَاءَكُم أبنَاءَكُم ذَالِكُم قَولُكُم بِأفوَاهِكُم وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهدِى السَّبِيلَ <٤> ادعُوهُم لِآبَائِهِم هُوَ أقسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّم تَعلَمُوا ءَابَاءَهُم فَإِخوَانُكُم فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُم وَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ فِيمَا أخطَأتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَت قُلُوبُكُم وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً <٥> ﴾ .

كان زيد يحب أن يقال له ابن محمد بدلاً من ابن حارثة ، ولكن لم يكن كل الرقيق كذلك ، ولم يكن أى رقيق تحت يد سيد مستبد يجرؤ أن يجهر بأنه يفضل أن ينتسب إلى أبيه بدلاً من سيده ، فكان نزول القرآن بهذا الحكم إنصافاً لأولئك البائسين الذين ضرب عليهم الرق .

وما أمر القرآن به من الاحتفاظ للرقيق بأسماء آبائهم هو أبلغ من الاحتفاظ بأسمائهم ويتضمنه فلا يجوز تغيير اسم الأمَة ولا اسم أبيها عسى أن يبحث عنها أهلها فيعثرون عليها ولو بعد عشرين سنة .

(١) سورة الأحزاب ٤ و ٥ .

هذا ما أمكننا بلوغه فى شأن النابغة سلمى بنت حرملة . وهنا نتوقف عند رأى للعقاد [١] لابد من الوقوف عنده ومناقشته ، قال :

«المتفق عليه أنها كانت سبيّة مغلوبة على أمرها ، فلم تقارف البغاء سقوطاً منها وابتذالاً لعرضها ، ومثل هذه لاتحسب عليها زلاتها كما تحسب على المرأة التى تزل ولها مندوحة عن الزلل وتهوى وهى فى موضع الصون والكرامة» .

من حيث المبدأ المجرد نوافق على ما ذهب إليه العقاد ولقد أيده شرع الله بالعدل حيث جعل عقاب الإماء نصف عقاب الحرائر فيما اقترفت بغير إكراه فقال ﴿.. فَإِذَا أُحصِنَّ فَإِن أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيهِنَّ نِصفُ مَا عَلَى المُحصَنَاتِ مِنَ العَذَابِ ..﴾[٢] ... وأوضح القرطبى أن المحصنات يراد بهن الحرائر ، كما أسقطت الشريعة المسئولية عن المكره الذى لا يستطيع دفع الإكراه ، فالأمر هنا لايعدو ـ إن صح ـ أن يكون اغتصاباً لا إرادة للمرأة فيه .

قوية :

ولكن ذهبنا نبحث فى المصادر عن أصل حكاية أروى بنت الحارث بن عبد المطلب التى عايرت عمرواً بأمه وهى الحكاية التى لا غيرها تكون أصلاً لإلقاء تلك الشبهة على النابغة حتى وجدناها فى كتاب «بلاغات النساء» [٣] لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر {وهو أحمد بن طيفور} وكذا فى «العقد الفريد» [٤] لابن عبد ربه الأندلسى .

قال ابن طيفور : روى ابن عائشة {منكر} عن حماد بن سلمة {ثقة ولكن كانت له مناكير ، ربما حدث بالحديث المنكر [٥]} عن حميد الطويل {قال ابن سعد : كان حميد ثقة كثير الحديث إلا أنه ربما دلس عن أنس بن مالك} عن أنس بن مالك [٦] ...

(١) عمرو بن العاص ١٢ . ونقله عنه أيضاً عبد الخالق سيد أبو رابيه فى كتابه «عمرو بن العاص بين يدى التاريخ» ص ٣٨ .
(٢) سورة النساء ٢٥ .
(٣) ص ٤٠ .
(٤) ٢ / ١١٩ .
(٥) الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ٣٩ .
(٦) الطبقات الكبرى ٧ / ٢ / ١٧ .

وقد جاء فى روايته أن عمرو بن العاص قال لأروى «أيتها العجوز الضالة أقصرى من قولك وغضى من طرفك» قالت «ومن أنت لا أمَّ لك» ؟ قال «عمرو بن العاص» قالت «يا إبن اللخناء [١] النابغة أتكلمنى ، اربع على [٢] ظلعك واعن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش فى اللباب من حسبها ولاكريم منصبها ، ولقد ادعاك ستة من قريش وكلهم يزعم أنه أبوك ، ولقد رأيت أمك أيام مِنَى بمكة مع كل عبد عاهر ، فأتَمّ بهم فإنك بهم أشبه ...» .

وبالنظر فى سند هذه الرواية نجد حُمَيْد الطويل بن أبى حميد صدوقاً ثقة ولكنه كان يدلس ، قال ابن حجر [٣] «كثير التدليس عن أنس» كما وصفه بالتدليس النسائى وغيره [٤] ، وقد توفى ١٤٢ أو ١٤٣ هـ {توفى أنس ٩٣ هـ} .

وحماد بن سلمة [٥] من الأعلام الثقات توفى ١٦٧ هـ .

أما ابن عائشة فهو عبيد الله بن محمد بن حفص المحاربى الكوفى ، قال ابن عدى [٦] «له مناكير» .

وصاحب المصدر أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بابن طيفور مؤرخ من الكتّاب ، قال عنه ابن النديم «لم أر ممن تشَهَّر بمثل ما تشهر به من تصنيف الكتب وقول الشعر أكثر تصحيفاً منه ولا أبلد علماً ولا ألحن ... وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت ، وكذا قال البحترى فيه» . كان مولده ٢٠٤ هـ ٨١٩ م ووفاته ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م . وكان من المخلصين للعباسيين [٧] واتهم بالسطحية ، وقد ذكر على بن الجهم أنه لما أفضت الخلافة إلى الخليفة

(١) اللّخَن نتن الريح .
(٢) أربع على ظلعك يعنى ارفق على نفسك فيما تحاول ولا تحملها ما لاتطيق .
(٣) طبقات المدلسين ٦٠ ـ المُدَلّس ما أسقط منه راو لم يسمعه من حدث عنه موهماً سماعه ممن لم يحدثه بشرط معاصرته . ومن التدليس أن يسقط الراوى شيخ شيخه إذا كان ضعيفاً وشيخه ثقة {مفتاح كنوز السنة ـ الخولى}.
(٤) أسماء المدلسين ـ السيوطى ٩٧ ـ الوفيات ١٢٥ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٩٤ .
(٥) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٩٢ .
(٦) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٧٦ ، ٢٥٥ ـ المنكر حديث قد لايعرف متنه من غير راويه وكان راويه بعيداً عن درجة الضبط . والمنكر راويه ضعيف {مفتاح كنوز السنة للخولى} .
(٧) مروج الذهب ٤ / ٤٢ .
تاريخ بغداد ٤ / ٢١١ .
الفهرست ٢٠٩ ـ الفن الثالث من المقالة الثالثة .
دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٨٠ ، ١ / ٢٠٦ .
الأعلام ١ / ١٤١ .

العباسى جعفر المتوكل على الله أهدى إليه الناس على قدر أقدارهم وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيف ووصيفة وكانت فيها جارية يقال لها محبوبة ... الخ . هذه النزعة العباسية مع صفات الرجل التى أوردها عنه ابن النديم تفسر لنا إقباله على ذكر هذه القصة فى مؤلفه عن عمرو بن العاص الذى كان يناصر معاوية بن أبى سفيان .

ولقد نظرنا فى كتاب «بلاغات النساء» فوجدنا به كثيراً من قصص المجون وحوارات الفحش وأشعاره .

أما فى العقد الفريد فقد ساق ابن عبد ربه للحكاية إسناداً عن العباس بن بكار عن أبى بكر الهذلى وعبدالله بن سليمان المدنى .

والأول هو العباس بن الوليد بن بكار الضبى ، بصرى مات بالبصرة عام ٢٢٢ هـ وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، قال عنه إبن حبان [١] «شيخ من أهل البصرة يروى عن أبى بكر الهذلى وخالد الواسطى العجائب ، لايجوز الاحتجاج به بحال ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الإعتبار للخواص» . وقال الداقطنى عنه أنه كذاب . واتهم فى حديث ساق له إسناداً إلى على رضى الله عنه مرفوعاً : إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط إلى الجنة . وحديث آخر عن أبى هريرة ـ بزعمه ـ أنه قال : مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدى ، محمد عبدى ورسولى أيدته بعلى . كما روى عن أنس عن أم سليم أنها قالت : لم ير لفاطمة دم فى حيض ولا نفاس ، وقال ابن خلكان هذا من وضع العباس [٢] . وقال أبو نعيم الأصبهانى : يروى المناكير ، لاشىء [٣] . وقال ابن حبان [٤] لايجوز الاحتجاج به بحال .

وأما ثانى حلقات السند أبو بكر الهذلى فهو سُلْمِىّ بن عبدالله ، كان فى صحابة أبى جعفر المنصور ، يعنى كان عباسى المشرب ، وكان أبو العباس السفاح يقول ما رأيت أحداً

(١) المجروحين ٢ / ١٩٠ .
لسان الميزان ٣ / ٢٣٧ [١٠٥٢] .
(٢) لسان الميزان ٣ / ٢٣٧ .
(٣) كتاب الضعفاء ١٢٣ .
(٤) المجروحين ١ / ٣٥٩ .

أغزر علماً من أبى بكر الهذلى [١] . توفى ١٥٩ وقيل ١٦٧ هـ ، وهو خال عباس بن الوليد بن بكار ، وكان من أهل الكوفة وسكن البصرة ، ذكره الجاحظ [٢] من خطباء هذيل ومن القصاص وقال «كان خطيباً قاصّاً وعالماً بالأخبار والآثار ومن العلماء بأيام الناس» . ولكنه كان يروى عن الأثبات الأشياء الموضوعات ، قال يحيى بن معين [٣] عنه أنه كان يكذب وأنه ليس بشىء ، وحدث عن غندر قوله : لم يكن أبو بكر الهذلى ثقة ، وقال كان يكذب [٤] ، وقال عنه النسائى «متروك الحديث» . وقال الهمذانى حدثنا عمرو بن على قال : لم أسمع يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن أبى بكر الهذلى بشىء قط . وضعف أحمد بن حنبل أمره ، وقال على بن المدينى «أبو بكر الهذلى ضعيف» . وسأل أبوشيبة علياً عن أبى بكر الهذلى فقال «ضعيف ليس بشىء» . وقال مزاحم بن زُفَر لشعبة «ما تقول فى أبى بكر الهذلى ؟» فقال [٥] «دعنى لا أقىء» .

وأما عبدالله بن سليمان المدنى فقد وثقه ابن معين ، وهذا لايدعم الرواية فى شىء حيث أن الذى نسبها إليه كذاب ينسب الأكاذيب إلى الثقات وهذه من طبائع أساطين الكذب أن ينسبوا إلى الثقات .

وأما عن صاحب المصدر الثانى «العقد الفريد» [٦] فهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم ، ولد فى ٢٤٦ هـ ٨٦٠ م وتوفى ٣٢٨ هـ ٩٤٠ م . كان جده الأعلى سالم مولى لهشام بن عبدالرحمن بن معاوية ، وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء فجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً ، أما حفيده صاحب العقد الفريد فيدل كثير من كلامه

(١) تاريخ بغداد ٩ / ٢٢٣ .
(٢) البيان والتبيين ١ / ٣٥٧ و ٣٦٨ و ٢ / ١٤٠ . وقال إبن الجوزى «هو من أهل البصرة» [تلقيح فهوم أهل الأثر ٥٤٩] .
(٣) الضعفاء والمتروكين .
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٠٠ .
(٤) تاريخ بغداد .
(٥) تاريخ بغداد ٩ / ٢٢٤ .
(٦) وفيات الأعيان ١ / ١١٠ .
الأعلام ١ / ٢٠٧ .

على التشيع وميل للحط من بنى أمية ، يقول ابن كثير [1] «وهذا عجيب منه لأنه أحد مواليهم {يقصد الأمويين} وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم» . وقال ابن خلكان : له ديوان شعر حسن ، ثم أورد عنه أشعاراً فى التغزل فى المردان وفى النسوان أيضاً . هذه المعلومات عن ابن عبد ربه وباعتباره متشيعاً يكره بنى أمية ومن كان معهم ومنهم عمرو بن العاص تفسر لنا إيراده القصة عن كذابين مشهود عليهم بالكذب .

وثمة أمر آخر . لقد روى ابن عبد ربه الرواية عن العباس بن بكار ، ولقد مات العباس هذا فى البصرة عام ٢٢٢ هـ فى حين ولد ابن عبد ربه بقرطبة فى الأندلس عام ٢٤٦ هـ ، فبينهما ربع قرن من الزمان بين وفاة هذا ومولد ذاك وأكثر من ذلك من المكان بما يعنى استحالة لقائهما ، فضلاً عن أن أبا بكر الهذلى قد توفى عام ١٥٩ هـ أو ١٦٧ هـ فبينه وبين ما روى عن أروى فى مجلس معاوية قرابة قرن من الزمان لم يذكر من الرواة من يغطيه ويعبر به ذلك الزمن .

إن قوة السلسلة تقاس بأضعف حلقاتها ، وقد تبين لنا أن القصة قد وصلتنا عن سلسلة من الرواة ضعاف مجروحين ، ولو كانت القصة صحيحة لكان لما ذهب إليه العقاد مكان ، ولكنه - بكل أسف - لم يحقق الرواية ، فإن القصة بمقاييس علم الرجال والرواية والإسناد ساقطة لاتصح ، وهكذا ينحسر ما يلقى هذا الإدعاء على النابغة الذى لم يذكره إلا ذو هوى عن ذى غرض كذاب عن كذاب آخر متروك عند العلماء .

ولقد ذهبنا نبحث عن أشخاص هؤلاء فى أمهات كتب التاريخ وكتب الأدب عسى أن نعرف عنهم المزيد فلم نجد لهم ذكراً فيما رجعنا إليه .

بعدما تقدم نستطيع أن نحدد المعالم البارزة فى حياة النابغة سلمى بنت حرملة على الوجه الآتى :

(١) البداية والنهاية ١١ / ١٩٣ .

٥٧٧			مولد النابغة
٥٩٠			سبى النابغة
			الفاكه بن المغيرة
٥٩١			عبدالله بن جدعان
٥٩٢			العاص بن وائل
٥٩٣			مولد عمرو بن العاص
٥٩٤			حلف الفضول {أو ٥٨٩ م}
			أثاثة بن عبدالعزى
٥٩٥			مولد عروة بن أثاثة
٦٠٨			بعثة النبى ﷺ
٦١٩			هجرة عروة إلى الحبشة
٦٢١			مولد عقبة بن نافع
٦٢١		١ هـ	هجرة النبى ﷺ
٦٢١	٦٢٨		وفاة النابغة
٦٢٢			وفاة العاص بن وائل
٦٢٩			إسلام عمرو بن العاص
			فتح مكة

إن الذى يهمنا هنا هو عمرو بن العاص ذاته وليس أمه ، وإنما نتطرق إلى بحث أمر أمه كأثر من آثار النشأة والنسب ، هذا إلى جوار أن أثر الإسلام عليه جعله رضى الله عنه ونحن نتابعه فى فتح مصر رجلاً حراً مُتَحَرِّراً ومُحَرِّراً بكل ما فى الكلمة من معنى .

كان محرراً حين تعاهد مع المقوقس ، وكان محرِّراً حين ترك فسطاطه قائماً ليمامة تحرمت به ، وكان محرراً حين أمَّن بنيامين بطريرك القبط على حياته وعقيدته وممارسة شعائره وأمور ديانته مع رعيته ، وكان محرراً حين عامل أهل مصر معاملة أهل الصلح . كان عمرو بن العاص محرراً حراً فى كل خطوة خطاها على ثرى مصر وبين أهلها الذى جاء إليهم وهم مستذلون فى ضيعة لبيزنطة .

إذا كان الرجل ابن جارية عرفت الرق وذاقت بكل قسوتها مرارة العبودية ربما نشأ طاغية لايعرف الرحمة يمعن فى الاستبداد انتقاماً من الدنيا التى انتهكت حياة أمه واقتفاء لهذه العقدة فى نفسه ، وكم رأينا من طغاة كانت قسوة نشأتهم هى سبب طغيانهم وإسرافهم فى الجنون والجبروت حين استمكنوا من رقاب الناس ، وربما نشأ رحيماً عادلاً يشعر بمشاعر الضعفاء والمكلومين يضع نفسه موضع كل منهم فينصفه كما يحب أن ينصف نفسه .

ولقد كان عمرو من النوع الأول حين بعثته قريش إلى نجاشى الحبشة ليوقع بمن هاجر إليها من المسلمين الفارين بدينهم من مكة ويعود بهم ليصب عليهم العذاب ، ثم كان من الطراز الثانى فى كل ما لمحناه من فتح مصر . لماذا كان هكذا ثم كيف صار كذلك ؟ إنه الإسلام ...! كان عمرو كافراً ثم صار مسلماً ففعل الإيمان فعله فى هذا القلب وصدق الله العظيم ﴿وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا ‹٧› فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا ‹٨› قَد أَفلَحَ مَن زَكَّاهَا ‹٩› وَقَد خَابَ مَن دَسَّاهَا ‹١٠› ﴾[1] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ‹٣٧› وَءَاثَرَ الحَيَاةَ الدُّنيَا ‹٣٨› فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأوَى ‹٣٩› وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى ‹٤٠› فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى ‹٤١› ﴾[2] .

عمرو يزور الإسكندرية [3] :

والزيارة التى نعنيها لم تكن فى فتح مصر ، إنما كانت فى الجاهلية . قبل الفتح وقبل الإسلام بسنوات لا نعلمها ولا يعلمها أحد إذ أن الرواية جاءت غُفْلاً من ذلك ، وليس فى ثناياها ما يلقى الضوء على توقيتها ، ولكنها إن صحت فلا مجال لوقوعها إلا قبل سقوط مصر فى يد الفرس عام ٦١٧ م .

تقول الحكاية أن عمرو بن العاص قدم إلى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش ، ولانرى

(١) سورة الشمس ٧ ـ ١٠ .

(٢) سورة النازعات ٣٧ ـ ٤١ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٦ حدثنا يحيى بن خالد العدوى ، عن ابن لهيعة {توفى ١٧٤ هـ} ، ويحيى بن أيوب {توفى ١٦٨ هـ} عن خالد بن يزيد {توفى ١٣٩ هـ} أنه بلغه .
ولاة مصر ٢٩ حدثنى السكن بن محمد بن السكن التجيبى قال حدثنا محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى قال ، حدثنى زياد بن يونس الحضرمى ، قال حدثنى يحيى بن أيوب أن خالد بن يزيد وعبيد الله بن أبى جعفر حدثاه ، عمن أدركا من مشايخهما وربما قال خالد : كان حنش بن عبدالله يقول .

ذلك إلا أنه كان فى رحلة من رحلات الصيف التى أَلِفَتْها قريش . فإذا هؤلاء النفر بشماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه وكانت رعية الأبل نوباً بينهم .

فبينما عمرو يرعى تلك الأبل إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر ، فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له ، فشرب الشماس حتى روى ونام مكانه . وكانت إلى جنب الشماس حيث نام حفرة ، فخرجت منها حية عظيمة تسعى ، فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها . فلما استيقظ الشماس ورأى الحية كبيرة مخيفة وقد أنجاه الله منها ، قال لعمرو «ما هذه ؟» فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها ، فأقبل إلى عمرو فقبَّل رأسه وقال له «قد أحيانى الله بك مرتين ، مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية ، فما أقدمك إلى هذه البلاد ؟» .

قال عمرو : قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا .

قال الشماس «وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك ؟» .

قال «رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيراً ، فإنى لا أملك إلا بعيرين ، فأملى أن أصيب بعيراً آخر فتكون ثلاثة أبعرة» .

فقال له الشماس «أرأيت دية أحدكم بينكم كم هى ؟» .

قال : مائة من الإبل .

قال الشماس : لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير .

قال عمرو : يكون ألف دينار .

قال الشماس : إنى رجل غريب فى هذه البلاد وإنما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس وأسيح فى هذه الجبال شهراً ، جعلت ذلك نذراً على نفسى ، وقد قضيت ذلك ، وأنا أريد الرجوع إلى بلادى ، فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن الله تعالى أحيانى بك مرتين» .

فقال له عمرو «أين بلادك ؟» .

قال : مصر ، فى مدينة يقال لها الإسكندرية .

فقال له عمرو : لا أعرفها ولم أدخلها قط .

قال الشماس : لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها !

قال عمرو : وتفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق ؟

قال : نعم لك الله علىّ بالعهد والميثاق أن أفى لك وأن أردك إلى أصحابك .

قال عمرو : وكم يكون مكثى فى ذلك ؟

قال الشماس : شهراً . تنطلق معى ذاهباً عشراً ، وتقيم عندنا عشر ، وترجع فى عشر ، ولك علىّ أن أحفظك ذاهباً وأن أبعث معك من يحفظك راجعاً .

فقال له عمرو : أنْظِرْنِى حتى أشاور أصحابى فى ذلك .

وانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس ، وقال لهم : تقيموا علىّ حتى أرجع إليكم ولكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم آنس به .

فقالوا : نعم .

وبعثوا معه رجلاً منهم . فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية ، فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه ، وقال « ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال » . ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فازداد عجباً .

ووافق دخول عمرو الإسكندرية عيداً عظيماً من أعيادهم ، يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم وعظماؤهم يمرحون ويلعبون ، فكانوا يلعبون بكرة مكللة بالذهب يقذفونها ويترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم ، وفيما جرّبوا من تلك الكرة فيما مضى من أمرهم أنها من وقعت فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم .

فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالكرة وهم يتلقونها

بأكمامهم ، فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو ، فعجبوا من ذلك وقالوا « ما كذبتنا هذه الكرة قط إلا هذه المرة . أترى هذا الأعرابى يملكنا ؟ هذا ما لايكون أبداً ! » .

ومشى الشماس فى أهل الاسكندرية وأعلمهم أن عَمْراً أحياه مرتين وأنه قد ضمن له ألْفَىْ دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ودفعوها إلى عمرو . وانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما .

وبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالاً . فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفاً . قال عمرو « فكان أول مال اعتقدته وتَأثَّلْتُه » .

حكاية طريفة مليحة .

ولكن صحيحة هى ؟ أم من نسج الخيال ؟

أول ما يلفت نظرنا أن ليس فى القصة ما يمكن نقضه أو تكذيبه لتعارضه مع ما هو معلوم . بل إن العكس هو الصحيح . فلقد كانت لقريش رحلات تجارية إلى الشام وكان موسمها الصيف كما أخبر القرآن الكريم . وعمرو كان من قريش فليس ثمة ما ينفى أنه كان يخرج فى تلك التجارة . وكما مر بنا فقد ضبطنا رحلة الصيف التى لقى فيها أبو سفيان بن حرب هرقل ملك الروم فى القدس فى شهر ذى الحجة ٧ هـ [١] الذى وافق شهر أبريل نيسان ٦٢٩ م ، فرحلة الصيف إذاً كانت تقع فى أول الصيف ، يناسب هذا أن يدرك عمرو موسم الأعياد المسيحية والقومية بالاسكندرية وهى التى تقع فى أبريل ومايو مثل عيد الفصح وعيد القيامة وشم النسيم .

وليس غريباً على عمرو فى الجاهلية أن يرعى الإبل خاصة وقد كان جزاراً صلته بالإبل قائمة ، والتناوب فى الرعى كان أمراً مألوفاً بين العرب . كذلك تتفق أحداث القصة وأن

(١) الطريق إلى دمشق ١٣١ .

يجىء الشماس من الإسكندرية إلى القدس ليؤدى صلاة نذرها ، فالقدس كانت مدينة الزيارة والصلاة للنصارى والصيف مناسب لذلك من أكثر من وجه .

قال الشماس لعمرو فى هذه الحكاية أن الرحلة من القدس إلى الإسكندرية تستغرق عشرة أيام ذهاباً وعشرة إقامة وعشرة للرجوع . فكيف كان الطريق من القدس إلى الإسكندرية ؟

ذكر ابن خرداذبه أن الطريق من فلسطين إلى المغرب كان إلى الفسطاط [1] ثم من الفسطاط إلى الإسكندرية ... لقد أقيمت الفسطاط بعد فتح مصر ولم تكن قائمة فى اليوم الذى يفترض فيه رحلة عمرو . ما يخالف ... كانت هناك بابليون وتندونيس {أم دنين} موقعها بالقاهرة الآن فيما بين ميدان باب الحديد وحديقة الأزبكية ، ومعنى هذا أن الطريق كان يدور حول الدلتا من جنوبها ولم يكن يجتازها أو يعبرها من الشرق إلى الغرب ، وهذا منطقى فقد كانت دلتا النيل مليئة بالأنهار وكان الفيضان الذى يحدث صيفاً يغرق الأراضى ويهدد المواصلات خلالها ، ومن غير فيضان فأى مطر يحدث شتاء من شأنه أن يوحل الطرق .

فإذا بحثنا عن ذلك الطريق وجدناه بتفاصيله وأبعاده بين الرملة وفلسطين وبين الإسكندرية مروراً بالفسطاط [2] على النحو التالى :

١٥٢ ميلاً تقطع فى ٦ أيام من الرملة إلى الفرما .

١١٧ ميلاً تقطع فى ٥ أيام من الفرما إلى الفسطاط {صيفاً ، أو ٩٧ ميلاً شتاء} .

---

(١) المسالك والممالك ١١٧ .

(٢) من الرملة إلى أزدود ١٢ ميلاً ، إلى غزة فى القرى والعمران ٢٠ ميلاً ، إلى رفح ١٦ ميلاً {١٠ فى بساتين و ٦ فى رمل كثير} ، إلى العريش فى رمل ٢٤ ميلاً ، ثم يفترق الطريق إلى (أ) طريق الجفار وهو الرمل من العريش إلى الورادة ١٨ ميلاً إلى البقارة ٢٠ ميلاً إلى الفرما ٢٤ ميلاً . (ب) طريق الساحل من العريش إلى المخلصة ٢١ ميلاً إلى القصر حصن للنصارى وفيه ماء عذب ونخل ٢٤ ميلاً إلى الفرما ٢٤ ميلاً . ومن الفرما يختلف الطريق إلى الفسطاط فطريق للشتاء وطريق للصيف (أ) طريق الصيف من الفرما إلى جرجير ٣٠ ميلاً إلى فاقوس الغاضرة ٢٤ ميلاً إلى مسجد قضاعة ١٨ ميلاً إلى بلبيس ٢١ ميلاً إلى مصر ٢٤ ميلاً . (ب) وطريق الشتاء من الفرما إلى المرصد ومن المرصد إلى الغاضرة ٣٤ ميلاً ويلتقى الطريقان هناك ـ ومن الفسطاط إلى ذات الساحل ٢٤ ميلاً إلى ترنوط ٣٠ ميلاً إلى كوم شريك ٢٢ ميلاً إلى الرافقة خليج الإسكندرية ٢٤ ميلاً مع النيل إلى قرطسا ٣٠ ميلاً إلى كِرْيَوْن ٢٤ ميلاً إلى الإسكندرية ٢٤ ميلاً .
{ابن خرداذبه ٨٠ و ٨٤ ـ قدامة بن جعفر ٢٢٠ و ٢٢٩} .

١٧٨ ميلاً تقطع فى ٧ أيام من الفسطاط إلى الإسكندرية .

وجملتها جميعاً ١٨ يوماً ، فإذا أضفنا إلى ذلك يوماً بين القدس والرملة كان معنى هذا أن الرحلة كانت تستغرق ١٩ يوماً بين القدس والإسكندرية وليس عشرة أيام كما جاء على لسان الشماس ، فهل يعنى هذا أن الرواية منقوضة ؟

لو لم يكن هناك تعليل لربما كان هذا يعيب الرواية ، ولكن تقدير المسافات بالأيام استعمله البلدانيون القدماء على أساس أن القافلة المحملة بالأثقال على الإبل كانت تقطع ٢٤ ميلاً عربياً فى اليوم ، وعلى هذا قدرنا ما قدرنا ، وعليه فإن السفر المنفرد فى غير قافلة محملة لاشك يكون أسرع ، كما أن هذا السفر فى صحبة الشماس لعله تم على ظهور الخيل فلم تكن قوافل الإبل شيئاً مألوفاً فى مصر ، أو لعله كان بحراً لاسيما وقد كانت الدولة البيزنطية دولة بحرية . وعليه فإن القصة لم تنقض بعد وقد لاتنقض .

خلاصة القول أن القصة محبوكة وليس ثمة ما يعارضها سوى أسطوريتها ، فضلاً عن أنها قصة لاتقبل القول بأن فيها مبالغة ، فهى إما موضوعة كلها أو صادقة برمتها . وهى معقولة مقبولة كثيراً إذا ما قورنت بقصص أخرى كثيرة تملأ كتب التاريخ ولا نصدقها مثل الإله الذى تزوج إلهة أو الإله الذى قتل الإله الآخر ليتربع على عرشه أو الجيش الذى اختفى داخل حصان كبير من الخشب ليفتح طروادة الحصينة أو قصة كعب أخيل ... إلخ . فلنا مندوحة أن نسوق القصة فى كتاب تاريخ وليس فقط لأنها كما قلنا قصة مليحة .

ونحن فى نظرتنا إلى القصة من زاوية حبكتها نخالف نظرة الأستاذ العقاد إليها إذ قال[1] بعد أن سردها « ... وهى قصة مريحة فى تلفيقها ، لأن القارىء لايتعب فى الاهتداء إلى مواضع التلفيق منها . فلا يخفى على قارىء من قراء العصر الحاضر موضع التلفيق من حكاية الكرة ولا موضع المبالغة من حكاية الدنانير . وشفاعة القصة الوحيدة أنها تروى لنا مدخل عمرو مصر على أقرب الوجوه أن يكون هو الوجه الصحيح (!) ، وهو النظر إلى شعبها وحكومتها وعمارتها ومجمل أحوالها فى صحبة شماس يريه من أسرار ذلك جميعه ما لا يراه فى صحبة رجل غيره ، إذ كان الشماسون يومئذ أعرف الناس بحقائق الخلاف بين الحكومة

---

(١) عمرو بن العاص ٢٣ للعقاد .

والكنيسة وبين شُعَب الكنيسة فى داخلها ، وكان عمرو خليقاً أن يعرف منه مصر تلك المعرفة التى هونت عليه الهجوم على فتحها بذلك العدد القليل من الجند ، وتلك العدة القليلة من السلاح . إلا أن هذه القصة على أية حال ليست مرجعنا الوحيد فى العلم بزيارة عمرو للديار المصرية ، فقد روى الكندى أنه كان يحمل التجارة إليها كما كان يحملها إلى بيت المقدس والشام» . أ . هـ . فكأن الأستاذ العقاد يقبل الرواية بعد تجريدها من حكاية الكرة وحكاية الدنانير .

إلى هنا والقصة مازالت فى الميزان ، والسؤال مازال قائماً .

هذه الحكاية حقيقة أم خيال ؟ !

إن كثيراً من أمثال هذه القصص لم يحسمها التاريخ ، ولا علينا أن نفعل إذا استعصى الأمر علينا ، فمن المبادىء المقررة أن الباحث لايكون مسئولاً إذا لم يجد من الأدلة التى لاتقبل الشك ما يصل به إلى الحقيقة الثابتة (١) ، ولكن بقى مذهب علينا أن نستوفيه ، وهو النظر فى الإسناد الذى ساقه إلينا ... فى الرواة الذين وصلتنا عن طريقهم ، فهذا هو المنهج الذى ينتهجه المسلمون لتحقيق أخبارهم وآثارهم وأحاديث نبيهم ﷺ ، والقصة على كل حال ليست من الحديث النبوى ولا ترقى إلى مستواه ولا تقرب منه ، والرواية ساقها مؤرخنا عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (٢) ، قال حدثنا يحيى بن خالد العدوى ، عن ابن لهيعة {مختلف فيه} ويحيى بن أيوب {محله الصدق ولايحتج به} عن خالد بن يزيد {وثقه النسائى ومات ١٣٩ هـ بالإسكندرية} أنه بلغه ... كما أوردها محمد بن يوسف الكندى (٣) .

ابن عبدالحكم صدوق ثقة توفى ٢٥٧ هـ ولكن يحيى بن خالد العدوى نجهله ولم نجد له ذكراً فيما رجعنا إليه (٤) من مراجع سواء التى اختصت بالثقات أو بالضعفاء أو تلك التى

(١) منهج البحث التاريخى ٢٠٠ ـ د . حسن عثمان ، دار المعارف ١٩٨٠ .
(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٦ .
(٣) ولاة مصر ٢٩ .
(٤) الطبقات الكبرى لإبن سعد ـ فتوح مصر وأخبارها لإبن عبدالحكم ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ النجوم الزاهرة ـ طبقات الحفاظ للسيوطى ـ طبقات خليفة بن خياط ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ـ تهذيب تاريخ دمشق ـ الوفيات لابن قنفد ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ـ الضعفاء الصغير للبخارى ـ الضعفاء والمتروكين للنسائى ـ الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى .

مزجت بينهم أو كتب الطبقات ، ويروى يحيى الرواية عن اثنين هما عبدالله بن لهيعة ويحيى بن أيوب ، ابن لهيعة ضعّفه بعضهم ووثقه آخرون والأرجح عندنا أنه ثقة فى التاريخ على الأقل ، توفى ١٧٤ هـ وقد أوردناه فى مبحث الرواة ، وعلى كل حال فابن لهيعة لم ينفرد برواية الخبر إلى يحيى بن خالد ولكن شاركه فى ذلك يحيى بن أيوب وهو ثقة توفى ١٦٨ وقد رواه عن خالد بن يزيد وهو ثقة توفى ١٣٩ هـ وعنده ينقطع الإسناد فيقول عن الخبر أنه بلغه . والقصة إن صحت تكون قد حدثت فى الجاهلية قبل الإسلام أو على وجه التحديد قبل غزو كسرى برويز للشام ومصر ، لقد سقطت دمشق وقيصارية فى يد الفرس عام ٦١٤ م وسقطت القدس عام ٦١٥ م والإسكندرية عام ٦١٧ م وعليه إن كانت القصة قد وقعت يكون ذلك فى صيف ٦١٣ م قبل الهجرة بسنوات سبع ، يعنى كان عمرو فى نحو العشرين من عمره أو فى صيف قبله ، بما يعنى أن هناك فارقاً زمنياً مقداره يقترب من قرن ونصف بين وقوعها وبين أول أثر التقطه راو معلوم ، وهذا شأن كثير من الروايات التاريخية . فالتاريخ لم يشترط له من التحقيق مثلما يلزم تحقيق الحديث الشريف ، بمعنى أنه يمكن قبول الروايات التى فى إسنادها لين مادامت لاتصطدم بسواها مما هو أوثق منها ، إلا أنه فى حالتنا هذه نرى أن الإسناد قد اختلط فى حلقاته مجهول ينسب حكايته إلى الثقات فضلاً عن أنه انقطع قبل الحدث الذى يرويه بما يزيد عن قرن من الزمان .

مازال هذا لايعنى أن الحكاية وقعت أو لم تقع ، ولكن هذا قصارى ما استطعنا أن نتتبع به الرواية والله أعلم ، ونرى السند ضعيفاً على هذه الصورة . وقد أورد القصة السيوطى (١) عن ابن عبدالحكم دون تعليق منه بما قد يعنى أنه لا اعتراض له عليها ، أو أنه يعلق مسئوليتها فى رقبة ابن عبدالحكم .

وقد أورد الكندى أيضاً هذه الحكاية دون أن يذكر الشماس ، ولكنه ذكر أن عمرو بن العاص كان تاجراً فى الجاهلية وكان يختلف بتجارته إلى مصر وهى الأُدْم والعطر (٢) .

(١) حسن المحاضرة ١ / ٩٤ .
(٢) ولاة مصر ٢٩ حدثنى السكن بن محمد بن السكن التجيبى ، قال حدثنا محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى ، قال حدثنى زياد بن يونس الحضرمى ، قال حدثنى يحيى بن أيوب أن خالد بن يزيد وعبيد الله بن جعفر حدثاه عمن أدركا من مشايخهما ، وربما قال خالد ، كان حنش بن عبدالله يقول : كان عمرو بن العاص تاجراً فى الجاهلية ... الخ .

عن من أدركا من مشايخهما

خالد بن يزيد ١٣٩

عبيد الله بن أبى جعفر (ثقة) ١٣٢ ـ ١٣٦

يحيى بن أيوب الغافقى ١٦٨ (إختلفوا فيه)

عبدالله بن لهيعة ١٧٤

يحيى بن خالد العدوى حوالى ٢١٥

إبن عبد الحكم ٢٥٧

زياد بن يونس الحضرمى ٢١١ (ثقة)

محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى ٢٥١ (ثقة)

السكن بن محمد بن السكن التجيبى

محمد بن يوسف الكندى ٣٥٠

إلا أن هناك رواية أخرى [1] تقول «وكان عمرو قد دخل مصر فى الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها» . وهى وإن لم تذكر قصة كرة الذهب إلا أنها تؤيد مجىء عمرو إلى مصر . ولم ترد أى روايات أخرى مفصلة عن دخول عمرو مصر فى الجاهلية سوى رواية كرة الذهب .

بطبيعة الحال رأى عمرو أرض مصر وانبساطها وحقولها وزراعاتها ، ورأى أيضاً جند الروم وملابسهم ودروعهم وسلاحهم كما رأى الحصون والكنائس والمبانى . كل هذا رآه أيضاً حاطب بن أبى بلتعة حين حمل رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس ٧ هـ وشرحبيل بن حسنة الكندى حين بعثه النبى ﷺ من تبوك حوالى شهر رجب ٩ هـ ، وكعب بن عدى إذ بعثه أبو بكر رضى الله عنه . برسالة أخرى إلى المقوقس فى جمادى الأولى ١٣ هـ على الأرجح كما بعثه عمر بن الخطاب مرة أخرى عام ١٥ هـ ، ثم رأى كل ذلك جيش عمرو بن العاص لفتح مصر ١٩ هـ .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٦ ـ قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح {ثقة مات ٢١٧ هـ} ، حدثنى عبدالله بن وهب {أحد الأئمة مات ١٩٩} عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم {أكثرهم وثقوه ، مات ١٥٦} عن سعد بن مسعود التجيبى {نجهله ، ويدعم روايته أن الذين رووها عنه ثقات أجلاء} عن شيخين من قومه .

الباب الخامس

تواريخ خطوات فتح مصر

تواريخ خطوات فتح مصر

من الأهمية أن نحدد تواريخ وتوقيتات عملية فتح مصر ليس فقط للإثبات التاريخى وإنما أيضاً لتوقيعها على الاعتبارات الأخرى مثل حالة الجو وفيضان نهر النيل والمحاصيل الزراعية ... الخ . نجد بعض تلك التواريخ فى مصادر المسلمين الذين أرّخوا لهذه العملية وأهمها كتاب «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبدالحكم ، كما نجد فى مصادر غيرهم وأهمها كتاب «سير الآباء البطاركة» للأسقف ساويرس بن المقفع ، و «ديوان حنا النقيوسى» .

وقد مر فتح مصر بخطوات بدأت بموافقة الخليفة عمر بن الخطاب ، فتقدُّم عمرو بن العاص بجيش المسلمين إلى العريش ثم إلى الفرما فبلبيس مروراً بالقواصر ثم إلى عين شمس وأم دنين إلى حصن بابليون وبعده إلى الإسكندرية .

وتواريخ الفتح منها ما هو منصوص عليه تحديداً واتفاقاً بين المصادر ، ومنها ما اختلفوا حوله ، ومنها ما قمنا باستخراجه بحساباتٍ أو استنتاجاً بتقديرات بينية .

وبين أيدينا الروايات الآتية :

١ ـ لما كانت سنة ثمانى عشرة وقدم عمر بن الخطاب الجابية ، خلا به عمرو بن العاص فاستأذنه فى المسير إلى مصر [١] .

٢ ـ كان مسير عمرو إلى مصر فى سنة تسع عشرة [٢] ، فنزل العريش .

٣ ـ عاد عمر إلى المدينة وكتب يعزل عمرو بن العاص عن فلسطين ويأمره أن يتجهز ويخرج إلى مصر ..... وذلك فى السنة السابعة من خلافة عمر بن الخطاب [٣] .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٦ ، عن عثمان بن صالح .

(٢) فتوح البلدان ٢٤٩ [بدون إسناد] .

(٣) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ٢٠ .

{يعنى سنة ٢٠ هـ [١] ، حيث توفى أبو بكر واستخلف عمر ٢١ جمادى الآخرة ١٣ هـ} .

٤ ـ بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص «كن قريباً منى حتى أستخير الله» وذلك فى سنة تسع عشرة [٢] .

٥ ـ فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر [٣] . {يعنى عيد الأضحى ، الخميس ١٠ من ذى الحجة سنة ١٩ هـ ٢٩ نوفمبر ٦٤٠} .

٦ ـ فضحى عمرو عن أصحابه يومئذ بكبش [٤] . ونقدر أن يكون قد مكث بالعريش حتى حوالى السبت ١٧ صفر ٢٠ هـ ٣ فبراير ٦٤١ امتثالاً لأمر عمر «كن قريباً منى حتى أستخير الله» .

٧ ـ بلغ المقوقس دخول العرب إلى مصر فأرسل جيشاً إلى عمرو بن العاص فتلاقى مع جيشه على الفرما ... ثم إن عمرو أقام يحاصر أهل الفرما نحو شهر [٥] .

٨ ـ تقدم عمرو فكان أول موضع قوتل فيه الفرما ، وقاتلته الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر حتى فتح الله عليه [٦] . {حوالى ٢٥ ربيع الأول ٢٠ هـ ١٢ مارس ٦٤١ ونقدر أن يكون قد سار منها حوالى ٣ ربيع الآخر ٢٠ هـ ٢٠ مارس ٦٤١} .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٣٦ . أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص سنة ٢٠ أن يسير إلى مصر ، ثم بعث له الزبير بن العوام مدداً ومعه عمير بن وهب الجمحى وبسر بن أرطاه العامرى وخارجه بن حذافة .

(٢) ولاة مصر ٣٠ حدثنى السكن بن محمد بن السكن التجيبى ، قال حدثنا محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى {وثقوه} ، حدثنى زياد بن يونس الحضرمى {مستقيم الحديث} ، قال حدثنى يحيى بن أيوب {وثقه قوم وضعّفه آخرون} ، أن خالد بن يزيد {ثقه} وعبيد الله بن أبى جعفر {ثقة فقيه} حدثاه عمن أدركا من مشايخهما ـ وربما قال خالد : كان حنش بن عبدالله يقول .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ حدثنا سعيد بن عفير {صدوق ثقة} عن الليث بن سعد {ثقة فقيه} .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ عن عبدالملك بن مسلمة {لم يوثقه أحد} حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة فقيه} ، والرواية تدعمها الرواية السابقة .

(٥) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٤ ـ قال ابن عبدالحكم .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ رجع إلى حديث عثمان بن صالح {ثقة} .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٤ .

٩ ـ فتقدم عمرو لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه [١] . {ونقدر وصوله إلى بلبيس حوالى ٩ ربيع الآخر ٢٠ هـ ٢٦ مارس ٦٤١ ويكون فتحها حوالى ٩ جمادى الأولى ٢٠ هـ ٢٤ أبريل ٦٤١ ، ويكون قد سار منها حوالى ١٤ جمادى الأولى ٢٠ هـ ٢٩ أبريل ٦٤١} .

١٠ ـ فلما تمت عشر سنين من ملك هرقل والمقوقس وهو يطلب بنيامين ، أنفذ ملك المسلمين سرية مع عمرو بن العاص فى سنة ٣٥٧ لدقلديانوس قاتل الشهداء ، فنزل عسكر الإسلام إلى مصر بقوة عظيمة فى ١٢ بؤونة {وهو حزيران = يونيه} وهو الرابع من دنكطنين من شهور الروم وملك بعض البلاد . {وقد انتهينا إلى أن ١٢ بؤونة ٣٥٧ قد وافق ٦ يونيه ٦٤١ م ٢٢ جمادى الآخرة ٢٠ هـ} وكانت أمته محبة للبرية فأخذوا الجبل حتى وصل إلى قصر بابليون [٢] .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ قال عثمان فى حديثه .

حسن المحاضرة ١ / ١٠٧ .

(٢) سير الآباء البطاركة ١٠٧ .

وعن سنة ٣٥٧ لدقلديانوس ، فقد وضع التقويم القبطى على أساس التقويم المصرى القديم ، واعتبرت السنة فيه ٣٦٥,٢٥ يوماً كما فى التقويم اليوليانى . وهى تنقسم إلى ١٢ شهراً بكل شهر ٣٠ يوماً ، ثم يُضاف بعدها أيام النسيئة أو الشهر القصير وهى ٥ أيام للسنة البسيطة و ٦ أيام للسنة الكبيسة ، وفى كل ٤ سنين سنة واحدة كبيسة ، واعتبرت السنة الثالثة هى الكبيسة لأنه بعد مضى ٣ سنوات تكون السنة المدنية على اعتبار أنها ٣٦٥ يوماً قد نقصت عن الشمسية بمقدار ثلاثة أرباع يوم فتقرب إلى يوم كامل ، ثم تتكرر السنوات الكبيسة بعد كل ٤ سنوات بمعنى أنها السنوات التى ترتيبها ٧ و ١١ و ١٥ و ١٩ وهكذا ، وتكون السنون الكبيسة هى التى تقبل القسمة على ٤ بعد طرح ٣ منها .

فمن السنين الكبيسة ٣٥٥ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٧ ـ ٣٧١ .

ومن السنين البسيطة ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

وقد وافق اليوم الأول للسنة القبطية يوم الجمعة ٢٩ أغسطس ٢٨٤ ميلادية يوليانية {التقاويم ٥١} الذى هو مبدأ حكم دقلديانوس **Diocletion** سفاح القبط وسافك دمائهم ، فتم اختياره أول التقويم القبطى ، ويطلقون على رأس السنة القبطية النيروز ، أما شهورها فهى بالترتيب : توت ، بابه ، هاتور ، كيهك ، طوبة ، أمشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤونة ، أبيب ، مسرى ، {ثم النسىء} .

ولكى نصل إلى تحديد المعادل لتاريخ ١٢ بؤونة ٣٥٧ اتبعنا الآتى :

* من أول توت سنة ١ إلى أول توت ٣٥٧ يوجد ٣٥٦ سنة .
* أول سنة كبيسة فى هذه المدة هى سنة ٣ .

=

= * وأول سنة كبيسة بعد هذه المدة هى سنة ٣٥٩ .

∴ عدد السنين الكبيسة = (٣٥٩ ـ ٣) / ٤ = ٨٩

عدد الأيام فى هذه الفترة = ٣٥٦ × ٣٦٥ + ٨٩ = ١٣٠٠٢٩

وهو ما يعادل ٣٥٦ + ٨٩ = ٤٤٥ يوماً .

وتكون المدة من أول توت إلى ١٢ بؤونة كالآتى :

توت ـ بابه ـ هاتور ـ كيهك ـ طوبة ـ أمشير ـ برمهات ـ برمودة ـ بشنس ـ بؤونة

٢٩ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ١٢ = ٢٨١ يوماً

ولكى نتقدم بتاريخ ١٢ بؤونة بمقدار ٣٥٦ سنة نضيف إليها ٢٨٤ (التى توافق العام القبطى الأول) فإنها تصل إلى ٢٩ أغسطس ٦٤٠ .

ويلاحظ الآتى :

* من أول توت سنة ١ إلى أول توت ٣٥٧ يوجد ٣٥٦ سنة منها ٨٩ كبيسة .

* من ٢٩ أغسطس ٢٨٤ إلى ٢٩ أغسطس ٦٤٠ يوجد ٣٥٦ سنة منها ٨٩ كبيسة .

∴ عدد الأيام بين التاريخين القبطيين يساوى عدد الأيام بين التاريخين اليوليانيين (٢٨١ يوماً) بمعنى أن أول توت ٣٥٧ يوافق ٢٩ أغسطس ٦٤٠ وبإضافة ٢٨١ يوماً لنصل إلى ١٢ بؤونة ٣٥٧ فإنها تصل بنا إلى ٦ يونية ٦٤١ ميلادية يوليانية .

أغسطس ـ سبتمبر ـ أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر ـ يناير ـ فبراير ـ مارس ـ أبريل ـ مايو ـ يونيه

٢ + ٣٠ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٣١ + ٢٨ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٦ = ٢٨١ يوماً .

(وليس من عام ٦٤٠ كما ذكر الأستاذ محمود عكوش فى كتاب مصر فى عهد الإسلام ٤٦) .

ولم نهتد إلى ما يوافق شهر دنكطنين وشهر يكاتيت اللذين جاء ذكرهما عند ساويرس بن المقفع وعند حنا التقيوسى .

فشهر توت يبدأ فيما بين ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر وبابه يبدأ من ١١أكتوبر إلى ٩ نوفمبر .

وهاتور يبدأ فيما بين ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر وكيهك يبدأ من ١٠ديسمبر إلى ٨ يناير .

وطوبة يبدأ فيما بين ٩ يناير إلى ٧ فبراير وأمشير يبدأ من ٨ فبراير إلى ٩ مارس .

وبرمهات يبدأ فيما بين ١٠ مارس إلى ٨ أبريل وبرمودة يبدأ من ٩ أبريل إلى ٨ مايو .

وبشنس يبدأ فيما بين ٩ مايو إلى ٧ يونية وبؤونة يبدأ من ٨ يونية إلى ٧ يولية .

وأبيب يبدأ فيما بين ٨ يولية إلى ٦ أغسطس ومسرى يبدأ من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر

(المعلومات يناير ـ مارس ٢٠٠١ . وكالة الأهرام للتوزيع) .

هذه التأريخات وجدناها لاتتطابق مع ما توصل الأستاذ محمود عكوش (فى كتابه مصر فى عهد الإسلام) ونذهب إلى أن لذلك سببين ، الأول أنه اعتبر أن عمرو بن العاص بدأ سيره من العريش عام ١٨ هـ إستناداً إلى رواية أنه استأذن عمر بن الخطاب عام ١٨ فى السير إلى مصر ، ولكن نذهب إلى أن الاستئذان شىء وأن السير شىء آخر ، وقد نُص صراحة أنه سار فى سنة تسع عشرة ، أما السبب الثانى فهو أنه أخذ ببعض مباحثه عن الكتاب الساقط «فتوح الشام للواقدى» وهو ليس للواقدى وقد تناولنا هذا الموضوع فيما سبق حيث تناولنا «رواة فتح مصر» . =

= ولذلك أردنا أن نستوثق من أيهما فوجدنا الأسس الآتية للاستعانة بها فى الحساب وذلك من كتاب «التقاويم» للأستاذ محمد محمد فياض .

* السنة القمرية الحقيقية = ٣٥٤,٣٦٧٠٥٦ يوماً (ص ٩ و ص ٦٦) فهى تزيد على السنة المدنية ٣٦٧, يوماً ، يعنى ١١ يوماً كل ٣٠ سنة (ص ٦٦) .

* السنة اليوليانية ٣٦٥,٢٥ يوماً (ص ٨ و ٣١) فهى تزيد على السنة الشمسية ٣,١٢ أيام كل ٤٠٠ سنة (ص ٣٢) .

* أول محرم للعام الهجرى الأول يوافق ١٥ يولية ٦٢٢ ميلادية يوليانية (ص ٧٠) .

* أول توت (الشهر الأول فى السنة القبطية) من السنة الأولى يوافق يوم الجمعة ٢٩ أغسطس ٢٨٤ يوليانية (ص ٥١) .

* السنة الميلادية الجريجوارية = ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً (ص ٨ و ص ٣١) .

ولننتقل إلى موضوعنا فإنه يكون :

من أول محرم ١ هـ إلى أول محرم ٢٠ هـ = ١٩ سنة قمرية .

∴ ١٩ × ٣٥٤,٣٦٧٠٥٦ = ٦٧٣٢,٩٧٤٠٦٤ يوماً (يعنى ٦٧٣٣ يوماً) .

ومن ١٥ يولية ٦٢٢ إلى ١٤ يولية ٦٤٠ = ١٨ سنة .

∴ ١٨ × ٣٦٥,٢٥ = ٦٥٧٤,٥ يوماً (يعنى ٦٥٧٥ يوماً) .

فبينهما فارق مقداره ١٥٨ يوماً .

ولكى نصل بها إلى ذات عدد الأيام علينا أن نضيف الآتى :

١٧ يوماً من يولية + ٣١ أغسطس + ٣٠ سبتمبر + ٣١ أكتوبر + ٣٠ نوفمبر + ١٩ من ديسمبر ٦٤٠ = ١٥٨ يوماً .

فإن ١٥٨ + ٦٥٧٥ = ٦٧٣٣ يوماً ، بمعنى أن أول محرم ٢٠ هـ يوافق ١٩ ديسمبر ٦٤٠ .

ولكى نزداد استيثاقاً من الحساب نحسبها حتى زماننا كالآتى :

أول محرم ١٤٢١ يوافق ٦ أبريل ٢٠٠٠ طبقاً للتقويم الحالى

أول محرم ١ يوافق ١٥ يولية ٦٢٢

بينهما ١٤٢٠ قمرية ٢١ يوماً ٨ شهراً ١٣٧٧ سنة شمسية

١٤٢٠ × ٣٥٤,٣٦٧٠٥٦ = ٥٠٣٢٠١,٢١٩٥ يوماً .

١٣٧٧ × ٣٦٥,٢٤٢٢ = ٥٠٢٩٣٨,٥٠٩٤

+ ٨ أشهر = ٣٦٥,٢٤٢٢ × ٨ / ١٢ = ٢٤٣,٤٩٤٨

+ ٢١ يوماً ٢١,ـ

٥٠٣٢٠٣,٠٠٤٢

بفارق قدره ١,٧٨٤٧ يوماً وهو فارق لا يؤثر تاريخياً على حسابنا فيما يزيد عن ١٤ قرناً .

وبناء على ذلك وضعنا فى الصفحات التالية تقويماً لتلك الفترة للاستعانة بها فى تحديد تواريخها .

١١ ـ أرسل عمرو إلى أمير المؤمنين يستمده بالعساكر ، فأمده بأربعة آلاف فبقى معه ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه من العساكر حتى نزل على الحصن ... قائماً يحاصرهم مدة طويلة ، فلما أبطأ خبر الفتح على أمير المؤمنين عمر فأمد عمروا بأربعة آلاف آخرى فيهم الزبير بن العوام [١] .

١٢ ـ فقاتلوهم بها {بابليون} شهراً ... فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى فلحقوا بالجزيرة ... وذلك فى جرى النيل [٢] . {حوالى ٢٢ جمادى الآخرة ٢٠ هـ ٦ يونيه ٦٤١ ، وهذا هو ما يوافق ١٢ بؤونة ٣٥٧ قبطية} .

١٣ ـ أن عمر بن الخطاب ... كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فى جنده فخرج حتى فتح بابليون فى سنة عشرين [٣] .

١٤ ـ كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو سنة عشرين أن يسير إلى مصر فسار إليها وافتتح بابليون عنوة [٤] .

١٥ ـ فتحت مصر فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين [٥] . {وهو ما يوافق ١٩ ديسمبر ٦٤٠ ، لكن أول محرم هذا كان يوم الثلاثاء ، أما أول يوم جمعه عام ٢٠ هـ فقد كان فى ٤ محرم ٢٢ ديسمبر ٦٤٠} .

١٦ ـ فساروا سنة عشرين أو أحد أو اثنتين أو خمس {يعنى وعشرين} فاقتحموا باب اليوم ثم ساروا فى قرى الريف إلى مصر [٦] .

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٥ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة} ، أخبرنا خالد بن نجيح {كذاب يفتعل الحديث ـ منكر الحديث ـ مات ٢٥٤} عن يحيى بن أيوب {سىء الحفظ منكر الحديث ، محله الصدق ولا يحتج به} وخالد بن حميد {لا بأس به} ، قالا حدثنا خالد بن يزيد {وثقه النسائى} ، عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض .
وتبدأ الأمطار على منابع النيل فى الحبشة مع بداية شهر مايو ويصل الفيضان إلى مصر خلال شهرى يولية وأغسطس ، ثم يبدأ فى الانخفاض فى شهر سبتمبر .
حسن المحاضرة ١ / ١٠٩ عن ابن عبد الحكم بالاسناد السابق عن ابن عبدالحكم .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٤ حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن إسحق .

(٤) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٣ / ١١٢ .

(٥) ولاة مصر ٣٢ حدثنى يحيى بن أبى معاوية التجيبى ، قال حدثنى خلف بن ربيعة الحضرمى {توفى ٢٦٢} ، عن أبيه ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب .

(٦) ابن خلدون ٢ / ١١٤ .

١٧ ـ قال الليث بن سعد «أقام عمرو بن العاص يحاصر الحصن ستة أشهر [١] . {يعنى حتى نحو ٢٨ من ذى القعدة ٢٠ هـ ٦ نوفمبر ٦٤١} .

١٨ ـ كان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر [٢] . {يعنى حتى نحو ٢٨ من ذى الحجة ٢٠ هـ ٦ ديسمبر ٦٤١} .

١٩ ـ تم الاستيلاء على حصن بابليون فى اليوم التالى لعيد القيامة [٣] { وهو عيد الفصح }
the citadel of Babylon in Egypt was taken on the second day after the (festival of the) Resurrection .

٢٠ ـ كيف أخذ المسلمون مصر فى العام الرابع عشر من الدورة وجعلوا حصن بابليون يفتح أبوابه فى العام الخامس عشر . وقضى عمرو اثنى عشر شهراً فى القتال فى شمال مصر . وفى العام الخامس عشر من الدورة أثناء الصيف سار إلى مدن سخا وطوخ دمسيس ... حتى يخضع المصريين قبل فيضان النهر [٤] .

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٩٦ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة} عن عبدالله بن وهب {إمام ثقة} ، عن الليث {إمام ثقة} .
ولاة مصر ٣٢ حدثنا عبدالملك بن يحيى بن عبدالله بكير ، قال حدثنى أبى {وثقوه وضعّفه النسائى} عن الليث بن سعد .
حسن المحاضرة ١ / ١٠٩ .

(٣) ديوان حنا النقيوسى ١٨٧ .
وعيد القيامة هو عيد الفصح ، يأتى بعد حلول الاعتدال الربيعى {٢١ مارس} وبعد ظهور البدر الكامل أو معه . و ٢١ مارس ٦٤١ يوافق ٤ ربيع الآخر ٢٠ هـ فيكون البدر الكامل التالى لذلك ١٤ ربيع الآخر ٢٠ هـ يوافق السبت ٣١ مارس ٦٤١ {إذا وقع البدر يوم الأحد يؤجل الاحتفال إلى الأحد التالى} ، وطبقاً لحسابنا هنا يكون يوم الأحد ١٥ ربيع الآخر ٢٠ هـ أول أبريل ٦٤١ ، ويكون اليوم التالى له هو الاثنين ١٦ ربيع الآخر ٢٠ هـ ٢ أبريل ٦٤١ ، وهو تاريخ يبعد كثيراً عما نحن بسبيله ولا يتفق مع سائر الروايات .

(٤) ديوان حنان النقيوسى ـ فصل ١١٥ ص ١٨٣ .
والدورة فترة معينة من الزمن ، والدورات الأساسية هى الأسبوع والشهر والسنة ، وهناك دورات أكبر منها وأهمها الدورة الشمسية اليوليانية **Solar Cycle** ، وهى ٢٨ سنة يوليانية وعدد أيامها ٢٨ × ٣٦٥,٢٥ = ١٠٢٢٧ يوماً . وهو يقبل القسمة على ٧ ، بمعنى أن الدورة تحتوى على عدد صحيح من الأسابيع ، فإذا كان أول يناير سنة ٣ ميلادية يوليانية هو يوم الاثنين فإن أول يناير سنة ٣١ يكون يوم الاثنين أيضاً وكذلك أول يناير ٥٩ وأول =

٢١ ـ أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر [١] .

٢٢ ـ وكان موت هرقل فى سنة تسع عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم [٢] .

٢٣ ـ مات هرقل فى سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام [٣] .

٢٤ ـ ... أن مصر فتحت سنة عشرين [٤] . {ونفهم من السياق أن المقصود هنا بابليون} .

٢٥ ـ وقع هرقل مريضاً بالحمى ومات فى السنة الحادية والثلاثين لعهده فى شهر يكاتيت

= يناير ٨٧ وهكذا ، ولاتستخدم هذه الدورة إلا لسنين يوليانية . والدورة الشمسية الجرجوارية ٤٠٠ سنة ولاتنطبق إلا على السنين الجرجوارية بعد سنة ١٥٨٢ التى بدأ فيها الحساب الجرجوارى باكتشاف أن هناك خطأً فى التقويم اليوليانى مقداره نحو ٣ أيام كل ٤٠٠ سنة فصارت السنون الكبيسة هى التى تقبل القسمة على ٤ ما عدا السنين المئوية فلا تكون كبيسة إلا إذا كانت تقبل القسمة على ٤٠٠ . وقد طبق التقويم الجرجوارى فى مصر ١٨٧٥ فى عهد الخديو إسماعيل .

والذى يهمنا هنا هو الدورة القمرية **Lunar Cycle** حيث نص عليها حنا النقيوسى بقوله «فى العام الرابع عشر للدورة القمرية لعام ٣٥٧ لدقلديانوس} . فكل ٣٠ سنة قمرية تحتوى على ٣٠ × ٣٥٤ + ١١ = ١٠٦٣١ يوماً ، وهو عدد لا يقبل القسمة على ٧ وأقل عدد يضرب فيه ليصير أسابيع كاملة هو ٧ .

∴ ٢١٠ سنة قمرية بها عدد صحيح من الأسابيع ، فإذا كان الفرق بين تاريخين قمريين ٢١٠ سنة ومضاعف لها فإنهما يتفقان فى اسم اليوم وموقعه من الشهر ، والغرض من هذه الدورة التوفيق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ، فبعض الأعياد عند المسيحيين والإسرائيليين ترتبط بمواعيد فى الشهر القمرى ويحل فى مواعيد معينة أيضاً فى السنة الشمسية ، مثل عيد الفصح {القيامة} عند المسيحيين يكون عيد الفصح يوم الأحد الذى يأتى بعد البدر الكامل للإعتدال الربيعى ، ثم أعياد مسيحية أخرى ترتبط بهذا العيد .

وغير مفهوم تماماً ما قصده ساويرس بن المقفع بقوله «نزل مصر بقوة عظيمة» ! هل يعنى اجتيازه الحدود الشرقية ؟ أو حين جاءه المدد ؟ أو نزوله حصن بابليون ؟ أو فتحه عاصمة البلاد وهى الإسكندرية ؟

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٦ حدثنا يحيى بن خالد العدوى عن الليث بن سعد .
فتوح البلدان ٥٢٩ بدون إسناد .
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١٠١ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ من حديث يحيى بن أيوب {وثقه بعضهم وضعفه آخرون} وخالد بن حميد {لا بأس به} .
حسن المحاضرة ١ / ١١٩ عن ابن عبد الحكم .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير {ثقة} عن الليث بن سعد .
حسن المحاضرة عن الليث بن سعد .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٦١ عن عبدالملك بن مسلمة {لم يوثقه أحد} عن مالك بن أنس .
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ٢٠ .

Yakâtît {الشهر الحبشى السادس ، يبدأ فى السابع من شهر فبراير بالشهور الجرجوارية الرومانية فى العام الرابع عشر للدورة القمرية لعام ٣٥٧ لدقلديانوس [١]}
in the fourteenth year of the lunar cycle, the 357 of Diocletian .

٢٦ ـ قال ابن لهيعة أن مصر فتحت قبل فتح الإسكندرية بتسعة أشهر ... فحاصر المدينة {الاسكندرية} مدة طويلة [٢] .

٢٧ ـ حاصروا الاسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبلها وفتحت الجمعة لمستهل محرم سنة عشرين [٣] .

٢٨ ـ حاصرها أشهراً [٤] .

٢٩ ـ بعد تنصيب بنيامين بطركاً لبث الفرس ست سنين يملكون مصر قبل خروجهم منها ، ثم انتصر هرقل على كسرى وأرسل سيروس والياً على مصر فهرب بنيامين إلى الصعيد ... الى كمال عشرة سنين التى كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر [٥] .

٣٠ ـ سار عمرو إلى الاسكندرية فى ربيع الأول سنة عشرين {رأيناه سنة ٢١} . وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الأول . ويقال بل فتحها فى مستهل سنة احدى وعشرين . ثم مضى عمرو إلى أنطابلس وهى برقة فافتتحها بصلح فى آخر سنة إحدى وعشرين . وقال الليث فى تاريخه فتحها سنة ثلاث وعشرين [٦] .

٣١ ـ سار عمرو إلى الإسكندرية سنة إحدى وعشرين [٧] .

(١) ديوان حنا النقيوسى ١٨٤ و ١٨٥ .
(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٩٩ و ١٠١ .
(٣) فتوح مصر وأخبارها ٦١ من حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد .
(٤) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .
(٥) سير الآباء البطاركة ١٠٥ .
(٦) ولاة مصر ٣٢ قال سعيد بن عفير {صدوق ثقة} عن أشياخه .
(٧) فتوح البلدان ٢٥٩ {بدون إسناد} .

٣٢ ـ استيلاء عمرو على أبسادى {نقيوس} وجاء إلى جزيرة ساونا فى يوم الأحد الثامن عشر من شهر جنبوت Genbût فى العام الخامس عشر من الدورة [١] .

٣٣ ـ وفى سنة ٣٦٠ لدقلديانوس فى شهر الدركطس الأول من بعد أن ملك عمرو مصر بثلاث سنين ، ملك المسلمون مدينة الاسكندرية وهدموا سورها ... وأخبر سانوتيوس عمرو عن بنيامين الهارب من الروم فكتب له عمرو أماناً إلى عمال مصر ... وعاد إلى الاسكندرية بعد غيبة ثلاثة عشر سنة ، منها عشرة سنين لهرقل وثلاثة قبل أن يفتح المسلمون الإسكندرية [٢] .

٣٤ ـ لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص : « ... فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين وماذلك إلا لما أحدثتم » [٣] .

٣٥ ـ فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سنة إحدى وعشرين [٤] .

٣٦ ـ سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس فى سنة اثنين وعشرين [٥] .

٣٧ ـ غزا عمرو بن العاص طرابلس فى سنة ثلاث وعشرين [٦] .

٣٨ ـ التاسع الحبشى يبدأ ٨ مايو فى العام الخامس عشر من الدورة [٧] .

٣٩ ـ مات بنيامين فى الثامن من طوبة بعد أن كان بطركاً ٣٩ سنة [٨] .

٤٠ ـ عيد ميلاد المسيح فى الثامن والعشرين من كيهك [٩] .

---

(١) ديوان حنا النقيوسى ١٨٧ . وذكر محمد رمزى أن الجغرافيين الافرنج ذهبوا إلى أن نقيوس هى أبشادى بالقرب من الشاطىء الشرقى لفرع رشيد . وذهب هو إلى أنها مكان الكوم الأثرى بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف {القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ١ ص ٤٦٣} ، أما جزيرة ساونا فلم نهتد إلى مكانها .

(٢) يوان حنا النقيوسى ١٠٨ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ حدثنا يحيى بن خالد عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه .

(٤) فتوح البلدان ٢٦٦ حدثنى بكر بن الهيثم عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ حديث عثمان بن صالح {ثقة} وغيره .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ حدثنى يحيى بن عبدالله بن بكير {ثقة} عن الليث بن سعد .

(٧) ديوان حنا النقيوسى ١٨٨ .

(٨) سير الآباء البطاركة ١١٢ .

(٩) سير الآباء البطاركة ١١٣ .

٤١ ـ بعث قسطنطين بن هرقل رجلاً يقال له منويل ... فدخل الاسكندرية ... وذلك فى سنة خمس وعشرين ، وقال بعض الرواة أن هذه الغزوات كانت فى سنة ثلاث وعشرين . وروى بعضهم أنهم نقضوا فى سنة ثلاث وعشرين وسنة خمس وعشرين والله أعلم[١] .

مما تقدم نصل إلى التوقيتات التالية فى فتح مصر ، منها ما هو مؤكد ومنها ما هو إجتهادى بعد تجنيب الروايات الأضعف وترجيح الأصح .

الأربعاء ١٠ ذى الحجة ١٩	٢٩ نوفمبر ٦٤٠	٣ كيهك ٣٥٧	جيش المسلمين بالعريش
السبت ١٧ محرم ٢٠	٤ يناير ٦٤١	٩ طوبة ٣٥٧	السير من العريش إلى الفرما
الأحد ٢٤ محرم ٢٠	١١ يناير ٦٤١	١٦ طوبة ٣٥٧	الوصول إلى الفرما
الإثنين ٢٥ صفر ٢٠	١١ فبراير ٦٤١	١٧ أمشير ٣٥٧	فتح الفرما
الأحد ٣ ربيع الأول ٢٠	١٨ فبراير ٦٤١	٢٤ أمشير ٣٥٧	السير من الفرما إلى بلبيس
الأربعاء ٦ ربيع الأول ٢٠	٢١ فبراير ٦٤١	٢٧ أمشير ٣٥٧	الوصول إلى القواصر
السبت ٩ ربيع الأول ٢٠	٢٤ فبراير ٦٤١	٣٠ أمشير ٣٥٧	الوصول إلى بلبيس
الإثنين ١١ ربيع الأول ٢٠	٢٦ فبراير ٦٤١	٢ برمهات ٣٥٧	عمرو يطلب من عمر المدد
السبت ٧ ربيع الاخر ٢٠	٢٤ مارس ٦٤١	٢٨ برمودة ٣٥٧	فتح بلبيس
الخميس ١٢ ربيع الآخر ٢٠	٢٩ مارس ٦٤١	٣ برمودة ٣٥٧	السير من بلبيس نحو بابليون
الأحد ٢٩ ربيع الآخر ٢٠	١٥ أبريل ٦٤١	٢٠ برمودة ٣٥٧	وصول المدد {الأول}
الإثنين ١٥ جمادى الأولى ٢٠	٣٠ أبريل ٦٤١	٥ بشنس ٣٥٧	معركة عين شمس
السبت ٢٠ جمادى الأولى ٢٠	٥ مايو ٦٤١	١٠ بشنس ٣٥٧	الوصول إلى أم دنين
الإثنين ٢٢ جمادى الأولى ٢٠	٧ مايو ٦٤١	١٢ بشنس ٣٥٧	الوصول إلى حصن بابليون
الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ٢٠	٦ يونيه ٦٤١	١٢ بؤونة ٣٥٧	انتقال المقوقس إلى الجزيرة [٢] ، فى جرى النيل وصول المدد الثانى مع الزبير بن العوام
الجمعة ٢٩ ذى الحجة ٢٠	٧ ديسمبر ٦٤١	١١ كيهك ٣٥٨	فتح بابليون
الخميس ١٩ جمادى الآخرة ٢١	٢٣ مايو ٦٤٢	٢٨ بشنس ٣٥٨	الوصول إلى الإسكندرية
الاثنين ١٩ رمضان ٢١	١٩ أغسطس ٦٤٢	٢٦ مسرى ٣٥٨	فتح الإسكندرية
محرم ٢٢	ديسمبر ٦٤٢	كيهك ٣٥٩	الرجوع إلى بابليون وإقامة الفسطاط

وفيما يلى التقويم الذى إنتهينا إليه {نتيجة الحائط} لتلك الأيام :

---

(١) فتوح البلدان ٢٦٠ بدون إسناد .

(٢) هذا اليوم هو الذى يوافق ١٢ بؤونة ٣٥٧ .

	جمادى الأولى ١٨	مايو ٦٣٩	بؤونة ٣٥٥	جمادى الآخرة ١٨	يونيه ٦٣٩	بؤونة ٣٥٥	رجب ١٨	يوليه ٦٣٩	أبيب ٣٥٥	رجب ١٨	يوليه ٦٣٩	مسرى ٣٥٥	شعبان ١٨	أغسطس ٦٣٩	مسرى ٣٥٥
السبت	٢١	٢٩	٤	١٢	١٩	٢٥	٤	١٠	١٦	٢٥	٣١	٧	١٦	٢١	٢٨
الأحد	٢٢	٣٠	٥	١٣	٢٠	٢٦	٥	١١	١٧	٢٦	أغسطس ١	٨	١٧	٢٢	٢٩
الإثنين	٢٣	٣١	٦	١٤	٢١	٢٧	٦	١٢	١٨	٢٧	٢	٩	١٨	٢٣	٣٠
الثلاثاء	٢٤	يونية ١	٧	١٥	٢٢	٢٨	٧	١٣	١٩	٢٨	٣	١٠	١٩	٢٤	نسىء ١
الأربعاء	٢٥	٢	٨	١٦	٢٣	٢٩	٨	١٤	٢٠	٢٩	٤	١١	٢٠	٢٥	٢
الخميس	٢٦	٣	٩	١٧	٢٤	٣٠	٩	١٥	٢١	٣٠	٥	١٢	٢١	٢٦	٣
الجمعة	٢٧	٤	١٠	١٨	٢٥	أبيب ١	١٠	١٦	٢٢	شعبان ١	٦	١٣	٢٢	٢٧	٤
السبت	٢٨	٥	١١	١٩	٢٦	٢	١١	١٧	٢٣	٢	٧	١٤	٢٣	٢٨	٥
الأحد	٢٩	٦	١٢	٢٠	٢٧	٣	١٢	١٨	٢٤	٣	٨	١٥	٢٤	٢٩	توت ١
الإثنين	٣٠	٧	١٣	٢١	٢٨	٤	١٣	١٩	٢٥	٤	٩	١٦	٢٥	٣٠	٢
الثلاثاء	جمادى ٢ ١	٨	١٤	٢٢	٢٩	٥	١٤	٢٠	٢٦	٥	١٠	١٧	٢٦	٣١	٣
الأربعاء	٢	٩	١٥	٢٣	٣٠	٦	١٥	٢١	٢٧	٦	١١	١٨	٢٧	سبتمبر ١	٤
الخميس	٣	١٠	١٦	٢٤	يوليو ١	٧	١٦	٢٢	٢٨	٧	١٢	١٩	٢٨	٢	٥
الجمعة	٤	١١	١٧	٢٥	٢	٨	١٧	٢٣	٢٩	٨	١٣	٢٠	٢٩	٣	٦
السبت	٥	١٢	١٨	٢٦	٣	٩	١٨	٢٤	٣٠	٩	١٤	٢١	رمضان ١	٤	٧
الأحد	٦	١٣	١٩	٢٧	٤	١٠	١٩	٢٥	مسرى ١	١٠	١٥	٢٢	٢	٥	٨
الإثنين	٧	١٤	٢٠	٢٨	٥	١١	٢٠	٢٦	٢	١١	١٦	٢٣	٣	٦	٩
الثلاثاء	٨	١٥	٢١	٢٩	٦	١٢	٢١	٢٧	٣	١٢	١٧	٢٤	٤	٧	١٠
الأربعاء	٩	١٦	٢٢	رجب ١	٧	١٣	٢٢	٢٨	٤	١٣	١٨	٢٥	٥	٨	١١
الخميس	١٠	١٧	٢٣	٢	٨	١٤	٢٣	٢٩	٥	١٤	١٩	٢٦	٦	٩	١٢
الجمعة	١١	١٨	٢٤	٣	٩	١٥	٢٤	٣٠	٦	١٥	٢٠	٢٧	٧	١٠	١٣

	رمضان ١٨	سبتمبر ٦٣٩	توت ٣٥٦	رمضان ١٨	أكتوبر ٦٣٩	بابه ٣٥٦	شوال ١٨	أكتوبر ٦٣٩	بابه ٣٥٦	ذو القعدة ١٨	نوفمبر ٦٣٩	هاتور ٣٥٦	ذو الحجة ١٨	ديسمبر ٦٣٩	كيهك ٣٥٦
السبت	٨	١١	١٤	٢٩	٢	٥	٢٠	٢٣	٢٦	١٢	١٣	١٧	٣	٤	٨
الأحد	٩	١٢	١٥	٣٠	٣	٦	٢١	٢٤	٢٧	١٣	١٤	١٨	٤	٥	٩
الإثنين	١٠	١٣	١٦	شوال ١	٤	٧	٢٢	٢٥	٢٨	١٤	١٥	١٩	٥	٦	١٠
الثلاثاء	١١	١٤	١٧	٢	٥	٨	٢٣	٢٦	٢٩	١٥	١٦	٢٠	٦	٧	١١
الأربعاء	١٢	١٥	١٨	٣	٦	٩	٢٤	٢٧	٣٠	١٦	١٧	٢١	٧	٨	١٢
الخميس	١٣	١٦	١٩	٤	٧	١٠	٢٥	٢٨	هاتور ١	١٧	١٨	٢٢	٨	٩	١٣
الجمعة	١٤	١٧	٢٠	٥	٨	١١	٢٦	٢٩	٢	١٨	١٩	٢٣	٩	١٠	١٤
السبت	١٥	١٨	٢١	٦	٩	١٢	٢٧	٣٠	٣	١٩	٢٠	٢٤	١٠	١١	١٥
الأحد	١٦	١٩	٢٢	٧	١٠	١٣	٢٨	٣١	٤	٢٠	٢١	٢٥	١١	١٢	١٦
الإثنين	١٧	٢٠	٢٣	٨	١١	١٤	٢٩	نوفمبر ١	٥	٢١	٢٢	٢٦	١٢	١٣	١٧
الثلاثاء	١٨	٢١	٢٤	٩	١٢	١٥	ذو القعدة ١	٢	٦	٢٢	٢٣	٢٧	١٣	١٤	١٨
الأربعاء	١٩	٢٢	٢٥	١٠	١٣	١٦	٢	٣	٧	٢٣	٢٤	٢٨	١٤	١٥	١٩
الخميس	٢٠	٢٣	٢٦	١١	١٤	١٧	٣	٤	٨	٢٤	٢٥	٢٩	١٥	١٦	٢٠
الجمعة	٢١	٢٤	٢٧	١٢	١٥	١٨	٤	٥	٩	٢٥	٢٦	٣٠	١٦	١٧	٢١
السبت	٢٢	٢٥	٢٨	١٣	١٦	١٩	٥	٦	١٠	٢٦	٢٧	كيهك ١	١٧	١٨	٢٢
الأحد	٢٣	٢٦	٢٩	١٤	١٧	٢٠	٦	٧	١١	٢٧	٢٨	٢	١٨	١٩	٢٣
الإثنين	٢٤	٢٧	٣٠	١٥	١٨	٢١	٧	٨	١٢	٢٨	٢٩	٣	١٩	٢٠	٢٤
الثلاثاء	٢٥	٢٨	بابه ١	١٦	١٩	٢٢	٨	٩	١٣	٢٩	٣٠	٤	٢٠	٢١	٢٥
الأربعاء	٢٦	٢٩	٢	١٧	٢٠	٢٣	٩	١٠	١٤	٣٠	ديسمبر ١	٥	٢١	٢٢	٢٦
الخميس	٢٧	٣٠	٣	١٨	٢١	٢٤	١٠	١١	١٥	ذو الحجة ١	٢	٦	٢٢	٢٣	٢٧
الجمعة	٢٨	أكتوبر ١	٤	١٩	٢٢	٢٥	١١	١٢	١٦	٢	٣	٧	٢٣	٢٤	٢٨

	ذو الحجة ١٨	ديسمبر ٦٣٩	كيهك ٣٥٦	محرم ١٩	يناير ٦٤٠	طوبه ٣٥٦	صفر ١٩	فبراير ٦٤٠	أمشير ٣٥٦	صفر ١٩	فبراير ٦٤٠	برمهات ٣٥٦	ربيع أول ١٩	مارس ٦٤٠	برمهات ٣٥٦
السبت	٢٤	٢٥	٢٩	١٦	١٥	٢٠	٧	٥	١١	٢٨	٢٦	٢	٢٠	١٨	٢٣
الأحد	٢٥	٢٦	٣٠	١٧	١٦	٢١	٨	٦	١٢	٢٩	٢٧	٣	٢١	١٩	٢٤
الإثنين	٢٦	٢٧	طوبه ١	١٨	١٧	٢٢	٩	٧	١٣	ربيع ١ ١	٢٨	٤	٢٢	٢٠	٢٥
الثلاثاء	٢٧	٢٨	٢	١٩	١٨	٢٣	١٠	٨	١٤	٢	٢٩	٥	٢٣	٢١	٢٦
الأربعاء	٢٨	٢٩	٣	٢٠	١٩	٢٤	١١	٩	١٥	٣	مارس ١	٦	٢٤	٢٢	٢٧
الخميس	٢٩	٣٠	٤	٢١	٢٠	٢٥	١٢	١٠	١٦	٤	٢	٧	٢٥	٢٣	٢٨
الجمعة	محرم ١	٣١	٥	٢٢	٢١	٢٦	١٣	١١	١٧	٥	٣	٨	٢٦	٢٤	٢٩
السبت	٢	يناير ١	٦	٢٣	٢٢	٢٧	١٤	١٢	١٨	٦	٤	٩	٢٧	٢٥	٣٠
الأحد	٣	٢	٧	٢٤	٢٣	٢٨	١٥	١٣	١٩	٧	٥	١٠	٢٨	٢٦	برمودة ١
الإثنين	٤	٣	٨	٢٥	٢٤	٢٩	١٦	١٤	٢٠	٨	٦	١١	٢٩	٢٧	٢
الثلاثاء	٥	٤	٩	٢٦	٢٥	٣٠	١٧	١٥	٢١	٩	٧	١٢	٣٠	٢٨	٣
الأربعاء	٦	٥	١٠	٢٧	٢٦	أمشير ١	١٨	١٦	٢٢	١٠	٨	١٣	ربيع ٢ ١	٢٩	٤
الخميس	٧	٦	١١	٢٨	٢٧	٢	١٩	١٧	٢٣	١١	٩	١٤	٢	٣٠	٥
الجمعة	٨	٧	١٢	٢٩	٢٨	٣	٢٠	١٨	٢٤	١٢	١٠	١٥	٣	٣١	٦
السبت	٩	٨	١٣	٣٠	٢٩	٤	٢١	١٩	٢٥	١٣	١١	١٦	٤	ابريل ١	٧
الأحد	١٠	٩	١٤	صفر ١	٣٠	٥	٢٢	٢٠	٢٦	١٤	١٢	١٧	٥	٢	٨
الإثنين	١١	١٠	١٥	٢	٣١	٦	٢٣	٢١	٢٧	١٥	١٣	١٨	٦	٣	٩
الثلاثاء	١٢	١١	١٦	٣	فبراير ١	٧	٢٤	٢٢	٢٨	١٦	١٤	١٩	٧	٤	١٠
الأربعاء	١٣	١٢	١٧	٤	٢	٨	٢٥	٢٣	٢٩	١٧	١٥	٢٠	٨	٥	١١
الخميس	١٤	١٣	١٨	٥	٣	٩	٢٦	٢٤	٣٠	١٨	١٦	٢١	٩	٦	١٢
الجمعة	١٥	١٤	١٩	٦	٤	١٠	٢٧	٢٥	برمهات ١	١٩	١٧	٢٢	١٠	٧	١٣

	ربيع الآخر ١٩	أبريل ٦٤٠	برموده ٣٥٦	جمادى الأولى ١٩	أبريل ٦٤٠	بشنس ٣٥٦	جمادى الأولى ١٩	مايو ٦٤٠	بشنس ٣٥٦	جمادى الأخرة ١٩	يونيه ٦٤٠	بؤونة ٣٥٦	رجب ١٩	يولية ٦٤٠	أبيب ٣٥٦
السبت	١١	٨	١٤	٣	٢٩	٥	٢٤	٢٠	٢٦	١٥	١٠	١٧	٧	١	٨
الأحد	١٢	٩	١٥	٤	٣٠	٦	٢٥	٢١	٢٧	١٦	١١	١٨	٨	٢	٩
الإثنين	١٣	١٠	١٦	٥	مايو ١	٧	٢٦	٢٢	٢٨	١٧	١٢	١٩	٩	٣	١٠
الثلاثاء	١٤	١١	١٧	٦	٢	٨	٢٧	٢٣	٢٩	١٨	١٣	٢٠	١٠	٤	١١
الأربعاء	١٥	١٢	١٨	٧	٣	٩	٢٨	٢٤	٣٠	١٩	١٤	٢١	١١	٥	١٢
الخميس	١٦	١٣	١٩	٨	٤	١٠	٢٩	٢٥	بؤونة ١	٢٠	١٥	٢٢	١٢	٦	١٣
الجمعة	١٧	١٤	٢٠	٩	٥	١١	٣٠	٢٦	٢	٢١	١٦	٢٣	١٣	٧	١٤
السبت	١٨	١٥	٢١	١٠	٦	١٢	جماد ٢ ١	٢٧	٣	٢٢	١٧	٢٤	١٤	٨	١٥
الأحد	١٩	١٦	٢٢	١١	٧	١٣	٢	٢٨	٤	٢٣	١٨	٢٥	١٥	٩	١٦
الإثنين	٢٠	١٧	٢٣	١٢	٨	١٤	٣	٢٩	٥	٢٤	١٩	٢٦	١٦	١٠	١٧
الثلاثاء	٢١	١٨	٢٤	١٣	٩	١٥	٤	٣٠	٦	٢٥	٢٠	٢٧	١٧	١١	١٨
الأربعاء	٢٢	١٩	٢٥	١٤	١٠	١٦	٥	٣١	٧	٢٦	٢١	٢٨	١٨	١٢	١٩
الخميس	٢٣	٢٠	٢٦	١٥	١١	١٧	٦	يونيه ١	٨	٢٧	٢٢	٢٩	١٩	١٣	٢٠
الجمعة	٢٤	٢١	٢٧	١٦	١٢	١٨	٧	٢	٩	٢٨	٢٣	٣٠	٢٠	١٤	٢١
السبت	٢٥	٢٢	٢٨	١٧	١٣	١٩	٨	٣	١٠	٢٩	٢٤	أبيب ١	٢١	١٥	٢٢
الأحد	٢٦	٢٣	٢٩	١٨	١٤	٢٠	٩	٤	١١	رجب ١	٢٥	٢	٢٢	١٦	٢٣
الإثنين	٢٧	٢٤	٣٠	١٩	١٥	٢١	١٠	٥	١٢	٢	٢٦	٣	٢٣	١٧	٢٤
الثلاثاء	٢٨	٢٥	١	٢٠	١٦	٢٢	١١	٦	١٣	٣	٢٧	٤	٢٤	١٨	٢٥
الأربعاء	٢٩	٢٦	٢	٣٢	١٧	٢٣	١٢	٧	١٤	٤	٢٨	٥	٢٥	١٩	٢٦
الخميس	جماد ١ ١	٢٧	٣	٢٢	١٨	٢٤	١٣	٨	١٥	٥	٢٩	٦	٢٦	٢٠	٢٧
الجمعة	٢	٢٨	٤	٢٣	١٩	٢٥	١٤	٩	١٦	٦	٣٠	٧	٢٧	٢١	٢٨

	رجب ١٩	يولية ٦٤٠	أبيب ٣٥٦	شعبان ١٩	أغسطس ٦٤٠	مسرى ٣٥٦	رمضان ١٩	سبتمبر ٦٤٠	توت ٣٥٧	شوال ١٩	سبتمبر ٦٤٠	توت ٣٥٧	شوال ١٩	أكتوبر ٦٤٠	بابه ٣٥٧
السبت	٢٨	٢٢	٢٩	١٩	١٢	٢٠	١١	٢	٥	٢	٢٣	٢٦	٢٣	١٤	١٧
الأحد	٢٩	٢٣	٣٠	٢٠	١٣	٢١	١٢	٣	٦	٣	٢٤	٢٧	٢٤	١٥	١٨
الإثنين	٣٠	٢٤	مسرى ١	٢١	١٤	٢٢	١٣	٤	٧	٤	٢٥	٢٨	٢٥	١٦	١٩
الثلاثاء	شعبان ١	٢٥	٢	٢٢	١٥	٢٣	١٤	٥	٨	٥	٢٦	٢٩	٢٦	١٧	٢٠
الأربعاء	٢	٢٦	٣	٢٣	١٦	٢٤	١٥	٦	٩	٦	٢٧	٣٠	٢٧	١٨	٢١
الخميس	٣	٢٧	٤	٢٤	١٧	٢٥	١٦	٧	١٠	٧	٢٨	بابه ١	٢٨	١٩	٢٢
الجمعة	٤	٢٨	٥	٢٥	١٨	٢٦	١٧	٨	١١	٨	٢٩	٢	٢٩	٢٠	٢٣
السبت	٥	٢٩	٦	٢٦	١٩	٢٧	١٨	٩	١٢	٩	٣٠	٣	ذو القعدة ١	٢١	٢٤
الأحد	٦	٣٠	٧	٢٧	٢٠	٢٨	١٩	١٠	١٣	١٠	أكتوبر ١	٤	٢	٢٢	٢٥
الإثنين	٧	٣١	٨	٢٨	٢١	٢٩	٢٠	١١	١٤	١١	٢	٥	٣	٢٣	٢٦
الثلاثاء	٨	أغسطس ١	٩	٢٩	٢٢	٣٠	٢١	١٢	١٥	١٢	٣	٦	٤	٢٤	٢٧
الأربعاء	٩	٢	١٠	رمضان ١	٢٣	نسيء ١	٢٢	١٣	١٦	١٣	٤	٧	٥	٢٥	٢٨
الخميس	١٠	٣	١١	٢	٢٤	٢	٢٣	١٤	١٧	١٤	٥	٨	٦	٢٦	٢٩
الجمعة	١١	٤	١٢	٣	٢٥	٣	٢٤	١٥	١٨	١٥	٦	٩	٧	٢٧	٣٠
السبت	١٢	٥	١٣	٤	٢٦	٤	٢٥	١٦	١٩	١٦	٧	١٠	٨	٢٨	هاتور ١
الأحد	١٣	٦	١٤	٥	٢٧	٥	٢٦	١٧	٢٠	١٧	٨	١١	٩	٢٩	٢
الإثنين	١٤	٧	١٥	٦	٢٨	٦	٢٧	١٨	٢١	١٨	٩	١٢	١٠	٣٠	٣
الثلاثاء	١٥	٨	١٦	٧	٢٩	توت ١	٢٨	١٩	٢٢	١٩	١٠	١٣	١١	٣١	٤
الأربعاء	١٦	٩	١٧	٨	٣٠	٢	٢٩	٢٠	٢٣	٢٠	١١	١٤	١٢	نوفمبر ١	٥
الخميس	١٧	١٠	١٨	٩	٣١	٣	٣٠	٢١	٢٤	٢١	١٢	١٥	١٣	٢	٦
الجمعة	١٨	١١	١٩	١٠	سبتمبر ١	٤	شوال ١	٢٢	٢٥	٢٢	١٣	١٦	١٤	٣	٧

	ذو القعدة ١٩	نوفمبر ٦٤٠	هاتور ٣٥٧	ذو الحجة ١٩	نوفمبر ٦٤٠	هاتور ٣٥٧	ذو الحجة ١٩	ديسمبر ٦٤٠	كيهك ٣٥٧	محرم ٢٠	يناير ٦٤١	طوبه ٣٥٧	صفر ٢٠	يناير ٦٤١	أمشير ٣٥٧
السبت	١٥	٤	٨	٦	٢٥	٢	٢٧	١٦	٢٠	١	٦	١١	١٠	٢٧	٢
الأحد	١٦	٥	٩	٧	٢٦	٣٠	٢٨	١٧	٢١	٢٠	٧	١٢	١١	٢٨	٣
الإثنين	١٧	٦	١٠	٨	٢٧	كيهك ١	٢٩	١٨	٢٢	٢١	٨	١٣	١٢	٢٩	٤
الثلاثاء	١٨	٧	١١	٩	٢٨	٢	محرم ١	١٩	٢٣	٢٢	٩	١٤	١٣	٣٠	٥
الأربعاء	١٩	٨	١٢	١٠	٢٩	٣	٢	٢٠	٢٤	٢٣	١٠	١٥	١٤	٣١	٦
الخميس	٢٠	٩	١٣	١١	٣٠	٤	٣	٢١	٢٥	٢٤	١١	١٦	١٥	فبراير ١	٧
الجمعة	٢١	١٠	١٤	١٢	ديسمبر ١	٥	٤	٢٢	٢٦	٢٥	١٢	١٧	١٦	٢	٨
السبت	٢٢	١١	١٥	١٣	٢	٦	٥	٢٣	٢٧	٢٦	١٣	١٨	١٧	٣	٩
الأحد	٢٣	١٢	١٦	١٤	٣	٧	٦	٢٤	٢٨	٢٧	١٤	١٩	١٨	٤	١٠
الإثنين	٢٤	١٣	١٧	١٥	٤	٨	٧	٢٥	٢٩	٢٨	١٥	٢٠	١٩	٥	١١
الثلاثاء	٢٥	١٤	١٨	١٦	٥	٩	٨	٢٦	٣٠	٢٩	١٦	٢١	٢٠	٦	١٢
الأربعاء	٢٦	١٥	١٩	١٧	٦	١٠	٩	٢٧	طوبة ١	٣٠	١٧	٢٢	٢١	٧	١٣
الخميس	٢٧	١٦	٢٠	١٨	٧	١١	١٠	٢٨	٢	صفر ١	١٨	٢٣	٢٢	٨	١٤
الجمعة	٢٨	١٧	٢١	١٩	٨	١٢	١١	٢٩	٣	٢	١٩	٢٤	٢٣	٩	١٥
السبت	٢٩	١٨	٢٢	٢٠	٩	١٣	١٢	٣٠	٤	٣	٢٠	٢٥	٢٤	١٠	١٦
الأحد	٣٠	١٩	٢٣	٢١	١٠	١٤	١٣	٣١	٥	٤	٢١	٢٦	٢٥	١١	١٧
الإثنين	ذوالحجة ١	٢٠	٢٤	٢٢	١١	١٥	١٤	يناير ١	٦	٥	٢٢	٢٧	٢٦	١٢	١٨
الثلاثاء	٢	٢١	٢٥	٢٣	١٢	١٦	١٥	٢	٧	٦	٢٣	٢٨	٢٧	١٣	١٩
الأربعاء	٣	٢٢	٢٦	٢٤	١٣	١٧	١٦	٣	٨	٧	٢٤	٢٩	٢٨	١٤	٢٠
الخميس	٤	٢٣	٢٧	٢٥	١٤	١٨	١٧	٤	٩	٨	٢٥	٣٠	٢٩	١٥	٢١
الجمعة	٥	٢٤	٢٨	٢٦	١٥	١٩	١٨	٥	١٠	٩	٢٦	أمشير ١	ربيع ١ ١	١٦	٢٢

	ربيع الأول ٢٠	فبراير ٦٤١	أمشير ٣٥٧	ربيع الأول ٢٠	مارس ٦٤١	برمهات ٣٥٧	ربيع الآخر ٢٠	مارس ٦٤١	برمودة ٣٥٧	جمادى الأولى ٢٠	أبريل ٦٤١	برمودة ٣٥٧	جمادى الأولى ٢٠	مايو ٦٤١	بشنس ٣٥٧
السبت	٢	١٧	٢٣	٢٣	١٠	١٤	١٤	٣١	٥	٦	٢١	٢٦	٢٧	١	١٧
الأحد	٣	١٨	٢٤	٢٤	١١	١٥	١٥	ابريل ١	٦	٧	٢٢	٢٧	٢٨	١٣	١٨
الإثنين	٤	١٩	٢٥	٢٥	١٢	١٦	١٦	٢	٧	٨	٢٣	٢٨	٢٩	١٤	١٩
الثلاثاء	٥	٢٠	٢٦	٢٦	١٣	١٧	١٧	٣	٨	٩	٢٤	٢٩	٣٠	١٥	٢٠
الأربعاء	٦	٢١	٢٧	٢٧	١٤	١٨	١٨	٤	٩	١٠	٢٥	٣٠	جمادى ٢ ١	١٦	٢١
الخميس	٧	٢٢	٢٨	٢٨	١٥	١٩	١٩	٥	١٠	١١	٢٦	بشنس ١	٢	١٧	٢٢
الجمعة	٨	٢٣	٢٩	٢٩	١٦	٢٠	٢٠	٦	١١	١٢	٢٧	٢	٣	١٨	٢٣
السبت	٩	٢٤	٣٠	٣٠	١٧	٢١	٢١	٧	١٢	١٣	٢٨	٣	٤	١٩	٢٤
الأحد	١٠	٢٥	برمهات ١	ربيع ٢ ١	١٨	٢٢	٢٢	٨	١٣	١٤	٢٩	٤	٥	٢٠	٢٥
الإثنين	١١	٢٦	٢	٢	١٩	٢٣	٢٣	٩	١٤	١٥	٣٠	٥	٦	٢١	٢٦
الثلاثاء	١٢	٢٧	٣	٣	٢٠	٢٤	٢٤	١٠	١٥	١٦	مايو ١	٦	٧	٢٢	٢٧
الأربعاء	١٣	٢٨	٤	٤	٢١	٢٥	٢٥	١١	١٦	١٧	٢	٧	٨	٢٣	٢٨
الخميس	١٤	مارس ١	٥	٥	٢٢	٢٦	٢٦	١٢	١٧	١٨	٣	٨	٩	٢٤	٢٩
الجمعة	١٥	٢	٦	٦	٢٣	٢٧	٢٧	١٣	١٨	١٩	٤	٩	١٠	٢٥	٣٠
السبت	١٦	٣	٧	٧	٢٤	٢٨	٢٨	١٤	١٩	٢٠	٥	١٠	١١	٢٦	بؤونة ١
الأحد	١٧	٤	٨	٨	٢٥	٢٩	٢٩	١٥	٢٠	٢١	٦	١١	١٢	٢٧	٢
الإثنين	١٨	٥	٩	٩	٢٦	٣٠	جمادى ١ ١	١٦	٢١	٢٢	٧	١٢	١٣	٢٨	٣
الثلاثاء	٢٩	٦	١٠	١٠	٢٧	برمودة ١	٢	١٧	٢٢	٢٣	٨	١٣	١٤	٢٩	٤
الأربعاء	٢٠	٧	١١	١١	٢٨	٢	٣	١٨	٢٣	٢٤	٩	١٤	١٥	٣٠	٥
الخميس	٢١	٨	١٢	١٢	٢٩	٣	٤	١٩	٢٤	٢٥	١٠	١٥	١٦	٣١	٦
الجمعة	٢٢	٩	١٣	١٣	٣٠	٤	٥	٢٠	٢٥	٢٦	١١	١٦	١٧	يونيه ١	٧

	جمادى الأخرة ٢٠	يونية ٦٤١	بؤونة ٣٥٧	رجب ٢٠	يونية ٦٤١	بؤونة ٣٥٧	شعبان ٢٠	يولية ٦٤١	أبيب ٣٥٧	شعبان ٢٠	أغسطس ٦٤١	مسرى ٣٥٧	رمضان ٢٠	أغسطس ٦٤١	نسىء ٣٥٧
السبت	١٨	٢	٨	١٠	٢٣	٢٩	١	١٤	٢٠	٢٢	٤	١١	١٤	٢٥	٢
الأحد	١٩	٣	٩	١١	٢٤	٣٠	٢	١٥	٢١	٢٣	٥	١٢	١٥	٢٦	٣
الإثنين	٢٠	٤	١٠	١٢	٢٥	أبيب ١	٣	١٦	٢٢	٢٤	٦	١٣	١٦	٢٧	٤
الثلاثاء	٢١	٥	١١	١٣	٢٦	٢	٤	١٧	٢٣	٢٥	٧	١٤	١٧	٢٨	٥
الأربعاء	٢٢	٦	١٢	١٤	٢٧	٣	٥	١٨	٢٤	٢٦	٨	١٥	١٨	٢٩	توت ١
الخميس	٢٣	٧	١٣	١٥	٢٨	٤	٦	١٩	٢٥	٢٧	٩	١٦	١٩	٣٠	٢
الجمعة	٢٤	٨	١٤	١٦	٢٩	٥	٧	٢٠	٢٦	٢٨	١٠	١٧	٢٠	٣١	٣
السبت	٢٥	٩	١٥	١٧	٣٠	٦	٨	٢١	٢٧	٢٩	١١	١٨	٢١	سبتمبر ١	٤
الأحد	٢٦	١٠	١٦	١٨	يولية ١	٧	٩	٢٢	٢٨	رمضان ١	١٢	١٩	٢٢	٢	٥
الإثنين	٢٧	١١	١٧	١٩	٢	٨	١٠	٢٣	٢٩	٢	١٣	٢٠	٢٣	٣	٦
الثلاثاء	٢٨	١٢	١٨	٢٠	٣	٩	١١	٢٤	٣٠	٣	١٤	٢١	٢٤	٤	٧
الأربعاء	٢٩	١٣	١٩	٢١	٤	١٠	١٢	٢٥	مسرى ١	٤	١٥	٢٢	٢٥	٥	٨
الخميس	رجب ١	١٤	٢٠	٢٢	٥	١١	١٣	٢٦	٢	٥	١٦	٢٣	٢٦	٦	٩
الجمعة	٢	١٥	٢١	٢٣	٦	١٢	١٤	٢٧	٣	٦	١٧	٢٤	٢٧	٧	١٠
السبت	٣	١٦	٢٢	٢٤	٧	١٣	١٥	٢٨	٤	٧	١٨	٢٥	٢٨	٨	١١
الأحد	٤	١٧	٢٣	٢٥	٨	١٤	١٦	٢٩	٥	٨	١٩	٢٦	٢٩	٩	١٢
الإثنين	٥	١٨	٢٤	٢٦	٩	١٥	١٧	٣٠	٦	٩	٢٠	٢٧	٣٠	١٠	١٣
الثلاثاء	٦	٢٩	٢٥	٢٧	١٠	١٦	١٨	٣١	٧	١٠	٢١	٢٨	شوال ١	١١	١٤
الأربعاء	٧	٢٠	٢٦	٢٨	١١	١٧	١٩	أغسطس ١	٨	١١	٢٢	٢٩	٢	١٢	١٥
الخميس	٨	٢١	٢٧	٢٩	١٢	١٨	٢٠	٢	٩	١٢	٢٣	٣٠	٣	١٣	١٦
الجمعة	٩	٢٢	٢٨	٣٠	١٣	١٩	٢١	٣	١٠	١٣	٢٤	نسىء ١	٤	١٤	١٧

	شوال ٢٠	سبتمبر ٦٤١	توت ٣٥٨	شوال ٢٠	أكتوبر ٦٤١	بابه ٣٥٨	ذو القعدة ٢٠	أكتوبر ٦٤١	بابه ٣٥٨	ذو الحجة ٢٠	نوفمبر ٦٤١	هاتور ٣٥٨	محرم ٢٠	ديسمبر ٦٤١	كيهك ٣٥٨
السبت	٥	١٥	١٨	٢٦	٦	٩	١٨	٢٧	٣٠	٩	١٧	٢١	١	٨	١٢
الأحد	٦	١٦	١٩	٢٧	٧	١٠	١٩	٢٨	هاتور ١	١٠	١٨	٢٢	٢	٩	١٣
الإثنين	٧	١٧	٢٠	٢٨	٨	١١	٢٠	٢٩	٢	١١	١٩	٢٣	٣	١٠	١٤
الثلاثاء	٨	١٨	٢١	٢٩	٩	١٢	٢١	٣٠	٣	١٢	٢٠	٢٤	٤	١١	١٥
الأربعاء	٩	١٩	٢٢	ذوالقعدة ١	١٠	١٣	٢٢	٣١	٤	١٣	٢١	٢٥	٥	١٢	١٦
الخميس	١٠	٢٠	٢٣	٢	١١	١٤	٢٣	نوفمبر ١	٥	١٤	٢٢	٢٦	٦	١٣	١٧
الجمعة	١١	٢١	٢٤	٣	١٢	١٥	٢٤	٢	٦	١٥	٢٣	٢٧	٧	١٤	١٨
السبت	١٢	٢٢	٢٥	٤	١٣	١٦	٢٥	٣	٧	١٦	٢٤	٢٨	٨	١٥	١٩
الأحد	١٣	٢٣	٢٦	٥	١٤	١٧	٢٦	٤	٨	١٧	٢٥	٢٩	٩	١٦	٢٠
الإثنين	١٤	٢٤	٢٧	٦	١٥	١٨	٢٧	٥	٩	١٨	٢٦	٣٠	١٠	١٧	٢١
الثلاثاء	١٥	٢٥	٢٨	٧	١٦	١٩	٢٨	٦	١٠	١٩	٢٧	كيهك ١	١١	١٨	٢٢
الأربعاء	١٦	٢٦	٢٩	٨	١٧	٢٠	٢٩	٧	١١	٢٠	٢٨	٢	١٢	١٩	٢٣
الخميس	١٧	٢٧	٣٠	٩	١٨	٢١	٣٠	٨	١٢	٢١	٢٩	٣	١٣	٢٠	٢٤
الجمعة	١٨	٢٨	بابه ١	١٠	١٩	٢٢	ذوالحجة ١	٩	١٣	٢٢	٣٠	٤	١٤	٢١	٢٥
السبت	١٩	٢٩	٢	١١	٢٠	٢٣	٢	١٠	١٤	٢٣	ديسمبر ١	٥	١٥	٢٢	٢٦
الأحد	٢٠	٣٠	٣	١٢	٢١	٢٤	٣	١١	١٥	٢٤	٢	٦	١٦	٢٣	٢٧
الإثنين	٢١	أكتوبر ١	٤	١٣	٢٢	٢٥	٤	١٢	١٦	٢٥	٣	٧	١٧	٢٤	٢٨
الثلاثاء	٢٢	٢	٥	١٤	٢٣	٢٦	٥	١٣	١٧	٢٦	٤	٨	١٨	٢٥	٢٩
الأربعاء	٢٣	٣	٦	١٥	٢٤	٢٧	٦	١٤	١٨	٢٧	٥	٩	١٩	٢٦	٣٠
الخميس	٢٤	٤	٧	١٦	٢٥	٢٨	٧	١٥	١٩	٢٨	٦	١٠	٢٠	٢٧	طوبة ١
الجمعة	٢٥	٥	٨	١٧	٢٦	٢٩	٨	١٦	٢٠	٢٩	٧	١١	٢١	٢٨	٢

	محرم ٢١	ديسمبر ٦٤١	طوبة ٣٥٨	صفر ٢١	يناير ٦٤٢	طوبة ٣٥٨	ربيع الأول ٢١	فبراير ٦٤٢	أمشير ٣٥٨	ربيع الأول ٢١	مارس ٦٤٢	برمهات ٣٥٨	ربيع الآخر ٢١	مارس ٦٤٢	برمهات ٣٥٨
السبت	٢٢	٢٩	٣	١٣	١٩	٢٤	٥	٩	١٥	٢٦	٢	٦	١٧	٢٣	٢٧
الأحد	٢٣	٣٠	٤	١٤	٢٠	٢٥	٦	١٠	١٦	٢٧	٣	٧	١٨	٢٤	٢٨
الإثنين	٢٤	٣١	٥	١٥	٢١	٢٦	٧	١١	١٧	٢٨	٤	٨	١٩	٢٥	٢٩
الثلاثاء	٢٥	يناير ١	٦	١٦	٢٢	٢٧	٨	١٢	١٨	٢٩	٥	٩	٢٠	٢٦	٣٠
الأربعاء	٢٦	٢	٧	١٧	٢٣	٢٨	٩	١٣	١٩	٣٠	٦	١٠	٢١	٢٧	برمودة ١
الخميس	٢٧	٣	٨	١٨	٢٤	٢٩	١٠	١٤	٢٠	ربيع ٢ ١	٧	١١	٢٢	٢٨	٢
الجمعة	٢٨	٤	٩	١٩	٢٥	٣٠	١١	١٥	٢١	٢	٨	١٢	٢٣	٢٩	٣
السبت	٢٩	٥	١٠	٢٠	٢٦	أمشير ١	١٢	١٦	٢٢	٣	٩	١٣	٢٤	٣٠	٤
الأحد	٣٠	٦	١١	٢١	٢٧	٢	١٣	١٧	٢٣	٤	١٠	١٤	٢٥	٣١	٥
الإثنين	صفر ١	٧	١٢	٢٢	٢٨	٣	١٤	١٨	٢٤	٥	١١	١٥	٢٦	ابريل ١	٦
الثلاثاء	٢	٨	١٣	٢٣	٢٩	٤	١٥	١٩	٢٥	٦	١٢	١٦	٢٧	٢	٧
الأربعاء	٣	٩	١٤	٢٤	٣٠	٥	١٦	٢٠	٢٦	٧	١٣	١٧	٢٨	٣	٨
الخميس	٤	١٠	١٥	٢٥	٣١	٦	١٧	٢١	٢٧	٨	١٤	١٨	٢٩	٤	٩
الجمعة	٥	١١	١٦	٢٦	فبراير ١	٧	١٨	٢٢	٢٨	٩	١٥	١٩	جمادى ١ ١	٥	١٠
السبت	٦	١٢	١٧	٢٧	٢	٨	١٩	٢٣	٢٩	١٠	١٦	٢٠	٢	٦	١١
الأحد	٧	١٣	١٨	٢٨	٣	٩	٢٠	٢٤	٣٠	١١	١٧	٢١	٣	٧	١٢
الإثنين	٨	١٤	١٩	٢٩	٤	١٠	٢١	٢٥	برمهات ١	١٢	١٨	٢٢	٤	٨	١٣
الثلاثاء	٩	١٥	٢٠	ربيع ١ ١	٥	١١	٢٢	٢٦	٢	١٣	١٩	٢٣	٥	٩	١٤
الأربعاء	١٠	١٦	٢١	٢	٦	١٢	٢٣	٢٧	٣	١٤	٢٠	٢٤	٦	١٠	١٥
الخميس	١١	١٧	٢٢	٣	٧	١٣	٢٤	٢٨	٤	١٥	٢١	٢٥	٧	١١	١٦
الجمعة	١٢	١٨	٢٣	٤	٨	١٤	٢٥	مارس ١	٥	١٦	٢٢	٢٦	٨	١٢	١٧

	جمادى الأولى ٢١	أبريل ٦٤٢	برمودة ٣٥٨	جمادى الأولى ٢١	مايو ٦٤٢	بشنس ٣٥٨	جمادى الآخرة ٢١	مايو ٦٤٢	بشنس ٣٥٨	رجب ٢١	يونية ٦٤٢	بؤونة ٣٥٨	شعبان ٢١	يولية ٦٤٢	أبيب ٣٥٨
السبت	٩	١٣	١٨	٣٠	٤	٩	٢١	٢٥	٣٠	١٣	١٥	٢١	٤	٦	١٢
الأحد	١٠	١٤	١٩	جمادى ٢ ١	٥	١٠	٢٢	٢٦	بؤونة ١	١٤	١٦	٢٢	٥	٧	١٣
الإثنين	١١	١٥	٢٠	٢	٦	١١	٢٣	٢٧	٢	١٥	١٧	٢٣	٦	٨	١٤
الثلاثاء	١٢	١٦	٢١	٣	٧	١٢	٢٤	٢٨	٣	١٦	١٨	٢٤	٧	٩	١٥
الأربعاء	١٣	١٧	٢٢	٤	٨	١٣	٢٥	٢٩	٤	١٧	١٩	٢٥	٨	١٠	١٦
الخميس	١٤	١٨	٢٣	٥	٩	١٤	٢٦	٣٠	٥	١٨	٢٠	٢٦	٩	١١	١٧
الجمعة	١٥	١٩	٢٤	٦	١٠	١٥	٢٧	٣١	٦	١٩	٢١	٢٧	١٠	١٢	١٨
السبت	١٦	٢٠	٢٥	٧	١١	١٦	٢٨	يونيه ١	٧	٢٠	٢٢	٢٨	١١	١٣	١٩
الأحد	١٧	٢١	٢٦	٨	١٢	١٧	٢٩	٢	٨	٢١	٢٣	٢٩	١٢	١٤	٢٠
الإثنين	١٨	٢٢	٢٧	٩	١٣	١٨	رجب ١	٣	٩	٢٢	٢٤	٣٠	١٣	١٥	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٣	٢٨	١٠	١٤	١٩	٢	٤	١٠	٢٣	٢٥	أبيب ١	١٤	١٦	٢٢
الأربعاء	٢٠	٢٤	٢٩	١١	١٥	٢٠	٣	٥	١١	٢٤	٢٦	٢	١٥	١٧	٢٣
الخميس	٢١	٢٥	٣٠	١٢	١٦	٢١	٤	٦	١٢	٢٥	٢٧	٣	١٦	١٨	٢٤
الجمعة	٢٢	٢٦	بشنس ١	١٣	١٧	٢٢	٥	٧	١٣	٢٦	٢٨	٤	١٧	١٩	٢٥
السبت	٢٣	٢٧	٢	١٤	١٨	٢٣	٦	٨	١٤	٢٧	٢٩	٥	١٨	٢٠	٢٦
الأحد	٢٤	٢٨	٣	١٥	١٩	٢٤	٧	٩	١٥	٢٨	٣٠	٦	١٩	٢١	٢٧
الإثنين	٢٥	٢٩	٤	١٦	٢٠	٢٥	٨	١٠	١٦	٢٩	يولية ١	٧	٢٠	٢٢	٢٨
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٥	١٧	٢١	٢٦	٩	١١	١٧	٣٠	٢	٨	٢١	٢٣	٢٩
الأربعاء	٢٧	مايو ١	٦	١٨	٢٢	٢٧	١٠	١٢	١٨	شعبان ١	٣	٩	٢٢	٢٤	٣٠
الخميس	٢٨	٢	٧	١٩	٢٣	٢٨	١١	١٣	١٩	٢	٤	١٠	٢٣	٢٥	مسرى ١
الجمعة	٢٩	٣	٨	٢٠	٢٤	٢٩	١٢	١٤	٢٠	٣	٥	١١	٢٤	٢٦	٢

	شعبان ٢١	يولية ٦٤٢	مسرى ٣٥٨	رمضان ٢١	أغسطس ٦٤٢	مسرى ٣٥٨	شوال ٢١	سبتمبر ٦٤٢	توت ٣٥٩	شوال ٢١	سبتمبر ٦٤٢	بابه ٣٥٩	ذو القعدة ٢١	أكتوبر ٦٤٢	بابه ٣٥٩
السبت	٢٥	٢٧	٣	١٧	١٧	٢٤	٨	٧	١٠	٢٩	٢٨	١	٢١	١٩	٢٢
الأحد	٢٦	٢٨	٤	١٨	١٨	٢٥	٩	٨	١١	ذوالقعدة ١	٢٩	٢	٢٢	٢٠	٢٣
الإثنين	٢٧	٢٩	٥	١٩	١٩	٢٦	١٠	٩	١٢	٢	٣٠	٣	٢٣	٢١	٢٤
الثلاثاء	٢٨	٣٠	٦	٢٠	٢٠	٢٧	١١	١٠	١٣	٣	أكتوبر ١	٤	٢٤	٢٢	٢٥
الأربعاء	٢٩	٣١	٧	٢١	٢١	٢٨	١٢	١١	١٤	٤	٢	٥	٢٥	٢٣	٢٦
الخميس	رمضان ١	أغسطس ١	٨	٢٢	٢٢	٢٩	١٣	١٢	١٥	٥	٣	٦	٢٦	٢٤	٢٧
الجمعة	٢	٢	٩	٢٣	٢٣	٣٠	١٤	١٣	١٦	٦	٤	٧	٢٧	٢٥	٢٨
السبت	٣	٣	١٠	٢٤	٢٤	١	١٥	١٤	١٧	٧	٥	٨	٢٨	٢٦	٢٩
الأحد	٤	٤	١١	٢٥	٢٥	٢	١٦	١٥	١٨	٨	٦	٩	٢٩	٢٧	٣٠
الإثنين	٥	٥	١٢	٢٦	٢٦	٣	١٧	١٦	١٩	٩	٧	١٠	٣٠	٢٨	هاتور ١
الثلاثاء	٦	٦	١٣	٢٧	٢٧	٤	١٨	١٧	٢٠	١٠	٨	١١	ذوالحجة ١	٢٩	٢
الأربعاء	٧	٧	١٤	٢٨	٢٨	٥	١٩	١٨	٢١	١١	٩	١٢	٢	٣٠	٣
الخميس	٨	٨	١٥	٢٩	٢٩	١	٢٠	١٩	٢٢	١٢	١٠	١٣	٣	٣١	٤
الجمعة	٩	٩	١٦	٣٠	٣٠	٢	٢١	٢٠	٢٣	١٣	١١	١٤	٤	نوفمبر ١	٥
السبت	١٠	١٠	١٧	شوال ١	٣١	٣	٢٢	٢١	٢٤	١٤	١٢	١٥	٥	٢	٦
الأحد	١١	١١	١٨	٢	سبتمبر ١	٤	٢٣	٢٢	٢٥	١٥	١٣	١٦	٦	٣	٧
الإثنين	١٢	١٢	١٩	٣	٢	٥	٢٤	٢٣	٢٦	١٦	١٤	١٧	٧	٤	٨
الثلاثاء	١٣	١٣	٢٠	٤	٣	٦	٢٥	٢٤	٢٧	١٧	١٥	١٨	٨	٥	٩
الأربعاء	١٤	١٤	٢١	٥	٤	٧	٢٦	٢٥	٢٨	١٨	١٦	١٩	٩	٦	١٠
الخميس	١٥	١٥	٢٢	٦	٥	٨	٢٧	٢٦	٢٩	١٩	١٧	٢٠	١٠	٧	١١
الجمعة	١٦	١٦	٢٣	٧	٦	٩	٢٨	٢٧	٣٠	٢٠	١٨	٢١	١١	٨	١٢

	ذو الحجة ٢١	نوفمبر ٦٤٢	هاتور ٣٥٩	محرم ٢٢	نوفمبر ٦٤٢	كيهك ٣٥٩	محرم ٢٢	ديسمبر ٦٤٢	كيهك ٣٥٩	صفر ٢٢	يناير ٦٤٣	طوبة ٣٥٩	ربيع الأول ٢٢	فبراير ٦٤٣	أمشير ٣٥٩
السبت	١٢	٩	١٣	٤	٣٠	٤	٢٥	٢١	٢٥	١٦	١١	١٦	٨	١	٧
الأحد	١٣	١٠	١٤	٥	ديسمبر ١	٥	٢٦	٢٢	٢٦	١٧	١٢	١٧	٩	٢	٨
الإثنين	١٤	١١	١٥	٦	٢	٦	٢٧	٢٣	٢٧	١٨	١٣	١٨	١٠	٣	٩
الثلاثاء	١٥	١٢	١٦	٧	٣	٧	٢٨	٢٤	٢٨	١٩	١٤	١٩	١١	٤	١٠
الأربعاء	١٦	١٣	١٧	٨	٤	٨	٢٩	٢٥	٢٩	٢٠	١٥	٢٠	١٢	٥	١١
الخميس	١٧	١٤	١٨	٩	٥	٩	٣٠	٢٦	٣٠	٢١	١٦	٢١	١٣	٦	١٢
الجمعة	١٨	١٥	١٩	١٠	٦	١٠	صفر ١	٢٧	طوبة ١	٢٢	١٧	٢٢	١٤	٧	١٣
السبت	١٩	١٦	٢٠	١١	٧	١١	٢	٢٨	٢	٢٣	١٨	٢٣	١٥	٨	١٤
الأحد	٢٠	١٧	٢١	١٢	٨	١٢	٣	٢٩	٣	٢٤	١٩	٢٤	١٦	٩	١٥
الإثنين	٢١	١٨	٢٢	١٣	٩	١٣	٤	٣٠	٤	٢٥	٢٠	٢٥	١٧	١٠	١٦
الثلاثاء	٢٢	١٩	٢٣	١٤	١٠	١٤	٥	٣١	٥	٢٦	٢١	٢٦	١٨	١١	١٧
الأربعاء	٢٣	٢٠	٢٤	١٥	١١	١٥	٦	يناير ١	٦	٢٧	٢٢	٢٧	١٩	١٢	١٨
الخميس	٢٤	٢١	٢٥	١٦	١٢	١٦	٧	٢	٧	٢٨	٢٣	٢٨	٢٠	١٣	١٩
الجمعة	٢٥	٢٢	٢٦	١٧	١٣	١٧	٨	٣	٨	٢٩	٢٤	٢٩	٢١	١٤	٢٠
السبت	٢٦	٢٣	٢٧	١٨	١٤	١٨	٩	٤	٩	ربيع ١ ١	٢٥	٣٠	٢٢	١٥	٢١
الأحد	٢٧	٢٤	٢٨	١٩	١٥	١٩	١٠	٥	١٠	٢	٢٦	أمشير ١	٢٣	١٦	٢٢
الإثنين	٢٨	٢٥	٢٩	٢٠	١٦	٢٠	١١	٦	١١	٣	٢٧	٢	٢٤	١٧	٢٣
الثلاثاء	٢٩	٢٦	٣٠	٢١	١٧	٢١	١٢	٧	١٢	٤	٢٨	٣	٢٥	١٨	٢٤
الأربعاء	محرم ١	٢٧	كيهك ١	٢٢	١٨	٢٢	١٣	٨	١٣	٥	٢٩	٤	٢٦	١٩	٢٥
الخميس	٢	٢٨	٢	٢٣	١٩	٢٣	١٤	٩	١٤	٦	٣٠	٥	٢٧	٢٠	٢٦
الجمعة	٣	٢٩	٣	٢٤	٢٠	٢٤	١٥	١٠	١٥	٧	٣١	٦	٢٨	٢١	٢٧

	ربيع الأول ٢٢	فبراير ٦٤٣	أمشير ٣٥٩	ربيع الآخر ٢٢	مارس ٦٤٣	برمهات ٣٥٩	جمادى الأولى ٢٢	أبريل ٦٤٣	برمودة ٣٥٩	جمادى الآخرة ٢٢	أبريل ٦٤٣	بشنس ٣٥٩	جمادى الآخرة ٢٢	مايو ٦٤٣	بشنس ٣٥٩
السبت	٢٩	٢٢	٢٨	٢٠	١٥	١٩	١٢	٥	١٠	٣	٢٦	١	٢٤	١٧	٢٢
الأحد	٣٠	٢٣	٢٩	٢١	١٦	٢٠	١٣	٦	١١	٤	٢٧	٢	٢٥	١٨	٢٣
الإثنين	ربيع ٢ ١	٢٤	٣٠	٢٢	١٧	٢١	١٤	٧	١٢	٥	٢٨	٣	٢٦	١٩	٢٤
الثلاثاء	٢	٢٥	برمهات ١	٢٣	١٨	٢٢	١٥	٨	١٣	٦	٢٩	٤	٢٧	٢٠	٢٥
الأربعاء	٣	٢٦	٢	٢٤	١٩	٢٣	١٦	٩	١٤	٧	٣٠	٥	٢٨	٢١	٢٦
الخميس	٤	٢٧	٣	٢٥	٢٠	٢٤	١٧	١٠	١٥	٨	مايو ١	٦	٢٩	٢٢	٢٧
الجمعة	٥	٢٨	٤	٢٦	٢١	٢٥	١٨	١١	١٦	٩	٢	٧	رجب ١	٢٣	٢٨
السبت	٦	مارس ١	٥	٢٧	٢٢	٢٦	١٩	١٢	١٧	١٠	٣	٨	٢	٢٤	٢٩
الأحد	٧	٢	٦	٢٨	٢٣	٢٧	٢٠	١٣	١٨	١١	٤	٩	٣	٢٥	٣٠
الإثنين	٨	٣	٧	٢٩	٢٤	٢٨	٢١	١٤	١٩	١٢	٥	١٠	٤	٢٦	بؤونة ١
الثلاثاء	٩	٤	٨	جمادى ١ ١	٢٥	٢٩	٢٢	١٥	٢٠	١٣	٦	١١	٥	٢٧	٢
الأربعاء	١٠	٥	٩	٢	٢٦	٣٠	٢٣	١٦	٢١	١٤	٧	١٢	٦	٢٨	٣
الخميس	١١	٦	١٠	٣	٢٧	برمودة ١	٢٤	١٧	٢٢	١٥	٨	١٣	٧	٢٩	٤
الجمعة	١٢	٧	١١	٤	٢٨	٢	٢٥	١٨	٢٣	١٦	٩	١٤	٨	٣٠	٥
السبت	١٣	٨	١٢	٥	٢٩	٣	٢٦	١٩	٢٤	١٧	١٠	١٥	٩	٣١	٦
الأحد	١٤	٩	١٣	٦	٣٠	٤	٢٧	٢٠	٢٥	١٨	١١	١٦	١٠	يونية ١	٧
الإثنين	١٥	١٠	١٤	٧	٣١	٥	٢٨	٢١	٢٦	١٩	١٢	١٧	١١	٢	٨
الثلاثاء	١٦	١١	١٥	٨	ابريل ١	٦	٢٩	٢٢	٢٧	٢٠	١٣	١٨	١٢	٣	٩
الأربعاء	١٧	١٢	١٦	٩	٢	٧	٣٠	٢٣	٢٨	٢١	١٤	١٩	١٣	٤	١٠
الخميس	١٨	١٣	١٧	١٠	٣	٨	جمادى ٢ ١	٢٤	٢٩	٢٢	١٥	٢٠	١٤	٥	١١
الجمعة	١٩	١٤	١٨	١١	٤	٩	٢	٢٥	٣٠	٢٣	١٦	٢١	١٥	٦	١٢

	رجب ٢٢	يونية ٦٤٣	بؤونة ٣٥٩	شعبان ٢٢	يونية ٦٤٣	أبيب ٣٥٩	شعبان ٢٢	يولية ٦٤٣	أبيب ٣٥٩	رمضان ٢٢	أغسطس ٦٤٣	مسرى ٣٥٩	شوال ٢٢	أغسطس ٦٤٣	توت ٣٦٠
السبت	١٦	٧	١٣	٧	٩٨	٤	٢٨	١٩	٢٥	٢٠	٩	١٦	١١	٣٠	١
الأحد	١٧	٨	١٤	٨	٢٩	٥	٢٩	٢٠	٢٦	٢١	١٠	١٧	١٢	٣١	٢
الإثنين	١٨	٩	١٥	٩	٣٠	٦	رمضان ١	٢١	٢٧	٢٢	١١	١٨	١٣	سبتمبر ١	٣
الثلاثاء	١٩	١٠	١٦	١٠	يولية ١	٧	٢	٢٢	٢٨	٢٣	١٢	١٩	١٤	٢	٤
الأربعاء	٢٠	١١	١٧	١١	٢	٨	٣	٢٣	٢٩	٢٤	١٣	٢٠	١٥	٣	٥
الخميس	٢١	١٢	١٨	١٢	٣	٩	٤	٢٤	٣٠	٢٥	١٤	٢١	١٦	٤	٦
الجمعة	٢٢	١٣	١٩	١٣	٤	١٠	٥	٢٥	مسرى ١	٢٦	١٥	٢٢	١٧	٥	٧
السبت	٢٣	١٤	٢٠	١٤	٥	١١	٦	٢٦	٢	٢٧	١٦	٢٣	١٨	٦	٨
الأحد	٢٤	١٥	٢١	١٥	٦	١٢	٧	٢٧	٣	٢٨	١٧	٢٤	١٩	٧	٩
الإثنين	٢٥	١٦	٢٢	١٦	٧	١٣	٨	٢٨	٤	٢٩	١٨	٢٥	٢٠	٨	١٠
الثلاثاء	٢٦	١٧	٢٣	١٧	٨	١٤	٩	٢٩	٥	٣٠	١٩	٢٦	٢١	٩	١١
الأربعاء	٢٧	١٨	٢٤	١٨	٩	١٥	١٠	٣٠	٦	شوال ١	٢٠	٢٧	٢٢	١٠	١٢
الخميس	٢٨	١٩	٢٥	١٩	١٠	١٦	١١	٣١	٧	٢	٢١	٢٨	٢٣	١١	١٣
الجمعة	٢٩	٢٠	٢٦	٢٠	١١	١٧	١٢	أغسطس ١	٨	٣	٢٢	٢٩	٢٤	١٢	١٤
السبت	٣٠	٢١	٢٧	٢١	١٢	١٨	١٣	٢	٩	٤	٢٣	٣٠	٢٥	١٣	١٥
الأحد	شعبان ١	٢٢	٢٨	٢٢	١٣	١٩	١٤	٣	١٠	٥	٢٤	توت ١	٢٦	١٤	١٦
الإثنين	٢	٢٣	٢٩	٢٣	١٤	٢٠	١٥	٤	١١	٦	٢٥	٢	٢٧	١٥	١٧
الثلاثاء	٣	٢٤	٣٠	٢٤	١٥	٢١	١٦	٥	١٢	٧	٢٦	٣	٢٨	١٦	١٨
الأربعاء	٤	٢٥	أبيب ١	٢٥	١٦	٢٢	١٧	٦	١٣	٨	٢٧	٤	٢٩	١٧	١٩
الخميس	٥	٢٦	٢	٢٦	١٧	٢٣	١٨	٧	١٤	٩	٢٨	٥	ذوالقعدة ١	١٨	٢٠
الجمعة	٦	٢٧	٣	٢٧	١٨	٢٤	١٩	٨	١٥	١٠	٢٩	٦	٢	١٩	٢١

	ذو القعدة ٢٢	سبتمبر ٦٤٣	توت ٣٦٠	نو القعدة ٢٢	أكتوبر ٦٤٣	بابه ٣٦٠	ذو الحجة ٢٢	نوفمبر ٦٤٣	هاتور ٣٦٠	محرم ٢٣	نوفمبر ٦٤٣	هاتور ٣٦٠	محرم ٢٣	ديسمبر ٦٤٣	كيهك ٣٦٠
السبت	٣	٢٠	٢٢	٢٤	١١	١٣	١٥	١	٤	٧	٢٢	٢٥	٢٨	١٣	١٦
الأحد	٤	٢١	٢٣	٢٥	١٢	١٤	١٦	٢	٥	٨	٢٣	٢٦	٢٩	١٤	١٧
الإثنين	٥	٢٢	٢٤	٢٦	١٣	١٥	١٧	٣	٦	٩	٢٤	٢٧	٣٠	١٥	١٨
الثلاثاء	٦	٢٣	٢٥	٢٧	١٤	١٦	١٨	٤	٧	١٠	٢٥	٢٨	صفر ١	١٦	١٩
الأربعاء	٧	٢٤	٢٦	٢٨	١٥	١٧	١٩	٥	٨	١١	٢٦	٢٩	٢	١٧	٢٠
الخميس	٨	٢٥	٢٧	٢٩	١٦	١٨	٢٠	٦	٩	١٢	٢٧	٣٠	٣	١٨	٢١
الجمعة	٩	٢٦	٢٨	٣٠	١٧	١٩	٢١	٧	١٠	١٣	٢٨	كيهك ١	٤	١٩	٢٢
السبت	١٠	٢٧	٢٩	ذوالحجة ١	١٨	٢٠	٢٢	٨	١١	١٤	٢٩	٢	٥	٢٠	٢٣
الأحد	١١	٢٨	٣٠	٢	١٩	٢١	٢٣	٩	١٢	١٥	٣٠	٣	٦	٢١	٢٤
الإثنين	١٢	٢٩	بابه ١	٣	٢٠	٢٢	٢٤	١٠	١٣	١٦	ديسمبر ١	٤	٧	٢٢	٢٥
الثلاثاء	١٣	٣٠	٢	٤	٢١	٢٣	٢٥	١١	١٤	١٧	٢	٥	٨	٢٣	٢٦
الأربعاء	١٤	أكتوبر ١	٣	٥	٢٢	٢٤	٢٦	١٢	١٥	١٨	٣	٦	٩	٢٤	٢٧
الخميس	١٥	٢	٤	٦	٢٣	٢٥	٢٧	١٣	١٦	١٩	٤	٧	١٠	٢٥	٢٨
الجمعة	١٦	٣	٥	٧	٢٤	٢٦	٢٨	١٤	١٧	٢٠	٥	٨	١١	٢٦	٢٩
السبت	١٧	٤	٦	٨	٢٥	٢٧	٢٩	١٥	١٨	٢١	٦	٩	١٢	٢٧	٣٠
الأحد	١٨	٥	٧	٩	٢٦	٢٨	محرم ١	١٦	١٩	٢٢	٧	١٠	١٣	٢٨	طوبة ١
الإثنين	١٩	٦	٨	١٠	٢٧	٢٩	٢	١٧	٢٠	٢٣	٨	١١	١٤	٢٩	٢
الثلاثاء	٢٠	٧	٩	١١	٢٨	٣٠	٣	١٨	٢١	٢٤	٩	١٢	١٥	٣٠	٣
الأربعاء	٢١	٨	١٠	١٢	٢٩	هاتور ١	٤	٢٩	٢٢	٢٥	١٠	١٣	١٦	٣١	٤
الخميس	٢٢	٩	١١	١٣	٣٠	٢	٥	٢٠	٢٣	٢٦	١١	١٤	١٧	يناير ١	٥
الجمعة	٢٣	١٠	١٢	١٤	٣١	٣	٦	٢١	٢٤	٢٧	١٢	١٥	١٨	٢	٦

	صفر ٢٣	يناير ١٤٤	طوبة ٣٦٠	ربيع الأول ٢٣	يناير ١٤٤	طوبة ٣٦٠	ربيع الآخر ٢٣	فبراير ١٤٤	أمشير ٣٦٠	ربيع الآخر ٢٣	مارس ١٤٤	برمهات ٣٦٠	جمادى الأولى ٢٣	مارس ١٤٤	برمودة ٣٦٠
السبت	١٩	٣	٧	١١	٢٤	٢٨	٢	١٤	١٩	٢٣	٦	١٠	١٥	٢٧	١
الأحد	٢٠	٤	٨	١٢	٢٥	٢٩	٣	١٥	٢٠	٢٤	٧	١١	١٦	٢٨	٢
الإثنين	٢١	٥	٩	١٣	٢٦	٣٠	٤	١٦	٢١	٢٥	٨	١٢	١٧	٢٩	٣
الثلاثاء	٢٢	٦	١٠	١٤	٢٧	أمشير ١	٥	١٧	٢٢	٢٦	٩	١٣	١٨	٣٠	٤
الأربعاء	٢٣	٧	١١	١٥	٢٨	٢	٦	١٨	٢٣	٢٧	١٠	١٤	١٩	٣١	٥
الخميس	٢٤	٨	١٢	١٦	٢٩	٣	٧	١٩	٢٤	٢٨	١١	١٥	٢٠	ابريل ١	٦
الجمعة	٢٥	٩	١٣	١٧	٣٠	٤	٨	٢٠	٢٥	٢٩	١٢	١٦	٢١	٢	٧
السبت	٢٦	١٠	١٤	١٨	٣١	٥	٩	٢١	٢٦	جمادى ١ ١	١٣	١٧	٢٢	٣	٨
الأحد	٢٧	١١	١٥	١٩	فبراير ١	٦	١٠	٢٢	٢٧	٢	١٤	١٨	٢٣	٤	٩
الإثنين	٢٨	١٢	١٦	٢٠	٢	٧	١١	٢٣	٢٨	٣	١٥	١٩	٢٤	٥	١٠
الثلاثاء	٢٩	١٣	١٧	٢١	٣	٨	١٢	٢٤	٢٩	٤	١٦	٢٠	٢٥	٦	١١
الأربعاء	ربيع ١ ١	١٤	١٨	٢٢	٤	٩	١٣	٢٥	٣٠	٥	١٧	٢١	٢٦	٧	١٢
الخميس	٢	١٥	١٩	٢٣	٥	١٠	١٤	٢٦	برمهات ١	٦	١٨	٢٢	٢٧	٨	١٣
الجمعة	٣	١٦	٢٠	٢٤	٦	١١	١٥	٢٧	٢	٧	١٩	٢٣	٢٨	٩	١٤
السبت	٤	١٧	٢١	٢٥	٧	١٢	١٦	٢٨	٣	٨	٢٠	٢٤	٢٩	١٠	١٥
الأحد	٥	١٨	٢٢	٢٦	٨	١٣	١٧	٢٩	٤	٩	٢١	٢٥	٣٠	١١	١٦
الإثنين	٦	١٩	٢٣	٢٧	٩	١٤	١٨	مارس ١	٥	١٠	٢٢	٢٦	جمادى ٢ ١	١٢	١٧
الثلاثاء	٧	٢٠	٢٤	٢٨	١٠	١٥	١٩	٢	٦	١١	٢٣	٢٧	٢	١٣	١٨
الأربعاء	٨	٢١	٢٥	٢٩	١١	١٦	٢٠	٣	٧	١٢	٢٤	٢٨	٣	١٤	١٩
الخميس	٩	٢٢	٢٦	٣٠	١٢	١٧	٢١	٤	٨	١٣	٢٥	٢٩	٤	١٥	٢٠
الجمعة	١٠	٢٣	٢٧	ربيع ٢ ١	١٣	١٨	٢٢	٥	٩	١٤	٢٦	٣٠	٥	١٦	٢١

	جمادى الآخرة ٢٣	أبريل ١٤٤	برمودة ٣٦٠	جمادى الآخرة ٢٣	مايو ١٤٤	بشنس ٣٦٠	رجب ٢٣	مايو ١٤٤	بؤونة ٣٦٠	شعبان ٢٣	يونية ١٤٤	بؤونة ٣٦٠	رمضان ٢٣	يولية ١٤٤	أبيب ٣٦٠
السبت	٦	١٧	٢٢	٢٧	٨	١٣	١٩	٢٩	٤	١٠	١٩	٢٥	٢	١٠	١٦
الأحد	٧	١٨	٢٣	٢٨	٩	١٤	٢٠	٣٠	٥	١١	٢٠	٢٦	٣	١١	١٧
الإثنين	٨	١٩	٢٤	٢٩	١٠	١٥	٢١	٣١	٦	١٢	٢١	٢٧	٤	١٢	١٨
الثلاثاء	٩	٢٠	٢٥	رجب ١	١١	١٦	٢٢	يونيه ١	٧	١٣	٢٢	٢٨	٥	١٣	١٩
الأربعاء	١٠	٢١	٢٦	٢	١٢	١٧	٢٣	٢	٨	١٤	٢٣	٢٩	٦	١٤	٢٠
الخميس	١١	٢٢	٢٧	٣	١٣	١٨	٢٤	٣	٩	١٥	٢٤	٣٠	٧	١٥	٢١
الجمعة	١٢	٢٣	٢٨	٤	١٤	١٩	٢٥	٤	١٠	١٦	٢٥	أبيب ١	٨	١٦	٢٢
السبت	١٣	٢٤	٢٩	٥	١٥	٢٠	٢٦	٥	١١	١٧	٢٦	٢	٩	١٧	٢٣
الأحد	١٤	٢٥	٣٠	٦	١٦	٢١	٢٧	٦	١٢	١٨	٢٧	٣	١٠	١٨	٢٤
الإثنين	١٥	٢٦	بشنس ١	٧	١٧	٢٢	٢٨	٧	١٣	١٩	٢٨	٤	١١	١٩	٢٥
الثلاثاء	١٦	٢٧	٢	٨	١٨	٢٣	٢٩	٨	١٤	٢٠	٢٩	٥	١٢	٢٠	٢٦
الأربعاء	١٧	٢٨	٣	٩	١٩	٢٤	٣٠	٩	١٥	٢١	٣٠	٦	١٣	٢١	٢٧
الخميس	١٨	٢٩	٤	١٠	٢٠	٢٥	شعبان ١	١٠	١٦	٢٢	يولية ١	٧	١٤	٢٢	٢٨
الجمعة	١٩	٣٠	٥	١١	٢١	٢٦	٢	١١	١٧	٢٣	٢	٨	١٥	٢٣	٢٩
السبت	٢٠	مايو ١	٦	١٢	٢٢	٢٧	٣	١٢	١٨	٢٤	٣	٩	١٦	٢٤	٣٠
الأحد	٢١	٢	٧	١٣	٢٣	٢٨	٤	١٣	١٩	٢٥	٤	١٠	١٧	٢٥	مسرى ١
الإثنين	٢٢	٣	٨	١٤	٢٤	٢٩	٥	١٤	٢٠	٢٦	٥	١١	١٨	٢٦	٢
الثلاثاء	٢٣	٤	٩	١٥	٢٥	٣٠	٦	١٥	٢١	٢٧	٦	١٢	١٩	٢٧	٣
الأربعاء	٢٤	٥	١٠	١٦	٢٦	بؤونه ١	٧	١٦	٢٢	٢٨	٧	١٣	٢٠	٢٨	٤
الخميس	٢٥	٦	١١	١٧	٢٧	٢	٨	١٧	٢٣	٢٩	٨	١٤	٢١	٢٩	٥
الجمعة	٢٦	٧	١٢	١٨	٢٨	٣	٩	١٨	٢٤	رمضان ١	٩	١٥	٢٢	٣٠	٦

	رمضان ٢٣	يولية ٦٤٤	مسرى ٣٦٠	شوال ٢٣	أغسطس ٦٤٤	مسرى ٣٦٠	ذو القعدة ٢٣	سبتمبر ٦٤٤	توت ٣٦١	ذو القعدة ٢٣	أكتوبر ٦٤٤	بابة ٣٦١	ذو الحجة ٢٣	أكتوبر ٦٤٤	بابة ٣٦١
السبت	٢٣	٣١	٧	١٤	٢١	٢٨	٦	١١	١٤	٢٧	٢	٥	١٨	٢٣	٢٦
الأحد	٢٤	أغسطس ١	٨	١٥	٢٢	٢٩	٧	١٢	١٥	٢٨	٣	٦	١٩	٢٤	٢٧
الإثنين	٢٥	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠	٨	١٣	١٦	٢٩	٤	٧	٢٠	٢٥	٢٨
الثلاثاء	٢٦	٣	١٠	١٧	٢٤	نسيء ١	٩	١٤	١٧	٣٠	٥	٨	٢١	٢٦	٢٩
الأربعاء	٢٧	٤	١١	١٨	٢٥	٢	١٠	١٥	١٨	ذوالحجة ١	٦	٩	٢٢	٢٧	٣٠
الخميس	٢٨	٥	١٢	١٩	٢٦	٣	١١	١٦	١٩	٢	٧	١٠	٢٣	٢٨	هاتور ١
الجمعة	٢٩	٦	١٣	٢٠	٢٧	٤	١٢	١٧	٢٠	٣	٨	١١	٢٤	٢٩	٢
السبت	٣٠	٧	١٤	٢١	٢٨	٥	١٣	١٨	٢١	٤	٩	١٢	٢٥	٣٠	٣
الأحد	شوال ١	٨	١٥	٢٢	٢٩	توت ١	١٤	١٩	٢٢	٥	١٠	١٣	٢٦	٣١	٤
الإثنين	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠	٢	١٥	٢٠	٢٣	٦	١١	١٤	٢٧	نوفمبر ١	٥
الثلاثاء	٣	١٠	١٧	٢٤	٣١	٣	١٦	٢١	٢٤	٧	١٢	١٥	٢٨	٢	٦
الأربعاء	٤	١١	١٨	٢٥	سبتمبر ١	٤	١٧	٢٢	٢٥	٨	١٣	١٦	٢٩	٣	٧
الخميس	٥	١٢	١٩	٢٦	٢	٥	١٨	٢٣	٢٦	٩	١٤	١٧	محرم ١	٤	٨
الجمعة	٦	١٣	٢٠	٢٧	٣	٦	١٩	٢٤	٢٧	١٠	١٥	١٨	٢	٥	٩
السبت	٧	١٤	٢١	٢٨	٤	٧	٢٠	٢٥	٢٨	١١	١٦	١٩	٣	٦	١٠
الأحد	٨	١٥	٢٢	٢٩	٥	٨	٢١	٢٦	٢٩	١٢	١٧	٢٠	٤	٧	١١
الإثنين	٩	١٦	٢٣	ذوالقعدة ١	٦	٩	٢٢	٢٧	٣٠	١٣	١٨	٢١	٥	٨	١٢
الثلاثاء	١٠	١٧	٢٤	٢	٧	١٠	٢٣	٢٨	بابه ١	١٤	١٩	٢٢	٦	٩	١٣
الأربعاء	١١	١٨	٢٥	٣	٨	١١	٢٤	٢٩	٢	١٥	٢٠	٢٣	٧	١٠	١٤
الخميس	١٢	١٩	٢٦	٤	٩	١٢	٢٥	٣٠	٣	١٦	٢١	٢٤	٨	١١	١٥
الجمعة	١٣	٢٠	٢٧	٥	١٠	١٣	٢٦	أكتوبر ١	٤	١٧	٢٢	٢٥	٩	١٢	١٦

	محرم ٢٤	نوفمبر ٦٤٤	هاتور ٣٦١	صفر ٢٤	ديسمبر ٦٤٤	كيهك ٣٦١	صفر ٢٤	ديسمبر ٦٤٤	كيهك ٣٦١	ربيع الأول ٢٤	يناير ٦٤٥	طوبة ٣٦١	ربيع الآخر ٢٤	فبراير ٦٤٥	أمشير ٣٦١
السبت	١٠	١٣	١٧	١	٤	٨	٢٢	٢٥	٢٩	١٤	١٥	٢٠	٥	٥	١١
الأحد	١١	١٤	١٨	٢	٥	٩	٢٣	٢٦	٣٠	١٥	١٦	٢١	٦	٦	١٢
الإثنين	١٢	١٥	١٩	٣	٦	١٠	٢٤	٢٧	طوبة ١	١٦	١٧	٢٢	٧	٧	١٣
الثلاثاء	١٣	١٦	٢٠	٤	٧	١١	٢٥	٢٨	٢	١٧	١٨	٢٣	٨	٨	١٤
الأربعاء	١٤	١٧	٢١	٥	٨	١٢	٢٦	٢٩	٣	١٨	١٩	٢٤	٩	٩	١٥
الخميس	١٥	١٨	٢٢	٦	٩	١٣	٢٧	٣٠	٤	١٩	٢٠	٢٥	١٠	١٠	١٦
الجمعة	١٦	١٩	٢٣	٧	١٠	١٤	٢٨	٣١	٥	٢٠	٢١	٢٦	١١	١١	١٧
السبت	١٧	٢٠	٢٤	٨	١١	١٥	٢٩	يناير ١	٦	٢١	٢٢	٢٧	١٢	١٢	١٨
الأحد	١٨	٢١	٢٥	٩	١٢	١٦	ربيع ١ ١	٢	٧	٢٢	٢٣	٢٨	١٣	١٣	١٩
الإثنين	١٩	٢٢	٢٦	١٠	١٣	١٧	٢	٣	٨	٢٣	٢٤	٢٩	١٤	١٤	٢٠
الثلاثاء	٢٠	٢٣	٢٧	١١	١٤	١٨	٣	٤	٩	٢٤	٢٥	٣٠	١٥	١٥	٢١
الأربعاء	٢١	٢٤	٢٨	١٢	١٥	١٩	٤	٥	١٠	٢٥	٢٦	أمشير ١	١٦	١٦	٢٢
الخميس	٢٢	٢٥	٢٩	١٣	١٦	٢٠	٥	٦	١١	٢٦	٢٧	٢	١٧	١٧	٢٣
الجمعة	٢٣	٢٦	٣٠	١٤	١٧	٢١	٦	٧	١٢	٢٧	٢٨	٣	١٨	١٨	٢٤
السبت	٢٤	٢٧	كيهك ١	١٥	١٨	٢٢	٧	٨	١٣	٢٨	٢٩	٤	١٩	١٩	٢٥
الأحد	٢٥	٢٨	٢	١٦	١٩	٢٣	٨	٩	١٤	٢٩	٣٠	٥	٢٠	٢٠	٢٦
الإثنين	٢٦	٢٩	٣	١٧	٢٠	٢٤	٩	١٠	١٥	٣٠	٣١	٦	٢١	٢١	٢٧
الثلاثاء	٢٧	٣٠	٤	١٨	٢١	٢٥	١٠	١١	١٦	ربيع ٢ ١	فبراير ١	٧	٢٢	٢٢	٢٨
الأربعاء	٢٨	ديسمبر ١	٥	١٩	٢٢	٢٦	١١	١٢	١٧	٢	٢	٨	٢٣	٢٣	٢٩
الخميس	٢٩	٢	٦	٢٠	٢٣	٢٧	١٢	١٣	١٨	٣	٣	٩	٢٤	٢٤	٣٠
الجمعة	٣٠	٣	٧	٢١	٢٤	٢٨	١٣	١٤	١٩	٤	٤	١٠	٢٥	٢٥	برمهات ١

الباب السادس

مقدمات فتح مصر

إبلاغ الرسالة

علاقة المسلمين بمصر لم تبدأ بفتحها على يد عمرو بن العاص ، وإنما سبق ذلك مقدمات فى عهد النبى ﷺ ثم فى خلافة أبى بكر الصديق ، ثم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . ففى شهر ذى الحجة من العام السادس حدث صلح الحديبية بين النبى ﷺ وبين قريش ، وقضت شروط الصلح بهدنة بين الطرفين مقدارها عشر سنوات [1] .

وما أن عاد رسول الله ﷺ من الحديبية إلى المدينة حتى بعث كتبه مع مبعوثيه إلى الملوك من حوله يدعوهم إلى الإسلام .

قام رسول الله ﷺ [2] على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال «أما بعد ، فإنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم فلا تختلفوا علىّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم ، وذلك أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى أن ابعث إلى ملوك الأرض فبعث الحواريين ، فأما القريب مكاناً فرضى وأما البعيد مكاناً فكره ، وقال لا أحسن كلام من تبعثنى إليه . فقال عيسى اللهم أمرت الحواريين بالذى أمرتنى فاختلفوا علىّ ، فأوحى الله إليه انى سأكفيك ، فأصبح كل إنسان منهم يتكلم بلسان الذى وجه إليهم» . فقال المهاجرون : يا رسول الله والله لا نختلف عليك أبداً فى شىء فمرنا وابعثنا . فبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، وشجاع بن وهب الأسدى إلى كسرى ، وبعث دحية بن خليفة إلى قيصر (هرقل) وبعث عمرو بن العاص إلى ابنى الجلندى أميرى عمان .

---

(١) السيرة النبوية {ابن هشام} ق ٢ ص ٦٠٧ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٠ . حدثنا أسد بن موسى {ثقة} ، حدثنا عبدالله بن وهب {ثقة} ، أخبرنى يونس بن يزيد {ثقة} عن ابن شهاب قال حدثنى عبدالرحمن بن عبد القارى {ثقة} .
الطبقات الكبرى ١ / ٢ / ١٩ .
امتاع الاسماع ٣٠٧ .
تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ٢ / ٦٤٥ .

فى بحث للدكتور عز الدين إبراهيم [١] ، أن الكتب الرئيسية للحديث [٢] تُجمع على ذكر خبر الرسائل التى أرسلها رسول الله ﷺ إلى الملوك ، أما أمهات كتب السيرة [٣] والتاريخ بل والأدب ففيها تفاصيل أكثر . يقول الدكتور عز الدين «ان موضوع الرسائل فى مجموعه موثق فى مصادرنا توثيقاً يرفعه إلى مستوى المسلّمات التاريخية والحقائق الدينية التى لا تقبل التشكك ... ثم ظهرت حملة التشكيك فى صحة الوفادات النبوية فى كتابات بعض - وليس كل - المستشرقين مثل الإنجليزى السير وليام موير والإيطالى ليون كايتانى واليهودى مرجليوث .

ثم يقول «أنه منذ سنة ١٨٥٠ م بدأت بعض هذه الرسائل فى الظهور» ، والذى يهمنا هنا هو رسالته ﷺ إلى المقوقس . ففى سنة ١٨٥٠ م كان المستشرق الفرنسى بارتليمى **Barthelemy** يفحص بعض الكتب والأناجيل فى أحد الأديرة بناحية أخميم من صعيد مصر فعثر على رق جلدى قديم إتضح بالدراسة أنه رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، وأسهم مسيو بلين **Belin** فى تحقيق الرسالة ومقارنة نصها بما ورد فى الأصول ، ثم أعلن عن الثقة فى أصالة المخطوط ، ونشرت عن ذلك دراسة فى المجلة الآسيوية ١٨٥٤ ثم فى مجلة الهلال المصرية فى نوفمبر ١٩٠٤ ، وأن الخليفة العثمانى السلطان عبد المجيد اهتم بالأمر فاقتنىَ المخطوط وأمر بحفظه فى صندوق ذهبى معروض الآن فى متحف طوب كابى سراى باستنبول ، {والصندوق طبقاً لنشرة طوب كابى أبعاده ٤٢,٥ × ٣٠ × ١٠,٥ سم} وتبدو الرسالة أنها ١٧,٧ × ١٥,٦ سم . ويقول الدكتور عز أن «الرسالة تبدو داكنة ورقيقة وقد أصابها تشقق من وسطها ، ولكنها مازالت مقروءة ، وأنها قَدُمَت جداً وصارت معرضة لمزيد من التشقق وربما التَفَتُّت لو زاد مسها أو تكرر نقلها» . وقد قمنا بمعالجة لصورة هذه الرسالة حتى تظهر بشكل يقرؤه القارىء .

(١) المستشار بديوان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ، وكان من الخبراء الذين شاركوا فى فحص هذه الرسالة ، والبحث فى ١٩ صفحة فولسكاب أرسله إلينا مشكوراً فى ١٩٨٦/١/٤ .

(٢) البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده والترمذى وأبو داود والنسائى وإبن ماجه .

(٣) وأن الطبقات الكبرى لابن سعد ذكر أكثر من مائة كتاب إلى الملوك وغيرهم . كما ذكر ذلك أبو الفداء بن كثير فى سيرته ، والطبرى فى تاريخه واليعقوبى فى تاريخه وأبو عبيد فى الأموال وكذلك إمتاع الأسماع للمقريزى وصبح الأعشى للقلقشندى ، وعيون الأثر ، والسيرة الحلبية .

ولا نعرف الآن كيف وصلت هذه الرسالة منذ استلمها المقوقس عام ٧ هـ ٦٢٨ م إلى دير بأخميم .

مضى حاطب بن أبى بلعتة بكتاب رسول الله ﷺ . فلما انتهى إلى الاسكندرية وجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر [١] ، فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله ﷺ ، فلما رآه المقوقس أدرك أنه مبعوث إليه برسالة ، فأمر بالكتاب فقُبض وأمر به فأوصل إليه .

وقرأ حاطب كتاب رسول الله ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
سوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على
من اتبع الهدى أما بعد فإنى أد
عوك بدعاية الإسلام أسلم
تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
فإن توليت فعليك إثم القبط
ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا تعبدوا إلا الله
ولا نشرك به ولا يتخذ بعضنا
بعضا أربابا من دون الله فإن
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مس
لمون

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤١ عن هشام بن إسحق وغيره .
حسن المحاضرة ١ / ٩٧ قال ابن عبدالحكم حدثنا هشام بن اسحق وغيره .
السيرة الحلبية ٣ / ٢٩٦ .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

بين حاطب والمقوقس :

والكتاب مستقيم السطر جميل الخط فيه شيء من التوسعة . ولابد أن المقوقس قد تذوق أسلوب الكتاب ومضمونه ، ولابد أيضاً أن حاطباً فى مظهره ومنطقه وحضور بديهته كان خير سفير ، فدار بينهما حوار .

قال المقوقس : ما منعه إِن كان نبياً أن يدعو عليَّ فيُسَلَّطَ عَلَيَّ ؟

فقال حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يُفعل به ويُفْعل ؟

فوجم المقوقس ساعة كأنما يسترجع ما يعرف من سيرة المسيح عليه السلام مع قومه ، ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت .

قال حاطب : إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك ، وإن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافى

الله به ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به .

فأخذ المقوقس الكتاب فجعله فى حُقٍّ من عاج وختم عليه .

وأرسل المقوقس إلى حاطب ليلة [1] وليس عنده أحد إلا ترجمان له ـ ونفهم من هذا أن اللقاء الأول كان يحضره ترجمان ، كما أنه شهده آخرون أراد المقوقس أن يحاور حاطباً فى غير وجودهم بعد أن ظل يقلب الأمر بينه وبين نفسه . ابتداء يبدو أنه اقتنع بما جاء بكتاب النبى ﷺ ، ولكنه من جانب آخر هو حاكم من قِبَل بيزنطة سياسياً ، فضلاً عن أنه البطرك الملِكانى المسئول عن الكنيسة البيزنطية بمصر ، فهل يكون ميسوراً لديه أن يعلن إيمانه برسالة الإسلام وما جاءت به رسالة النبى ﷺ ؟ .

قال المقوقس : ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها ، فإنى أعلم أن صاحبك قد تخيَّرك حين بعثك ؟

قال حاطب : لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك .

قال : إلى ما يدعو محمد ؟

قال : إلى أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتخلع ما سواه ، ويأمر بالصلاة .

قال : فكم تُصلّون ؟

قال : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم .

قال المقوقس : من أتباعه ؟

قال : الفتيان من قومه وغيرهم .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤١ ـ حدثنا عبدالله بن سعيد المذحجى ، عن ربيعة بن عثمان {ليس به بأس توفى ١٥٤} عن إبان بن صالح {نوثقه ، توفى ١١٥} .

فتوح مصر وأخبارها ٤٢ ـ حدثنا هانى بن المتوكل {تدخل عليه المناكير ولايعرف حاله} ، حدثنا ابن لهيعة ، قال حدثنى يزيد بن أبى حبيب {فقيه عالم} . يزيد بعضهم على بعض .

قال : فهل يقاتل قومه ؟

قال : نعم .

قال : فصفه لى .

فوصفه حاطب .

قال المقوقس : قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها ، فى عينيه حمرة قلما تفارقه ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزىء بالتمرات والكسر ، لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم ؟ وأنه لا يجمع بين أختين فى ملك يمين ولا نكاح ، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ، وأن جلساءه المساكين وأن خاتم النبوة بين كتفيه .

قال حاطب : هذه صفته .

قال المقوقس : قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى وقد كنت أظن أن مخرجه من الشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جَهْد وبؤس ، والقبط لا تطاوعنى فى إتِّباعه ، ولا أحب أن يُعلم بمحاورتى إياك ، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً، فارجع إلى صاحبك .

ثم دعا رجلاً عاقلاً ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها وهما من أهل حفْن من كورة أَنْصِنَا فبعث بهما إلى رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه بغلة شهباء وحماراً أشهب وثياباً من قباطى مصر وعسلاً من عسل بنها ، وبعث إليه بمال صدقة ، وأمر رسوله أن ينظر من جلساؤه وينظر إلى ظهره وهل يرى شامة كبيرة ذات شعر ؟

ودعا كاتباً يكتب بالعربية فكتب [1] :

«لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط .

سلام أما بعد .

فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤١ ـ رجع إلى حديث هشام بن إسحق .

وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها . والسلام»

فلما قدم على رسول الله ﷺ قدَّم إليه الأختين والدابتين والعسل والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية . فقبل رسول الله ﷺ الهدية وكان لايردها من أحد من الناس ، فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه ، وكره أن يجمع بينهما وكانت إحداهما تشبه الأخرى ، فقال اللهم اختر لنبيك ، فاختار الله له مارية وذلك أنه قال لهما قولا «نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» فبدرت مارية فتشهَّدَت وآمنت قبل أختها ، ومكثت أختها ساعة ثم تشهدت وآمنت» .

وفى رواية أن المقوقس قبل الكتاب [1] وأكرم حاطباً وأحسن نزله ، ثم سرّحه إلى رسول الله ﷺ وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم ، ووهب الأخرى لجهم بن قيس العبدرى فهى أم زكرياء بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ، ويقال بل وهبها لحسان بن ثابت فهى أم عبدالرحمن بن حسان ، ويقال بل وهبها لمحمد بن مسلمة الأنصارى ، ويقال بل لدحية بن خليفة الكلبى .

وفى رواية أن المقوقس أهدى إلى النبى ﷺ أربع جوارى منهن مارية [2] . ولكن المقوقس

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٢ ـ حدثنا أسد بن موسى {ثقة توفى ٢١٢ هـ} ، حدثنا عبدالله بن وهب {أحد الأئمة ، ثقة ، توفى ١٩٧ أو ١٩٩} أخبرنى يونس بن يزيد {ثقة توفى ١٥٩} ، عن ابن شهاب {الزهرى} ، عن عبدالرحمن بن عبد القارّى .

فتوح مصر وأخبارها ٤٣ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الفهرى ، حدثنا مروان بن يحيى الحاطبى ، حدثنى ابراهيم بن عبدالرحمن بن أدعج قال حدثنى يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبى بلتعة .

الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٨٦ .

الطبقات الكبرى ١ / ٢ / ١٦ .

امتاع الأسماع ٣٠٨ .

(٢) إمتاع الأسماع ٣٠٨.

السيرة الحلبية ٣ / ٢٩٧ قال أنه أرسل إليه عمائم وقباطى وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب وقدح من قوارير وبغلة وحماراً أشهب وفرساً وعسلاً ومربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والمسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطاً ، وجوارى أربعاً إحداهن سوداء إسمها بريرة وخصيا .

لم يُسْلم فقال رسول الله ﷺ «ضَنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه» . وقال حاطب «كان لى مُكْرِماً فى الضيافة وقلة اللَّبث ببابه ، ما أقْمت عنده إلا خمسة أيام [(١)]» .

وربما كانت قلة اللبث هذه حتى لا يُحدث بقاء حاطب بلبلة بين بطانة المقوقس أو رجال الحكم البيزنطى بمصر .

وفى رواية عن حاطب [(٢)] أنه قال :

«بعثنى رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلنى فى منزل وأقمت عنده ليالى ، ثم بعث إلىّ وقد جمع بطارقته .

فقال : إنى سأكلمك بكلام وأحب أن تفهمه عنى .

قلت : هلم .

قال : أخبرنى عن صاحبك ، أليس هو بنبى ؟

قلت : بل هو رسول الله .

قال : فماله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها .

قلت : فعيسى بن مريم تشهد أنه رسول الله ، فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه فى السماء الدنيا .

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٢ / ١٧ ـ أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى ، قال حدثنى معمر بن راشد ومحمد بن عبدالله عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس .
وحدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبى سَبرة عن المسور بن رفاعة .
وحدثنا عمر بن سليمان بن أبى حثمة عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة عن جدته الشِّفاء .
وحدثنا أبو بكر بن عبدالله عن أبى سبرة عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمى .
وحدثنا معاذ بن محمد الأنصارى عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى .
دخل حديث بعضهم فى بعض ، قالوا .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٣ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الفهرى ، حدثنا مروان بن يحيى الحاطبى ، حدثنى إبراهيم بن عبدالرحمن بن أدعج ، قال حدثنى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم {ضعيف} ، عن أبيه {ثقة توفى ١٣٦} ، قال حدثنى يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب {ثقة مات ١٠٤} عن أبيه {ثقة مات ٦٨ هـ} ، عن جده حاطب بن أبى بلتعة .

فقال : أنت حكيم جاء من عند حكيم . هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد وأرسل معك مُبَذْرَقَة [(١)] يبذرقونك إلى مأمنك .

فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار منهن أم إبراهيم ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبى جهم بن حذيفة العبدرى ، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت ، وأرسل إليه بثياب مع طُرَف من طُرَفِهِم ، فولدت مارية لرسول الله ﷺ إبراهيم فكان من أحب الناس إليه حتى مات ، فوجِد به رسول الله ﷺ » .

ولما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ «أعتقها ولدها [(٢)]» .

وكانت قابلتها سلمى مولاة النبى ﷺ فخرجت إلى زوجها أبى نافع بأنها قد ولدت غلاماً ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشره فوهب له عبداً ، وغار نساء رسول الله ﷺ واشتد عليهن حين رزق منها الولد [(٣)] . وولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة [(٤)] ، وكان سنه يوم مات ستة عشر شهراً [(٥)] . وفى روايات أنه توفى وهو ابن ثمانية عشر شهراً .

ونذهب إلى أن لقاء حاطب بن أبى بلتعة بالمقوقس قد حدث فيما عبر عنه بـ «القصر الملكى» ، وكان على ساحل البحر إلى الجانب الغربى من رأس لوكياس {حالياً هو لسان

---

(١) البذرقة حراس يتقدمون القافلة .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٤ ـ حدثنا القعنسى ، عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .
الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٨٧ . قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال حدثنى أبو بكر بن أبى سبرة ، عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس وقال قال رسول الله ﷺ لما ولدت أم إبراهيم إبراهيم ...

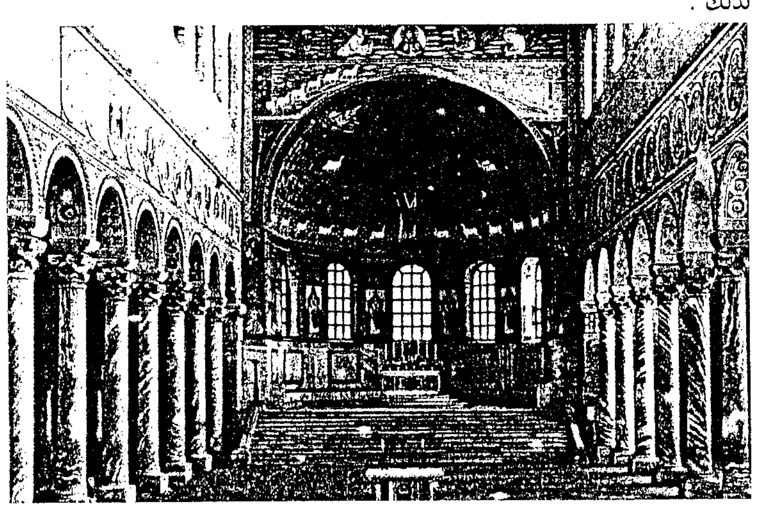
(٣) الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٨٦ ـ أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى صعصعة .

(٤) الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٨٦ ـ أخبرنا محمد بن عمر ، قال حدثنى ابن أبى سبرة ، عن اسحق بن عبدالله عن أبى جعفر .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ٤٤ ـ حدثنا على بن معبد ، عن عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن رجل قد سماه ، عن البراء بن عازب .
الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٩٠ ـ أخبرنا يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن سليمان يعنى الأعمش عن مسلم عن البراء .

السلسلة} فكان يطل على الميناء الشرقى [1] للاسكندرية ، وأن حاطباً قد استقل مركباً من مكان يقع الآن على كورنيش الاسكندرية قريباً من لسان السلسلة ، وعبر به نحواً من ٦٠٠ ـ ٧٠٠ متراً حتى مقر المقوقس ، فى مركب لا هو من الكبر الذى لا يتطلبه الحال ولا من الصغر الذى لا يلفت نظر المقوقس .

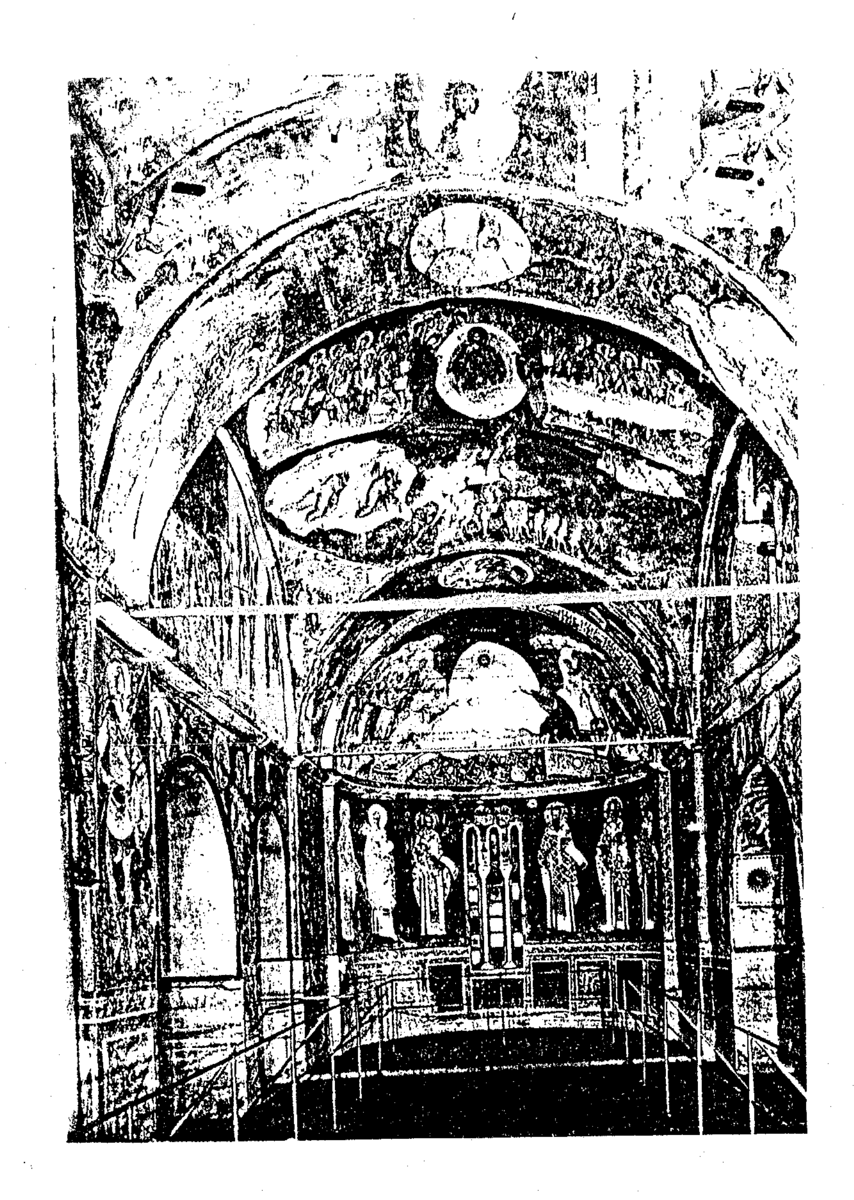
ليس بين أيدينا صفة لذلك القصر أكثر من أنه كانت به شرفة تطل على البحر كان المقوقس يجلس فيها حين أشار إليه حاطب بالرسالة . ولكن من الطبيعى أنه كان على جانب من الأبهة طبقاً للفن البيزنطى ، ونرفق بعض أشكال ذلك [2] الفن المعمارى من الكنائس البيزنطية المعاصرة لذلك .



من الفن البيزنطى

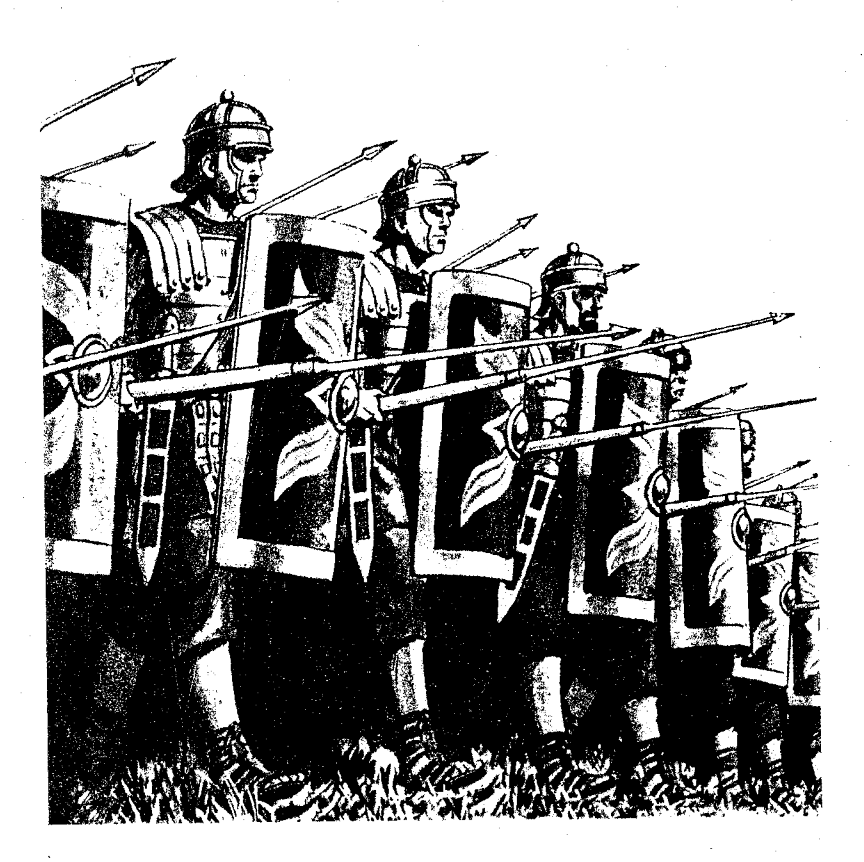
(١) بين المكان الذى يلتقى بشارع ٢٦ يولية (الكورنيش) شارع عبدالرحمن رشدى وشارع شمبليون قبل منتصف المسافة إلى تمثال سعد زغلول ، ويكون شارع كانوب هو الذى يتطابق الآن أو يكاد مع ما يسمى طريق جمال عبدالناصر ، وذلك طبقاً لخريطة «الاسكندرية فى العصر اليونانى الرومانى» كما جاءت فى كتاب «الجغرافية التاريخية» ص ٣٨٥ وجاءت أيضاً بعنوان «الاسكندرية عند الفتح العربى لمصر» فى كتاب «وصف مصر ـ الترجمة الكاملة» جـ ٣ للدكتور زهير الشايب ص ٣٦٠ مع اختصار فى بعض التفاصيل ، وهما الخريطتان اللتان أخذنا عنهما خريطة الاسكندرية فى عصر الفتح .

(٢) الموسوعة مجلد ٧ ص ١٢٤٨ ومجلد ١٣ ص ١٣١٥ ، وكتاب الجنود .

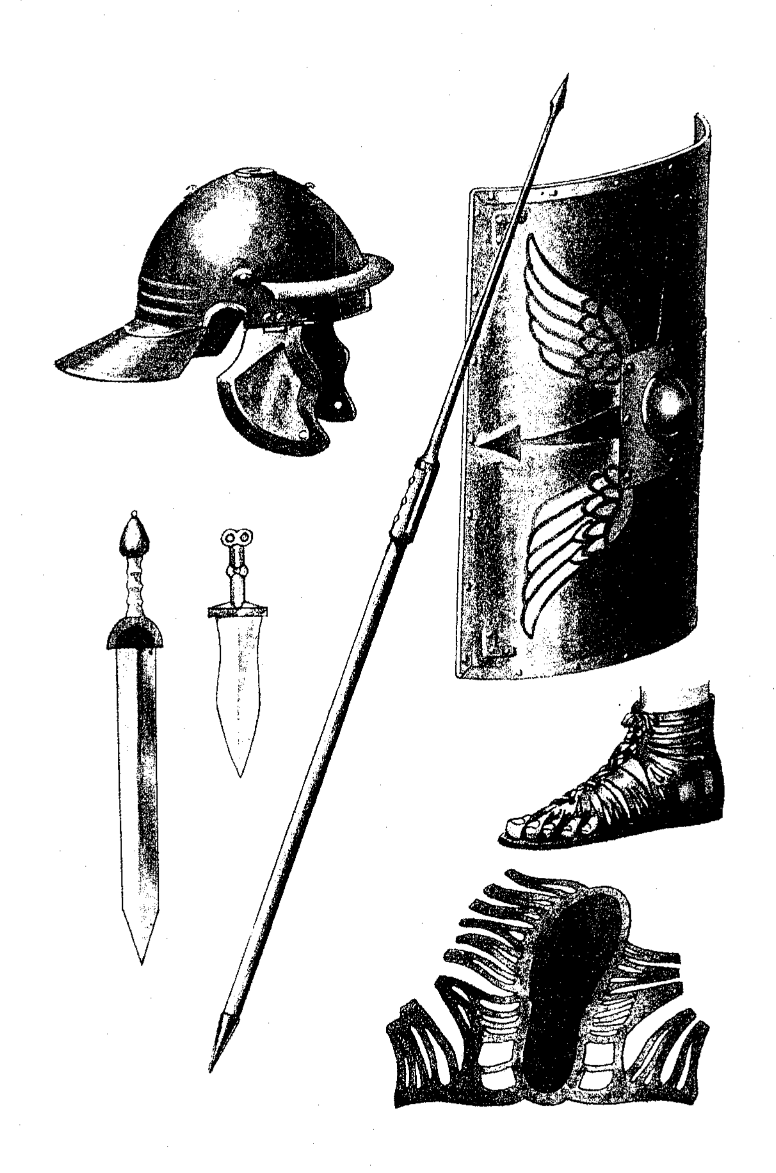


من الفن البيزنطى

كذلك لابد أن حاطباً قد رأى جند الروم مشاتهم وفرسانهم وما كان بأيديهم من سلاح وعتاد ، ولابد أن عمرو بن العاص قد لاحظ ذلك أيضاً حين حضر إلى مصر قبل الفتح ثم ومعه جيشه فى فتح مصر ، بل ورأى أيضاً عامة أناسهم .



جنود وفرسان بيزنطيون



من اسلحة البيزنطيين



من الجيش البيزنطى



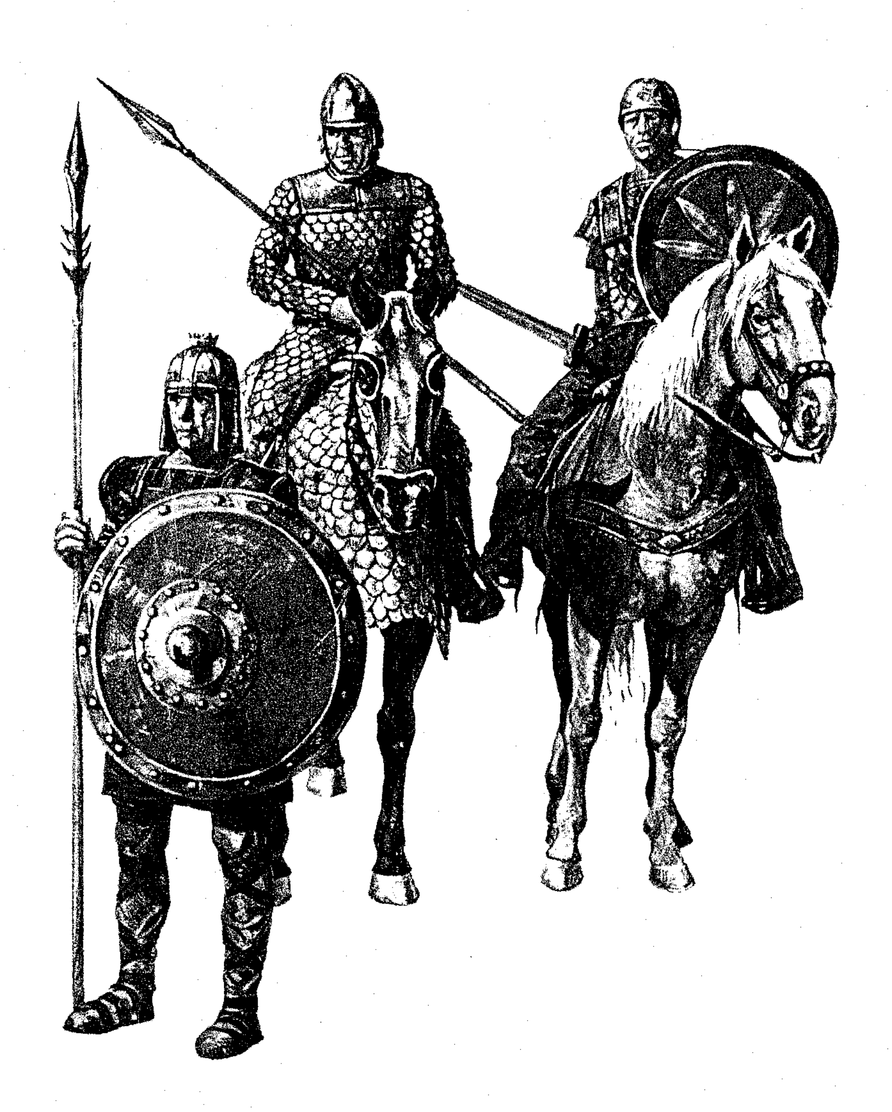
من الجيش البيزنطى



جنود بيزانطيون



تاجر بيزنطي



ومن أخبارها أن رسول الله ﷺ دخل على أم إبراهيم ، أم ولده القبطية ، فوجد [١] عندها نسيباً كان لها قدم معها من مصر ، وكان كثيراً ما يدخل عليها ، فوقع فى نفسه شىء فرجع فلقيه عمر بن الخطاب فعرف ذلك فى وجهه فسأله فأخبره ، فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف ، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوبا ليس بين رجليه شىء ، فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ « أن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله قد برأها وقريبها وأن فى بطنها غلاماً منى ، وأنه أشبه الخلق بى ، وأمرنى أن أسمّيه إبراهيم وكنّانى بأبى إبراهيم » .

وكانت البغلة [٢] والحمار أحب دوابه إليه ، وسمى البغلة دُلْدُل ، وسمى الحمار يَعْفُور ، وأعجبه العسل فدعا فى عسل بنها بالبركة . وبقيت تلك الثياب حتى كُفّن فى بعضها ﷺ .

وكان اسم أخت مارية قَيْصراً ، ويقال [٣] بل كان اسمها سيرين . ونقول أن سيرين فى لغة الروم تعنى قيصرة ، ومازال إسم «سيزر» بالإنجليزية و «كيزار» بالفرنسية تعنى «قيصر» بالعربية ، ويشتهر عن جوليوس سيزر **Julius Ceasar** بالانجليزية وجول كيزار **Jules César** بالفرنسية يوليوس قيصر بالعربية ، ومازال فى مدينة الاسكندرية الى اليوم حى إسمه كامب شيزار (يعنى معسكر قيصر) . وفى رواية أن المقوقس صاحب الاسكندرية بعث بمارية وأختها حنة ، فأسكنها رسول الله ﷺ فى صدقته فى بنى قريظة [٤] . وفى رواية أنه أنزلها وأختها على أم سليم بنت ملحان ، ثم حوّل مارية إلى مال له بالعالية كان من أموال بنى النضير فكانت [٥] فيه فى الصيف وفى خرافة النخل ، وكانت حسنة الدين .

وكانت وفاة مارية [٦] رضى الله عنها فى المحرم سنة خمس عشرة ـ فبراير ٦٣٦ ، ودفنت

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٣ ـ حدثنا هانى بن المتوكل ، حدثنا عبدالله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عبدالرحمن بن شماسة المهرى ، أحسبه عن عبدالرحمن بن عمرو بن العاص .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٥ ـ رجع إلى يزيد بن أبى حبيب {يعنى ، عن عبدالرحمن بن شماسة المهرى ، أحسبه عن عبدالله بن عمرو بن العاص} .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٥ ـ قال ابن مريم (أبو بكر) قال ابن لهيعة .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٤٥ ـ حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الأعرج .

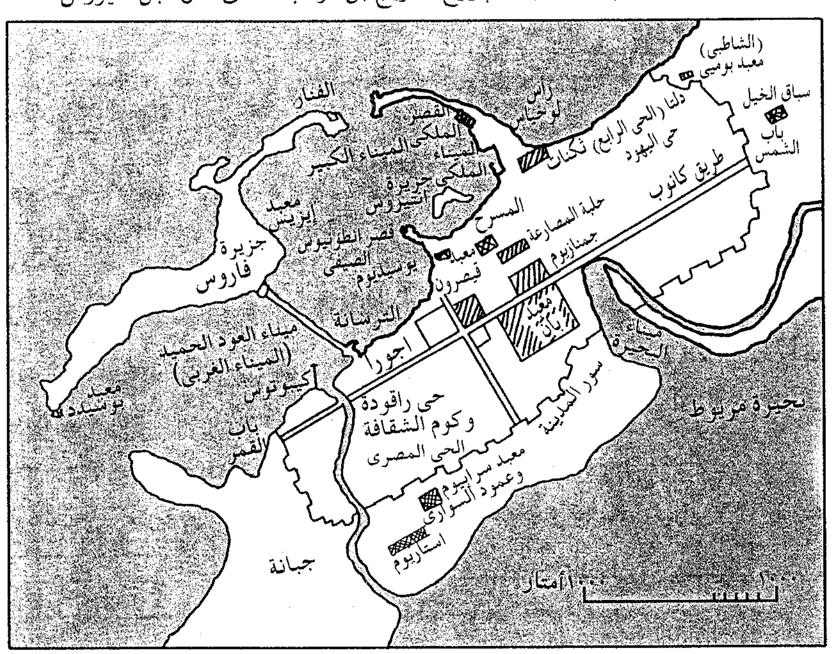
(٥) الطبقات الكبرى ١ / ١ / ٨٦ .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ٤٥ ـ حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن أبى بكر بن أبى مريم ، عن راشد بن سعد ـ ويقال أن هذا التاريخ أكتوبر / نوفمبر ٦٣٥ م .

بالبقيع ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه . عاشت مارية رضى الله عنها فى المدينة نحواً من سبع سنوات ونصف ، منها أقل قليلاً من أربع سنوات فى حياة رسول الله ﷺ .

وبعد وفاة الرسول ﷺ بعث أبو بكر حاطب [١] بن أبى بلتعة مرة أخرى إلى المقوقس بمصر ، فمر على ناحية قرى الشرقية فهادنهم وأعطوه فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه فانتقض ذلك العهد ، وهى أول هدنة كانت بمصر .

والذى نرجحه أن الذين هادنوا حاطباً كانوا من حكام الأقاليم من الروم وأن تلك المهادنة كان يوافق عليها مقوقس ذلك الوقت چورچ (جريج بن قرقب) الذى كان قبل سيروس .

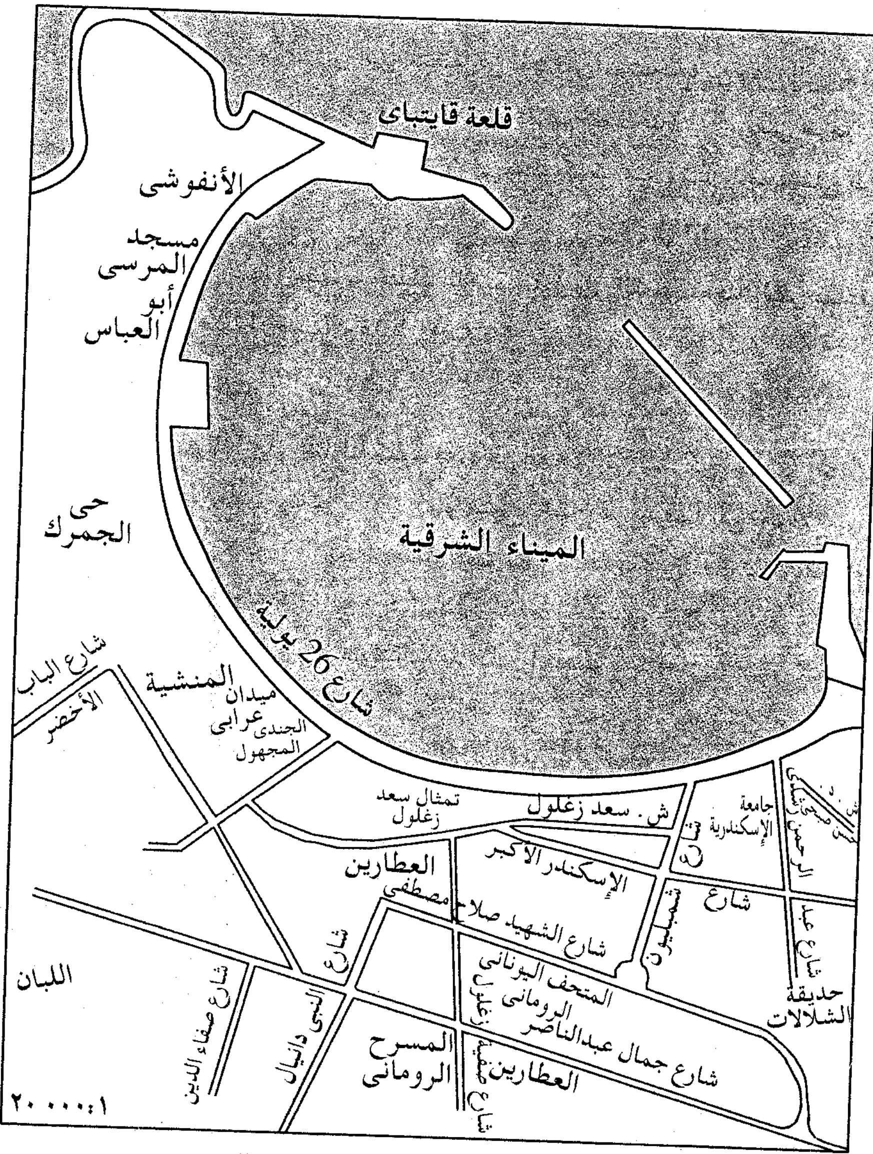


الإسكندرية فى العصر اليونانى والرومانى – عن موسوعة تاريخ مصر القديمة

الاسكندرية فى العصر اليونانى والرومانى

عن موسوعة تاريخ مصر القديمة

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٥ ـ حدثنا عبدالملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد ، عن عُلَىّ بن رباح اللخمى .
حسن المحاضرة .



تلك المواقع من الإسكندرية عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م.

الطريق والمسافة :

بعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب إلى الحارث الغسانى ودحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر {هرقل} بعثهم مصطحبين [1] ، يعنى خرجوا من المدينة معاً ، ونرى ذلك أنه كان لوحدة الطريق فى شطر كبير منه ، ساروا معاً على طريق الشام قبل أن يفترقوا .

كان حاطب حسن الجسم والمظهر ، خفيف اللحية ، يميل إلى القصر ، أجنأ {ليس مستقيم الظهر ولا يصل إلى صفة الأحدب} ، غليظ الأصابع .

ثم ذهب كل إلى وجهته .

كما سيأتى بإذن الله ، فى تناولنا قدوم عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، حسبنا المسافة بين الفسطاط والمدينة بنحو ١٦٠٠ كيلو متراً ، تحتاج فى قطعها إلى نحو ٣٥ يوماً بالإبل المحملة أو إلى نحو ١٦ يوماً بالخيل المسرعة . وانطلاقاً من ذلك تكون المسافة بين المدينة والاسكندرية نحواً من ١٨٠٠ كيلو متراً يقطعها حاطب بالخيل فى نحو ٢١ يوماً {٣ أسابيع} ذهاباً ، فإذا افترضنا أنه وصحبه قد غادروا المدينة بالخيل فى ٧ صفر ٧ هـ ٢٨ أبريل ٦٢٨ بعد عودتهم من الحديبية ، فإنه يكون قد بلغ الإسكندرية فى نحو من آخر صفر ٧ هـ ٩ مايو ٦٢٨ م . وبعد مكوثه خمسة أيام يكون قد غادرها فى ٤ من شهر ربيع الأول ٧ هـ ١٤ مايو ٦٢٨ م ومعه حمولة وحمار وبغلة ونساء ، يعنى بسرعة تقل معدلها عن سرعة الذهاب لطول المسافة وعملاً بطريقة «رفقاً أنجشة بالقوارير [2]» ، فنفترض أنها كانت بمعدل ٤٥ كيلو متراً فى اليوم ، يعنى وصلوا المدينة بعد نحو أربعين يوماً من السفر ، بمعنى أن يكون حاطب ومن معه قد وصل إلى المدينة فى نحو ١٤ من شهر ربيع الآخر ٧ هـ ٢٣ يونية ٦٢٨ م ، إن لم يكن بعد ذلك ، رضى الله عنهم .

حاطب بن أبى بلتعة :

قال المقوقس لحاطب وهو يحاوره «أعلمُ أن صاحبك قد تخيرك حين بعثك» ، وهذا لا يعنى

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٦٤٤ .
(٢) أسد الغابة ـ أنجشة .

فقط أن المقوقس قد أحس بألمعية حاطب وإنما أيضاً أن رسول الله ﷺ قد تخير حاطباً لهذه المهمة لصفات فيه .

وحين نجد أنه حاطب بن أبى بلتعة بن معاذ اللخمى ، فإن لخماً كانت من أهل مدين على الحدود المصرية الفلسطينية ، وقد وفدوا على رسول الله ﷺ وأسلموا ثم عادوا إلى مدينتهم[1] . وأبو بلتعة هو عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن العتيك بن سعّاد بن راشدة بن جزيلة بن عدى ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، ثم للزبير بن العوام . وفى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار آخى [2] رسول الله ﷺ بينه وبين عويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف .

شهد حاطب بدراً والحديبية [3] ، وكان من الرماة المذكورين يوم بدر ، وقد شهد بدراً من أسد بن عبد العزى ثلاثة ، الزبير بن العوام وحاطب بن أبى بلتعة حليف لهم وسعد مولى حاطب [4] . وأسر حاطب يوم بدر الحارث بن عائذ بن أسد بن عبد العزى وقدم فى فدائه عثمان بن حبيش [5] بأربعة آلاف ، وفى يوم الحديبية بايع النبى ﷺ المسلمين ألا يفروا ، وكان الذين دخلوا على أهليهم [6] فى مكه عشرة من المهاجرين منهم حاطب .

قال السمعانى [7] : «البَرَكُوتى» نسبة إلى قرية من شرقية أرض مصر . وقد أدرك رياح بن قصير اللخمى البركوتى النبى ﷺ وأسلم زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين قدم عليه حاطب بن أبى بلتعة رسولاً من أبى بكر إلى المقوقس فنزل عليهم ببَرَكُوت [8] ـ وهو أبو

(١) بحث د . أحمد فؤاد سيد ـ المؤتمر العالمى لجامعة الأزهر ، جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ سبتمبر ٢٠٠٠ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦٨٠ .
المغازى ـ ٢٤٣ .
(٣) أسد الغابة ١ / ٤٣٢ .
(٤) السيرة النبوية ١ / ٥٦٠ .
المغازى ١ / ١٥٤ .
(٥) المغازى ١ / ١٤٠ .
(٦) المغازى ٦٠٣ .
(٧) الأنساب ١ / ٣٢٧ .
(٨) لم نستطع تحديد موقع بركوت ، وقد ذكرها ياقوت فى معجم البلدان أنها من قرى مصر . وجاء فى القاموس الجغرافى أنها من البلاد المندرسة وأنها وردت فى تاج العروس بأنها قرية بمصر . ولم نجدها فى تقويم البلدان ولا فى دائرة المعارف الإسلامية .

عُلَىّ بن رباح جد موسى بن على بن رباح وكان ذلك حوالى ١٢ هـ ، وقد نزل حاطب عليهم قبل ذلك أيضاً فى وفادته برسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس حيث أنه ينسب إليها وينحدر منها . ثم حدث فى أثناء فتح مكه حدث عجيب ذكرته كتب السيرة [1] .

«دخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها وهى تُجَهِّز رسول الله ﷺ ، تعمل قمحاً سَوِيقا ودقيقاً ، فقال يا عائشة أَهَمّ رسول الله يغزو ؟ قالت ما أدرى . قال إن كان هَمَّ بسفر فآذنينا نتهيأ له . قالت ما أدرى ، لعله يريد بنى سُلَيم ، لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن ، فاستجمعت عليه حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له يا رسول الله أردتَ سفراً ؟ قال نعم . قال أَفَأَتَجَهَّزُ ؟ قال نعم . قال فأين تريد يا رسول الله ؟ قال قريشاً ، وأَخْفِ ذلك يا أبا بكر ، وأمر ﷺ الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريد . وقال أبو بكر يا رسول الله أو ليس بيننا وبينهم مدة ؟ قال إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم ، وأطْوِ ما ذكرت لك ، فظَانٌّ يظن أنه يريد الشام ، وظانّ يظن ثقيفا وظان يظن هوازن .

فلما أجمع ﷺ المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس ، كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ فى أمرهم . وكان كتابه إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، فيقول فيه : إن رسول الله قد أذّن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يد بكتابى إليكم . وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العَرْج (يقال لها كنود ، ويقال سارة مولاة عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف) وجعل لها ديناراً وقيل عشرة دنانير على أن تُبَلِّغَهُ قريشاً ، وقال أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق فإن عليه حَرَساً ، فجعلته فى رأسها ثم فَتَلَت عليه قرونها وسلكت على غير نَقْب حتى لقيت الطريق بالعقيق .

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علياً والزبير رضى الله عنهما ، فقال أدركا امرأة من مزينة ، قد كتب معها حاطب كتاباً يحذّر قريشاً . فخرجا فأدركاها ، فاستنزلاها والتمساه فى رحلها فلم يجدا شيئاً . فقالا لها : إنا نَحْلف بالله ما كُذِب رسول الله ولا كُذِبْنا ، ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت منهما الجد قالت :

(١) ننقله هنا عن امتاع الأسماع ٢٦١ - ٢٦٣ .

أعرضا عنى ، فأعرضا عنها فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب ، فجاءا به رسول الله ﷺ ، فدعا حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال يا رسول الله ، والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم . فقال عمر رضى الله عنه : قاتلك الله ، ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم !! دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق . فقال : وما يدريك ياعمر ؟ لعل الله اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وأنزل الله فى حاطب : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَولِيَاءَ تُلقُونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَقَد كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الحَقِ يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم أَن تُؤمِنُوا بِاللَّهِ رَبِكُم إِن كُنتُم خَرَجتُم جِهَاداً فِى سَبِيلِى وَابتِغَاءَ مَرضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعلَمُ بِمَا أَخفَيتُم وَمَا أَعلَنتُم وَمَن يَفعَلهُ مِنكُم فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ‹١›﴾ [1] .

روى مسلم عن جابر أن عبداً لحاطب جاء يشكوه ، فقال : يا رسول الله [2] ليدخلن حاطب النار ، فقال «لا ، إنه شهد بدراً والحديبية» . مات سنة ثلاثين وله خمس وستون سنة ، يعنى أنه كان يبلغ من العمر ٤٢ عاماً حين بعثه النبى ﷺ عام ٧ هـ إلى المقوقس .

بناء على ما تقدم تكون أبرز ما عرفنا عن سيرة حاطب أنه :

فى شهر رمضان ٢ هـ شهد غزوة بدر .

فى شهر ذى القعدة ٦ هـ شهد الحديبية .

فى شهر محرم ٧ هـ حمل رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس .

فى شهر رمضان ٨ هـ شهد فتح مكه .

ولم يكن حاطب وحده هو السفير بين المسلمين والمقوقس فقد أرسل النبى ﷺ شرحبيل بن حسنة الكندى من تبوك ٩ هـ . وأرسل أبو بكر رضى الله عنه كعب بن عدى التنوخى إلى المقوقس فى ٩ جمادى الأولى ١٣ هـ [ترجيحاً] ، كما أعاد عمر بن الخطاب إرساله إليه .

(١) الممتحنة - ١ .

(٢) حسن المحاضرة ١ / ١٨٩ .

كعب بن عدى :

بن حنظلة بن عدى بن عمرو بن ثعلبة بن عدى بن مِلكان بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات ، وهو الذى يقال له «التنوخى» ، وهو من عداد الحيرة لأن بنى ملكان بن عوف حلفاء تنوخ ، مخرج حديثه عن أهل مصر ، وكان أحد وفد الحيرة إلى رسول الله ﷺ وأسلم زمن أبى بكر ، وكان شريك عمر فى الجاهلية . قدم الإسكندرية سنة خمس عشرة رسولاً من عمر إلى المقوقس ، وشهد فتح مصر وولده بها . روى يزيد بن أبى حبيب عن ناعم بن أبى عبدالله عنه أنه قال : كان أبى أسقُفَّ الحيرة ، فلما بُعث محمد ﷺ قال : هل لكم أن يذهب نفر منكم إلى هذا الرجل فتسمعوا منه شيئاً من قوله ؛ لا يموت فتقولون لو أنا سمعنا من قوله ؟ فاختاروا أربعة فبعثوهم ، فقلت لأبى أنا أنطلق معهم . قال ما تصنع ؟ قلت أنظر . فقدمنا على رسول الله ﷺ فكنا نجلس إليه إذا صلى الصبح فنسمع كلامه والقرآن ، فلا ينكرنا أحد .

فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيرا حتى مات . فقال الأربعة : لو كان أمره حقاً لم يمت ، انطلقوا . فقلت لهم : كما أنتم حتى تعلموا من يقوم مقامه فينقطع هذا الأمر أو يتم . فذهبوا ومكثت أنا لا مسلماً ولا نصرانياً . فلما بعث أبو بكر جيشاً إلى اليمامة ذهبت معهم ، فلما فرغوا من مسيلمة مررت براهب فرقيت إليه فدارسته ، فقال لى : أنصرانى أنت ؟ قلت : لا . قال : فيهودى ؟ قلت لا ، فذكرت محمداً ، فقال : نعم هو مكتوب . قلت فأرينه . فأخرج سفراً ثم قال : ما اسمك ؟ قلت كعب . ففتح فقرأت فعرفت صفة محمد ونعته ، فوقع فى قلبى الإيمان فآمنت حينئذ وأسلمت ، ومررت على الحيرة فعيّرونى ، ثم توفى أبو بكر فقدمت على عمر فأرسلنى إلى المقوقس [1] .

وفى رواية أخرى أنه آمن فقدم على أبى بكر ووجهه إلى المقوقس ورجع ثم وجهه عمر أيضاً فقدم عليه بعد وقعة اليرموك ولم يعلم بها ، فأعلمه المقوقس بانتصار المسلمين بها .

قال : وكنت شريكاً لعمر فى البَزّ فى الجاهلية ، ثم بعثه عمر إلى المقوقس [2] سنة خمس عشرة وشهد فتح مصر واختط بها وكان ولده بمصر .

---

(١) أسد الغابة .

(٢) الإصابة .

وذكره السيوطى فى كتابه «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» . ولم يذكره ابن عبدالحكم فى فتوح مصر وأخبارها ولا ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» .

الباب السابع

عملية فتح مصر

قرار فتح مصر

تقول رواية أن عمر بن الخطاب لما قدم إلى الجابية سنة ثمانى عشرة [1] قام إليه عمرو بن العاص فخلا به وقال «يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أسير إلى مصر» وحرضه عليها ، وقال «إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعَوْناً لهم ، وهى أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب» .

ويعتمد ابن إياس [2] هذا التاريخ ـ سنة ١٨ هـ ـ ويقول بمناسبة فتح مدينة دمشق . ويذكر محمد بن يوسف الكندى [3] أن عمرو بن العاص قال «إنى عالم بها وبطرقها وهى أقلّ شىء مَنَعَة وأكثر أموالاً» ، وأن ذلك كان سنة تسع عشرة . ويختلف الرواة فى تحديد تاريخ ذلك .

أما عن لقاء عمرو بن العاص مع عمر بن الخطاب فى الجابية فقد ذكرنا عند دراسة فتح الشام أنه كان فى شهر ربيع الآخر ١٦ هـ [4] = مايو ٦٣٧ م بمناسبة فتح مدينة القدس ،

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٦ قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح {ثقة مات ٢١٧ أو ٢١٩} ، حدثنى عبدالله بن وهب {ثقة مات ١٩٧ أو ١٩٩} عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم {ثقة فيما نختار مات ١٥٦} عن سعد بن مسعود التجيبى {نجهله} عن شيخين من قومه .
تاريخ الأمم والملوك ٣ / ٦١٠ عن سيف بن عمر عن أبى عثمان وأبى حارثة ، عن عبادة وخالد . وذكر سيف أن عمر كتب صلح إيلياء وهو بالجابية سنة خمسة عشرة .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٥ .
حسن المحاضرة ١ / ١٠٦ قال ابن عبدالحكم حدثنا عثمان بن صالح ، أنبأنا ابن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبى جعفر وعياش بن عباس القتبانى وغيرهم ، يزيد بعضهم على بعض .

(٢) بدائع الزهور ١ / ٩٤ .

(٣) ولاة مصر ٣٠ حدثنى السكن بن محمد بن السكن {نجهله} قال حدثنا محمد بن داود بن أبى ناجية المهرى {ثقة توفى ٢٥١} قال حدثنى زياد بن يونس الحضرمى {مستقيم الحديث ـ توفى ٢١١} قال حدثنى يحيى بن أيوب {مختلف عليه ـ ١٦٨} أن خالد بن يزيد {ثقة ـ ١٣٩} وعبيد الله بن أبى جعفر {ثقة ١٣٢ ـ ١٣٦ هـ} حدثاه عمن أدركا من مشايخهما وربما قال خالد .

(٤) تاريخ دمشق ١ / ٥٥٣ ـ أخبرنا أبو محمد بن الأكفانى {أمين ثقة حافظ شديد العناية ، توفى ٥٢٤} ، نا عبد =

ولكن ابن عساكر أورد رواية أخرى أن عمر بن الخطاب جاء إلى الجابية مرة ثانية عام ١٨ هـ .

وهنا نرى أن مفاتحة عمرو مع عمر فى شأن فتح مصر إنما جاءت فى هذه المرة الثانية فهى الأقرب إلى تاريخ سير عمرو إلى مصر .

كما ذكروا أن عمرو بن العاص سار من قيسارية إلى مصر دون أن يفتحها وقد تولى أمرها من بعده يزيد حتى أصيب بالطاعون فوكل أمرها إلى أخيه معاوية فكان هو الذى فتحها فى شوال ١٩ هـ ـ سبتمر / أكتوبر ٦٤٠ م .

وذكر ابن ظهيرة [١] أن عمرو بن العاص خلا بعمر فى الجابية عام ١٨ هـ وكلمه فى فتح مصر حتى ركن إلى ذلك . ولابن ظهيرة رواية أخرى [٢] أن عمر سافر إلى الشام ١٩ هـ فَحَسَّن له عمرو فتح مصر .

= العزيز الكنانى {امام محدث ثقة مكثر متقن ـ ٤٦٦} ، أنا أبو محمد بن أبى نصر {وهو عبدالرحمن بن عثمان ، اختلفوا فيه} أنا أبو الميمون بن راشد {نجهله} نا أبو زرعة {صدوق حافظ} حدثنى محمود بن خالد {ثقة أمين} . قال عن محمد بن عائذ {ثقة} ، عن الوليد بن مسلم {ثقة} عن عثمان بن حصن بن علاق {ثقة} ، قال يزيد بن عبيدة {حافظ} .

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندى {هو إسماعيل بن أحمد ـ مكثر ثقة توفى ٥٣٦ هـ} أنا أبو بكر بن الطبرى {نجهله} ، أنا أبو الحسين بن الفضل ، أنبا عبدالله بن جعفر .

و ١ / ٥٥٤ أخبرنا أبو الحسين بن على بن اشليها وابنه أبو الحسن بن على قالا ، أنا أبو الفضل بن الفرات ، أنا أبو محمد بن أبى نصر ، أنا أبو القاسم بن أبى العقب ، أنا أحمد بن إبراهيم القرشى ، أنا ابن عائد ، نا الوليد بن مسلم ، حدثنى عثمان بن حصن عن يزيد بن عبده .

و ١ / ٥٥٥ ، أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن أحمد الخطيب بمشكان {نجهله} ، أنا أبو منصور محمد بن الحسن النهاوندى {نجهله} أنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن زنبيل {نجهله} ، نا عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن ، أنا أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ، أخبرنا عبدالله بن صالح {اختلفوا فيه ، وفى أحاديثه مناكير} .

(١) الفضائل الباهرة ٩٤ عن القضاعى ، أنبأنا أبو محمد عبدالرحمن ، أنبأنا أبو عمر التجيبى ، أنبأنا أبو أحمد بن مسلمة بن الضحاك ، أنبأنا أبو عبدالله بن محمد بن سعيد بن الحكم بن أبى مريم ، أنبأنا عثمان بن صالح {ثقة توفى ٢١٧ أو ٢١٩ هـ} ، قال حدثنا الليث بن سعد {فقيه ثقة توفى ١٧٥} وعبدالله بن لهيعة {اختلفوا فيه ١٧٤} ، عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة توفى ١٢٨} وعبدالله بن أبى جعفر {فقيه ثقة ١٣٢ ـ ١٣٦ هـ} وعياش بن عباس القتبانى {ثقة ١٣٣ هـ} ، وبعضهم يزيد على بعض فى الحديث .

(٢) الفضائل الباهرة ٩٤ عن ابن زولاق .

وساق الطبرى أن سيف بن عمر ذكر أنه فى سنة سبع عشرة كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك [١] .

مما سبق نذهب إلى أن عمرو بن العاص قد فاتح عمر بن الخطاب بالجابية فى شأن فتح مصر وحصل على موافقته فى زيارته الثانية إلى الشام عام ١٨ هـ . وقد تخوف عمر على المسلمين فى بادىء الأمر وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظِّم أمر مصر عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر إلى ذلك فعقد له على أربعة آلاف [٢] رجل كلهم من قبيلة عك ، وقيل بل كان عددهم ثلاثة آلاف وخمسمائة [٣] ثلثهم من غافق ، وغافق من عك .

وفى رواية أن عمر بعث إلى عمرو «كن قريباً منى حتى أستخير الله» .

حينذاك كان فتح الشام قد تم وكذلك فتح العراق وسقطت مدائن كسرى فى أيدى المسلمين ، وراحت جيوشهم هناك تتجه شرقاً لفتح أقاليم فارس ، لذلك لانذهب إلى الأخذ بالرواية التى تقول أن عمر بن الخطاب قد وافق عمرو بن العاص على فتح مصر عام ١٦ هـ ففى رواية سيف بن عمر قال كان فتحها فى ربيع الأول ١٦ هـ [٤] ، فلكى يوافق عمر على فتح جبهة جديدة فى مصر لابد أن كان قد اطمأن إلى الجبهات الأخرى ، وما كان له أن يبدأ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٦٣ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٧ حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبيدالله بن أبى جعفر ، وعياش بن عباس القتبانى وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض .
بدائع الزهور ١ / ٩٤ قال : قال ابن عبدالحكم ... ولم يذكر أن الآلاف الأربعة كانوا من عك .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٥ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٧ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .
فتوح البلدان ٢٤٩ و ٢٥١ حدثنى القاسم بن سلام قال حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ولم يذكر أنهم من عك أو من غافق .
ولاة مصر ٣١ ـ حدثنا محمد بن زيان بن حبيب الحضرمى {نجهله} ، أخبرنا الحارث بن مسكين {ثقة توفى ٢٥٠ هـ} قال أخبرنا ابن وهب {ثقة فقيه ، توفى ١٩٧ أو ١٩٩ هـ} قال أخبرنا ابن لهيعة {اختلفوا فيه وتوفى ١٧٤} عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة توفى ١٢٨} .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٢ و ١٠٤ عن السرى {بن يحيى الشيبانى ـ ثقة توفى ١٦٧} عن شعيب {بن ابراهيم الكوفى ـ وثقه ابن حيان} عن سيف {توفى ٢٠٠ أو ١٨٠ أو بعد ١٧٠ هـ} .
النجوم الزاهرة ٥/١ {بالرواية مشافهة} عن ابن عبد الحكم .

فتح مصر ومعاركه الفاصلة الأخرى مازالت تتأرجح فى الميزان لم تحسم بعد ، خاصة وأن عمرو بن العاص كان يشارك فى قيادة تلك المعارك .

كما لا نذهب إلى أن ذلك تأخر إلى سنة ٢٠ هـ [١] ، فإنه يكون متأخراً كثيراً عن مجريات الأحداث ، فضلاً عن مخالفتها للروايات الأخرى .

ماذا يعنى أن جيش عمرو كان من عك وأن ثلثهم غافق ؟

عك بطن اختلف فى نسبه [٢] ، والذى نأخذ به أنهم بنو عك بن عُدْثَان بن عبدالله بن الأزد من كهلان من القحطانية ، مواطنهم فى نواحى زبيد ، وقطنوا الكدراء ورمع وغيرهما من مدن اليمن التهامية . وقد ذهب بعضهم إلى أنهم من العدنانية . أما ترجيحنا أنهم من القحطانية فلأن بنو قحطان غلبوا على جيوش فتح الشام أما العدنانية فقد غلبوا على جيوش فتح العراق وفارس ، وقد جاء جيش فتح مصر من الشام .

وأما غافق فهو ابن الشاهد بن عك بن عدثان .

ولماذا خلا عمرو بعمر فى حديثه هذا وخاطبه به سراً ؟

لا نذهب إلى أنه كان التكتم حتى لا يشيع الخبر ، فما كان علم أبى عبيدة أو خالد أو غيرهما من قادة جيوش المسلمين بالشام ليذيع التفكير لو أنهم تواصوا بكتمانه . والأمر عندنا واحد من اثنين . فقد يكون عمرو أراد أن يستأثر بقيادة هذه الحملة ، وهو مع مزاياه وفضائله الجليلة التى عرفها له رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما كان محباً للرئاسة يسعى إليها . وقد يكون عمرو خشى طرح الموضوع أمام إخوانه قادة الجيوش الأخرى أن يجد بينهم من يعترض على غزو مصر ، وقد كان عمرو حريصاً على إتمام ذلك ، وكان بينه وبين مصر أواصر من الود والمحبة منذ زارها ورآها فى الجاهلية .

(١) النجوم الزاهرة ١ / ٦ أخبرنا أحمد بن على بن حجر العسقلانى الشافعى مشافهة ، عن أبى هريرة بن الذهبى ، قال أخبرنا الحافظ أبو عبدالله الذهبى ، روى خليفة عن غير واحد «أن فى سنة عشرين كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر» .

(٢) معجم قبائل العرب .

دخول مصر :

لهذا الدخول قصة وردت على أربع روايات :

١ ـ قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص [١] سِرْ وأنا مستخيرٌ الله فى مسيرك ، وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله ، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره» .

فسار عمرو من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن يعود بمن معه من المسلمين . وأدرك الكتاب عَمْراً وهو برفح ، فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول يماطله وهو يسير بالجيش حتى نزل قرية بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل إنها من مصر ، فدعا الرسول واستلم منه الكتاب وقرأه على المسلمين ، وقال لمن معه «ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟» قالوا : بلى .

قال «فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ، ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله» .

٢ ـ كان عمرو بن العاص بفلسطين فتقدم بأصحابه إلى مصر [٢] بغير إذن ، فكتب فيه إلى

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٧ ـ رجع إلى حديث عثمان بن صالح {ثقة مات ٢١٧ ـ ٢١٩} ، حدثنا ابن لهيعة {ت ١٧٤} ، عن عبيد الله بن أبى جعفر {ثقة فقيه ت ١٣٥} وعياش بن عباس القتبانى {ثقة توفى ١٣٣} وغيرهما يزيد بعضهم على بعض .
النجوم الزاهرة ١ / ٦ .
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٤ .
الفضائل الباهرة ٩٥ {توفى ابن ظهيرة ٨٩١} عن الكندى {توفى ٣٥٠} .
حسن المحاضرة ١ / ١٠٦ عن ابن عبد الحكم بإسناده المذكور ، فكأن السيوطى اختار هذه الرواية مما ساق إبن عبد الحكم .
اليعقوبى ٢ / ١٤٨ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٧ ـ ويقال .

=

عمر فأجابه عمر ومازال عمرو لم يبلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه «من عمر بن الخطاب إلى العاص بن العاص . أما بعد ، فإنك سرت إلى مصر ومن معك وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ، ولعمرى لو كانوا ثُكْلُ أمّك ما سرت بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع» . فقال عمرو : الحمد لله أية أرض هذه ؟ قالوا : من مصر ، فتقدم كما هو . والرواية رغم تعدد مصادرها فإنها تنتهى بابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

٣ ـ رواية ثالثة تقول [١] «بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين ، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية ، فكتب سراً فاستأذن إلى مصر ، وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل إلى منزل قريب ثم سار بهم ليلاً ، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل ورأوا أن قد غرّر ، فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر «إلى العاص بن العاص ، أما بعد ، فإنك قد غرّرت بمن معك ، فإن أدركك كتابى ولم تدخل مصر فارجع ، وإن أدركك وقد دخلت فامض واعلم أنى مُمِدُّك» .

٤ ـ الرواية الرابعة [٢] أنه بعد فتح الشام كتب عمر إلى عمرو مع شريك بن عَبْدَة أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خفّ معك فَسِر به ، فندبهم عمرو فأسرعوا إلى الخروج معه . وذكر البلاذرى أن عمرو بن العاص أعطى شريكاً ألف دينار فأبى قبولها

= فتوح البلدان ٢٤٩ بدون اسناد بذات المعنى {على إحدى روايتين} .

ولاة مصر للكندى ٣٠ حدثنى على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى {نجهله} توفى ٣١٢ ، عن عبيدالله بن سعيد الأنصارى {لايجوز الإحتجاج بخبره إذا انفرد به} عن أبيه {سعيد بن عفير ـ ثقة توفى ٢٢٦} قال أخبرنى بن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة ـ مات ١٢٨} .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ ولم يسندها ، قال «ويقال» ...

فتوح البلدان ٢٤٩ بدون إسناد .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٧ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة توفى ٢١٧ أو ٢١٩} حدثنا ابن لهيعة عن عبيدالله بن أبى جعفر {ثقة فقيه ١٣٢ ـ ١٣٦} ، وعياش بن عباس القتبانى {ثقة توفى ١٣٣} .

٧٠ حدثنا عبد الله بن صالح {وثقه رجال وضعفه آخرون} ، ويحيى بن عبد الله بن بكير {ثقة توفى ٢٣١} قالا حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة فقيه كثير الحديث ـ ١٢٨} عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى {صحابى أنصارى شهد الفتح مع عمرو} قال ...

فتوح البلدان ٢٤٩ .

فسأله عمرو أن يكتم ذلك عن عمر . ودخل عثمان بن عفان على عمر فأخبره عمر بخطابه إلى عمرو أن يسير إلى مصر من الشام ، فقال عثمان «يا أمير المؤمنين إن عَمْراً لَمُجَرأً وفيه إقدام وحب للإمارة ، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى أتكون أم لا» . فأشفق عمر مما قال عثمان وندم فكتب إلى عمرو «إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك وإن كنت دخلت مصر فامض إلى وجهك» .

وتقارب هذه الرواية [١] أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص أن سر إلى مصر فسار وبعث عمر الزبير بن العوام مدداً له ومعه عمير بن وهب الجمحى وبسر بن أرطأة العامرى وخارجة بن حذافة حتى أتى بابليون فامتنعوا فافتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن ... الخ .

وبذات المعنى أن عمر بن الخطاب [٢] حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فى جنده ، فخرج حتى فتح بابليون فى سنة عشرين .

وقال سيف بن عمر [٣] : أقام عمر بإيلياء بعدما صالح أهلها ودخلها أياماً ، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمّره عليها إن فتح الله عليه ، وبعث فى أثره الزبير بن العوام مدداً له ...

ويروى سيف بن عمر أن عمرو [٤] بن العاص خرج إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة .

ويتفق ابن خلدون [٥] مع هذه الرواية إذ قال «ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر فأغزاه ، ثم أتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس {يعنى وعشرين} فاقتحموا بابليون ثم ساروا فى قرى الريف إلى مصر .

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٣٦ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٤ حدثنا إبن حميد ، حدثنا سلمة عن إبن إسحق .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٦ كتب السرى أن شعيباً حدثه عن سيف بن عمر عن الربيع أبى سعيد عن أبى عثمان وأبى حارثة .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٧ السرى عن شعيب عن سيف ، حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبادة .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢ / ١١٤ .

ويطابق ذلك ما أورده أبو المحاسن يوسف بن تغرى [1] بردى أن فى سنة عشرين كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسَار ، وبعث فى أثره الزبير بن العوام مُرْدِفاً له ومعه بسر بن أبى أرطأة وعمير بن وهب الجمحى وخارجة بن حذافة العدوى ... الخ ولكن رواية البلاذرى ورواية محمد بن يوسف الكندى أن مسير عمرو بن العاص إلى مصر كان عام ١٩ هـ [2] .

الرواية الثانية هى أوْلى الروايات بالاستبعاد .

ففى عام ١٧ هـ قام العلاء بن الحضرمى [3] بعمل من أعمال الغزو دون إذن من عمر فى فتوح فارس ، فعاقبه عمر بالعزل وسيره إلى سعد بن أبى وقاص ليعمل تحت إمرته وكان ذلك أبغض الوجوه إلى قلب العلاء .

من ذلك نخلص إلى أنه لايمكن أن يكون عمرو قد غزا مصر دون إذن من عمر لأنه بطبيعة الحال ما كان له أن يتوقع إلا معاملة مماثلة لما حدث مع العلاء بن الحضرمى . من ذلك لا نتصور لهذه الرواية أن تكون صحيحة .

فإذا ما نظرنا فى أسانيد هذه الرواية وجدنا رواية ابن عبد الحكم تنتهى بابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، كما رواها البلاذرى بدون إسناد على إحدى روايتين ولعله أخذها عن ابن عبد الحكم أو عن رواته ، ورواها أيضاً الكندى بسند ينتهى إلى يزيد بن حبيب أيضاً ، فكأن الراوى الوحيد أمامنا هو يزيد بن حبيب وهو ثقة ولكنه توفى عام ١٢٨ هـ فبينه وبين الحدث الذى يرويه أكثر من مائة عام لا يغطيها رواة معلومون ، فضلاً عن أن الذى نسبها إليه هو عبدالله بن لهيعة .

---

(١) النجوم الزاهرة ١ / ٤ عن أحمد بن على بن حجر العسقلانى عن أبى هريرة بن الذهبى ، عن الحافظ أبو عبدالله الذهبى عن خليفة عن غير واحد .

(٢) فتوح البلدان ٢٤٩ بدون إسناد .

ولاة مصر ٢٩ ـ حدثنى السكن بن محمد ، حدثنا محمد بن داود ، حدثنى زياد بن يونس {مستقيم الحديث توفى ٢١١} حدثنى يحيى بن أيوب {محله الصدق فى الحديث ولا يحتج به} أن خالد بن يزيد {ثقة توفى ١٣٩} وعبيد الله بن أبى جعفر {ثقة ، فقيه زمانه ، مات ١٣٢ ـ ١٣٦} حدثاه عمن أدركا من مشايخهما وربما قال خالد .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٧٩ .

كما نجد أن الرواية الثالثة ـ وهى تقارب الثانية فى مضمونها جاءت بكتاب فتوح مصر بدون إسناد وفى كتاب فتوح البلدان بدون إسناد أيضاً .

والأجدر بالإعتبار الرواية الأولى والرواية الرابعة ومضمونهما واحد ، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص ـ أو قاله له ـ أن يسير بمن معه من فلسطين إلى مصر ، والأرجح عندنا أن ذلك حدث بعد رجوع عمر إلى المدينة وبعد أن خلا به عمرو وهو بالشام وفاتحه فى أمر فتح مصر .

ومن ناحية التدبير الحربى فإن هذا هو المعقول ، فليس من المنطق أن يتم فتح العراق والشام ثم تترك مصر إلى الجنوب من الشام فى أيدى الروم ، فإنها تكون خطراً على وضع المسلمين بالشام وتتيح للبيزنطيين أن يتحركوا منها إلى الشام لاستردادها بعد ذلك ، وما كان ذلك ليغيب عن فكر عمر .

سار عمرو بجيشه من قيسارية حتى إذا مر بجبل الحلال قبل أن يبلغ العريش وكانت تنزل به قبائل من راشدة ومن لخم [1] انضمت إليه .

---

(١) راشدة بن مالك بطن من لخم ، من القحطانية ، وهو خالفة بن أد بن نمارة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن مالك بن نمارة ، كانوا ينزلون بالبَقّارة والورادة والعريش ، ومن منازلهم أيضاً جبل الحلال فى طريق مصر من الشام دون العريش إلى الشام .

ولخم اسمه مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان من القحطانية . وكانت مساكنهم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر فى الجفار ومنها فى الجَوْلان ومنها فى حوران والبَثْنية ومدينة نوى . وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس فدعيت بإسمهم وأسمتها العامة بيت لحم .

{معجم قبائل العرب ٢ و ٣} .

والورادة منزل فى طريق مصر من الشام فى وسط الرمل والماء الملح من أعمال الجفار . والجفار جمع جفر وهى البئر قريبة القعر الواسعة لم تطو ، والجفرة سعة فى الأرض مستديرة . والجفار هنا أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبى متصلة برمال تيه بنى إسرائيل ، وكلها رمال سائلة بيض ، فى غربيها منعطف نحو الشمال بحر الشام وفى شرقيها منعطف نحو الجنوب بحر القلزم ، وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ولا شرب لسكانها إلا منها ، وقيل أنها كانت كورة جليلة فى أيام الفراعنة إلى المائة الرابعة من الهجرة فيها قرى ومزارع ... فأما الآن ففيها نخل كثير ورطب طيب جيد ... وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والورادة . {معجم البلدان} .

فتوح مصر وأخبارها ٤٨ عن سعيد بن عفير {ثقة} عن الليث بن سعد .

والذى نلاحظه من الخرائط [١] أن جبل الحلال على خط طول ٣٤° شرقاً وخط عرض ٤٣َ ٣١° شمالاً ليس على الطريق الساحلى من قيسارية إلى العريش ، وإنما يبلغ أقصى إرتفاعه ٨٩٢ متراً جنوبى العريش بحوالى ١٠٠ كيلو متر ، ويمتد الجبل إلى حوالى ١٥ كيلو متراً جنوبها قبل بير لحفن . ونستبعد أن أهل المنطقة أو على الأقل راشدة ولخم اللذين بجبل الحلال كانوا على علم مسبق بتقدم عمرو نتيجة مشاهداتهم فى الوقت الذى أخفى ذلك عن إخوانه من جيوش المسلمين ، والذى نرجحه أنهم لم يكونوا فى ذلك الوقت على جبل الحلال ذاته وإنما كانوا قريبين إلى العريش ذاتها ، أو لعل عمرو بن العاص أن كان قد أرسل إليهم قبل ذلك لينفروا معه خاصة وأن قواته كانت قليلة .

وهنا نستطيع أن نوفق بين الروايات بأن عمرو بن العاص سار من الشام فى ثلاثة آلاف وخمسمائة من عك [٢] ثلثهم من غافق ، ثم صاروا أربعة آلاف بمن انضم إليهم من راشدة [٣] ولخم . وعلى ذلك يصير الجيش الذى سار مع عمرو لفتح مصر كالآتى :

(١) Bartholomew World Travel Map EGYPT ١ : ١٠٠٠٠٠٠ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ عن سعيد بن عفير {ثقة توفى ٢٢٦} عن الليث بن سعد {إمام ثقة توفى ١٧٥ هـ} .
و ٤٧ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة توفى ٢١٧ ـ ٢١٩} حدثنا ابن لهيعة {اختلفوا فيه توفى ١٧٤ هـ} عن عبيد الله بن أبى جعفر {ثقة فقيه ١٣٥} وعياش بن عباس القتبانى {ثقة توفى ١٣٣} وغيرهما يزيد بعضهم على بعض .

فتوح البلدان ١ / ٢٥١ حدثنى القاسم بن سلام {من الأعلام الأئمة ، ثقة مأمون} ، قال حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة {مختلف فيه} ، عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة عالم توفى ١٢٨ هـ ٧٤٥ م} ولم يذكر أنهم من عك .

(٣) ولاة مصر ٣١ ـ حدثنا محمد بن زبّان بن حبيب الحضرمى ، أخبرنا الحارث بن مسكين قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب .

وقد ذكر بتلر فى كتابه «فتح العرب لمصر» {هامش ص ١٥٩ من ترجمة محمد فريد أبو حديد بك وهامش النص الإنجليزى 214} عبارة غريبة قال «وأما قبائل لخم فكانت غير عربية ، أنظر ابن دقماق جـ ٤ ص ٥ . The Lakhm however were not Arabs : See Ibn Dukmak Part 4 P 5 فنظرنا ذلك من كتابه «الإنتصار لواسطة عقد الأمصار» ، وكان بصدد ذكر خطط مصر فقال «... ثم خطة القبض بن مرثد ، ثم خطط الحمراوات الثلاث ، وإنما قيل لهم الحمراوات لنزول الروم بهم ، وهى خطط بلىّ بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ، وبنى بحر ، وبنى سلامان ، ويشكر من لخم ، وهذيل بن مدركة ...» الخ . وهذا يعنى أن الروم نزلوا الحمراوات الثلاث من خطط بلىّ وبنى بحر وبنى سلامان ، وتلك هى الثلاث المعنية ، ثم تأتى خطة يشكر من لخم ، فلا يؤخذ من هذا أن قبائل لخم كانت غير عربية كما فهم بتلر .

١١٦٠ من غافق {وغافق من عك ، فهو غافق بن الشاهد بن عك} .
٢٣٤٠ من سائر عك .
٥٠٠ من راشدة ولخم {وراشدة من لخم ـ راشدة بن مالك بن خالفة بن أد بن نمارة بن لخم} .
٤٠٠٠

توجه عمرو إلى العريش فأدركه عيد النحر [١] ـ ١٠ من ذى الحجة ـ ونذهب إلى أنه من عام ١٩ هـ كما ذكر البلازدى فضحى عن أصحابه بكبش [٢] ، ذلك اليوم كان يوافق ٢٩ نوفمبر ٦٤٠ م [٣] .

وهنا حدث حادث بسيط ولكنه يكشف عن نفسية عمرو ونوعيته كقائد مسلم ، فقد هلك جمل لرجل ممن خرج معه من الشام فجاء إلى عمرو ليجد له ما يركبه ، وكانوا فى البادية فقال له عمرو [٤] «تحمَّل مع أصحابك حتى نبلغ أول العامر» . فلما بلغوا العريش عاد إليه الرجل فأمر له عمرو بجملين وقال له «لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم ، فإذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا» . كان عمرو يدرك مسئوليته عن أصحابه وعن ركائبهم وأنه يهلك ويهلك أصحابه إن لم يرحمهم ويدبر لهم ما يحملهم عليه .

فلما بلغ المقوقس مجيء جيش المسلمين إلى مصر [٥] أرسل جيشاً لملاقاة عمرو فتلاقيا على الفرما .

سار عمرو بجيشه من العريش غرباً حوالى ١٥٠ كيلو متراً ، فكان أول قتال عند الفرما .

يقول العلامة محمد رمزى [٦] «الفرما مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ حدثنا سعيد بن عفير {ثقة توفى ٢٢٦} عن الليث بن سعد {عالم مصر وفقيهها توفى ١٧٥} .
فتوح البلدان ٢٤٩ .
(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ حدثنا عبدالملك بن مسلمة حدثنا إبن لهيعة ، يزيد بن أبى حبيب .
(٣) فتح العرب لمصر ١٤٧ .
(٤) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ حدثنا هانىء بن المتوكل عن أبى شريح عبدالرحمن بن شريح عن عبدالكريم بن الحارث .
(٥) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٤ حكاية عن ابن عبد الحكم .
(٦) القاموس الجغرافى ١ / ٩١ .

المصرية لمصر ، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق لأنها فى طريق المغيرين على مصر .

«إسمها القديم «بر آمن» أى بيت الإله آمون ومنه اسمها العبرى «بَرَمُون» والقبطى «برما» ومن هذا أتى الاسم العربى وهو «الفرما» وسماها الروم بيلوز ومعناها الوحلة لأنها كانت واقعة فى منطقة من الأوحال بسبب تغطية مياه البحر الأبيض لأراضى تلك المنطقة وكانت الفرما تستقى الماء قديماً من الفرع البيلوزى للنيل .

«وورد فى معجم البلدان أن الفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر وهى حصن على ضفة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء وَخِمه لأنه يحيط هذا الحصن من كل جهة سباخ تتوحل فلا تكاد تجف صيفاً ولا شتاء وليس بها زرع ولا ماء يُشرب منه إلا ماء المطر يخزن فى الجباب

ويخزنون أيضاً ماء النيل يحمل إليهم فى المراكب من تنيس ويظاهرها فى الرمل ماء يقال له العذيب وأهلها من القبط وبعضهم من العرب من بنى جرى وأكثر متاجرهم فى النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القوافل بهم .

«وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات عن ساحل البحر الأبيض المتوسط وعلى بعد ٢٣ كيلو متر شرقى محطة الطينة الواقعة على السكك الحديدية التى بين بورسعيد والإسماعيلية ، ويوجد بالقرب من تل الفرما أطلال قلعة قديمة تسمى قلعة الطينة لوقوعها فى أرض موحلة وإليها تنسب محطة الطينة المذكورة ، وقد كانت هذه القلعة مستعملة إلى آخر القرن الثانى عشر الهجرى حيث كانت منفى لغير المرغوب فيهم من المصريين ، ولاتزال آثار قلعتها باقية إلى اليوم» . أ . هـ .

وفى تقدير بتلر أن فتح الفرما كان فى منتصف يناير ٦٤٠ م . وينتقد سيروس أن لم يرسل عشرة آلاف من الروم ليهزموا الفئة القليلة من العرب بين العريش والفرما أو تحت حصن الفرما ، ثم يخلص من ذلك أن سيروس بدأ خيانته لدولته بالإتفاق مع العرب وإعانتهم على دولته ، وقال «ولسنا نجد غير هذا الرأى ما نفسر به مسلكه ولاسيما ما وقع منه بعد ذلك» .

وما ذهب إليه بتلر لم تذهب إليه أى رواية من الروايات العربية .

كان عبدالله بن سعد [1] على ميمنة الجيش منذ خرج من قيسارية إلى أن فرغ من حربه ، يعنى حتى تمام فتح مصر . ولابد ان كان الروم البيزنطيون يتوقعون هذا الغزو بعد أن ضاعت

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ ـ حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

عبدالله بن سعد بن أبى سرح بن الحارث بن حُبَيْب بن جذيمة بن مالك بن حسْل بن عامر بن لؤى القرشى العامرى ، قريش الظواهر وليس من قريش البطاح . وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة أرضعت أمه عثمان . أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ وكان يكتب الوحى لرسول الله ، ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة وكان من الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة ولو وجدوا تحت أستار الكعبة ، ففر إلى عثمان بن عفان حتى استأمن له رسول الله ﷺ ، ثم أسلم وحسن إسلامه . وكان أحد العقلاء الكرماء من قريش ، ثم ولاه عثمان بعد ذلك مصر عام ٢٥ هـ ففتح الله على يديه أفريقية وشهد معه هذا الفتح عبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير ، وغزا عبدالله بن سعد بعد أفريقية الأساود من أرض النوبة سنة ٣١ هـ وهو الذى هادنهم . وغزا غزوة الصوارى فى البحر إلى الروم . وقد فر من الفتنة ولم يبايع لعلى ولا لمعاوية ، وتوفى بعسقلان سنة ٣٦ هـ . {أسد الغابة ٣ / ٢٩٧٤} .

منهم الشام وصار من غير المتصور أن ينصرف المسلمون عن أرض مصر وكان أول قتال عند الفرما . وفى تقديرنا أنه بلغها حوالى ٢٥ من صفر عام ٢٠ هـ ـ ١١ فبراير ٦٤١ م . كان بالفرما حصن للبيزنطيين فقاتلوه قتالاً شديداً نحواً من شهر [١] حتى فتحها ، يعنى فى حوالى ٢٥ من شهر ربيع الأول ٢٠ هـ = حوالى ١٢ مارس ٦٤١ م . وفى رواية اليعقوبى [٢] أن القتال كان ثلاثة أشهر . وكانت حامية الفرما البيزنطية مستعدة للقتال فحاربهم عمرو وهزمهم وحوى عسكرهم .

ثم سار من الفرما لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر [٣] ، وهى مسافة تزيد بعض الشىء عن ١٠٠ كيلو متراً تحتاج فى قطعها إلى ثلاثة أيام فيكون قد بلغها حوالى ٩ ربيع الآخر ٢٠ هـ ٢٦ مارس ٦٤١ م .

ولابد أن كان عمرو قد حدد من قبل وجهته على أرض مصر ، إن هدفه الأساسى هى مدينة الإسكندرية التى زارها من قبل فى الجاهلية ، فهى عاصمة البلاد وتتصل بالقسطنطينية بحراً

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ عن عثمان بن صالح {ثقة ٢١٧ أو ٢١٩} عن ابن لهيعة {اختلفوا فيه ـ توفى ١٧٤ هـ} ، عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة توفى ١٢٨} .
حسن المحاضرة ١ / ١٠٦ قال ابن عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح ، أنبأنا ابن لهيعة ، عن عبدالله بن أبى جعفر وعياش بن عباس القتبانى وغيرهما .
و ١ / ١٢٨ عن القضاعى فى كتابه «الخطط» .
الفضائل الباهرة ـ ٩٥ .
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ـ ١ / ٩٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨ وطبقاً لروايته ـ لو صحت ـ يكون قتال الفرما استمر حتى حوالى ٢٥ من شهر جمادى الأولى ٢٠ هـ ١٠ مايو ٦٤١ م . ولكننا نرجح الرأى السابق .
ولاة مصر ٣١ ولم يذكر مدة القتال ولا تاريخه .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ عن عثمان بن صالح {عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب} .
وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب {مات ١٩٩} ، حدثنا عبدالرحمن بن شريح {مات ١٧٧} ، أنه سمع شراحيل بن يزيد {مات بعد ١٢٠ هـ} يحدث عن أبى الحسين أنه سمع رجلاً من لخم يحدّث .
ولم يذكر ابن ظهيرة القواصر فى «الفضائل الباهرة» وإنما بعد الفرما قال «حتى أتى بلبيس» وعلى كل حال فهى على الطريق بين الفرما وبلبيس . والقواصر من مركز فاقوس قبل بلبيس .
{المعجم الجغرافى} .

وبكافة موانىء الدولة على بحر الروم وهى أكبر حاضرة فى مصر منذ بناها الإسكندر الأكبر ، ولكى يزول حكم الروم تماماً عن مصر فإنه يتعين إخراجهم من كل شبر من أرضها فكيف يكون طريقه إليها ؟ لابد أنه كان قد حدد مساره ... هل يخترق أرض الدلتا بزروعها وأنهارها وفيض مائها أو يدور حولها من جنوبها إلى غربها ويساير الصحراء حتى يصل إلى الإسكندرية ؟

اختار عمرو الخيار الثانى وهو الطبيعى والمنطقى ، فالسير فى الصحراء أفضل للعربى ودوابه من التورط بين الحقول وأوحالها خاصة وقد كان الفصل شتاءاً ـ ولو أنه لا فيضان للنيل فى هذا الفصل فإن احتمال الأمطار وارد فضلاً عن تعدد فروع النيل وبحيرات شمال الدلتا ، كما وأن هذا الاختيار هو الضرورى حربياً فإن هناك من حصون الروم ما لابد من تصفيته قبل الوصول إلى الاسكندرية حتى لايتركها مشحونة بالجنود وراء ظهره . وقرر عمرو أن يكون هدفه الأول هو حصن بابليون فهو أكبر هذه الحصون وأحصنها ومكانه على الساحل الشرقى لنهر النيل وموقعه الحالى بحى مصر القديمة من مدينة القاهرة ، فهو بين دلتا النيل وصعيد مصر . وكانت الاسكندرية ذاتها قلعة يحيط بها سور حصين ، كما كانت حصون فى أم دنين {ومكانها اليوم من مدينة القاهرة أيضاً} وأتريب {نواحى بنها} ومنوف ونقيوس وسخا وكريون ، وفى الصعيد كانت حصون أخرى ، فموقع حصن بابليون لم يكن عبثاً وإنما كان عن اختيار حربى سديد .

وحكى رجل من لخم [١] {وهى القبيلة التى ينتسب إليها حاطب بن أبى بلتعة} حكاية فقال «كنت أرعى غنماً لأهلى بالقواصر ، فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم فإذا بنفر من القبط كنت قريباً منهم ، فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم . قال : فقمت إليه فأخذت بتلابيبه فقلت : أنت تقول هذا ؟ انطلق معى إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذى قلت ، فطلب إلى أصحابه وغيرهم حتى خلصوه فرددت الغنم إلى منزلى ثم جئت حتى دخلت فى القوم» .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبدالرحمن بن شريح ، أنه سمع شراحيل بن يزيد ، يحدث عن أبى الحسين ، أنه سمع رجلاً من لخم يحدث كريب بن أبرهة قال .

وفى رواية تكميلية أنه حين بلغ المسلمون بابليون : قال ذلك الرجل «انكم لا تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلاً ، فغضب عمرو وأمر به فطلب ، ولما بلغه قتل عمر بن الخطاب أرسل فى طلب ذلك القبطى فوجده قد هلك فعجب عمرو من قوله وقال «هو ما قال القبطى» ، فلما عرف أن الذى طعنه هو أبو لؤلؤة قال «لم يعن هذا إنما عنى من قتله المسلمون» ، فلما قتل عثمان بن عفان قال عمرو «عرفت أن ما قال الرجل حق [١]» .

ولا نذهب إلى أن ذلك الرجل من قبيلة لخم كان ممن انضم إلى جيش عمرو بالعريش ، فما نحسب رجلاً من العريش يصل إلى القواصر ضمن جيش الفتح ومعه غنمه ، بل إن قبيلة لخم كانت رقعة إقامتها قد امتدت من جبل الحلال والعريش حتى الصحراء الشرقية بجهة فاقوس من محافظة الشرقية {الحالية} حيث كانت القواصر . ولقد مر بنا ما يلقى الضوء على ذلك حين تناولنا حاطب بن أبى بلتعة .

سار عمرو من القواصر لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس [٢] ـ حوالى ٤٥ كيلو متراً ـ مسيرة يوم ، فقاتل حاميتها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه {حوالى ٩ من شهر جمادى الأولى ٢٠ هـ ٢٤ أبريل ٦٤١ م} .

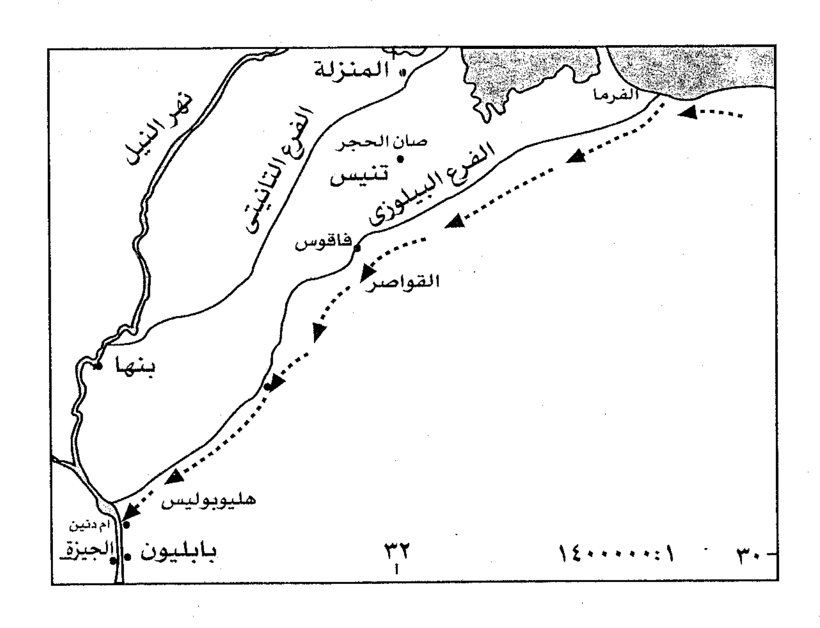
ثم سار لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين [٣] {مسافة نحو ٧٠ كيلو متراً ـ

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٠ قال غير إبن وهب .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ عن عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب .
النجوم الزاهرة ١ / ٨ .
الفضائل الباهرة ٩٥ ـ قال الكندى .
ولاة مصر ٣١ ـ ذكر ابن لهيعة والليث وابن عفير .
حسن المحاضرة ١ / ١٢٧ عن القضاعى .
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٥ .

(٣) أم دنين والمكس والمقس والمقسم كلها أسماء لقرية فى نطاق مدينة القاهرة حالياً ، كانت واقعة على شاطىء النيل، وكان الروم يسمونها تندونياس Tendunyas وكانت تشغل المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بميدان باب الحديد فشارع رمسيس فشارع عماد الدين ، ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ، ومن الشرق شارع الكنيسة المرقسية {الدرب الواسع سابقاً} وسكة شق الثعبان وحارة الحدرة ، ومن الشمال بشارع بين الحارات إلى أن ينتهى بميدان باب الحديد ، ويدخل فى هذه المنطقة القسم البحرى من شارع الجمهورية وفيه جامع أولاد عنان وهو فى مكان الجامع الذى أنشأه فى المقس الحاكم بأمر الله أبو منصور على {الفاطمى} ٣٩٣ هـ باسم الجامع الأنور ، =

مسيرة يومين} ، فقاتله الروم بها قتالاً شديداً وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف [١] ، فقاتلهم .



يقول ساويرس [٢] بن المقفع عن المسلمين وكانت أمة مُحبَّة للبرية فأخذوا الجبل حتى وصلوا

= وكان يقال له جامع المقس أو جامع المقسى أو جامع باب البحر . ولايدخل فى حدود قرية أم دنين شارع كامل الذى كان جزءاً من شارع إبراهيم باشا ولا حديقة الأزبكية . وقرية أم دنين كانت تقع على شاطىء النيل فى أرض ذات منسوب مرتفع لا تغمره مياه النيل وقت الفيضان ، أما شارع كامل وحديقة الأزبكية فأرضها منحطة عن منسوب أرض سكن أم دنين وكان فى موضعهما أراض زراعية يغمرها ماء النيل سنوياً فيتخلف فيها بعد الفيضان بركة عرفت أخيراً ببركة الأزبكية وإليها ينسب شارع وجه البركة (وش البركة) الذى يرى من مر فيه أنه أوطى من منسوب شارع القبيلة والحارات المتفرعة بينه وبين شارع وجه البركة ، وعادة تكون المساكن فى الأراضى المرتفعة وليست بأراضى البرك . {القاموس الجغرافى ١ / ١٢٨} .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ ـ عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .
الفضائل الباهرة ٩٥ .

(٢) سير الآباء البطاركة ١٠٨ .

إلى قصر {يعنى حصن} مبنى بالحجارة بين الصعيد والريف يسمى بابليون فضربوا خيامهم هناك حتى ترتبوا لمقاتلة الروم ومحاربتهم .

بطبيعة الحال بلغ المقوقس ـ وهو حاكم مصر من قبل الدولة البيزنطية وكان مقره بالاسكندرية ـ بلغه قدوم عمرو بن العاص بجيشه ـ وكان يتابعه وهو يتحرك على أرض مصر ، فتوجه من الإسكندرية إلى حص بابليون [١] لملاقاة المسلمين . وترتيب رواية ابن عبدالحكم توحى أن قدوم المقوقس من الاسكندرية إلى بابليون حدث وعمرو عند العريش .
وكان على الحصن والى من الروم عرف بالأعيرج [٢] وقيل «الأعرج [٣]» ـ وربما كان الأعرج أو الأعيرج صفة ولم تكن اسماً بالمعنى الصحيح . وقال ابن تغرى بردى «كان اسمه جُرَيْج بن مينا [٤] ، ونرى ذلك لايستقيم ، فإن «مينا» اسم مصرى لم يكن الروم يتسمَّوْن به ، وبالقطع لم يكن على الحصن رجل مصرى من غير الروم ، فضلاً عن أن ابن تغرى بردى ينقل ذلك بالرواية والإسناد عن ابن عبد الحكم فى حين لم نجد ذلك فى كتاب ابن عبد الحكم وإنما ذكر أنه كان يقال له «الأعيرج» . وقيل كان اسمه المندقور [٥] الأعيرج بن قرقب اليونانى . وفى

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ ـ حدثنا سعيد بن عفير عن الليث بن سعد .
النجوم الزاهرة ١ / ٨ .
الفضائل الباهرة ٦٩ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٤٨ ـ حدثنا سعيد بن عفير {صدوق ثقة توفى ٢٢٦ هـ} عن الليث بن سعد {عالم مصر وإمامها توفى ١٧٥ هـ ٧٩١ م} .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٥ .

(٤) النجوم الزاهرة ١ / ٧ ـ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى مشافهة ، قال قرأت على أبى المعانى عبد الله بن عمر بن على ، أخبرنا إجازة إن لم يكن سماعا ، عن زهرة بنت عمر ، أخبرنا الكمال أبو الحسن على بن شجاع ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله على البوصيرى ، أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى المدينى ، أخبرنا أبو الحسن على بن منير الخلال ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج الأنصارى ، أخبرنا أبو القاسم على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم ، قال .

(٥) النجوم الزاهرة ١ / ٨ .
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ٩٣ ، ٩٦ .
ولاة مصر ٣١ ـ ذكر ابن لهيعة ، والليث ، وابن عفير .
المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ١ / ٥٤٢ .

الفضائل الباهرة لابن ظهيرة عن ابن زولاق وغيره أن المقوقس القبطى واسمه مينا بن قرقب اليونانى خلّف على قصر الشمع المندقور المعروف بالأعرج وهو قول ظاهر الخطأ فإن وصفه للمقوقس بأنه القبطى لا يصح معه أن يصفه بأنه اليونانى .

ونرى أن هذا الاسم والاختلاف حوله لا وزن له ، فلم يكن لذلك الأعرج أو الأعيرج أو جريج أو مندقور دوراً هاماً فى عملية الفتح أو الدفاع ، فضلاً عن أنه لم ترد عنه أى صفة تحدد شخصيته .

وكما جاء الخبر إلى المقوقس سيروس كذلك جاء خبر قدوم عمرو بجيش من المسلمين إلى البطرك بنيامين المختفى فى صعيد مصر ، فكتب إلى القبط على أرض مصر يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم باستقبال عمرو ، فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا [١] .

ولا نذهب إلى أن قبط الفرما بالذات كانوا لعمرو أعوانا إذ أن الزمن لم يكن ليتسع بأن يصل إلى بنيامين الهارب فى صعيد مصر خبر قدوم عمرو والمسلمين ثم تصل إليهم تعليماته بأن يكونوا أعواناً لعمرو ، فقد كان الزمن الذى لبثه عمرو عند الفرما نحواً من شهر ، فضلاً عن أنه لم يرد أى نوع من العون قدمه قبط الفرما أو كان يمكن بأن يقدموه إلى عمرو ، بالإضافة إلى أن كتاب ابن عبد الحكم ساق الخبر بغير إسناد وإنما نسبه إلى غير «سعيد بن عفير من مشايخ أهل مصر» . ولكن ذلك اذا كان لابد أن كان حدث فيما بعد بالنسبة لجميع قبط مصر ، ولابد أن كان البطرك بنيامين يعلم انتصار المسلمين على الفرس بالعراق ، وانتصارهم على الروم بالشام وتراجع هرقل إلى عاصمته ، كما كان بنيامين مطلوباً من الروم لإعدامه كما أعدموا أخاه مينا وصبوا عذابهم على قبط مصر ، ولعله أيضاً أن يكون قد علم بمعاملة المسلمين لأهل العراق وأهل الشام ، فليس غريباً بل منطقياً أن ينحاز بالقبط إلى جانب المسلمين .

وقد ذكر ابن عبد الحكم ونقل عنه السيوطى [٢] أن بنيامين كان بالاسكندرية ، كما قال

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ ـ قال غير سعيد بن عفير من مشايخ أهل مصر . {سعيد بن عفير ثقة والذين رووا الخبر غيره} .

(٢) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ١ / ١٠٧ .

المقريزى [1] «وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين» ، ولعله قصد أنه كان بطرك الإسكندرية .

معركة عين شمس :

الاثنين ١٥ من شهر جمادى الأولى ٢٠ هـ ٣٠ أبريل ٦٤١ م {تقديرى} .

ذكر حنا النقيوسى [2] معركة على جانب من الأهمية ، لم يذكرها الرواة المسلمون . بأن جيش المسلمين جاء إلى تندونياس Tenduniass {أم دنين} وأرسى إلى النهر ، وأن عمرو بن العاص أرسل إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد فجاءه أربعة آلاف . وقسّم عمرو قواته إلى ثلاث فرق :

١ ـ فرقة بالقرب من تندونياس .

٢ ـ الثانية إلى الشمال من بابليون .

٣ ـ والثالثة قريباً من مدينة أون ، وهى عين شمس {هليوبوليس} .

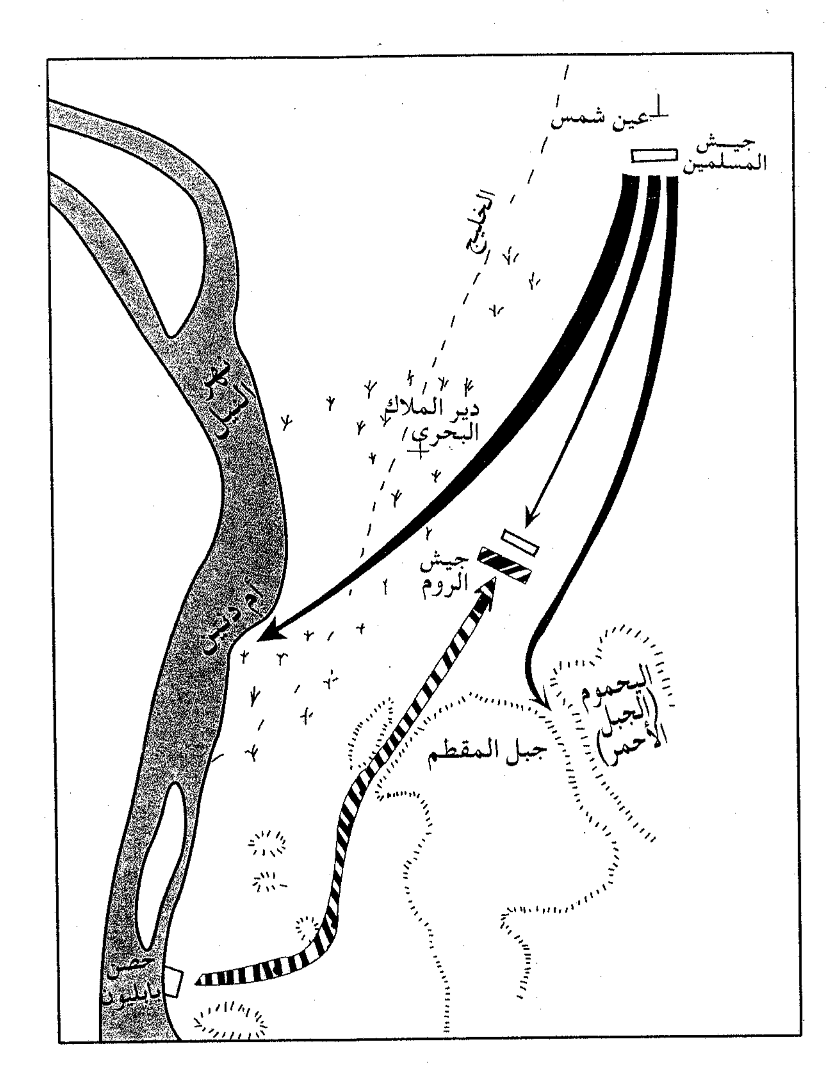
وأن الروم لم يفطنوا إلى ما فعله عمرو ، فسار جيشهم من بابليون نحو جيش المسلمين ، وبدأ الالتحام بناحية عين شمس ، ثم انقضت قوات المسلمين بأعداد كبيرة من تندونياس ومن الفريق الثانى وتدفقت عليهم من ورائهم بأعداد كبيرة فهربت قوات الروم نحو السفن ، وسقطت تندونياس بيد المسلمين فسحقوا حاميتها ولم ينج منها سوى ٣٠٠ استطاعوا الفرار إلى الحصن وأغلقوا أبوابه، ثم غلب عليهم الخوف والحزن ففروا بالسفن إلى نقيوس .

حصن بابليون :

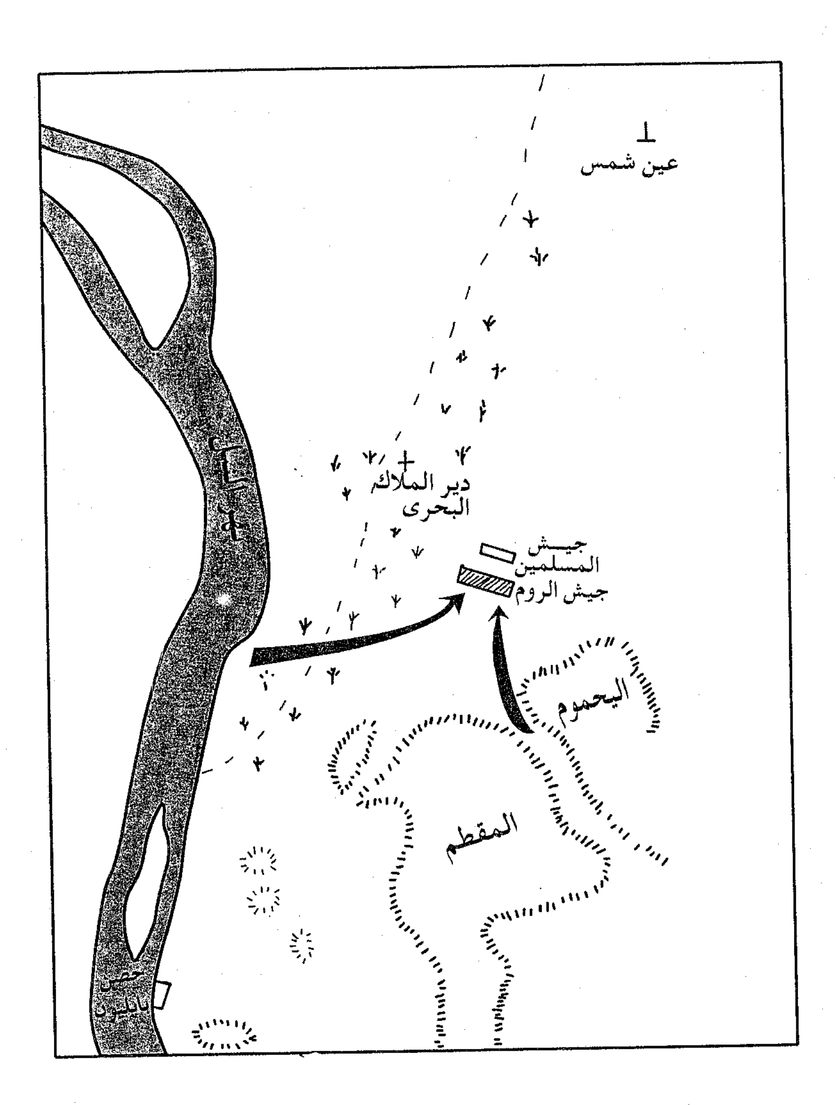
كان الحصن على الساحل الشرقى لنهر النيل على الطريق بين منف وهليوبوليس ، ومازالت له بقايا بمصر القديمة من أحياء القاهرة . وليس هناك رأى مؤكد عن تاريخ بناء الحصن ، ولكن بالرغم من قدمه وأهمية موقعه فلا نكاد نجد له ذكراً مع أحداث التاريخ سوى ما كان فى أيام الفتح الإسلامى .

(١) المواعظ والإعتبار ١ / ٥٤٢ .

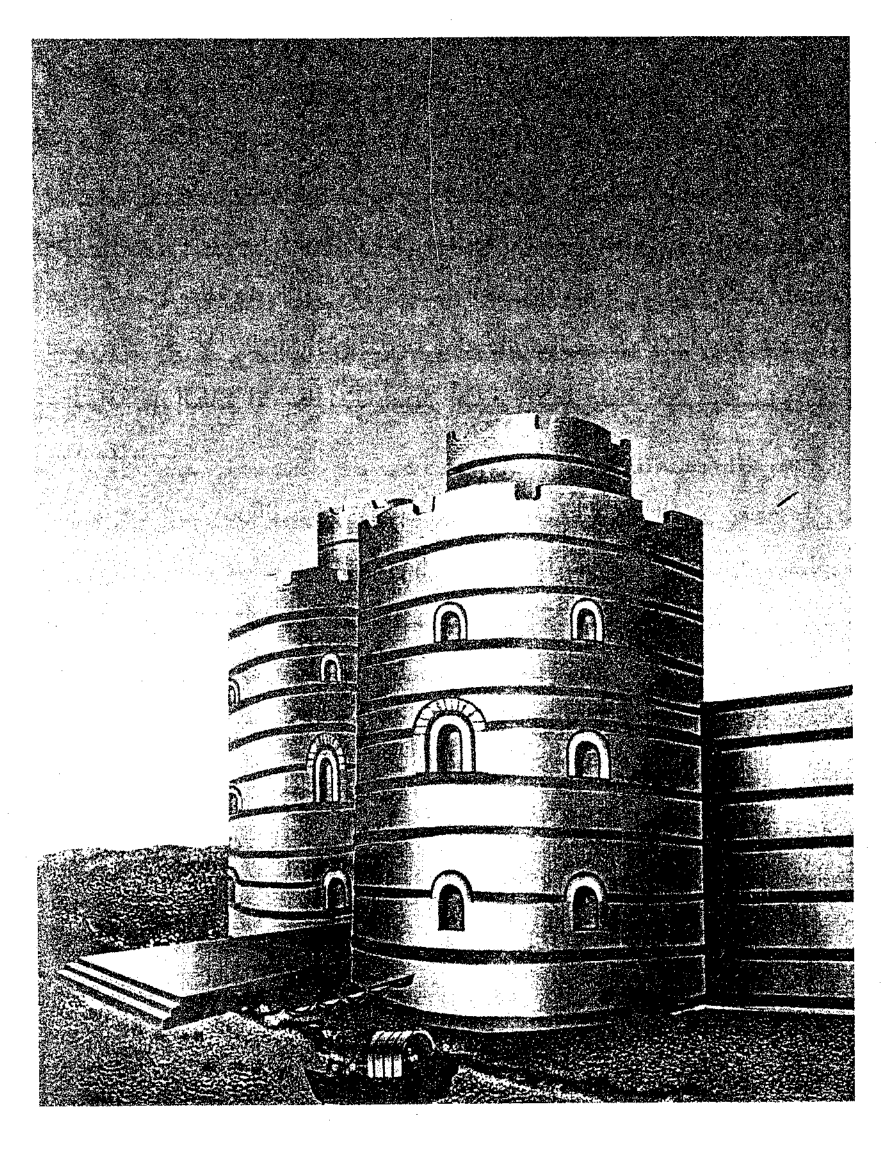
(٢) ديوان حنا النقيوسى فصل ١١٢ ـ ص ١٧٩ .



وكان موقع الحصن على النيل يوفر له الماء ، كما كان يتصل من خلفه بالسفن ، وكان له باب يفتح على أرصفة رسوها . وكان تجاه الحصن تحصينات أخرى فى الجزيرة {الروضة} على الشاطىء المقابل من النيل . وكانت مدينة بابليون تمتد جنوب الحصن أما شماله فكانت حدائق للكروم كما كانت هناك مزارع إلى الشرق بينه وبين جبل المقطم .



أما مبنى الحصن فكان من خمسة طبقات من الحجر الجيرى بارتفاع ثلاثة أقدام يعلوها ثلاثة طبقات من الحجر بارتفاع قدم واحد فكل طبقتين معاً حوالى ٤ أقدام ، ثم يتكرر هذا النسق من القاعدة إلى القمة .



صرحا حصن بابليون يطلان على النيل

وكانت ضمن أسوار الحصن أبراج تتخلل أضلاعه الشمالية والشرقية والجنوبية ، طول البرج منها ١٠,٢ متراً وعرضه ٧,٦ وفى كل طابق خمس نوافذ بعرض ١,٤ متراً فى الطابقين الأول والثانى و ٧, ـ متراً فى الطابق الثالث ، أما الأبراج الجنوبية فكان بها سبع نوافذ . وكان الضلع الغربى يمتد على النيل وبه صرحان مستديران مرتفعان يكشفان من جبل المقطم شرقاً إلى الجيزة والأهرام والصحراء غرباً ، وحتى مسلة عين شمس شمالاً ، وكان قطر كل منهما نحواً من ٣٠ متراً مطلة على النهر وكانت أسوار الحصن ترتفع إلى نحو ١٨ متراً أما سمك جدار السور فقد ذكر [١] بتلر أن آثاره تدل على أنه كان ثمانية عشر قدماً = ٥,٥ متراً وكان ارتفاع النوافذ فى الطابق الأوسط ثلاثة أمتار أما فى الأعلى فكان متراً ونصف ويعلو كل نافذة عقد مقوس .

وكان به باب كبير بين الصرحين ، وباب آخر فى الضلع الجنوبى الغربى يفتح على درج يهبط إلى مرساة على النيل ومن الحديد يُدَلّى من أعلى خلال مجريين بالجدران ويسلك منه طريق بطول الحصن حتى الباب بالضلع الشمالى الشرقى . وكان الحصن على مستوى من الأرض يعلو ما حوله كما كان حوله خندقاً .

وما سجله المؤرخون والكتاب لم يتناول الحصن كثكنة حربية فى حين جاءت أوصافه كسكن مدنى بعد سقوطه فى أيدى المسلمين حتى أطلق عليه [٢] «قصر الشمع» وكأنما قصد منه بأنه صار قصراً من الشمع ولم يعد حصناً ، ولا نميل إلى ما ذهب إليه بعض الكتاب أنه كانت توقد من فوقه الشموع . وبالرجوع إلى خرائطه نقدر مساحة الحصن بعشرة أفدنة وليس ستين فداناً كما جاء بلوحة مصلحة الآثار التى وضعت هناك .

جيش فتح مصر :

فى فتح مصر لم يُعْنَ الرواة ـ كما عنى رواة فتوح العراق والمشرق والشام ـ بذكر هيكل الجيش ووحداته وقبائل كل وحدة . وجرياً على نهجنا فى بحوثنا السابقة أردنا استيفاء ذلك

(١) فتح العرب لمصر ١٧٧ .

(٢) يرجع إلى أطلس تاريخ القاهرة ، أحمد عادل كمال .

عن فتح مصر ، ونعيد هنا ما ذكرنا من قبل [١] نقلاً عن ابن خلدون أنه قال «انهم كانوا يقسمون الجند جموعاً ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعى فى الجهات الأربع ، فيجعلون بين يدى القائد عسكراً ويسمونه المقدمة ، ثم عسكراً آخر من ناحية اليمين ويسمونه الميمنة ، ثم عسكراً آخر من ناحية الشمال ويسمونه الميسرة ، ثم عسكراً من ورائه ويسمونه الساقة {المؤخرة} ويقف الملك {أو القائد} وأصحابه فى الوسط بين هذه الأربعة ويسمون موقفه القلب» . أ هـ . فكيف يجتمع المتعارفون فى هذا الميدان عند المسلمين العرب إلا أن يكون اجتماعهم قبائل ، وفى القرآن الكريم ﴿ ... وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ... ﴾ [٢] ولقد وجدنا مصداق ذلك فى معارك الفتوح ... إلخ .

من أجل ذلك ذهبنا نفحص بين السطور بحثاً عما يلقى الضوء على جيش فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص ، ورغم أهمية بعض [٣] ما وجدنا فلم يكن كثيراً ، فاستعنا إلى جوار ذلك ـ استناداً إلى ما ذكر ابن خلدون ـ بمواقع تلك القبائل فى الفسطاط التى أقامها عمرو بن

(١) الطريق إلى المدائن .

(٢) الحجرات ١٣ .

(٣) (أ) نزل بنو وائل والقَبَض ورَيَّة وراشدة والفارسيون مواضعهم لأنهم كانوا فى طوالع عمرو بن العاص فنزلوا فى مقدمة الناس وحازوا هذه المواقع قبل الفتح . {المواعظ والإعتبار ـ للمقريزى ١ / ٥٦٠} .

(ب) كان شريك بن سمى الغطيفى على مقدمة عمرو . {فتوح مصر ٥٧} و {حسن المحاضرة ١ / ٢٠٩} .

(ج) كان عبد الله بن سعد على ميمنة المسلمين من القيسارية حتى تمام الفتح . {فتوح مصر ٤٩} .

(د) كانت راية الأجذوم مدخل عمرو مع حيان بن يوسف {من الصَّدِف} . عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد . {فتوح مصر ٨٨} .

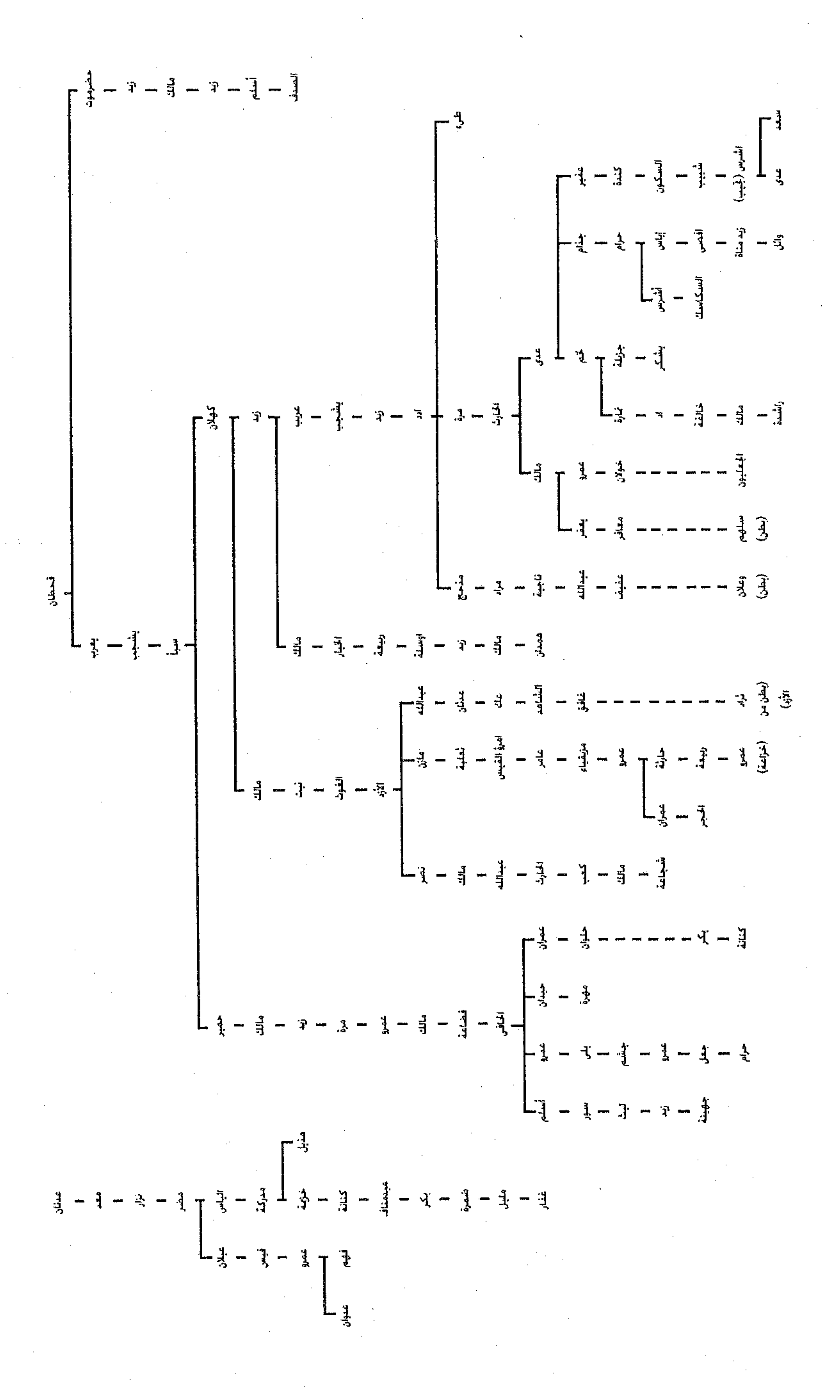
(هـ) كانت بلى إنما يقفون عن يمين راية عمرو بن العاص لأن أم العاص بن وائل بلوية . {فتوح مصر ٨٤} .

(و) قيس بن عدى السهمى اللخمى الراشدى ... ، شهد فتح مصر وكان طليعة لعمرو {حسن المحاضرة ١ / ٢٢٨} .

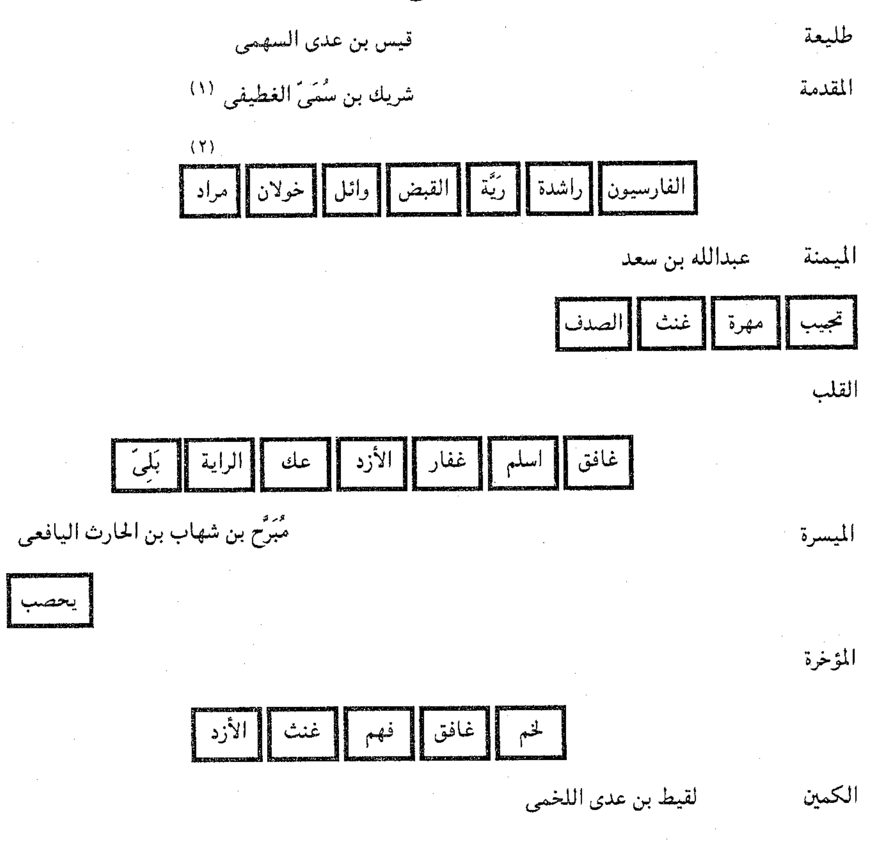
(ز) لقيط بن عدى اللخمى ... كان على كمين جيش عمرو بن العاص وقت فتح مصر {حسن المحاضرة ١ / ٢٣١} .

(ع) مالك بن أبى سلسلة الأزدى ... شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص فكان أول الناس صعوداً للحصن . {حسن المحاضرة ١ / ٢٣١} .

(ل) مُبَرِّح بن شهاب بن الحارث بن ربيعة بن سحيت بن شرحبيل اليافعى ـ ويقال الرعينى ـ أحد وفد رُعَيْن ... كان على ميسرة عمرو بن العاص يوم دخل مصر . {حسن المحاضرة ١ / ٣٣٣} .



العاص ، خاصة وقد وجدناها من حيث مواقعها تتشابه إلى حد كبير مع مواقعها الأولى بجزيرة العرب ، ويستبين ذلك من الخريطتين التاليتين للمقارنة . وبناء على ما تقدم يمكن أن نحدد جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص لفتح مصر كالآتي :



(١) فيما بين بابليون والإسكندرية كان على المقدمة عبد الله بن عمرو بن العاص . [حسن المحاضرة ١ / ١١٨] .

(٢) فيما عدا الفارسيين فجميع المقدمة من القبائل من بنى أدد بن يشجب بن عريب بن قحطان .

جاء عمرو بجيشه حتى حصن بابليون وكان الحصن على مرتفع من الأرض كما كان على نهر النيل . وقد ذكر البلاذرى أن عمرو بن العاص مضى قُدُماً فنزل جنان الريحان [1] ، وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم خندقاً وجعلوا له أبواباً ونثروا بأفنية الأبواب سكك الحديد موانع للخيل والرجال . كان الجيش الذى مع عمرو قليل العدد وأمامه حصن حصين ، فكان يقسم أصحابه ليوهم الروم أنهم أكثر عدداً ، فلما بلغ خندقهم نادوه من فوق الحصن انا قد رأينا ما صنعت وإنما معك من أصحابك كذا وكذا ، فلم يخطئوا برجل واحد [2] .

توقف عمرو أمام الحصن يقاتل الروم قتالاً شديداً يصبحهم ويمسيهم ، وأبطأ الفتح فلم يحرز نصراً حاسماً ، إنما كان الروم يلوذون بحصنهم فيرجعون إليه ، وهذا يعنى أن المسلمين كانوا يتفوقون فى تلك الإشتباكات الجزئية وإلا لأزاح الروم المسلمين عن حصنهم . وكتب عمرو إلى عمر يخبره بالوضع ويستمده [3] فأمده عمر بأربعة آلاف على كل ألف منهم رجل بمقام ألف ، وهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومَسْلَمَة بن مُخَلَّد ، وفى رواية بل كان الرابع خارجة بن حذافة العدوى ولايعدّون مسلمة بن مخلد من الأربعة ، وذكر بعضهم عُمَيْر بن وَهْب الجُمَحِى [4] ، وفى ذلك قال عمر لعمرو «اعلم أن معك

(١) فتوح البلدان ٢٤٩ ـ ولم يذكر مكان جنان الريحان ، وذكر ابن نصر المصرى أنه كان على باب القصر الكبير الذى يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس ... إلخ . {خطط المقريزى ١ / ٥٧} . وكان أول مسجد بنى بفسطاط مصر المسجد الذى فى أصل حصن الروم عند باب الريحان قبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس ، يعرف بمسجد القلعة . {فتوح مصر وأخبارها ٩٤} .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ قال غير عثمان {بن صالح} .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٠ ـ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة مات ٢١٧ أو ٢١٩} ، أخبرنا ابن لهيعة {وثقه قوم وضعّفه آخرون ، مات ١٧٤ هـ} عن عبيد الله بن أبى جعفر {ثقة فقيه توفى ١٣٢ ـ ١٣٦} وعياش بن عباس {وثقه أبو داود ـ توفى ١٣٣ هـ} وغيرهما يزيد بعضهم على بعض .

وفى تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٣ / ١١٢ عن خليفة عن غير واحد أنهم كانوا الزبير بن العوام وبسر بن أرطأة العامرى وعمير بن وهب الجمحى وخارجة بن حذافة العدوى .

{بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٥} .

(٤) فتوح البلدان ٢٤٩ ـ بدون إسناد .

تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٣٦ .

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٣ / ١١٢ عن خليفة عن غير واحد أنهم كانوا الزبير بن العوام وبسر بن أرطأة العامرى وعمير بن وهب الجمحى وخارجة بن حذافة .

اثنى عشر ألفاً [1] ولايُغلب اثنا عشر ألف من قِلَّة» . وفى رواية البلاذرى أن الزبير جاء فى عشرة آلاف ويقال فى اثنى عشر ألفاً .

قال الإمام الليث بن سعد [2] «بلغنى عن كسرى أنه كان له رجال اذ بعث أحدهم فى جيش وضع من عدّة الجيش الذى كان معه ألفاً مكانه لإجزاء ذلك الرجل فى الحرب ، وإذا احتاج إلى أحدهم فكان فى جيش فحبسه لحاجته إليه زادهم ألف رجل ، فأنزلت الذى صنع عمر بن الخطاب فى بعثته بالزبير والمقداد ومن بعث معهما نحو ما كان يصنع كسرى» .

وعلى هذا يكون جيش عمرو بن العاص قد صار ٨٠٠٠ معدودين على أنهم ١٢٠٠٠ مقاتل ، ولكن فى روايات أخرى [3] أن عمر بن الخطاب أشفق على عمرو فأرسل الزبير بن العوام فى ١٢٠٠٠ {وفى رواية فى ١٠٠٠٠} وصلوا تباعا على دفعات يتبع بعضهم بعضاً فشهد معه الفتح بما يعنى أن جيش عمرو قد صار ١٦٠٠٠ مقاتل . وقال الكِنْدى [4] أن يزيد بن أبى حبيب ذكر أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسمائة

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٠ .

النجوم الزاهرة ١ / ٨ .

الفضائل الباهرة ٩٦ .

حسن المحاضرة ١٠٧ ـ ويقصد الآلاف الأربعة الذين دخل عمرو بهم مصر ، و ٤٠٠٠ مدد ، وأربعة رجال الرجل بألف .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٠ ـ قال عثمان {بن صالح} قال {عبدالله} بن وهب ، فحدثنى الليث بن سعد .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٠ ـ حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار {صدوق ليس به بأس ، توفى ٢١٩ هـ} ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب {عالم ثقة مات ١٢٨ هـ} .

فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة {يروى المناكير ، مات ١٩٩ هـ} ، حدثنا {عبد الله} بن وهب {ثقة صالح} عن عمرو بن الحارث {ثقة مات ١٤٨ هـ} وابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

فتوح البلدان ٢٥٠ ـ حدثنى عمرو الناقد ، قال حدثنى عبد الله بن وهب المصرى عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب .

فتوح البلدان ٢٥١ ـ حدثنى القاسم بن سلام ، قال حدثنا أبو الأسود {النضر بن عبد الجبار} عن {عبد الله} بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

(٤) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ١ / ٥٥١ .

ولاة مصر ٣٢ ـ حدثنا على بن الحسن بن قديد وأبو سلمة قالا : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

وهو رقم قريب . ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بأن جيش عمرو بن العاص قد بلغ ١٢٠٠٠ منهم أربعة الرجل منهم معدود بألف فذكرته بعض الروايات أن الجيش كان ١٦٠٠٠ . وكان الذين جرت سهامهم فى الحصن ١٢٣٠٠ بعد من أصيب [١] .

لم تذكر الروايات من أين جاء هذا المدد . ولا نذهب إلى أنه جاء من الشام مثل من جاء مع عمرو بن العاص فى بادىء الأمر ، ولكن نذهب إلى أنهم جاءوا من بلاد العرب ، خاصة وأن الزبير نفسه جاء من مدينة الرسول ﷺ ولم يكن ضمن القوات التى كانت بالشام ، يدلنا على ذلك الحوار الذى جرى بينه وبين عمر بن الخطاب ، حيث كان الزبير قد هَمَّ بالغزو وأراد إتيان أنطاكية فقال له عمر : يا أبا عبد الله هل لك فى ولاية مصر ؟

فقال : لا حاجة لى فيها ، ولكنى أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً ، فإن وجدت عَمْراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به ، وإن وجدته فى جهاد كنت معه . فسار على ذلك [٢] .

كان الزبير بن العوام صحابياً من حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته فأمه صفية بنت عبد المطلب وهو واحد من العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة ثم صار واحداً من الستة أصحاب الشورى . أسلم وله اثنتا عشرة سنة وهاجر الهجرتين . وكان طويلاً تخط رجلاه الأرض إذا ركب {فتوح مصر وأخبارها ٥٢} ، فى حين قال هشام بن إسحق أنه كان أبيض حسن القامة ليس بالطويل قليل شعر اللحية أهلب كثير شعر الجسد .

أقام المسلمون أمام باب الحصن ستة أشهر [٣] ـ يعنى حتى حوالى ٢٨ من ذى القعدة ٢٠ هـ ٦ نوفمبر ٦٤١ ـ أو سبعة [٤] أشهر يعنى حتى حوالى ٢٨ من ذى الحجة ٢٠ هـ ٦ ديسمبر ٦٤١ ، وهو ما نذهب إليه .

---

(١) ولاة مصر ٣٢ .

(٢) فتوح البلدان ٢٥٠ .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٦ ـ قال الليث بن سعد .

(٤) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ٩٦ ـ وغير واضح مصدر الخبر عنده .
ولاة مصر ٣٢ ـ حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بكير ، قال حدثنى أبى {إمام غزير العلم} عن الليث بن سعد ، قال .
حسن المحاضرة ١٠٩ ـ قال الليث بن سعد . و ص ١٢٨ عن القضاعى فى كتابه الخطط .

أقام عمرو على ذلك أياماً يغدو فى السحر ـ قبل طلوع الفجر ـ فيصفّ أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح ، وهو على ذلك جاءه الزبير بن العوام فى المدد وتلقاه عمرو ثم أقبلا يسيران معاً . ولم يلبث الزبير أن ركب وطاف بالخندق ، ثم قسم الرجال حول الخندق .

وجاء رجل إلى عمرو بن العاص فقال « أندب معى خيلاً حتى آتى من ورائهم عند القتال » ، فأخرج معه خمسمائة فارس [١] فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل [٢] قبيل الصبح ، وكان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له أبواباً وبثوا فى أفنيتها سكك الحديد ، فالتقى القوم حين أصبحوا وخرج اللخمى بمن معه من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن . وفى رواية [٣] أن هذه القوة كان عليها خارجة بن حذافة .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ رجع إلى حديث {عبد الله} بن وهب {إمام ثقة} عن عبد الرحمن بن شريح {ثقة} عن شراحيل بن يزيد {ثقة} عن أبى الحسين ، أنه سمع رجلاً من لخم . وعن غير ابن وهب .
النجوم الزاهرة ١ / ٨ .
المواعظ والإعتبار ١ / ٥٤٢ .

(٢) عن مغار بنى وائل ـ أو خليج بنى وائل ـ قال ابن دقماق «بِركة شطا بظاهر مصر على يسرة من خرج من باب القنطرة ، وكان الماء يدخل إليها من خليج بنى وائل ومن برابخ السور المستجد ومن بركة الشعيبية من قنطرة فى وسط البحر المعروف بجسر الجنات الذى كان يفصل بين البركتين ...» {الانتصار لواسطة عقد الأمصار ٤ / ٥٤} .
كما قال « ... قَبْو دار الصاحب معين الدين فيما بين بابى القنطرة المسلوك فيه من رحبته إلى بحر النيل المبارك وهو سفل الدار المذكورة ، وكان ماء النيل فى زمن جريته يدخل من تحته إلى خليج بنى وائل الذى كان تبعه هذه الرحبة ... وكان على هذا الخليج قنطرة يسلك عليها ... {الإنتصار ٤ / ٥٣} .
كما ذكر المقريزى « ... للخم خطتان أخريان إحداهما منسوبة إلى بنى رَبَّة بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم ، وأولها شرقى الكنيسة المعروفة بميكائيل التى عند خليج بنى وائل ، وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر» . {المواعظ والإعتبار ١ / ٥٥٧} .
«كان ماء النيل يدخل إلى بركة الحبش من خليج بنى وائل ، وكان خليج بنى وائل مما يلى باب مصر من الجهة القبلية الذى يعرف بباب القنطرة من أجل أن هذه القنطرة كانت هناك . {المواعظ والإعتبار ٢ / ٥٦٨} .
« ويقال أن خليج بنى وائل كان عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر . {المواعظ والإعتبار ٢ / ٥٧٤} .
«جسر الأفرم بظاهر مدينة مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء قبليّ مصر وبين رباط الآثار النبوية ، وكان موضعه أول الإسلام غامراً بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار فضاء إلى بحرى خليج بنى وائل ثم ابتنى الناس فيه مواضع ... {المواعظ ٢ / ٥٨٦} .
«كنيسة ميكائيل عند خليج بنى وائل خارج مدينة مصر قبليّ عَقَبة يحصب ، وهى الآن قريبة من جسر الأفرم ، أحدثت فى الإسلام وهى مليحة البناء» . {المواعظ والإعتبار ٣ / ٥٧٨} .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٤٩ ـ عن غير إبن وهب .

وحتى نفهم مسار هذه القوة نتساءل عن أى جبل الذى سارت قوة الفرسان من ورائه ، وليس تمييز ذلك بالعين والمعاينة سهلاً الآن ، فقد ازداد السكان وزحف العمران فصارت بعض من تلك المواقع مناطق سكنية تشقها الطرق وتملؤها المساكن ، فاستعنا فى توضيح هذا بخريطة [1] «القاهرة للآثار الإسلامية» {طبعت عام ١٩٤٨} .

١ ـ نجد تلال عين الصيرة {ولم تكن تحمل ذلك الإسم فى ذلك العصر} وهى تقع إلى الشرق من جامع عمرو بن العاص بمسافة ٨٠٠ متراً ـ ١,٥ كيلو متراً والسير من ورائها يعنى الإلتفاف حولها حتى موقع خليج بنى وائل مسافة لا تقل عن ٣,٥ كيلو متراً .

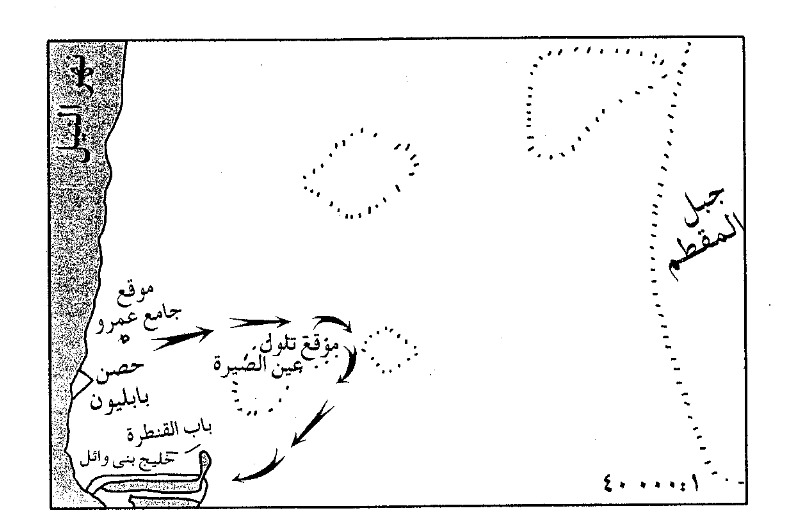
٢ ـ ونجد تلول زينهم ـ وأيضاً لم تكن تحمل هذا الإسم إنما انتسبت بعد ذلك إلى زين العابدين بن على بن الحسين بن على ـ رضى الله عنه بعد أن دفن هناك فى المسجد المعروف باسمه وهى تقع إلى الشمال الشرقى لموقع جامع عمرو بن العاص بمسافة تزيد عن ١,٥ كيلو متراً إلى ٢,٥ كيلو متراً ، والالتفاف حولها ثم الرجوع من خارج تلول عين الصيرة حتى خليج بنى وائل يقتضى قطع حوالى ٧ كيلو مترات .

٣ ـ ثم نجد المرتفع الذى عليه اليوم قلعة صلاح الدين ، والإلتفاف حوله حتى حافة جبل المقطم ثم العودة حتى مكان خليج بنى وائل يقتضى قطع مسافة لاتقل عن عشرة كيلو مترات .

أما جبل المقطم فهو أشق من تلك بسبب ارتفاعه ووعورته عنها ومشقة استكشافه .

والذى نراه أن أولئك الفرسان قد سلكوا الإفتراض الأول فهو يحقق المطلوب مع أيسر الإختيارات ، خاصة وقد تم ذلك فى وقت الغلس أو كما قالت الرواية «قبل الصبح» ، ثم تستطيع هذه القوة أن تستتر وتتخفى بجهة خليج بنى وائل عن عيون من بالحصن ، فإن مكانهم عند موقع خليج بنى وائل بينه وبين حصن بابليون مسافة تزيد عن نصف كيلو متر ، وحتى مواقف المسلمين بالموقع الذى أقيم عليه جامع عمرو بن العاص بعد ذلك حوالى كيلو متر واحد .

(١) مصلحة المساحة المصرية ١٩٤٨ ـ ١ : ٥٠٠٠ .



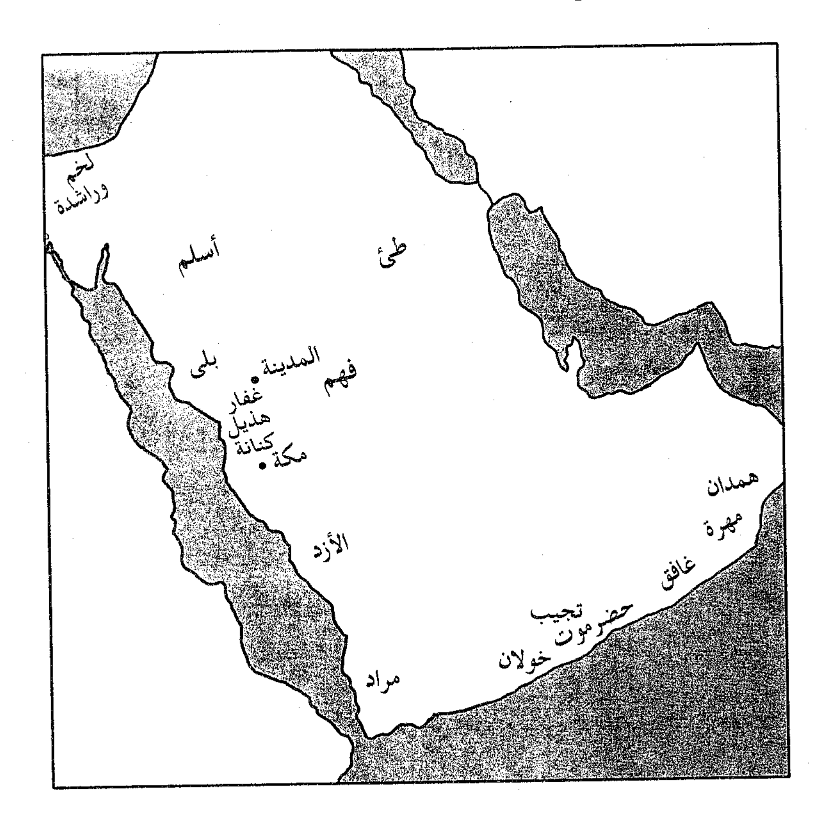
ومن الخريطة التى أمامنا نقول أن جيش المسلمين قد أحاط بالحصن من جهتيه ، الشمالية الشرقية {حوالى ٢٠٠ متراً} والجنوبية الشرقية {حوالى ٣٠٠ متراً} ومجموعهما نحو ٥٠٠ متر ، أحاط بها نحو ١٢٠٠٠ من المسلمين .

وقد ذكر البلاذرى [1] أن الزبير كان يقاتل من جهة وعمرو بن العاص من جهة ـ ولم يذكر أى جهة كان يتبع كلاً منهما ـ ثم ان الزبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن . وزاد ابن عبد الحكم [2] أن ذلك كان من ناحية سوق الحمّام . ومر بنا سابقاً أن رجلاً طلب من عمرو أن يندب معه خيلاً حتى يأتى من وراء الروم عند القتال ثم ساروا من وراء الجبل ، مما يعنى أن جهة سوق الحمام كانت فى القطاع الذى تولاه الزبير بن العوام ، وأن الدوران خلف الجبل كانت فى قطاع عمرو بن العاص . ويؤيد هذا أن شرحبيل بن حجية المرادى نصب سلماً

(١) فتوح البلدان ٢٥٠ .

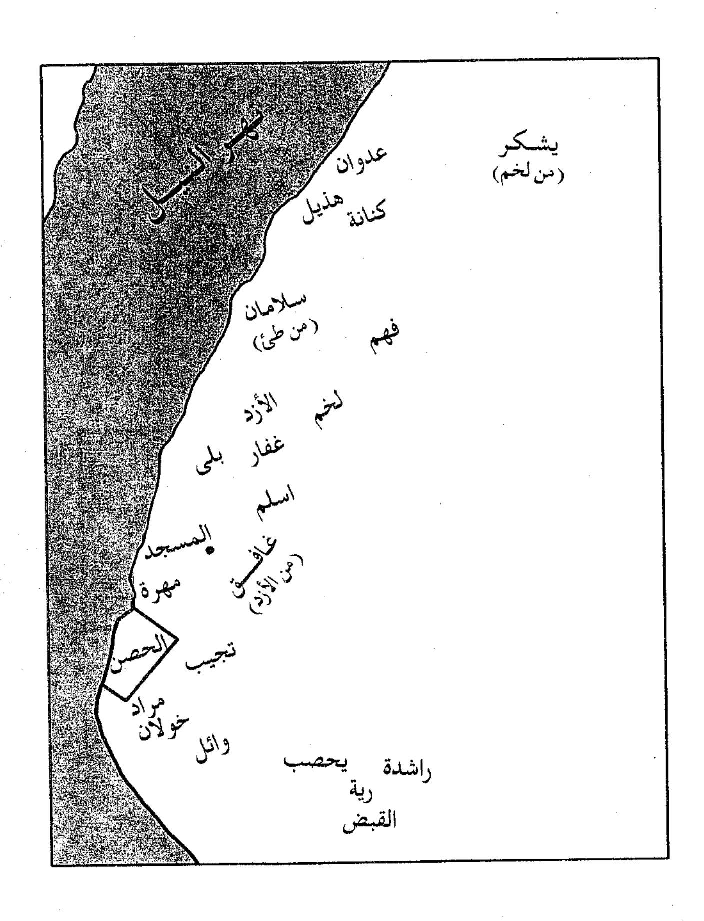
(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ ـ حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا إبن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبى جعفر ، وعياش بن عباس وغيرهما يزيد بعضهم على بعض .
المواعظ والاعتبار ١ / ٥٤٣ ـ ولعله نقلاً عن فتوح مصر وأخبارها .

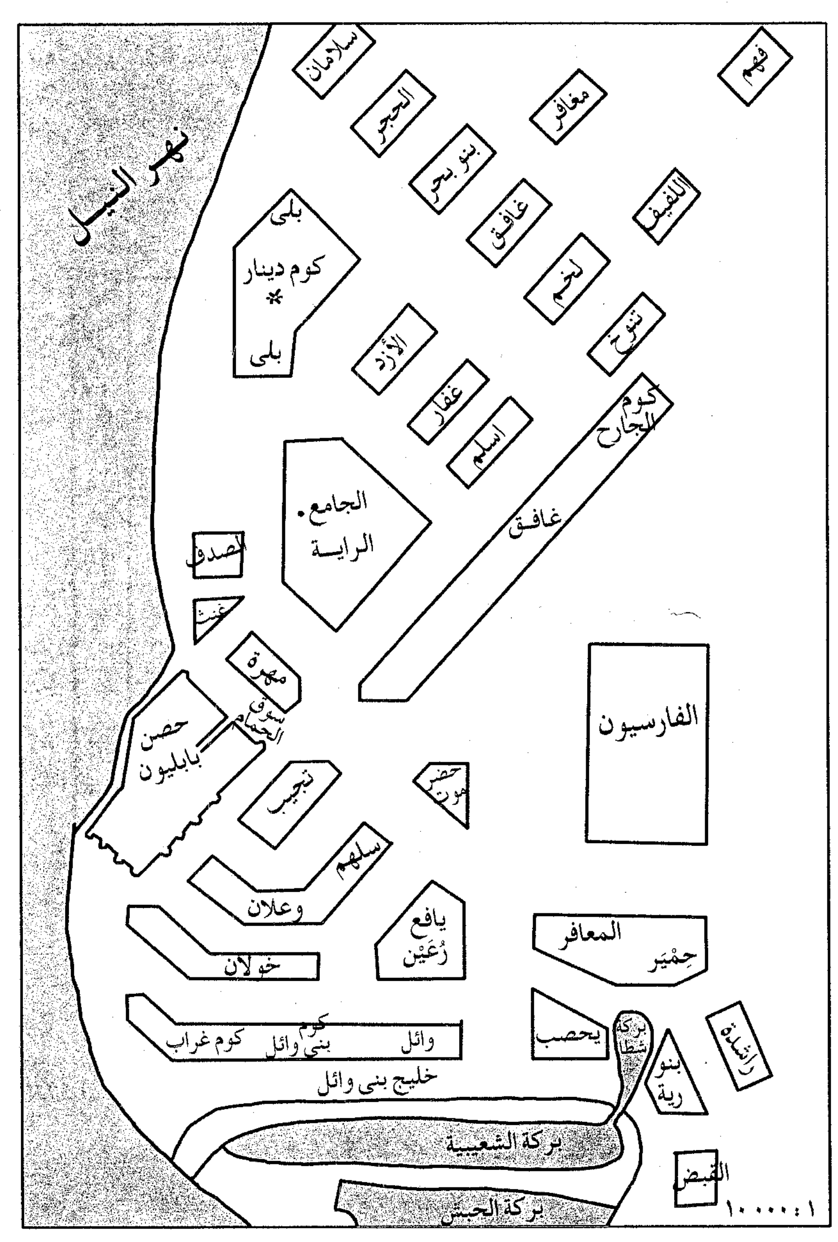
آخر من جهة زقاق الزمامرة ثم تنازع مع الزبير على باب أو مدخل مما يدعم أنه لم يكن يتبعه أو بمعنى آخر أنه كان فى قطاع عمرو بن العاص .



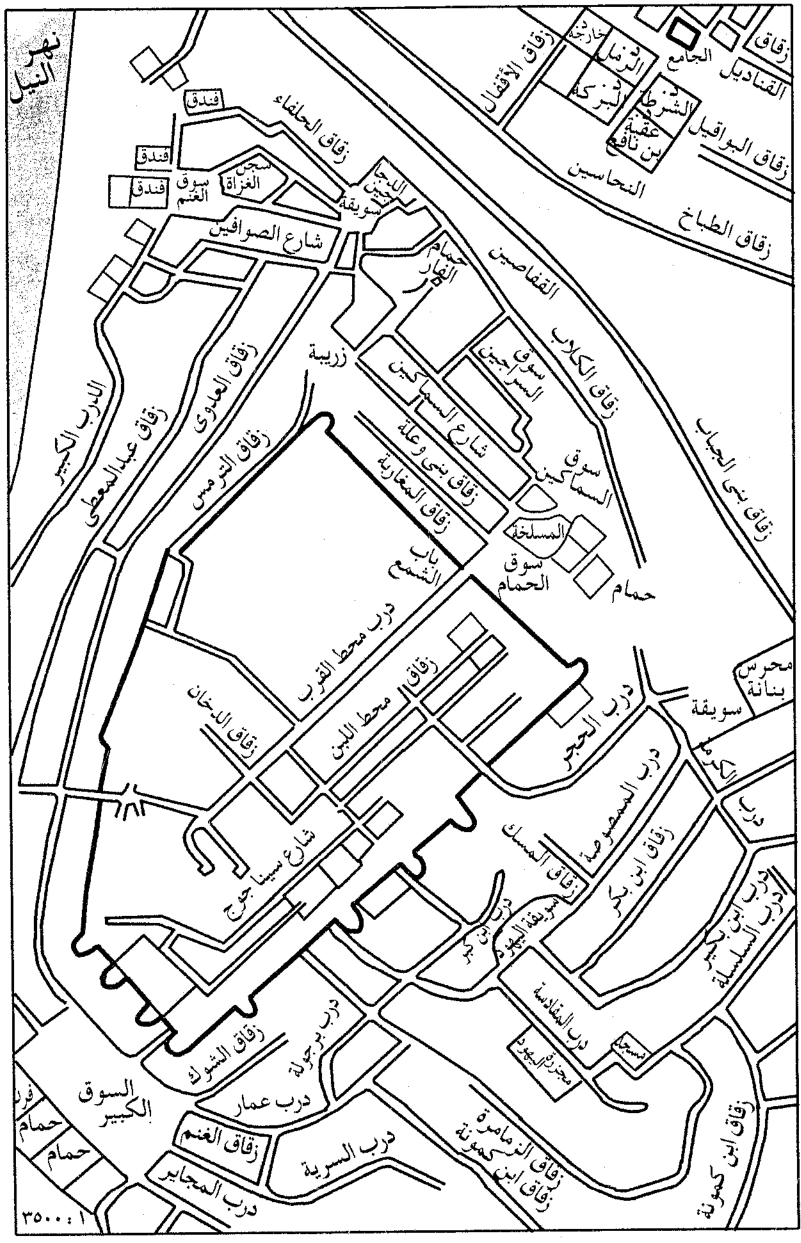
بعبارة أخرى أن الزبير كان شمالى وشمالى شرق الحصن وأن عمرو بن العاص كان شرقى وجنوبى الحصن .

وبعبارة ثالثة أن الميمنة والقلب كانتا تحت قيادة الزبير بن العوام وأن الزبير والمقدمة والميسرة كانوا تحت قيادة عمرو بن العاص .

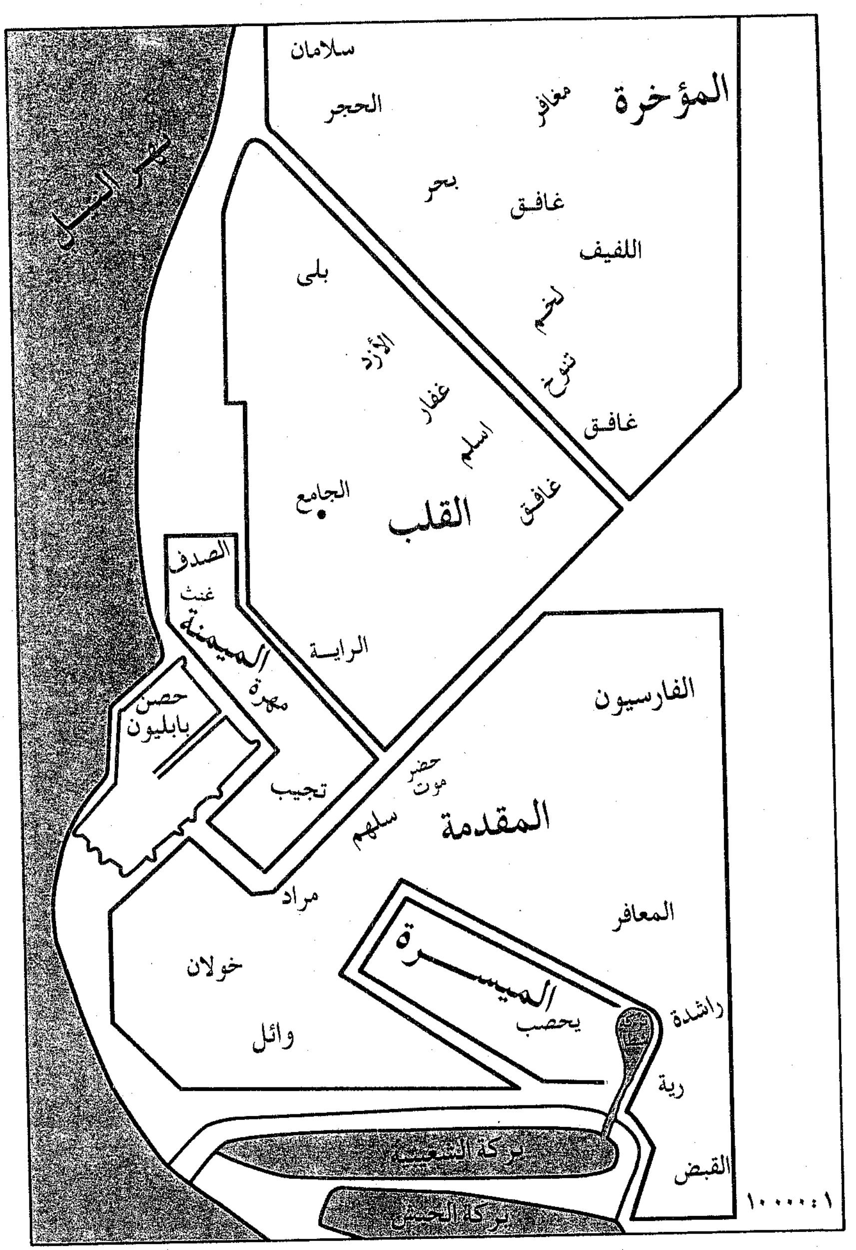




مواضع نزول القبائل فى مدينة الفسطاط بعد إنشائها



حصن بابليون وما حوله بعد قيام الفسطاط
(عن أطلس تاريخ القاهرة)



منازل وحدات الجيش بمدينة الفسطاط

هذه المواقع ـ مغار بنى وائل (أو خليج بنى وائل) ـ وما يأتى ذكره بعد مثل سوق الحمّام وزقاق الزمامرة لم تكن لها وجود زمن الفتح ، وإنما جاء ذكرها ليحدد بها الرواة الذين جاءوا فيما بعد مواقع الأحداث السابقة ، كما ذكرنا فى المقدمة .

ولو أن عمرو بن العاص وجيش المسلمين قد جاء من الشمال ، فقد كان خليج بنى وائل ومواقع بنى وائل جنوبى وجنوبى شرق الحصن . والخريطة هنا لما حول الحصن تحدد المواقع بعد أن نشأت مدينة الفسطاط بعد الفتح لنسترشد بها [١] فى تحديد المواقع لعملية الفتح ذاتها على ضوء المرويات التاريخية .

فلما جاء المدد إلى عمرو شدد قتاله وألح على القصر ووضع عليه المنجنيق [٢] . ولم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق وقسم الرجال حوله [٣] .

وقال عمرو :

يوم لهَمْدان ويوم للصَّدِف ... والمنجنيق فى بَلِيٍّ تختلف

وعمرو يرقُل إرقال الشيخ الخَرِف

وكان عمرو يقف تحت راية بَلِيّ . وفى رواية أكثر إيضاحاً «وكانت بلى إنما يقفون عن يمين [٤] راية عمرو بن العاص لأن أم العاص بن وائل [٥] بَلَوِيَّة .

وفى رواية أن عمرو بن العاص قد دخل إلى صاحب الحصن [٦] فتناظرا فيما كانوا فيه ،

(١) عن أطلس تاريخ القاهرة ، للمؤلف ـ وقد استند فى تحديدها إلى المصادر التاريخية وأهمها «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبد الحكم و «الإنتصار لواسطة عقد الأمصار» لابن دقماق ، و «فتوح البلدان» للبلاذرى و «المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار» للمقريزى و «الفضائل الباهرة» لابن ظهيرة .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ وقال غير عثمان .

المواعظ والإعتبار ١ / ٥٤٣ .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٨٤ ـ يزعم بعض مشايخ أهل مصر .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ٨٤ ـ حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الملك ، عن محمد بن اسحق .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ رجع إلى حديث عثمان [بن صالح ، ثقة ٢١٧] عن ابن لهيعة [صالح وثقه بعض وضعفه آخرون مات ١٧٤] . أخبرنى شيخ من أهل مصر [مجهول] .

=

فقال عمرو «أخرج استشير أصحابى» ، ولم يكن صاحب الحصن ذاك يعرف شخصية عمرو ولا كشف عمرو عن نفسه ، ولكنه أحس بألمعية من يحدثه وبأهميته ، فأوصى الذى على باب الحصن إذا مر به عمرو بان يلقى عليه صخرة فيقتله ، فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال لعمرو «قد دخلت فانظر كيف تخرج» فأدرك عمرو المكيدة والمأزق الذى كان فيه ، فرجع إلى صاحب الحصن فقال له «إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت» فقال الرجل فى نفسه قتل جماعة أحب إلىّ من قتل واحد ، وأرسل إلى الذى كان أمره بما أمره به من قتل عمرو بألا يتعرض له ، رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم ، وخرج عمرو .

ونذهب إلى أن هذه القصة غير صحيحة ، فقد جاء مثلها تماماً فى عملية فتح الشام ، أن عمرو بن العاص دخل القدس على قائدها أريتيون [1] ـ أرطبون ـ وهو لا يعرفه ، فدعا أحد رجاله وأسر إليه ليقتله ، وفطن عمرو لما يدبر له فقال : قد سمعت منى وسمعت منك ، فأما ما قلته فقد وقع منى موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنعاونه ويشهدنا أموره ، فأرجع فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى رأيت مثل الذى أرى فقد رآه أهل العسكر والأمير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك . فدعا أرطبون رجلاً فأسر إليه : إذهب إلى فلان فرده إلىّ ، فرجع إليه الرجل وقال لعمرو، إنطلق فجيء بأصحابك . فخرج عمرو وقال «لا أعود لمثلها أبداً» .

١ ـ فمن غير المعقول أن تكون القصة بحذافيرها قد حدثت مرة أخرى خاصة وقد قال عمرو فى الأولى «لا أعود لمثلها أبداً» .

= النجوم الزاهرة ١ / ٩ .

حسن المحاضرة ١ / ١٠٨ ـ عن ابن عبد الحكم .

بدائع الزهور ١ / ٩ .

(١) الطريق إلى دمشق ٥٢٤ عن الطبرى ٣ / ٦٠٥ ـ ذكر سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة عن خالد وعبادة {أبو عثمان ، يزيد بن مرشد الصنعانى ـ ثقة توفى ١٣٤ ، وشراحيل بن مرشد الصنعانى شهد اليمامة وفتح دمشق ، وهذا لايدركه سيف} .

٢ ـ كما أنه ليس واضحاً من صاحب الحصن الذى لاقاه عمرو بن العاص ، هل المقصود به المقوقس سيروس أو الأعيرج [1] أو غيرهما .

٣ ـ عدم معقولية القصة فأى رجل من العرب كان داخل الحصن ، وما مناسبة وجوده ثم كيف عرف ما كان يراد بعمرو فحذره منه .

٤ ـ وما نحسب مستوى الذكاء عند رجل مثل عمرو بن العاص يجعله يدخل على هذه الصورة إلى حصن عدوه .

٥ ـ فضلاً عن أن أريتيون {أرطبون} الذى وقعت معه الواقعة الأولى فى بيت المقدس كان حينذاك فى حصن بابليون بعد أن فر من الشام إلى مصر ، وقد رأى عمرواً وعرفه فى بيت المقدس فلا يعقل أن يضع عمرو نفسه بين فكيه مرة أخرى .

٦ ـ يضاف إلى كل ذلك أننا لانعرف صاحب الرواية ، وإنما جاءت عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة قال «كما أخبرنى شيخ من أهل مصر» فهى رواية عن مجهول .

أمام الحصن :

تقول رواية أن المسلمين حاصروا بابليون شهراً ، وكان به جماعة الروم وأكابر القبط [2] ورؤساؤهم وعليهم المقوقس ، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص كما رأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة {جزيرة الروضة} ، وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل ، وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الأعيرج كان تخلف فى الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فَتْحَ الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملاصقه بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

(١) ذهب السيوطى إلى أنه الأعيرج ـ حسن المحاضرة ١ / ١٠٨ . وما نحسب عمرو بن العاص يدخل بشخصه إلى الحصن ليخاطب الأعيرج .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ ـ حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نجيح ، عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ، قالا حدثنا خالد بن يزيد {وثقه النسائى} عن جماعة من التابعين يزيد بعضهم على بعض .

وقبل أن نمضى مع الأحداث نتوقف عند ذكر أن الحصن كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤساؤهم وعليهم المقوقس .

أما أن الحصن كان به جماعة من الروم فلا شك فى ذلك ، إنما لا نسيغ القول بأن أكابر القبط ورؤساؤهم كانوا معهم ، فإن المصادر القبطية لاتشير إلى ذلك ولو كان قد حدث لذكروه ، بل أن الثابت فى مصادرهم عكس ذلك ، أن القبط لم يكونوا فى جانب الروم وإنما أمرهم أسقفهم بنيامين بعكس ذلك وكان القبط كما مر بنا محل اضطهاد الروم .

أما عن هذه الرواية فنراها ترتبط بسندها ، قال ابن عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح {ثقة توفى ٢١٧ أو ٢١٩ وثقه ابن حبّان وروى عنه البخارى} ، أخبرنا خالد بن نُجَيْح ، عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد {توفى ١٩٩ ، قبل خالد بن نجيح بخمس وخمسين عاماً} قالا ...
وبالنظر فى هذا الإسناد نجد أن خالد بن نجيح {توفى ٢٥٤ هـ} ذكره ابن حجر العسقلانى فقال أنه كذاب يفتعل الحديث ، وأنه منكر الحديث [١] ، وهذا وحده يكفى لدحض الرواية ، فضلاً عن أن خالد بن نجيح نسبها إلى يحيى بن أيوب {توفى ١٦٨ هـ قبل وفاة خالد بست وثمانين عاماً} ، ولو أن هناك من يوثقه فقد ضعّفه النسائى وقال «ليس بذاك القوى» ، وقال الإمام أحمد بن حنبل عنه أنه سىء الحفظ وقال أبو حاتم ويحيى بن معين «لا يحتج به» وقال ابن سعد «كان منكر الحديث» . كما نسبها إلى خالد بن حميد ، قال أبو حاتم لا بأس به ، نقول ولكنه توفى قبل خالد بن نجيح الكذاب بخمس وخمسين عاماً .

إن القول بأن القبط كانوا مع الروم فى مواجهة المسلمين يؤدى إلى اتجاه غير صحيح .

مفاوضات :

أرسل المقوقس إلى عمرو يقول [٢] «إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم

(١) لسان الميزان ٢ / ٣٨٨ .
(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٣ ـ رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد {قالا حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين ، بعضهم يزيد على بعض} .
النجوم الزاهرة ١ / ١٠ .

العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسرى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبكم ورجائكم فابعث إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء» .

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومان وليلتان حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه «أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك فى دينهم ؟» .

وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين . فرد عليهم عمرو مع رسله أنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، أما إن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وأما إن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» .

فلما رجعت رسل المقوقس إليه قال لهم «كيف رأيتموهم ؟» .

قالوا «رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليه من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم» .

قال المقوقس «والذى يُحلَف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محاصرين بهذا النيل لن يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم» .

بعث المقوقس رسله مرة أخرى إلى عمرو بن العاص ليقولوا «ابعثوا إلينا رُسُلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم» .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت ، ولم تذكر المصادر أسماء

الآخرين . وكان عبادة أسود اللون وطوله عشرة أشبار [١] ، وأمره عمرو أن يكون متكلم الوفد وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا أحدى هذه الخصال الثلاث .

ركبوا السفن وعبروا من جهة بابليون إلى الجزيرة ، فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس [٢] ، وقال «نَحُّوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى» .

فقالوا جميعاً «إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به وأمرنا بأن لا نخالف رأيه وقوله» .

قال «وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم ؟» .

قالوا «كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً ، وليس يُنكر السواد فينا» .

فقال المقوقس لعبادة «تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك علىّ إزددت لذلك هيبة» .

فتقدم إليه عبادة وقال «قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلّفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً منى وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى ، وأنا قد ولَّيْتُ وأدبر شبابى وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعاً وكذلك أصحابى ، وذلك أنّا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته لليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ، ويبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاؤها ليس برخاء

(١) يعنى يتجاوز المترين طولاً .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٣ ـ ثم رجع إلى حديث عثمان {يعنى ابن صالح} ، أخبرنا خالد بن نجيح ، عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قالا حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض .

إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه» .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله «هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هِبت منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها» . ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال «أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرتَ عنك وعن أصحابك ، ولَعَمْرِى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لايحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ما يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به» .

فقال عبادة بن الصامت «يا هذا لاتغرن نفسك ولا أصحابك ، أمَّاما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنّا لانقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قَدِمْنَا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين ، إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [١]. وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءاً أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى بلده ولا أرضه ولا أهله

(١) البقرة ٢٤٩ .

وولده، وليس لأحد منا هَمٌّ فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همّنا ما أمامنا . وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه . فانظر الذى تريد فبيّنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا ، إما أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لايقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذى ندين الله به ولايجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم» .

فقال له المقوقس «هذا ما لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيداً ما كانت الدنيا» .

قال عبادة بن الصامت «هو ذاك فاختر ما شئت» .

فقال له المقوقس «أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاثة خصال ؟» .

فرفع عبادة يديه فقال «لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شىء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم» .

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه وقال «قد فرغ القوم ، فما ترون ؟» .

فقالوا «أوَ يرضى أحد بهذا الذل ؟! أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لا يكون أبداً أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل فى دينٍ غيره لا نعرفه ، وأما ما أرادوا من أن

يَسْبُونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا» .

فقال المقوقس لعبادة «قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون» .

فقام عبادة وأصحابه

فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله «أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين» .

فقالوا «وأى خصلة نجيبهم إليها ؟» .

قال «إذاً أخبركم ، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به . وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولابد من الثالثة .

قالوا «أفنكون لهم عبيداً أبداً ؟!» .

قال «نعم ، تكونوا عبيداً مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهليكم وذراريكم» .

قالوا «فالموت أهون علينا» .

وأمروا بقطع الجسر من بين بابليون والجزيرة ، وبالقصر {الحصن} من الروم جمع كثير . فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى الحصن حتى ظفروا بهم ومكنهم الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسر من أسر وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة .

إلى هنا ومازالت الرواية عن خالد بن نجيح {الكذاب المنكر} عن يحيى بن أيوب {الضعيف سىء الحفظ الذى لا يحتج به ... الخ} . ولكن الذى لاشك فيه أن المسلمين قد ظفروا بِعَدُوِّهم ودخلوا حصنهم ، فكيف كان ذلك ؟

هذا ما يرويه رواة آخرون من الثقات .

فتح الحصن :

كان الروم قد خندقوا خندقاً حول حصن بابليون ، وجعلوا للخندق أبواباً [1] لخروجهم ودخولهم ونثروا سكك الحديد بأفنية الأبواب .

لم يذكر الرواة أماكن تلك المخارج ، ولكنا نرى أنه من المنطق أن تكون تجاه أبواب الحصن {كما وأن استعمال صيغة الجمع ـ أبواباً ـ تعنى أنها لم تكن تقل عن ثلاثة} . ونعلم أنه كان للحصن باب فى الجدار الشمالى أمام الجهة التى أقيم بها بعد ذلك جامع عمرو بن العاص ، وباب فى المدخل الجنوبى الذى نشأ أمامه بعد ذلك السوق الكبير ، وفى ذلك المكان كان النيل يصل إلى جدار الحصن حيث الآن الكنيسة المعلقة ، كما كان هناك باب فى الجدار الشرقى الذى كان ينفذ منه درب الحَجَر .

أبطأ الفتح أمام حصن حصين يلوذ به الروم ولايخرجون منه إلا إذا أرادوا ثم يعودون إليه منهزمين فيعتصمون به . ثم ماذا ؟

فى عديد من الروايات عن رواة ثقات ، قال الزبير بن العوام [2] «إنى أهب نفسى لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين» ووضع سُلّما من الخشب إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام [3] ، وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً . كان الزبير فدائياً شجاعاً لايدرى ماسوف يلقى فوق السور من قوات الروم، وكان فى نحو الخمسين من عمره .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥١ ـ قال غير عثمان .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ ـ قال عثمان فى حديثه {عثمان بن صالح ـ ثقة مات ١٦٧} قال (عبد الله) بن وهب ، {أحد الأئمة ، ثقة} فحدثنى الليث بن سعد (إمام جليل) قال .

فتوح البلدان ٠ ٢٥ ـ حدثنا حماد بن سلمة {أحد الأعلام توفى ١٦٧} عن هشام بن عروة {بن الزبير بن العوام ، من أكابر العلماء توفى ١٤٦} .

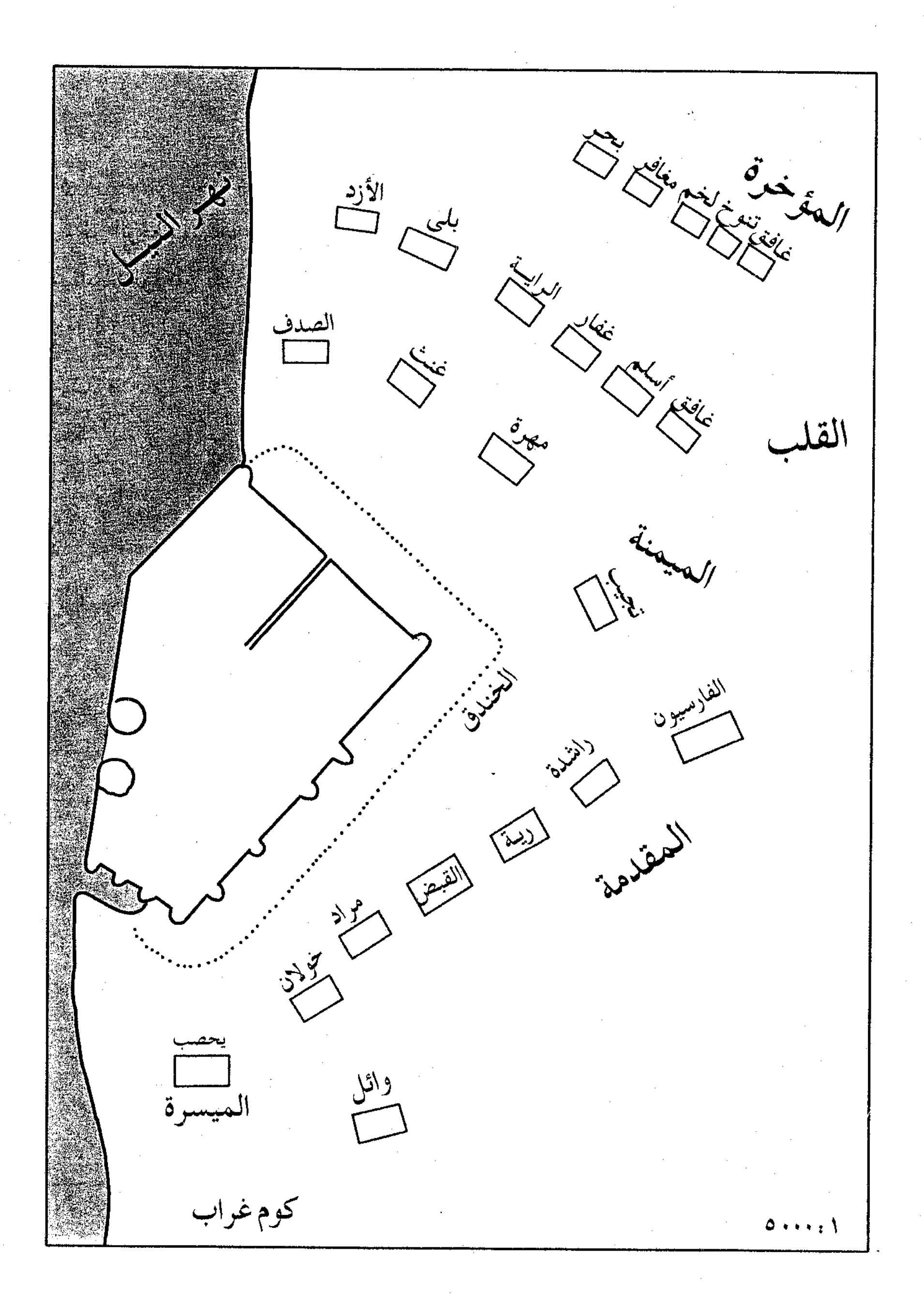
٢٥١ وحدثنى إبراهيم بن مسلم الخوارزمى {ثقة} عن عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة {توفى ١٧٤ هـ} عن يزيد بن أبى حبيب {فقيه ثقة} عن أبى فراس .

تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٨ ـ كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا .

تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٣٦ ـ حدثنى الوليد بن هشام عن أبيه عن جده ، وعبد الله بن مغيرة عن أبيه وغيرهم .

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ١ / ١١٢ ـ روى خليفة عن غير واحد .

(٣) عرف بذلك لحمام كان بالسوق هو حمام ابن نصر السراج {ينظر حسن الحاضرة ١ / ١٢٨} عن القضاعى فى كتابه الخطط . {ملاصقاً دار أبى صالح الحرانى} .



وما دام جدار الحصن كان يرتفع نحواً من ١٨ متراً فلابد أن كان السلم لايقل عن عشرين متراً حتى نتصور إمكان استناده مائلاً على جدار الحصن ، فهو سلم كبير غير عادى استغرق بعض الوقت فى صناعته ـ ربما أياماً ـ كذلك لابد أن كان ثقيلاً استلزم حمله على أكتاف عديد من الرجال الأشداء وعبور الخندق به فى صمت تام إلى جدار الحصن حتى لاينتبه الروم . ولابد أيضاً أن كان قد تم صنعه فى الخلف على مسافة من الحصن وربما كان ذلك فى موقع بنى بلى {٢٥٠ متراً أو يزيد} ، فهم الذين تسلق رجال منهم الحصن مع الزبير {بنو حرام} .

وقد صعد مع الزبير إلى أعلى الحصن محمد بن مسلمة الأنصارى ، ومالك بن أبى سلسلة [1] ، ورجال من بنى حرام [2] .

وسوق الحمام كان فى الشمال الشرقى للحصن يبعد عن الباب الشمالى نحواً من ٧٥ متراً وعن باب درب الحجر نحواً من ١٠٠ متر [3] .

وبطبيعة الحال كان ذلك فى غفلة من أهل الحصن ، فلا نذهب إلى أنه حدث نهاراً وإنما يتحتم أنه كان ليلاً ويدعم ذلك أنه كان يوم الجمعة ٢٩ من ذى الحجة ٢٠ هـ ٧ ديسمبر ٦٤١ م بما يعنى عدم وجود هلال يكشف بسطوعه عملية الإقتراب والتسلق ، فضلاً عن أن الفصل شتاءاً بارداً ينشد جنود الروم الدفء فيه ، خاصة وأنه قد مضى على وقوف المسلمين أمام الحصن سبعة أشهر اعتادوا على عدم حدوث شىء من هذا القبيل ولم يخطر لهم على بال، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه سيفه والمسلمون يرددون تكبيره، وقد تسلقوا على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر ، ثم انحدر الزبير ومن معه إلى داخل الحصن ، والأرجح أنهم نزلوا على سلالم البرج ، وأصاب الرعب أهل الحصن فهربوا من أمامهم ، وعمد الزبير إلى باب الحصن المغلق من الداخل ففتحه واقتحمه المسلمون من الخارج .

وفى ذات الوقت حدث تصرف مماثل من جهة جنوبى شرق الحصن ، فقد نصب شرحبيل بن حُجَيَّة المرادى سلماً آخر {من ناحية نشأ بها زقاق الزمامرة فيما بعد} بالجهة التى كانت تقف

(١) لم نجد له فيما رجعنا إليه أى ذكر آخر .

(٢) الأرجح أنه حرام بن جعل بن عمرو بن جشم بن بلى بن عمرو بن الحافى بن قضاعة .

(٣) أطلس تاريخ القاهرة ـ أحمد عادل كمال .

بها قبيلة مراد وصعد عليه [1] . ولابد أن كلا من الزبير وشرحبيل قد تحركا فوق السور فالتقيا وحدث بينهما شىء على باب أو مدخل فكأن شرحبيل قد أساء إلى الزبير ونال منه ، وشرحبيل من بدو بنى مراد ولنا أن نفترض فيه غلظة وجفوة البدو ، ولكن الزبير رضى الله عنه كان غير ذلك وبالرغم من غضبه فلم تحدث بينهما أزمة فوق السور بل امتصها الزبير بحلمه وبلغ ذلك عمرو بن العاص فيما بعد وأراد أن ينصفه فقال للزبير «إستَقِد منه إن شئت» ، وبالرغم من أنه كان مازال غاضباً فقد كان مالكاً نفسه فقال «أمن نَغَفَة [2] من نَغَفِ اليمن أستقيد يا ابن النابغة ؟» .

ولو أنه مازال أمام الفتح من أرض مصر الصعيد كله والدلتا بأكملها ، لكن كان الحصن فى قلب مصر ، وكان أحصن ما بيد الروم فى مواجهة جيش المسلمين ، فلما سقط صار واضحاً حرج موقف الروم أمام عملية الفتح . نعم مازال أمام المسلمين أن يعبروا مجارٍ مائية خاصة نهر النيل ، ولكن أيضاً صار مألوفاً لديهم أن يجدوا حلاً أمام كل عقدة .

صار المسلمون وقد أحدق بهم الماء من كل جهة واتجاه لايقدرون أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول لأصحابه «ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؟ ما تنظرون ؟ فوالله لتجيبنهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً فأطيعونى من قبل أن تندموا» .

فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه ، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص «إنى لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلتَ إلىّ بها فأبى ذلك عَلَىَّ من حضرنى من الروم والقبط ، فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ، ورجعوا إلى قولى ، فأعطنى أماناً أجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر من أصحابك فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا جميعاً وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه» .

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا «لا نجيبهم إلى شىء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الأرض كلها لنا فيئا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه» .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٢ ـ حدثنا سعيد بن عفير {صدوق ثقة ١٤٦ ـ ٢٢٦ هـ} .

(٢) النُغَفَة الدودة .

قال عمرو «قد علمتم ما عهد إلىَّ أمير المؤمنين فى عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم» .

وقد اختلف الرواة حول ما إذا كانت مصر قد فتحت صلحاً أو عنوة . ففى رواية [(١)] أنه افتتحت مصر بلا عهد فقام الزبير بن العوام فقال «يا عمرو اقسمها بيننا . فقال عمرو : لا والله لا أقسمها حتى أكتب إلى عمر . فكتب إلى عمر ، فكتب إليه فى جواب كتابه : أن أقِرها حتى يغزو منها حَبَلُ [(٢)] الحَبَلَة ، أو قال يغدو .

وفى رواية [(٣)] عن أيوب بن أبى العالية قال سمعت عمرو بن العاص يقول على المنبر «لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد ، إن شئت قتلت ، وإن شئت خمّسْت ، وإن شئت بِعْت ، إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهد يوفى لهم به» . {وفى حلقات سلسلة الرواة كذاب} .

وفى روايات أخرى عكس ذلك :

أن معاوية كتب [(٤)] إلى وردان مولى عمرو أن زد على كل امرىء من القبط قيراطاً ، فكتب إليه كيف أزيد عليهم وفى عهدهم ألا يزاد عليهم .

وعن عقبة بن عامر الجهنى [(٥)] قال «كان لأهل مصر عهد وعقد ، كتب لهم عمرو أنهم

(١) فتوح البلدان ٢٥٦ حدثنى الحسين بن الأسود ، قال حدثنى يحيى بن آدم ، عن عبدالله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن من سمع عبدالله بن المغيرة بن أبى بردة ، قال سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول : لما فتحنا مصر ...

(٢) حبل الحبلة ، نتاج النتاج وولد الجنين {مختار الصحاح} ونذهب أن المعنى حتى يأتى الأحفاد .

(٣) فتوح البلدان ٢٥٤ حدثنا القاسم بن سلام {حسن الرواية صحيح النقل} ، حدثنا عبد الغفار الحرّانى {وثقه ابن حبان} عن ابن لهيعة {مختلف فيه} عن ابراهيم بن محمد {رافضى كذاب ، لم يُترك للرفض إنما ترك للكذب . المجروحين لابن حبان ١٠٥ ، الضعفاء والمتروكين ٥ ، طبقات الحفاظ} عن أيوب بن أبى العالية .

(٤) حدثنى أبو عبيد قال حدثنا سعيد بن أبى مريم {ثقة مات ٢٢٤} عن يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن أبى جعفر {ثقة فقيه} . فتوح البلدان ٢٥٥ .

(٥) فتوح البلدان ٢٥٥ حدثنى بكر بن الهيثم ، عن عبدالله بن صالح ، عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى علاقة عن عقبة بن عامر الجهنى .

آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يباع منهم أحد ، وفرض عليهم خراجاً لايزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم» . قال عقبة «وأنا شاهد على ذلك» .

فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ ولا النساء شىء ، وعلى أن للمسلمين عليهم النُّزُل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم وأن لهم أرضهم وأموالهم لايعرض لهم فى شىء منها ، فشرط هذا كله على القبط خاصة . وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفُرِضَ عليه الديناران ، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس [(١)] (٦٠٠٠٠٠٠) ، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف دينار فى كل سنة . وفى رواية أخرى [(٢)] أن عدتهم بلغت ثمانية ألف ألف (٨٠٠٠٠٠٠) .

وكان عقد الصلح كما أورده الطبرى [(٣)] .

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم ، وبرهم وبحرهم ، لايدخل عليهم شىء من ذلك ولا يُنْتَقَص ، ولا يساكنهم النُّوب {أو النوبة} ، وعلى أهل مصر أن يُعطوُا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جَنَى لُصوتُهم {لصوصهم} ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٥ ثم رجع إلى حديث عثمان ، وهو عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نجيح ، عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قالا حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٥ حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة ، عن يحيى بن ميمون الحضرمى {ثقة صالح الحديث} .
النجوم الزاهرة ١ / ٢٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٩ كتب إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا .
النجوم الزاهرة ١ / ٢٤ .

بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايتهم إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنُّوب فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مَأمَنَه ، أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً ، على ألا يُغْزَوْا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد إبناه . وكتب وردان وحضر» .

وشرط المقوقس للروم أن [١] يُخَيَّروا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماً له مفترضا عليه فمن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلنه ما فعل ، وإن قبل ذلك منه ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه ، وكتبوا بذلك كتاباً .

وكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بذلك . فجاءه من ملك الروم جوابه على ذلك يُقَبِّح رأيه ويعجّزه ويرد عليه ما فعل ويقول «إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيتَ أن تكون أنت ومن معك من الروم على حال القبط أذلاء . ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضْهُم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك [٢]» .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك إلى جماعة الروم .

قال المقوقس «والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٦ رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد .

(٢) يستوقفنا عند هذه الرواية أن هرقل نفسه سبق أن هزم وهزمت قواته أمام المسلمين فى الشام بأشد مما هزمت به قواتهم بمصر ، فكيف يعيب على المقوقس عجزه .

الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا ، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوا منا ويقولون أنهم إن قُتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها ، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم ؟! واعلموا معشر الروم والله أنى لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وإنى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى رأيى وقولى وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى ، وذلك أنى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه . وَيْحَكُم ! أما يرضى أحدكم أن يكون آمناً فى دهره على نفسه وما له وولده بدينارين فى السنة ؟» .

ثم أقبل المقوقس على عمرو بن العاص وقال له «إن الملك قد كره ما فعلت وعجَّزَنى وكتب إلىّ وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وإنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسى ، والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم براء . وأنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال» .

قال عمرو «ما هن ؟» .

قال «لا تنقُض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم يُتُّمون لك على ما تحب ، وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً فإنهم أهل ذلك لأنى نصحتهم فاستغشونى ونظرت لهم فاتهمونى ، وأما الثالثة أطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم يدفنوننى فى أبى يُحَنّس بالإسكندرية» . فقال عمرو «هذه أهونهن علينا [١]» .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه إلى ما طلب على أن يضمنوا له الجسرين جميعاً ويقيموا له الأضياف والأنزال والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ، ففعلوا .

(١) فتورح مصر وأخبارها ٥٧ حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب .

الباب الثامن

فتح الأسكندرية

السير إلى الإسكندرية

بعد سقوط بابليون فى أيدى المسلمين أقاموا بها ، ثم كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يستأمره فى الزحف إلى الاسكندرية فكتب إليه عمر يأمره بذلك [1] .

وأمر عمرو بفسطاطه أن يُقَوَّض ، فإذا بيمامة باضت فى أعلاه ، فقال «لقد تَحَرَّمت (احتمت) بجوارنا ، أقروا الفسطاط حتى يفقس بيضها وتطير فراخها [2]» فتركوه على حاله وأمر به ألا يهاج ، ومن هنا سميت الفسطاط فسطاطاً .

وقد ذكر القضاعى [3] أن عمرو سار إلى الإسكندرية فى شهر ربيع الأول ٢٠ هـ [فبراير / مارس ٦٤١] أو فى جمادى الآخرة [مايو / يونيه ٦٤١] وهو يسبق ما ذهبنا إليه بنحو من عام . وللإستفادة من واقعة اليمامة فى تأريخ وقت خروج عمرو من بابليون إلى الإسكندرية وجدنا أن اليمام [4] يبيض فى الربيع والصيف فقط وأن البيض يُرى أحياناً من أسفل خلال العصى المكونة للعش وأنه دائماً يبيض بيضتين لونهما أبيض ، وتطير الصغار بعد شهر من الفقس .

استخلف عمرو بن العاص على ما فتح ، خارجة بن حذافة السهمى [5] وسار على رأس من معه . وإلى هنا حدث أمران :

---

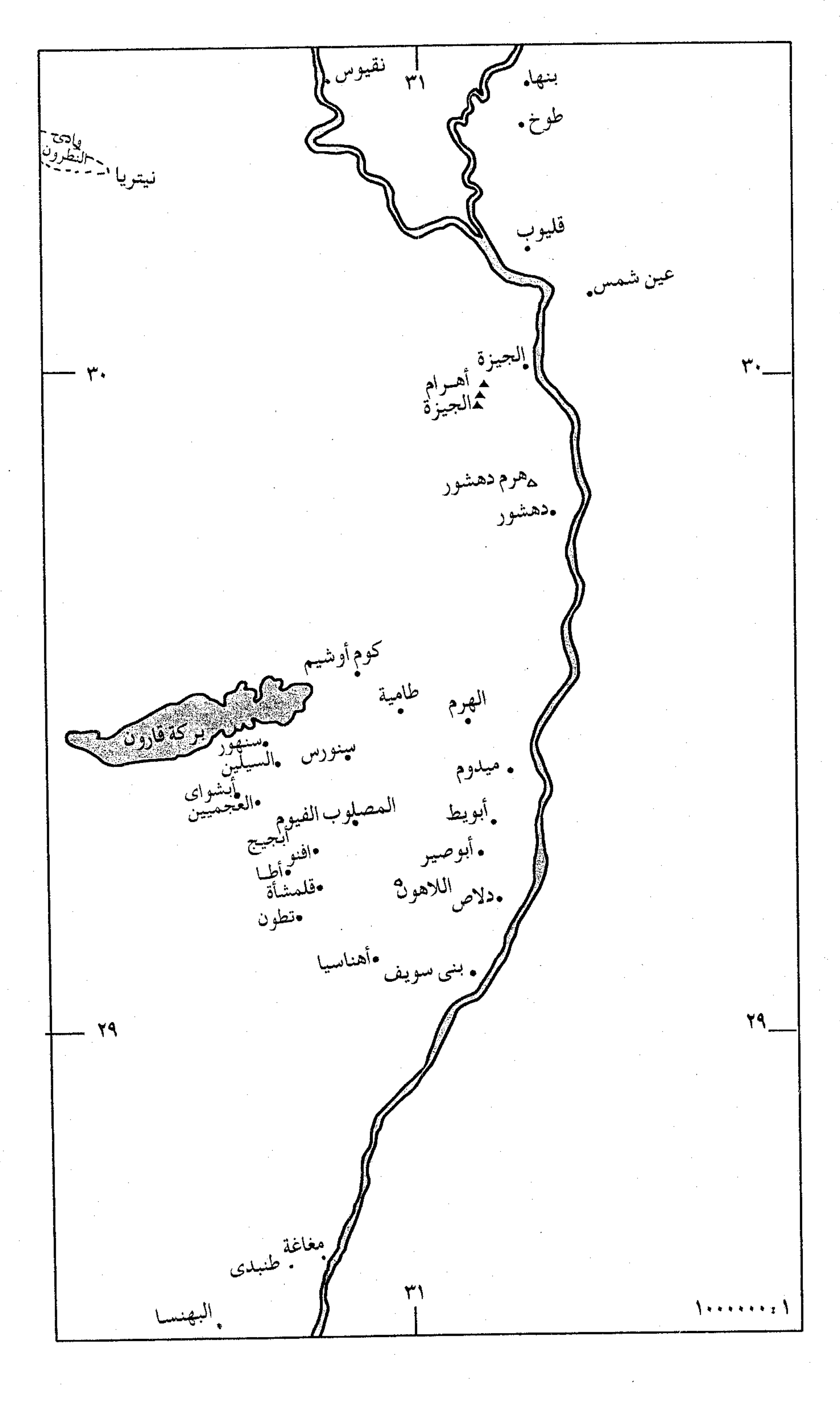
(١) فتوح البلدان ٢٥٩ قالوا .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ حدثنا أبى عبدالله بن عبدالحكم وسعيد بن عفير [ثقة] .
الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ٢ .
ولاة مصر ٣٢ ـ قال سعيد بن عفير [صدوق ثقة ولد ١٤٦ وتوفى ٢٢٦] عن أشياخه .
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١٠٣ ـ قال إبن عبد الحكم ،

(٣) فى كتابه الخطط عن عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص .

(٤) المعرفة ١٠ / ١٩١٢ .

(٥) خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب [فتوح البلدان ٢٥٩] .



١ ـ جاءت إلى الروم أمداد كبيرة .

٢ ـ صار للقبط موقف محدد واضح ، أنهم يتعاونون مع المسلمين .

ففى حديث عثمان بن صالح [١] قال :

«فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم ، وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط [٢] متوجها إلى الإسكندرية ، فلم يلق منهم أحداً حتى بلغ ترنوط ، فلقى بها طائفة من الروم فقاتلوه قتالاً خفيفاً فهزمهم الله ، ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك [٣] ، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين وولى الروم أكتافهم» .

كان عمرو بن العاص بترنوط وعلى مقدمته شريك بن سمى فأرسله عمرو فى آثار الروم فأدركهم [٤] عند كَوْم ألجأوه إليه وتكاثروا حوله ، فأمر أبا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفى أن ينفلت إلى عمرو فيخبره ، ذلك أن مالك بن ناعمة كان هو صاحل الفَرَس الأشقر [٥] الذى يقال له أشقر صَدِف وكان لا يُجَارى فى سرعته ، فانحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرواً فأخبره ، وأقبل عمرو متوجهاً نحوه وعلمت به الروم فانصرفت . ولذلك عُرِف ذلك الكوم بكوم شريك .

وعند الطبرى أن زياد بن جَزْء الزبيدى كان فى جند عمرو وقال «لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقرية حتى انتهينا إلى بلهيب [٦] ـ قرية

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٧ .
(٢) الصواب من بابليون ، فلم تكن الفسطاط قد أنشئت بعد .
(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٧ رجع إلى حديث عثمان [بن صالح] كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن إبن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب
(٤) فتوح مصر وأخبارها ٥٧ قال غير عبد الملك بن مسلمة .
(٥) بهذا الفرس الأشقر سميت خوخة الأشقر بالفسطاط حيث مات الفرس فدفنه مالك بذلك المكان فسمى بإسمه .
(٦) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٥ ـ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحق ، قال وحدثنى القاسم بن قزمان ـ رجل من أهل مصر ـ عن زياد بن جزء الزبيدى .

من قرى الريف [١] يقال لها قرية الريش ، (وهى إلى الشمال من دمنهور ناحية فرع رشيد من نهر النيل) .

فلا تناقض بين ما رواه الطبرى وما رواه ابن عبد الحكم بقدر أنه يكمل بعضه بعضاً ، وهى أن مسير عمرو بجيشه إلى الإسكندرية كان غربى الدلتا .

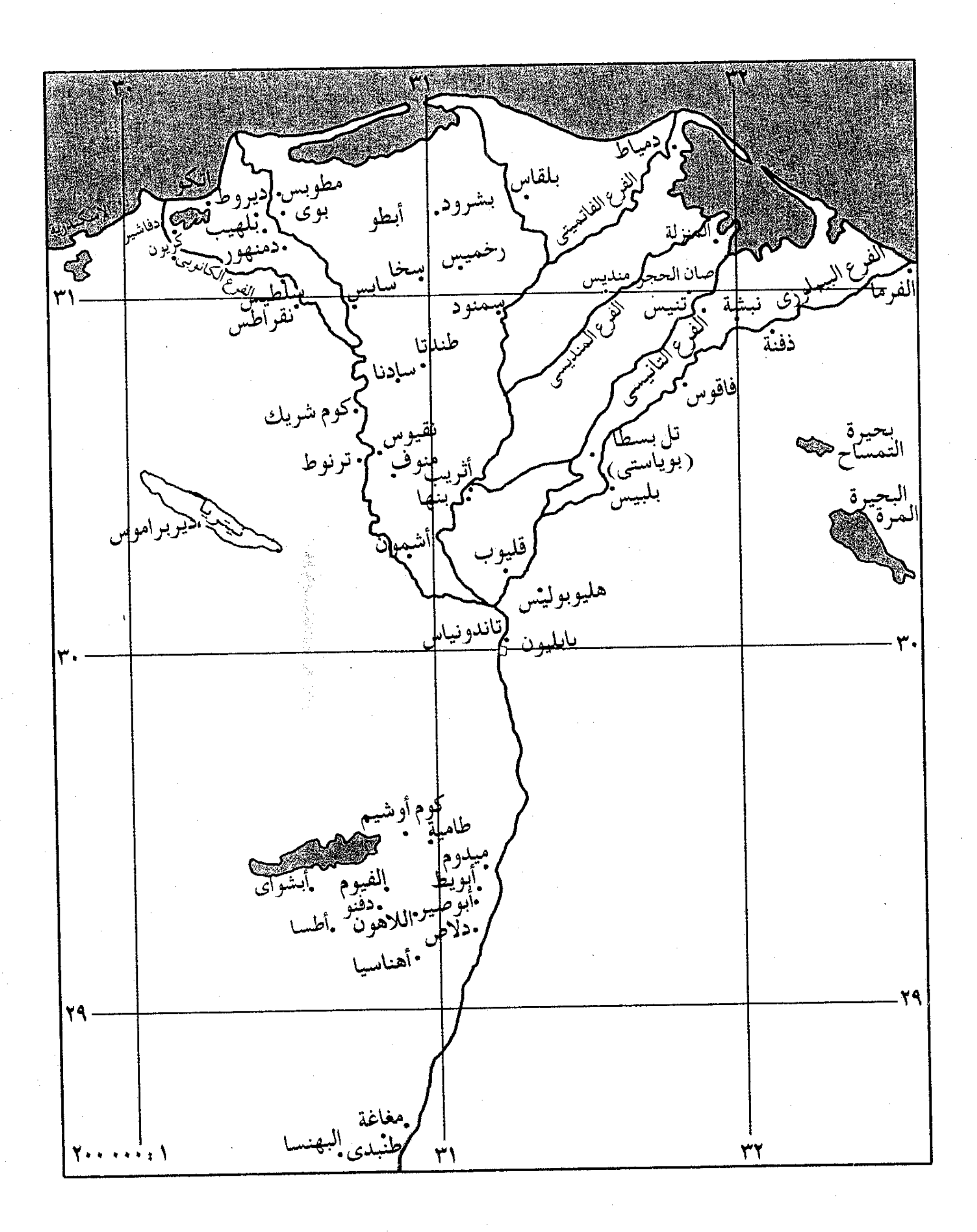
هذا فى حين اتجه حنا النقيوسى [٢] وجهة أخرى ، فذكر أنه بعد أن استولى المسلمون على تندونياس {أم دنين} هرب دومنتيانوس قائد الروم بالفيوم وجنوده بالسفن إلى نقيوس ، فسار المسلمون واستولوا على مدينة الفيوم وأبويط - يعنى أنهم بعد أن عبروا النيل من الشرق إلى الغرب اتجهوا جنوباً إلى الفيوم - ثم طلب عمرو وهو فى مدينة دلاص (بمنطقة الفيوم) السفن ليعبر المسلمون من غرب النيل إلى شرقه وأرسل إلى الوالى چورچ أن ينشىء قنطرة عند قليوب ، وبدأ الناس يعاونون المسلمين ، فاستولى عمرو على مدن أثريب ومنوف وجميع أقاليمهما ، وترك زمرة كبيرة من رجاله فى حصن بابليون وسار فى جماعة فى اتجاه الشرق نحو النهرين {لم يذكر أى نهرين يقصد} ضد القائد تيودور ، وأن الميليشيات المحلية رفضت محاربة المسلمين ، ولم يتمكن المسلمون من إيقاع أى ضرر بالمدن التى على النهرين بسبب عمق المياه التى أحاطت بهم ، فساروا نحو مقاطعة الريف ووصلوا إلى مدينة بوصير [٣] **Busir** .

---

(١) الريف أرض فيها خصب وزرع ، والجمع أرياف أو حيث يكون الخضر والمياه والزروع ، وأصل الريف فى لغة العرب موضع الزرع والشجر إلا أنه غلب بالديار المصرية على أسفل الأرض {عن تاج العروس للزبيدى} ، وقال ابن حوقل ويعرف شمالى النيل بأسفل الفسطاط بالحوف ، وجنوبيه بالريف .
ويستفاد مما ورد فى كتاب أحسن التقاسيم للمقدسى المتوفى ٣٨٠ هـ أن إقليم مصر فى أيام حكم العرب كان يشتمل على سبع كور منها الريف وقاعدته العباسة .
وكانت كورة الريف تشمل مديريات الوجه البحرى ماعدا مركزى بلبيس ومنيا القمح من مديرية الشرقية ومديرية القليوبية ثم مركز ميت غمر من مديرية الدقهلية . وكانت العباسة قاعدة لكورة الريف أى لمعظم بلاد الوجه البحرى فى حين أنها تقع فى حده الشرقى وبالقرب من بلبيس التى كانت قاعدة كورة الحوف ولكن الظاهر أن اختيار العباسة وبلبيس قاعدتين للريف والحوف أى لبلاد الوجه البحرى هو لقربهما من بلاد العرب . {القاموس الجغرافى ١ / ٦٤} .

(٢) ديوان حنا النقيوسى ١٨١ - ١٨٣ .

(٣) أسمها القبطى **Busir** وهى أبو صير ، وكانت قاعدة القسم التاسع بالوجه البحرى قديماً . وردت فى كتاب البلدان لليعقوبى أبو صير من كور بطن الريف ، ووردت فى نزهة المشتاق بوصير بين بنا وسمنود . (من محافظة الغربية) . المعجم الجغرافى ٢ / ٢ / ٦٩ .



ويذكر حنا أن عمرو بن العاص قضى اثنى عشر شهراً فى قتال المسيحيين بشمال مصر ولكنه فشل فى إخضاع مدنهم ، ثم سار أثناء الصيف إلى سخا وطوخ دمسيس ، وأن أهل دمياط رفضوه فأحرق محاصيلهم، ورجع إلى بابليون بالغنائم التى غنمها من الاسكندرية!! .

وهذه الرواية تعنى أن جيش المسلمين قد دخل الدلتا وأوغل فيها .

وهكذا نجد أن ديوان حنا قد ذهب وجهة أخرى مضطربة وغير مرتبة ولا حتى مفهومة فى عديد من المواضع ، ولم يعد أمامنا إلا المصادر العربية فى هذا الشأن .

سار المسلمون من كوم شريك فالتقوا بالروم عند سلطيس [على مسافة حوالى ٥٠ كيلو متراً] فاقتتلوا بها قتالاً شديداً حتى هزموهم ، وكان لقاؤهم التالى بالكريون [على مسافة حوالى ٤٠ كيلو متراً] فاقتتلوا بضعة عشر يوماً ، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو [١] .

وتقول رواية أن الروم والقبط قد تجمعوا لعمرو وفيهم [٢] من أهل سَخَا وبِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس وغيرهم ، وهذا يخالف الروايات الأصح أن القبط صاروا للمسلمين أعواناً . ولذلك نذهب إلى أن أهل هذه القرى قام الروم بتجنيدهم وحشرهم ليقاتلوا معهم . ونجد فى هذه الرواية ذاتها عبارة «إلا أن القبط فى ذلك يحبون الموادعة» ، وهذا يعنى أنهم حُشِدوا على غير إرادتهم ، أو أنهم خالفوا قومهم .

وفى الرواية أن عمرو هزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وأصيب عبدالله بن عمرو بجراحات كثيرة [٣] ؛ فقال «يا وردان ، لو تقهقرتَ قليلاً نصيب الروح» ، فقال وردان «الروح تريد ؟ الروح أمامك وليس هو خلفك» فتقدم عبدالله وجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه ، فقال عبدالله :

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٧ ـ رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد .

(٢) فتوح البلدان ٢٥٩ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٧ ـ حدثنا طلق بن السمح ، ويحيى بن عبدالله بن بكير ، قالا حدثنا ضمام بن إسماعيل المعافرى ، حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو . جاشت ارتفعت من حزن أو فزع [المواعظ والإعتبار ١ / ٣٠٤] .

أقول إذا ما جاشَت النفس اصبرى — فعمَّا قليلٍ تُحمدِى أوْ تُلاَمِى

ورجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فقال عمرو «هو ابنى حقاً» .

وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف [١] . وفى خبر آخر أنه صلى صلاة الخوف [٢] أيضاً بالاسكندرية ، بكل طائفة ركعة وسجدتين .

وأثخن المسلمون فى الروم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وطاردوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون لا تُرام حصن دون حصن ، فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلك ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة [٣] .

انتهينا إلى أن فتح بابليون كان يوم الجمعة ٢٩ من ذى الحجة ٢٠ هـ ٧ ديسمبر ٦٤١ م ، وتقول الروايات أن عمرو بن العاص وقف أمام الإسكندرية ثلاثة أشهر [٤] ، وأنه أقام محاصراً لها أشهراً [٥] ، وأن فتح بابليون كان قبل فتح الإسكندرية بتسعة أشهر [٦] ، وفى رواية أنه حاصرها مدة طويلة [٧] .

وتعنى هذه الروايات أن المسلمين قطعوا ما بين بابليون حتى الاسكندرية فى ستة أشهر ثم أقاموا أمامها ثلاثة أشهر ، وعلى ذلك يكون وصول المسلمين إلى الاسكندرية كان نحو ١٩ جمادى الآخرة ٢١ هـ ٢٣ مايو ٦٤٢ م ويكون فتحها قد حدث نحو ١٩ رمضان ٢١ هـ ١٩

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ حدثنا أبى عبدالله بن عبدالحكم والنضر بن عبدالجبار قالا حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن سوادة أن شيخاً حدثهم .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد .

(٤) ولاة مصر ٣٢ ـ قال سعيد بن عفير [صدوق ثقة] عن أشياخه .
فتوح البلدان ٢٥٩ قالوا .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ ـ رجع إلى حديث عثمان بن صالح [ثقة] عن ابن لهيعة . عن يزيد بن أبى حبيب [ثقة] .

(٦) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٩ .

(٧) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١٠١ ، قال ابن لهيعة .

أغسطس ٦٤٢ م ٢٦ مسرى ٣٥٨ ق . وفى «تاريخ خليفة بن خياط [١]» فى سنة إحدى وعشرين افتتحت الاسكندرية ، افتتحها عمرو بن العاص .

كانت الاسكندرية عاصمة لمصر منذ أنشأها الإسكندر الأكبر فى شتاء ٣٣٢ ـ ٣٣١ ق م عند بلدة راكوتيس **Rakotis** التى يرجع تاريخها إلى ١٥٠٠ ق م . كما أضاف ضاحية نيوبوليس **Neapolis** إلى غربها ، وقد أقامها لتحل محل **Naukratis** كمركز للثقافة اليونانية فى مصر وكقاعدة بحرية للأسطول ، وقد شغل جزيرة فاروس وأقام سوراً حول المدينة تشمل راكوتيس [٢] ، وبعد أشهر قليلة غادر مصر ولم يعد إليها إلا ليدفن فيها . وفى عصرها الرومانى صارت هى المدينة الثانية بعد روما وبقيت تحت سلطان الرومان أكثر من قرن من الزمان .

ثم نما حجم الإسكندرية وأنشأ البطالمة فيها المتحف والمكتبة [٣] التى حوت ٥٠٠٠٠٠ مجلد ، وفيها تم ترجمة التوراة [العهد القديم **Old Testament**] إلى اليونانية وصارت الاسكندرية مركزاً للتجارة بين دول أوروبا والشرق . واستمر ذلك الحال حتى دمر المتحف والمكتبة خلال الحرب الداخلية فى القرن الثالث الميلادى ، كما أحرق المسيحيون مكتبة فرعية ٣٩١ م . وأنشأ أوكتافيوس مدينته المنافسة قريباً من الرمل وأخذت أهمية خاصة فى عصرها المسيحى من ناحية الفكر اللاهوتى للحكومة . وفى ٦١٦ م استولى عليها الفرس من البيزنطيين ، واستعادها البيزنطيون حتى فتحها المسلمون عام ٢١ هـ ٦٤٢ م .

أرسل المقوقس إلى عمرو يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة [٤] ، فأبى عمرو ذلك ، لعله

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٤٧ .

(٢) مصر القديمة ١٤ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية ١ / ٤٧٩ .

وفى العهد العثمانى تم بناء مدينة تركية فى العنق بين الأرض وجزيرة فاروس ، وتحولت التجارة من الإسكندرية إلى رشيد . وفى ١٧٧٧ م صارت الإسكندرية مدينة للصيد وكان تعداد سكانها ٦٠٠٠ ، ثم تقلص حجمها وتناقصت أهميتها بسبب الحروب بين المماليك والحملة الفرنسية ١٧٩٨ . وصار تعدادها ١٢٠٠٠ فى ١٨٢٨ و ٢٣٣٠٠٠ فى ١٨٨٢ م .

(٤) فتوح البلدان ٢٥٩ ـ قالوا .

رفض لعلمه أن الاسكندرية بموقعها على شاطىء البحر مازالت متصلة بالقسطنطينية ، وأن احتمال مجىء مزيد من الأمداد إلى الروم قائم ، فلم يشأ أن يعطيهم هذه الفرصة التى تفيد الروم ولا تفيد المسلمين .

وجمع المقوقس نساء المدينة وأمرهن أن يقمن على السور مقبلات بوجوههن إلى الداخل وظهورهن إلى الخارج حتى يظهر عدد الروم أكبر فى حين أقام الرجال فى سلاحهم مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك .

فأرسل إليه عمرو يقول «إنا قد رأينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان» .

قال المقوقس لأصحابه «صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالإذعان» .

فأغلظوا له القول وأبوا إلا المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وبدأ حصارهم .

تقول الرواية :

«نزل عمرو بن العاص بحُلوة فأقام بها شهرين ثم تحول إلى المقس فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن وهاجموا المسلمين فقتلوا منهم بكنيسة الذهب اثنى عشر رجلاً [١] .

وكانت الرسل تروح وتجىء بين ملك الروم والاسكندرية فى المراكب وكان ملك الروم يقول «لئن ظهرت العرب على الاسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم» ، فإنهم خاصة بعد ضياع الشام منهم ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، فقال ملكهم «لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها» وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية ؟! فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية ليباشر قتالها بنفسه إعظاماً لها ، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم ، ثم جاءه الموت فمات وكسر الله بموته شوكة الروم ورجع جمع كثير ممن كان توجه إلى الاسكندرية .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ حدثنا هانى بن المتوكل [لا يعرف حاله] حدثنا محمد بن يحيى الاسكندرانى [ثقة] قال .

واستأسد المسلمون عند ذلك وألحوا بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالاً شديداً (١) .

كان تقدم عمرو بجيشه إلى الاسكندرية من شرقيها (٢) ، وكان تقدمه على طريق حلوة ، قصر فارس ، المقس (٣) .

الإسكندرية فى عصر الفتح :

ليس فى الإسكندرية اليوم ما يسمى «حلوة» ولم نجد فى المصادر التى رجعنا إليها شيئاً عنها ، ولكنها بحكم الترتيب المذكور تعنى أنها كانت جهة الشرق من الاسكندرية حينذاك ولعلها بالجهة التى بها الآن حى سبورتنج وحى سيدى جابر .

وكانت المقس فى غرب الاسكندرية ومكانها مازال معروفاً باسم المكس .

أما عن قصر فارس فنذهب إلى أنها بضم الراء وأن الكلمة هى «فاروس» التى ذكرها على مبارك بإسم «جزيرة فاروس (٤)» . قال :

كان طولها موازياً للساحل من ابتداء الميناء الشرقية إلى نهايتها من جهة الغرب ٣٦٠٠ متراً وعرضها ٥٠٠ متراً . وكان فى نهاية الجزيرة من جهة الشرق صخرة طولها قريب من ٢٥٠٠ متراً ، وكانت المنارة القديمة مبنية فوقها ، والبعد من وسط هذه الصخرة إلى المنارة الجديدة الآن (يوم كتب على مبارك خططه) ٣٠٣٠ متراً وكان الماء يحيط بهذه الصخرة من جميع الجهات كما ذكر استرابون ، والجزيرة الصغيرة الموجودة نحو الشمال لم تكن فى القديم إلا رأساً من الجزيرة الأصلية . وشكل الجزيرة يشبه الساق ، والثلاثة ارتفاعات ـ المرتفع كل منها بقدر عشرة أو أحد عشر متراً ـ شبه الكعب ، والسمّانه ، والركبة ، وأحدها يقع فى

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ ـ رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد .

(٢) من بلهيب كما أورد الطبرى ومن كريون كما أورد ابن عبد الحكم .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ عن رواية يحيى بن أيوب [احتج به الستة ـ توفى ١٦٨] وخالد بن حميد [لا بأس به توفى ١٩٩] .

ورواية هانى بن المتوكل حدثنا محمد بن يحيى الاسكندرانى .

(٤) الخطط التوفيقية ٧ / ٩٩ ـ ١١١ .

الشيخ الموازينى والثانية فى المدرسة والثالثة فى رأس التين والشعب الممتدة فى البحر بين برج السلسلة والجزيرة من جهة ، وبين العجمى والجزيرة من الجهة الأخرى ، فدل هذا على أن هذه الجزيرة والشعب المذكورة أصلها من الساحل وانفصلت منه بحادثة فى الأزمان العتيقة .

وكانت للاسكندرية منارة قديمة بقيت إلى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ومحلها بعد ذلك طابية قايتباى التى فى النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس . وجزيرة فاروس كانت معلومة قبل بناء الاسكندرية بستة قرون ، وكانت جسراً طوله سبع غلوات (١) (عمل أيام الروم) للوصول بين جزيرة رأس التين والمدينة وكان يتجه نحو النهاية الغربية من جزيرة رأس التين ، وكانت به فتحتان لدخول المراكب من الميناء الشرقية إلى الميناء الغربية .

ويقول الدكتور عبد الفتاح محمد وهيبة (٢) أن الحى الوطنى فى الاسكندرية القديمة كان يحتل الجزء الجنوبى الغربى من الاسكندرية اليوم وهو الذى يشغله حالياً أحياء باب سدرة ومينا البصل وكوم الشقافة ... ثم يقول «ولم تكن الاسكندرية التى حاصرها العرب غير هذا الحى الوطنى» . ولم يذكر ما الذى استند إليه فى هذا التحديد الذى لا نوافقه عليه ، فقد كانت الاسكندرية التى حاصرها عمرو بن العاص أوسع من ذلك ولها حجمها الذى رسمه فى كتابه المذكور (٣) ، وكانت تتسع حتى الحى الملكى وحى اليهود ، ونذهب إلى أن الاسكندرية التى فتحها عمرو كانت تمتد شرقاً إلى ما يشغله حالياً حى باب شرق ـ الذى ذكره ابن بطوطه باسم باب رشيد ـ وغرباً إلى ما يشغله حالياً حى مينا البصل وحى المكس ، يعنى كان امتدادها يتجاوز أربعة كيلو مترات وعرضها نحواً من ثلاثة أرباع الكيلو . وقدرها بعض الباحثين بأنها كانت نحو ٥,٥ كيلو متر طولاً و ١٤٠٠ متراً عرضاً (٤) ، وأنه كان بالحى الملكى القصور الملكية والمكتبة ودار العلوم والجمنازيوم والحكمة والسيما (٥) .

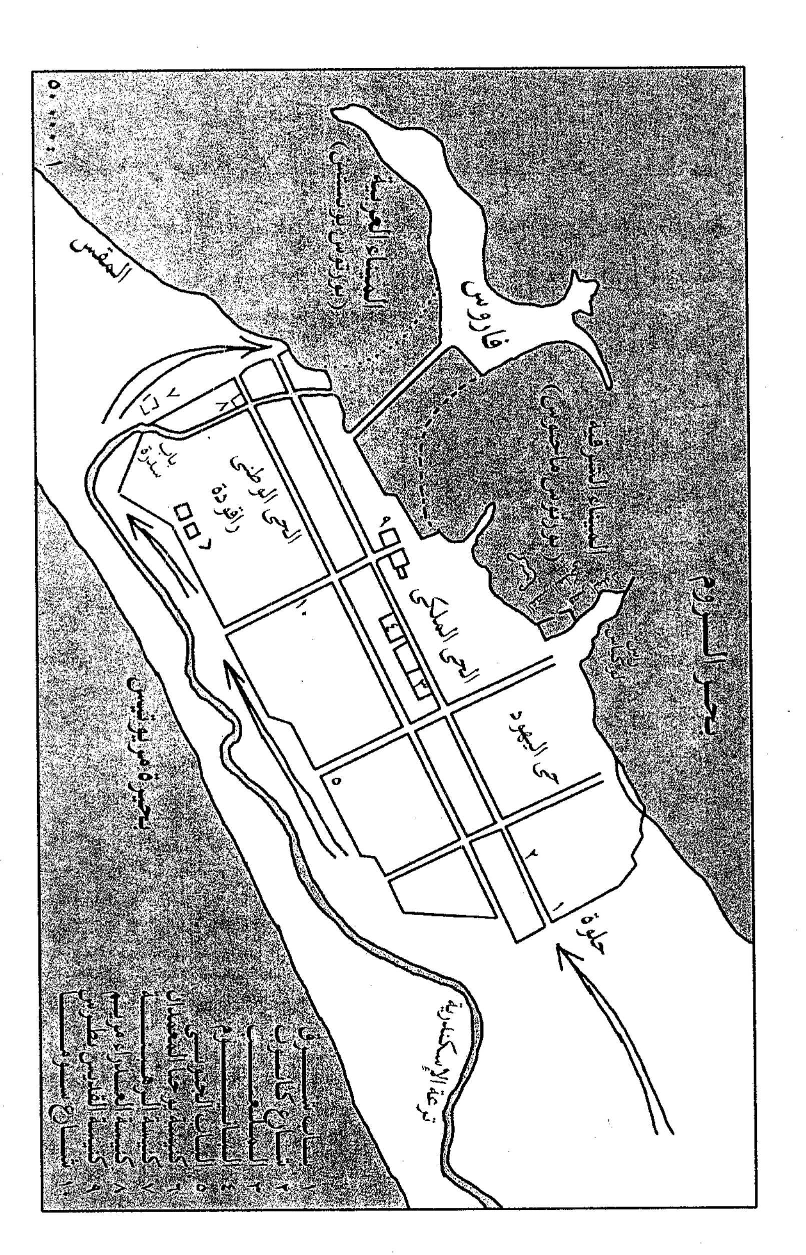
(١) الغلوة ١٤٨,٨ متراً ـ الطريق إلى المدائن .

(٢) رئيس قسم الجغرافيا جامعة الإسكندرية فى كتابه «الجغرافيا التاريخية» ٣٨٩ .

(٣) الجغرافية التاريخية ٣٨٥ .

(٤) آثار مصر القديمة ١١٣ عن مصر البطالمة لإبراهيم نصحى جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٥) آثار مصر القديمة ١١٤ .



وعن منارة الاسكندرية فقد وضع أساسها بطلميوس الأول ٢٩٧ ق م وأتمها بطلميوس الثانى ٢٨٠ ق م فى الشرق من جزيرة فاروس ، واعتبرت إحدى عجائب الدنيا السبع ، وكانت تتألف من ثلاثة أقسام أولها رباعى والثانى ثمانى والأعلى منها إسطوانى ارتفاعه نحو سبعة أمتار يعلوه المصباح ، وقد سقط هذا الجزء عام ١٨٠ هـ ٧٩٦ م [١] م أثر زلزال شديد وتكررت الزلازل تنال من المنارة رغم معاودة ترميمها ، وهى التى أنشأ مكانها بعد ذلك الأشرف قايتباى الطابية القائمة إلى اليوم .

وكان عمود السوارى [٢] فوق مرتفع من الأرض غرب المدينة وقد أقيم فى عهد دقلديانوس ٢٨٤ ـ ٣٠٥ م من الجرانيت الوردى بإرتفاع ٢٦,٨٥ م وقطره من أسفل ٢,٧٠ متراً ومن أعلى ٢,٣٠ وعليه نقش باليونانية .

كذلك كانت هناك مسلتان أقامهما تحتمس الثالث فى عين شمس ويقال أن الامبراطور أغسطس هو الذى نقلهما إلى الإسكندرية [٣] فى السنة العاشرة قبل الميلاد .

هذه النماذج من الآثار التى كانت قائمة يوم دخل عمرو بن العاص والمسلمون معه الاسكندرية لبيان ما كانت عليه المدينة من أبهة ، وأيضاً لبيان أن عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة والتابعين لم يحطم أحدٌ منهم شيئاً من ذلك ، وكذلك كان سعد بن أبى وقاص والمسلمون حين دخلوا إيوان كسرى قبل ذلك بسنوات خمس وكان يمتلىء بالتماثيل واللوحات على الجدران ، اتخذه مصلى دون أن يحرك منها شيئاً ، فلم يفعل منهم أحد ما فعلت طالبان بتمثالى بوذا فى أفغانستان عام ٢٠٠١ م .

كان هذا زمن الفتح ، ثم يصف ابن رستة [٤] أحد أسواقها فى أواخر القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادى بأنه يسير مقدار فرسخ وهى مبنية من رخام وأرضها رخام وحوائطها ، وقلَّ ما يتسخ فيها الثياب .

(١) آثار مصر القديمة ١١٤ .
(٢) آثار مصر القديمة ١١٦ .
(٣) آثار مصر القديمة ١١٨ ـ نقلت إحداهما إلى لندن ١٨٧٧ م والأخرى إلى نيويورك ١٨٨٠ م .
(٤) الأعلاق النفيسة ١١٨ .

وذكر ابن بطوطة [١] أن لمدينة الاسكندرية أربعة أبواب ، باب السدرة وإليه يشرع طريق المغرب ، وباب رشيد ، وباب البحر ، والباب الأخضر {يخرج منه الناس لزيارة القبور} .

وذكر ابن إياس الحنفى أنه كان على الاسكندرية يومئذ [٢] سبعة أسوار فتحصن الروم بها . كما قال «كانت فى غاية التحصين ، قيل كان عليها ثلاثة أسوار [٣]» .

طال وقوف المسلمين أمام مدينة الاسكندرية ، حتى قال عمر بن الخطاب [٤] «ما أبطأوا بفتحها إلا لما أحدثوا» يعنى لما أحدثوا من ذنوب . وكتب [٥] إلى عمرو بن العاص :

«أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلون منذ سنتين وماذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم بمقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم ، فإذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبة فى الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم» .

والأربعة المشار إليهم كانوا الزبير بن العوام ومقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد . وكان عمرو مستلق على ظهره ثم جلس فقال «إنى فكرت فى هذا الأمر فإذا هو لا يُصلح آخره إلا من أصلح أوله» {يريد الأنصار [٦]} .

فلما أتى عَمرواً كتاب عمر جمع الناس وقرأه عليهم ، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ويسألوه النصر ، ففعلوا ففتح الله عليهم .

---

(١) تحفة النظار وعجائب الأسفار {رحلة إبن بطوطة} ٢٢ .

(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٩٩ .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١٠١ ـ قال ابن لهيعة .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ ـ عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

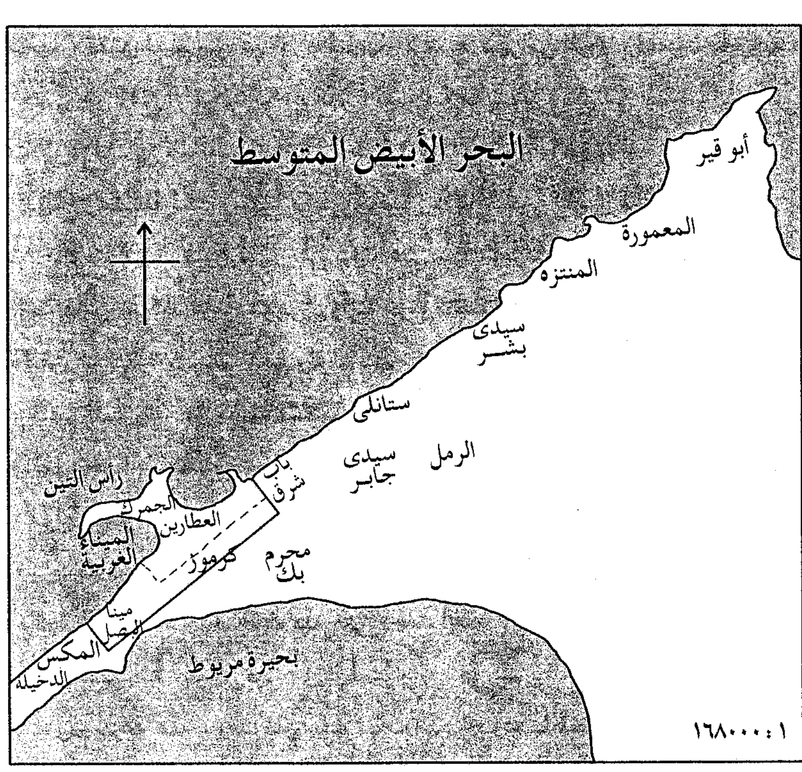
(٥) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ ـ حدثنا يحيى بن خالد ، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ٦١ ـ حدثنا أبى عبدالله بن عبدالحكم ، قال .

واستشار عمرو بن العاص مسلمة بن مخلد .

قال عمرو «أشِر علىّ فى قتال هؤلاء» .

فقال مسلمة «أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتعقد له على الناس فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيك» .



موقع الإسكندرية فى عصر الفتح من الإسكندرية ١٤٢٣هـ ٢٠٠١م

قال عمرو «ومن ذلك ؟» .

قال «عبادة بن الصامت» .

فدعا عمرو عبادة ، فأتاه وهو راكب على فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو

«عـزمت عليك لاتنزل ، فناولنى سنان رمـحك» فناوله إياه ، فنزع عـمرو عـمامـتـه عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم . فتقدم عبادة مكانه فصافّ الروم وقاتلهم [1] ففتح الله على يديه من يومهم ذاك .

حكايات :

وقد أورد ابن عبد الحكم حكاية [2] ، أن عبد العزيز بن مروان حين قدم الاسكندرية سأل عن فتحها ، فقيل له لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم ، فأمرهم فأتوه به فسأله عما حضر من فتح الإسكندرية ، فقال «كنت غلاماً شاباً وكان لى صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم فأتانى فقال ألا تذهب بنا حتى ننظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلوننا ؟ فلبس ثياب ديباج وعصابة ذهب وسيفاً محلى وركب برذوناً سمينا كثير اللحم ، وركبت أنا برذونا خفيفاً ، فخرجنا من الحصون كلها حتى برزنا على شرف {مُرْتَفَع} فرأينا قوماً فى خيام لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز ورأينا قوماً ضُعفاً فعجبنا من ضعفهم وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا ، فبينما نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام فنظر فلما رآنا حلّ فرسه فمعكه ثم مسحه ووثب على ظهره وهو عُرى ، وأخذ الرمح بيده وأقبل نحونا ، فقلت لصاحبى : هذا والله يريدنا . فلما رأيناه مقبلاً إلينا لا يريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن ، وأخذ فى طلبنا فلحق صاحبى لأن برذونه كان ثقيلاً كثير اللحم فطعنه برمحه فصرعه ثم خضخض الرمح فى جوفه حتى قتله ، ثم أقبل فى طلبى وبادرت وكان برذونى خفيف اللحم فنجوت منه حتى دخلت الحصن ، فلما دخلت الحصن أمِنْت فصعدت على سور الحصن أنظر إليه ، فإذا هو لما أيِسَ منى رجع فلم يبال بصاحبى الذى قتله ولم يرغب فى سلبه ولم ينزعه عنه ، وقد كان سلبه ثياب الديباج وعصابة من ذهب ولم يطلب دابته ولم يلتفت إلى شىء من ذلك وانصرف من طريق آخر وأنا أنظر إليه وأسمعه يتكلم بكلام ويرفع به صوته ، فظننت أنه إنما كان يقرأ بقرآن العرب ، فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا

---

(1) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ ـ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة ، توفى ٢١٩ هـ} عمن حدثه .

(2) فتوح مصر وأخبارها ٥٨ ـ قال فحدثنا هانى بن المتوكل {عمر دهراً طويلاً ولا يعرف حاله} ، حدثنا ابن لهيعة ، عن بكر بن عمرو الخولانى {توفى بعد ١٤٠ هـ ، ثقة} .

عليه وظهروا على البلاد لأنهم لايطلبون الدنيا ولا يرغبون فى شىء منها حتى بلغ خيمته فنزل عن فرسه فربطه وركز رمحه ودخل خيمته ولم يعلم بذلك أحداً من أصحابه .

فقال عبد العزيز «صف لى ذلك الرجل وهيئته وحالته» . فقال «نعم ، هو قليل دميم ليس بالتام من الرجال فى قامته ولا فى لحمه ، رقيق آدم كَوْسَج [1]» .

فقال عبد العزيز عند ذلك «إنه ليصف صفة رجل يمانى» .

حكاية :

وكان حول الإسكندرية سور ، وفى رواية أن طرفاً من الروم خرج من باب حصن الاسكندرية فحملوا على المسلمين فقتلوا رجلاً من قبيلة مهرة واحتزوا رأسه ورجعوا به إلى حصنهم ، فصار المهريون يتغضبون ويقولون «لاندفنه إلا برأسه» . فقال عمرو «تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم ! إحملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلاً ثم ارموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم» . فخرجت الروم إليهم فاقتتلوا ، فقُتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه وصارت هذه مقابل تلك ، ورموا به إلى الروم ورمت الروم إليهم رأس صاحبهم المهرى . فقال عمرو «دونكم الآن فادفنوا صاحبكم [2]» .

فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وحاصروهم ثلاثة أشهر [3] ثم أن عمرواً فتحها بالسيف وغنم ما فيها ، واستبقى أهلها ، ولم يَسْبِ وجعلهم ذمة كأهل بابليون .

حكاية :

فيما روى أنه لما حاصر المسلمون الإسكندرية [4] قال لهم صاحب المقدمة «لاتعجلوا حتى آمركم برأيى» فلما فتح الباب دخل رجلان فقُتِلا ، فبكى صاحب المقدمة ، فقيل له «لم بكيت

---

(1) الآدم الأسمر ، والكَوْسَج الذى لا شعر على عارضيه ، وقال الأصمعى هو الناقص الأسنان {لسان العرب} ونذهب إلى أن المقصود أنه لم يكن ذاهينة .

(2) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ ـ حدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب .

(3) فتوح البلدان ٢٥٩ .

(4) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة {ضعيف متروك} حدثنا ضمام بن إسماعيل {صدوق متعبد} حدثنا عياش بن عباس أنه قال . ولم يذكر من هو صاحب المقدمة والمفروض أنه فى هذا المقام كان عبدالله بن عمرو بن العاص .

وهما شهيدان ؟ » . قال « ليت أنهما شهيدان ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة عاص » وقد أمرت ألا يدخلوا حتى يأتيهم رأيى ، فدخلوا بغير إذنى .

وقال رجل لعمرو بن العاص « لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم » .

فقال عمرو « أتستطيع أن تُغْبى مقامك من الصف [1] ؟ » .

وقيل لعمرو إن العدو قد غَشَوْك ونحن نخاف على رائطة {امرأته} قال « إذن تجدون رياطاً كثيرة [2] » .

وفى معركة الإسكندرية قاتل عمرو بن العاص الروم يوماً قتالاً شديداً ، وبارز رجل من الروم مسلمة بن مُخَلَّد فصرعه الرومى وألقاه عن فرسه ، وهوى إليه ليقتله لولا أن حماه رجل من أصحابه ، وكان مسلمة لا يُقام لسبيله ولكنها مقادير ، ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على المسلمين ، وغضب عمرو بن العاص لذلك ، وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن . فقال عمرو « ما بال الرجل المُستَّه الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم ! » فغضب مسلمة ولم يراجعه .

ثم اشتد القتال حتى اقتحم المسلمون حصن الاسكندرية وقاتلوهم داخل الحصن ، ثم كرت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن إلا أربعة بقوا فى داخله وأقفل عليهم الباب ، أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة بن مخلد ـ ولم يحفظ الرواة الآخرين ـ وحالوا بينهم وبين أصحابهم ، ولاتدرى الروم من هم .

فلما رأى عمرو ذلك وأصحابه لجأوا إلى حمام من حماماتهم واعتصموا به ، وأمر الروم رومياً أن يكلمهم بالعربية ، فقال « إنكم صرتم أسارى بأيدينا فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم »

(١) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد {إمام ثقة} عن موسى بن عُلَىّ {ثقة توفى ١٦٣ بالإسكندرية} .

وتغبى مكانك من الصف يعنى تغطيه وتستره .

وهذه نماذج من صعوبة البحث أو استحالته عن حكايات رواها ضعيف متروك عن رواة ثقات ، وقد يصدق الكذاب خاصة ولا نجد هنا سبباً يدعوه إلى الكذب وهى ليست عن أحداث هامة .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٥٩ ـ قال الليث .

فامتنعوا ورفضوا . فقال لهم « إن فى أيدى أصحابكم منا رجالاً أسروهم ، ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم » . فأبوا عليهم ، ربما لم يثقوا فى صدقهم . وعاد الرومى يقول « هل لكم إلى خصلة وهى نصف فيما بيننا وبينكم ، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وامكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم » . هذا وعمرو ومسلمة وصاحباهما فى الديماس {الحمام} . فتداعوا إلى المبارزة .

فبرز رجل من الروم وثقت الروم بنجدته وشدته ، وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا . وأراد عمرو أن يخرج إليه فمنعه مسلمة وقال « ما هذا ؟ تخطىء مرتين تشذ عن أصحابك وأنت أمير ، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لايدرون ما أمرك ، ثم لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل ، فإن قُتلت كان ذلك بلاءاً على أصحابك . مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله » .

قال عمرو « دونك ، فربما فرجها الله بك » .

وبرز مسلمة والرومى فتجاولا ساعة ، ثم أعان الله مسلمة وقتل الرومى وكبر مسلمة وأصحابه ، ووفّى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، وفتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولاتدرى الروم أن أمير القوم فيهم ، حتى عرفوا بعد ذلك وأكلوا أيديهم تغيظاً على مافاتهم .

فلما خرجوا استحيى عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب ، وقال عمرو « استغفر لى ما كنت قلت لك » . فاستغفر له مَسْلَمَة. وقال عمرو « ما أفَحَشْتُ قط إلا ثلاث مرات، مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدةمنهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، ووالله إنى لأرجو ألا أعود إلى الرابعة ما بقيت [1] » .

كيف دخل المسلمون الإسكندرية :

لا تبين الروايات كيف دخل المسلمون الاسكندرية ولا من أى من جهاتها خاصة وأننا لم نصل إلى تحديد مواقع « حلوة » و « قنطرة سليمان » و « كنيسة الذهب » ، ونطمئن إلى أن

(١) فتوح مصر وأخبارها ٦٠ ـ رجع إلى حديث عثمان بن صالح {ثقة} قال حدثنى خالد بن نجيح {منكر الحديث} .

«المقس» مكانها الموقع المعروف بـ «المكس» الذى هو غربى مينا البصل من مواقع اليوم . وعلى ذلك يكون المسلمون قد جاءوا إلى الاسكندرية من شرقيها ولكن دخلوها من غربيها [1] . كما لم نقف على تفاصيل لتلك المعركة التى باشرها عبادة بن الصامت .

وهذا يختلف عما ذكر حنا النقيوسى الذى لم يذكر أى معارك . قال [2] أنه بعد موت هرقل عاد {المقوقس} البطرك سيروس من القسطنطينية إلى الاسكندرية ، ثم سار إلى المسلمين فى بابليون وقابل عمرو بن العاص يعرض عليه أداء الجزية لإقرار السلام وأنه حملها إليه فى سفينة ووضعها بين يديه ، وأن سيروس كان يريد السلام مع المسلمين وكذلك جميع الناس والنبلاء ودومنتيانوس وأن يتوقف الروم عن قتال المسلمين وألا يستولى المسلمون على كنائس النصارى ولا يتدخلون فى مصالحهم ، وأن يسمح لليهود بالبقاء فى الاسكندرية ، وأنهما اتفقا على مبلغ الجزية ، وأن من بنود الإتفاق أن تكون مهلة قدرها أحد عشر شهراً لترحل قوات الروم من الاسكندرية إلى بلادها بما حملت ، وأن سيروس رجع إلى الاسكندرية ، فقبل تيودور والقائد قسطنطين ذلك ودانوا له بالولاء . ولكنهم أخفوا أشياء عن أهل الاسكندرية مثل الجزية ومهلة الرحيل ، ولكن حين جاء المسلمون لاستلام الجزية ورآهم السكندريون تأهبوا للقتال فأوضح لهم القادة والقوات أنهم لايستطيعون الاشتباك مع المسلمين وأنه من الأولى قبول رأى سيروس ، فثار الناس ورجموا سيروس بالحجارة ، ولكنه أقنعهم أن الإتفاق لصالحهم وأنه ينقذهم وأولادهم ، فقبلوا ذلك منه .

هذه الأخبار من ديوان حنا النقيوسى ، ولو أنها تتجنب بيان معركة فتح الإسكندرية ـ باعتبار أنه لم تكن هناك معركة ـ ولكنها تخالف المقبول فى بعض مواضعها ، مثل إخفاء الإتفاق على الجزية والإقرار بها ، إذ كيف يخفونها عن من يقوم بدفعها وكذلك إخفاء مهلة

(١) الروايات التى تعنى تصريحاً أو ضمنا دخول المسلمين الإسكندرية بمعركة جاءت عن عديد من الرواة هم ، عثمان بن صالح {ثقة} عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة} ، ويحيى بن خالد {نجهله} عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه {ليسا بشىء} ، وهانى بن المتوكل {لا يعرف حاله} ، عن محمد بن يحيى الاسكندرانى {ثقة} ، وعبد الملك بن مسلمة { ضعيف متروك } حدثنا ضمام بن إسماعيل {صدوق متعبد} ، حدثنا عياش بن عباس {ثقة} ، ويحي بن أيوب {ثقة} وخالد بن حميد {لا بأس به} . وغيرهم .

(٢) ديوان حنا النقيوسى ص ١٩١ فصل ١٢٠ .

للرحيل عن الإسكندرية ، إذ كيف يخفون عنهم أنهم سيرحلون بعد أحد عشر شهراً ثم يظل هذا الإخفاء حتى تنتهى المهلة ويحين وقت الرحيل .

وعلى ذلك نأخذ بأن فتح الإسكندرية كان بمعركة تولاها عبادة بن الصامت ـ على ما فى هذا من إغفال لتفاصيل تلك المعركة ، سوى ما ورد عنها من الحكايات التى ذكرنا .

ويفتح الاسكندرية هرب من كان فيها من الروم ، منهم من هرب بحراً فى السفن وكانوا عدداً كبيراً ومنهم من هرب فى البر . ومن حيث كانت الاسكندرية مدينة مستطيلة غير عريضة بين شاطىء البحر فى شمالها وبحيرة مريوط فى جنوبها فإننا نذهب إلى أن الذين هربوا براً لم يكن أمامهم سبيل للهرب إلا من شرقيها ، بحذاء البحر ، ولم يكن لهم مأوى يأوون إليه ولا تعاطفاً من الأهالى القبط بل كانوا فى مركز غاية فى السوء ، ولم يكن جيش المسلمين ليتركهم .

خلّف عمرو ألف رجل من قواته بالاسكندرية ومضى بمن معه فى طلب من هرب . حينذاك رجع إلى الاسكندرية من كان هرب فى البحر وقتلوا من كان بها من المسلمين إلا من هرب . وعلم عمرو بن العاص بما كان فكر راجعاً بمن معه ففتحها وأقام بها .

وفى الروايات عن هذا الفتح أنه كان بواب على بعض أبواب الإسكندرية إسمه ابن بسامة سأل عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب ، فأجابه عمرو إلى ذلك وفتح له ابن بسامة باباً من ناحية قنطرة يقال لها قنطرة سليمان ، وهذا خلاف مدخله الأول الذى كان من ناحية كنيسة الذهب ، ووفى إليه عمرو بما وعد . يقول الراوى إبراهيم بن سعيد البلوى حدّث ابن عبد الحكم بهذا «وقد بقى لابن بسامة عقب بالاسكندرية إلى اليوم [1]» .

وتقول رواية أخرى [2] «قتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلاً» . ولعل هذا العدد يؤيد أن معركة فتح الاسكندرية لم تكن من المعارك الكبيرة الطاحنة التى يكثر فيها الشهداء .

(١) توفى إبن عبدالحكم ٢٥٧ هـ ٨٧١ م فلعل الراوى إبراهيم بن سعيد أن يكون عاش حتى ٢٠٠ هـ أو بعدها .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦١ . حدثنا هانى بن المتوكل {لا يعرف حاله} حدثنا ضمام بن إسماعيل المعافرى {صدوق توفى ١٨٥ هـ} .

وكان فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ [١] {يذهب يوسف بن تغرى بردى إلى أنه كان فى مستهلها} ، وتقديرنا أنه كان فى نحو ٢٩ رمضان ٢١ هـ ٢٩ أغسطس ٦٤٢ م .

الخبر فى المدينة :

كانت الاسكندرية عاصمة البلاد ، فكان فتحها من الأحداث الكبار فى فتح مصر بل فى الفتوح كلها ، وبعث عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالخبر مع معاوية بن حُدَيْج ، ولم يبعث معه رسالة مكتوبة . قال معاوية لعمرو «ألا تكتب معى ؟» قال عمرو «وما أصنع بالكتاب ؟ ألست رجلاً عربياً تبلّغ الرسالة وما رأيت وحضرت [٢] ؟!» وفى رواية أنه كتب [٣] معه رسالة .

فلما قدم معاوية على عمر وأخبره بفتح الاسكندرية خَرّ عمر ساجداً وقال «الحمد لله» .

ويَحكى معاوية بن حُدَيْج [٤] فيقول :

«بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية ، فقدمت المدينة فى الظهيرة ، فأنختُ راحلتى بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتنى شاحباً علىّ ثياب السفر ، فأتتنى فقالت : من أنت ؟

فقلت : أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص .

فانصرفت عنى ، ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها (أو على ساقيها) حتى دنت منى فقالت : قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك . فتبعتها . فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى ، فقال : ما عندك ؟

فقلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله الاسكندرية .

فخرج معى إلى المسجد . فقال للمؤذن : أذّن فى الناس الصلاة جامعة .

(١) النجوم الزاهرة ١ / ٧٥ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٢ ـ حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة .

(٣) فتوح البلدان ٢٥٩ .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٦٢ ـ حدثنا عبدالله بن يزيد المقرىء ، حدثنا موسى بن على عن أبيه أنه سمعه يقول سمعت معاوية بن حديج يقول .

فاجتمع الناس ثم قال لى : قم فأخبر أصحابك .

فقمت فأخبرتهم . ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس .

فقال : يا جارية ، هل من طعام ؟

فأتت بخبز وزيت ، فقال : كل .

فأكلت على حياء . ثم قال : كُلْ فإن المسافر يحب الطعام ، فلو كنت آكلاً لأكلت معك .

ثم قال : يا جارية هل من تمر ؟

فأتت بتمر فى طبق فقال : كُل .

فأكلت على حياء . ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيتَ المسجد ؟ .

قلت أمير المؤمنين قائل . {يعنى نائم ساعة القيلولة} .

قال : بئس ما قلت (أوبئس ما ظننت) لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية .

بعد ذلك كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب [١] «أما بعد ، فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمّام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك» .

وذكر الرواة [٢] ـ كل ما فيما روى ـ أن عمرو بن العاص وجد فى الاسكندرية اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر ، وفيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماساً ، أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس [٣] ، كل مجلس منها يسع جماعة نفر ، وكان عدة من بالاسكندرية من

(١) فتوح مصر وأخبارها ٦٢ حدثنا إبراهيم بن سعيد البلوى .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٢ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبى قبيل ، وحدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنا ابن مقلاص عن يحيى بن عبدالله بن داود قال أراه عن حيوة بن شريح ، وحدثنا هانى بن المتوكل حدثنا محمد بن سعيد الهاشمى ، وحدثنا هانى بن المتوكل عن موسى بن أيوب ورشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن حسين بن شفى بن عبيد .

(٣) نرى فى هذه الأرقام مبالغة ، كما نرى أن المبالغة فى مثل هذه الأحوال معتادة .

الروم مائتى ألف من الرجال ، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقى من بقى من الاسرى ممن بلغ الخراج، فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

وأنه رحل عن الإسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى .

وقد ذكر البلاذرى فى فتح الاسكندرية أن المقوقس صالح عمروا على ثلاثة عشر ألف دينار [١] . ومن حيث كانت الجزية دينارين عن كل نفس نرى هذا بما يعنى أنها استحقت عن ستة آلاف وخمسمائة نفس وهو رقم لايتفق وأعداد من كان بالاسكندرية من الروم .

الفسطاط :

بعد أن فتح عمرو بن العاص الاسكندرية ورأى بيوتها وبناياها مفروغاً منها همَّ أن يُسْكنها وقال مساكن كُفِينَاها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر رسولَ عمرو إليه «هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟» قال «نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل» ـ ولعل المقصود هنا موسم الفيضان ـ فكتب عمر إلى عمرو «إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف» . فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط [٢] .

كان ذلك شأن عمر مع جميع عماله ، كتب إلى سعد بن أبى وقاص [٣] وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة عتبة بن غزوان وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية «لاتجعلوا بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدِمت» . فتحول سعد بن أبى وقاص عام ١٧ هـ من مدائن كسرى إلى الكوفة ، وتحول عتبة عام ١٧ هـ أيضاً من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص عام ٢٢ هـ ٦٤٢ م ٣٥٩ ق من الاسكندرية إلى الفسطاط .

---

(١) فتوح البلدان ٢٦٠ ـ قالوا .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ ـ حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ ـ حدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب . وحدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا إبن وهب ، عن الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب .

عاد عمرو بمن معه من الاسكندرية إلى بابليون وتساءلوا أين ننزل فقالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذى تركه منذ أشهر لرحيله إلى الاسكندرية من أجل اليمام الذى وضع بيضه بأعلاه ، وكان ذلك عند الموضع الذى به دار عمرو [١] الصغرى التى تظهر على خريطتنا للفسطاط [حالياً يكون فى موقع مؤخر المسجد أو الميدان الذى خلفه فى عام ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م] . وبنى عمرو المسجد إلى الشرق من ذلك بنحو ٢٠ متراً .

كان ما حول الموقع حدائق وأعناباً ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم ، ولم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة ، وضعها عمرو وأصحاب رسول الله ﷺ ، واتخذ فى المسجد منبراً [٢] . فكتب إليه عمر بن الخطاب «أما بعد ، فإنه بلغنى أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين ، أوَ مَابحسْبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك ، فعزمت عليك لما كسرته [٣]» .

وكان أبو مسلم الغافقى صاحب رسول الله ﷺ يؤذن [٤] فى المسجد ويبخِّره .

وذكرت بعض المصادر تخطيط [٥] الفسطاط ، أزقتها ودروبها ودور أصحابها وأحياء قبائلها وحماماتها ومطابخها ... الخ . وقد أعاننا ذلك على رسم خريطة لها [٦] . واختط عمرو بن العاص داره عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها . كما وردت أخبار وحكايات عن عديد من هذه الدور . روى أن خارجة بن حذافة كان أول من بنى غرفة بمصر [٧] ، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إلى عمرو بن العاص «سلام أمابعد ، فإنه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء الله [٨] والسلام» .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ ـ كما حدثنا أبى عبدالله بن عبدالحكم وسعيد بن عفير .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ ـ كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٦٨ ـ كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن أبى تميم الجيشانى قال .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ٦٩ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير .

(٥) أهمها فتوح مصر وأخبارها والإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، والمواعظ والإعتبار .

(٦) أطلس تاريخ القاهرة ـ للمؤلف .

(٧) الغرفة العُلّيَة ـ العلياء كل مكان مشرف ، واستعلى الرجل علا ـ لسان العرب ومختار الصحاح .

(٨) فتوح مصر وأخبارها ٧٧ ـ حدثنا شعيب بن الليث وعبدالله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب .

وفى رواية أخرى «قد كان خارجة بن حذافة القرشى ثم من بنى عدى بن كعب قد بنى غرفة فأشْرَفَت فشكت جيرانه إلى عمر بن الخطاب فكتب إلى عمرو بن العاص أن انصب سريراً فى الناحية التى شكيت ثم أقم عليه رجلاً لا جسيماً ولا قصيراً فإن أشْرَفَت فسدها .

وكان خارجة قد اختط غربى المسجد بينه وبين دار ثوبان [1] قبالة الميضأة القديمة إلى أصحاب الحناء إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق .

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب «إنا قد اختططنا لك داراً [2] عند المسجد الجامع ، فكتب إليه عمر» أنَّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر !» وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين .

وسأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار [3] ، فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين ، وكتب إليه . فكتب إليه عمر «سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تُزْدَرَع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها ؟» وأجاب المقوقس «إنا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة» فكتب عمرو بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إليه «إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين ، فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولاتبعه بشىء» فكان أول من دفن فيها رجل من قبيلة معافر يقال له عامر ، فقيل عمرت .

فقال المقوقس لعمرو أنه لم يعاهده على ذلك ، فقطع عمرو لهم [4] الحد الذى بين المقبرة وبينهم .

فقبر فى هذه المقبرة من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر [5] ، عمرو بن العاص السهمى

(١) ثوبان بن بُجْدُد (أو جحدر) أبا عبدالله من حِمْيَرَ باليمن ، صحابى رسول الله ﷺ . شهد فتح مصر وابتنى بالرملة داراً وبمصر داراً وبحمص داراً توفى بها ٥٤ هـ ـ أسد الغابة .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٦٩ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة [كذاب خبيث متروك] أخبرنا ابن وهب (عبدالله) [صالح كثير العلم مات ١٩٧ أو ١٩٩] ، عن يحيى بن أزهر عن الحجاج بن شداد ، عن أبى صالح الغفارى .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١٠٨ ـ حدثنا عبدالله بن صالح [ليس بثقة] ، حدثنا الليث بن سعد .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ١٠٨ ـ حدثنا عثمان بن صالح عن ابن وهب ، عن عمارة بن عيسى .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ١٠٨ ـ حدثنا عثمان بن صالح [ثقة ، توفى ٢١٧ أو ٢١٩] عن ابن لهيعة عمن حدثه .

وعبدالله بن حذافة السهمى وعبدالله بن الحارث بن جَزْء الزبيدى وأبو بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى .

وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل ، فلما مدت الأمداد فى زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس وسّع كل قوم لبنى أبيهم حتى كثر البنيان [1] والتأم . وقد زاد طول الفسطاط بحذاء النيل عن ثلاثة كيلو مترات وعرضها ثلث ذلك .

وما جاء عن الفسطاط التى أنشأها عمرو بن العاص ثم ما زاد عليها بعد ذلك كثير التفاصيل ، وحتى لا نخرج بهذا الكتاب عن مقصده ، وتجنباً للتكرار فقد تركنا ذلك لأطلس تاريخ القاهرة .

الجيزة [2] :

واستحبت همدان ومن والاها الجيزة ، وسألهم عمرو بن العاص أن ينضموا إلى الفسطاط ، فقالوا متقدماً قدمناه فى سبيل الله ما كنا لنرحل منه إلى غيره . فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا فى خططهم وما استحبت همدان ومن والاها من النزول بالجيزة .

وجاء إلى عمرو جواب عمر «كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر لاتدرى ما يفجأهم فلعلك لاتقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابن عليهم من فىء المسلمين حصناً . وعرض عمرو ذلك عليهم فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها ، وأحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو حصناً ، تقول الرواية «فى سنة إحدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنين وعشرين» . فنزلت يافع الجيزة ، فيها مبرح بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم أبو شمر بن أبرهة وطائفة من الحجر منهم علقمة بن جنادة أحد بنى مالك بن الحجر ، وكانت منهم طائفة قد اختطوا بالفسطاط أسفل من عَقَبة تنوخ .

(١) فتوح مصر وأخبارها ٩١ ـ حدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ٩١ ـ حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، وإبن هبيرة يزيد أحدهما على صاحبه .

فتوح مصر وأخبارها ٩٢ ـ قال غير ابن لهيعة من مشايخ أهل مصر .

ونقدر لذلك كتاب عمرو إلى عمر فى شهر جمادى الأولى ٢٢ هـ مارس ٦٤٣ م وكتاب عمر إلى عمرو فى شهر جمادى الأولى ٢٢ هـ إبريل ٦٤٣ م .

عروس النيل :

فى رواية أنه لما فتح عمرو بن العاص مصر ، أتى أهلها إليه [1] حين دخل شهر بؤونة ـ ونذهب إلى أنه من عام ٣٥٩ القبطى ، يوافق شهر رجب ٢٢ هـ ـ مايو ٦٤٣ ـ أتى أهلها إلى عمرو بن العاص فقالوا له «أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنّة لا يجرى إلا بها» . فقال لهم «وما ذاك ؟» قالوا «إنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل» .

فرفض عمرو وقال لهم «إن هذا لايكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله» . فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى (يعنى حتى شهر أغسطس) والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء . فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر «قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى» .

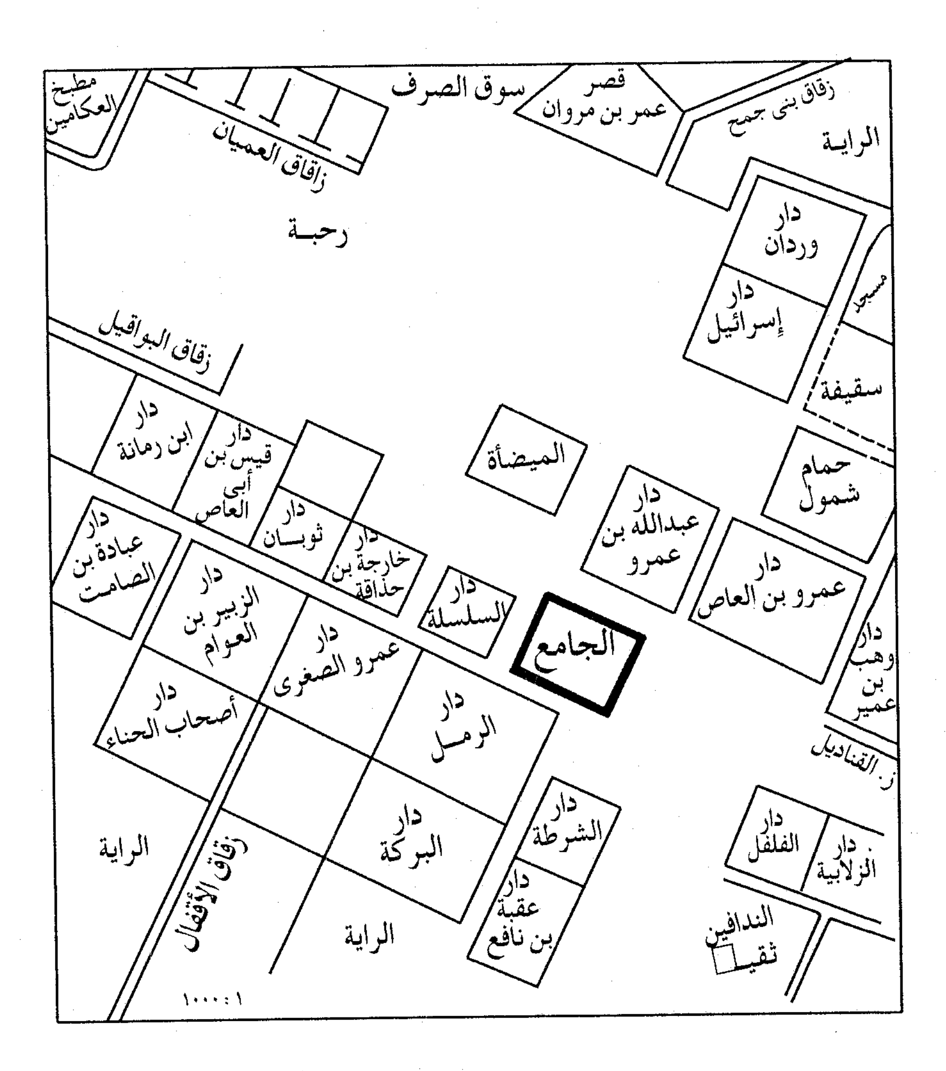
وفتح عمرو البطاقة فإذا فيها «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنتَ تجرى من قِبَلِك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» .

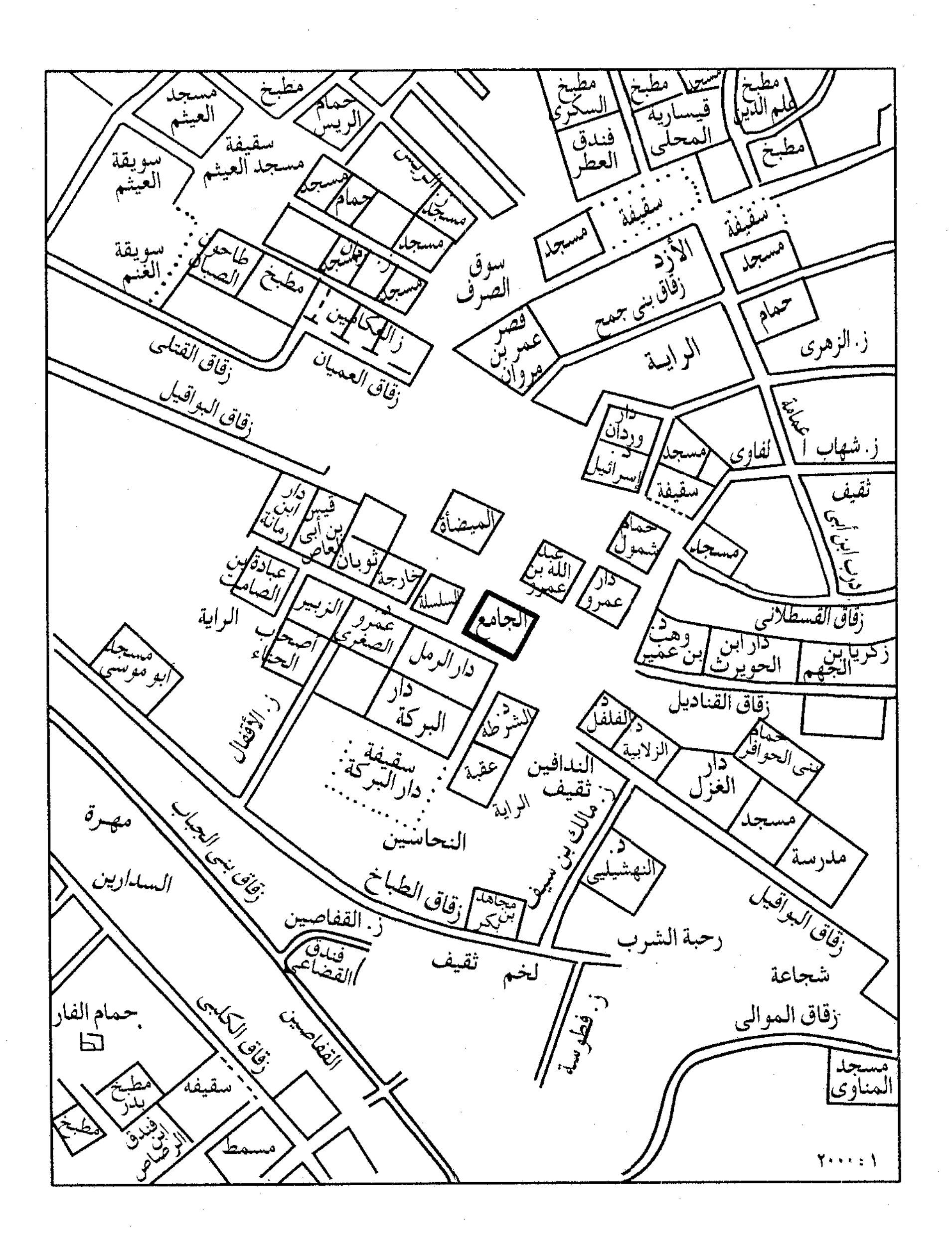
فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه عماد البلاد ولا تقوم مصالحهم إلا به ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً فى ليلة .

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٠٤ ـ حدثنا (عثمان) بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدثه .
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ٢٠٧ ـ حدثنا أبو ياسر مسافر بن عبدالله الأنصارى ، قال حدثنا يوسف بن على ، قال حدثنا المأمون ، قال حدثنا محمد بن خلف قال أخبرنا أبو صالح عن ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، قال .

وعيد الصليب سابع عشر توت [1] (ونذهب إلى أنه عام ٣٦٠ ق) ويكون ٢٧ شوال ٢٢ هـ ١٥ سبتمبر ٦٤٣ م .

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ١١١ .
أحسن التقاسيم ٢٠٦ ـ أن شهر توت وقت عيد الصليب .


مطبخ العكامين
سوق الصرف
قصر عمر بن مروان
زقاق بني جمح
الرايـة
زقاق العميان
رحبـة
دار وردان
دار إسرائيل
مسجد
سقيفة
زقاق البواقيل
دار ابن رمانة
دار قيس بن أبي العاص
دار ثوبـان
دار خارجة بن حذافة
الميضأة
دار عبدالله بن عمرو
حمام شمول
دار عمرو بن العاص
دار عبادة بن الصامت
دار الزبير بن العوام
دار عمرو الصغرى
دار السلسلة
الجامع
دار وهب بن عمير
دار أصحاب الحناء
دار الرمـل
ز. القناديل
الراية
زقاق الأقفال
دار البركة
دار الشرطة
دار عقبة بن نافع
دار الفلفل
دار الزلابية
الراية
النداقين
ثقيـ
١ : ١٠٠٠


مسجد العيثم
مطبخ
حمام الريس
مطبخ السكري
مطبخ
قيسارية المحلي
مطبخ علم الدين
فندق العطر
مطبخ
سويقة العيثم
سقيفة مسجد العيثم
مسجد
حمام
مسجد
سقيفة
سقيفة
مسجد
الأزد
زقاق بني جمح
مسجد
سويقة الغنم
طاحون الصابي
مطبخ
سوق الصرف
حمام
ز. الزهري
ز. العكامين
قصر عمر بن مروان
الرايـة
زقاق القتلى
زقاق العميان
زقاق البواقيل
دار وردان
دار إسرائيل
مسجد
سقيفة
ز. شهاب
ثقيف
دار ابن رمانة
قيس بن أبي العاص
ثوبان
خارجة
الميضأة
حمام شمول
مسجد
عبادة بن الصامت
السلسلة
الجامع
عبد الله بن عمرو
دار عمرو
زقاق القسطلاني
الراية
الزبير
عمرو الصغرى
أصحاب الحناء
دار الرمل
وهب بن عمير
دار ابن الحويرث
زكريا بن الجهم
مسجد أبو موسى
زقاق القناديل
ز. الأقفال
دار البركة
الشرطة
د. الفلفل
د. الزلابية
حمام بني الحوافر
عقبة
سقيفة دار البركة
النداقين ثقيف
الراية
دار الغزل
مسجد
مهرة
النحاسين
مالك بن سيف
د. النهشيلي
مدرسة
زقاق بني الجباب
السدارين
زقاق الطباخ
مجاهد بن بكر
زقاق البواقيل
ز. القفاصين
رحبة الشرب
فندق القضاعي
ثقيف
لخم
شجاعة
حمام الفار
زقاق الكلبي
ز. فطوسة
زقاق الموالي
القفاصين
مطبخ بدر
سقيفه
مسجد المناوي
مطبخ
ابن فندق الرصاص
مسمط
١ : ٢٠٠٠

الباب التاسع

منشورات

فتح الفيوم :

فى رواية عن ابن عبد الحكم قال [1] «فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التى حولها فأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم ...» . ولم يذكر المقصود هنا بقوله (لما تم الفتح) أىّ فتح ؟ هل يقصد فتح بابليون أو فتح الاسكندرية أو فتح صعيد مصر ؟ ونراها ـ استنتاجاً ـ أنها كانت بعد فتح الاسكندرية بعام لأنه قبل الاسكندرية يصعب أن يقال «تم الفتح» ونقدرها أنها كانت فى شوال ٢٢ هـ أغسطس ٦٤٣ م .

ونجد هنا أكثر من رواية .

تقول أولها أن عمرو بن العاص أرسل عمرو بن ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى ، فلما سلكوا فى المجابة (الفيافى) لم يروا شيئاً فهموا بالانصراف ، فقالوا لا تعجلوا ، سيروا فإن كان كذب فما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم .

ليست الفيوم على النيل وإنما هى أقرب إلى أن تكون واحة فى الصحراء وهذا يتفق مع قوله (سلكوا المجابة) .

وتقول رواية أخرى «بل خرج مالك بن ناعمة الصدفى ـ وهو صاحب الأشقر ـ على فرسه ينفض المجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم ، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره بذلك . ونرى ذلك أضعف من القول الأول فما الذى دعا مالكاً أن يدخل فى صحراء لايبدو ابتداءً أن وراءها شيئاً .

ورواية ثالثة أن عمرو بن العاص بعث قيس بن الحارث إلى الصعيد فسار حتى أتى القيس

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١٥ ـ حدثنا سعيد بن عفير [٢٢٦ ، ثقة] وغيره .

فنزل بها ، وبه سميت القيس ، فراث على عمرو خبره ، فكفاه ربيعة بن حبيش وركب فرسه وأجاز عليه البحر (عبر النيل) فأتاه بالخبر .

ثم بعث عمرو ، نافع بن عبد القيس الفهرى (وكان أخا العاص بن وائل لأمه) فدخلت خيولهم أرض النوبة صوائف كصوائف الروم .

بينما يذهب البلاذرى (١) أن عمرو بن العاص بعد أن فتح الفسطاط وجه عبدالله بن حذافة السهمى إلى عين شمس فغلب على أرضها وصالح قراها على مثل حكم الفسطاط ، ووجه خارجة بن حذافة العدوى إلى الفيوم والأشمونين وإخميم والبشرودات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك .

ووجه عُمير بن عامر الجُهنى (أو وردان) إلى سائر قرى أسفل الأرض ، ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو فتح مصر وصارت أرضها أرض خراج .

خليج أمير المؤمنين :

جاء على المسلمين بالمدينة عام عرف بعام الرمادة {يعنى المجاعة} ، فأصاب الناس جَهْد شديد ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص (٢) «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص . سلام ، أما بعد . فلعمرى يا عمرو ما تبالى إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فياغوثاه ثم ياغوثاه» .

فكتب إليه عمرو

«لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص . أما بعد ، فيالبيك ثم يالبيك . قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله» .

وبعث إليه بِعيرٍ عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً . فلما قدمت على عمر وسّع بها على الناس ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وماحولها بعيراً بما عليه من

(١) فتوح البلدان ٢٥٤ ـ حدثنى أبو أيوب الرقى ، حدثنى عبد الغفار الحرّانى {ثقة} عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب {ثقة} ١٢٨ هـ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ١١٢ ـ حدثنا عبدالله بن صالح أو غيره عن الليث بن سعد .
فتوح البلدان ٢٥٣ حدثنى أبو أيوب الرقى ، عن عبد الغفار (بن الحكم الأموى) عن ابن لهيعة .

الطعام ، وبعث عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بَعيراً بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا الطعام وينحروا البعير فيأكلوا لحمه ويأتدموا شحمه ويحتذوا جلده وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف أو غيره ، فوسع الله بذلك على الناس .

وجاء رجل من قبط مصر (١) إلى عمرو بن العاص فقال «أرأيتَ إن دَلَلْتُك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى إلى مكة والمدينة أتضعُ عنى الجزية وعن أهل بيتى ؟» قال «نعم» . فكتب عمرو إلى عمر فأجابه أن افعل ، فدل الرجل عمرو بن العاص عن موضع الخليج . وكتب عمر إلى عمرو أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر ، فقدموا عليه . وقال عمر لعمرو انطلق أنت وأصحابك فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم . فانطلق عمرو فأخبر بذلك من كان معه من أهل مصر فثقل عليهم وقالوا نرى أن تعظّم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له أن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلاً ، فرجع عمرو إلى عمر فضحك عمر حين رآه . وقال «والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إليك ياعمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا : يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر فنرى أن تعظّم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له : إن هذا الأمر لايعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلاً» .

فعجب عمرو من قول عمر وقال صدقت والله يا أمير المؤمنين لقد كان الأمر على ما ذكرت . فقال له عمر انطلق ياعمرو بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ، ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله .

فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفَعَلَة ما بلغ منه ما أراد ثم حفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى عُرِف بخليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القلزم (جهة السويس) ، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد من الطعام ،

وذكر بعض الرواه أن عمر بن الخطاب ابتداءً طلب من عمرو أن يحفر الخليج ، ونستبعد

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١٣ ـ حدثنا أبى عبدالله بن الحكم ، حدثنا سفيان بن عينية عن ابن أبى نجيح عن أبيه .

ذلك فإن عمرو بن العاص كان أدرى من عمر بجغرافية مصر وبإمكان حفر الخليج ، وقد كان الخليج قديماً وأُهمل حتى غلب عليه الرمل ومن هنا كان القبطى الذى ذكر خبره لعمرو يعرفه .

وفى رواية أن [1] عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص «يا عمرو ، إن العرب قد تشاءمت بى وكادت تهلك على رجلى وقد عرفت الذى أصابها وليس جند من الأجناد أرجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك ، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله» .

فقال عمرو «ما شئت يا أمير المؤمنين ، قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن التجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واسْتَدَّ وتركته التجار ، فإن شئت أن نحفره وننشىء فيه سفنا يحمل فيه الطعام إلى الحجاز فعلته» . فقال له عمر «نعم ، فافعل» .

فلما خرج عمرو من عند عمر ذكر ذلك لرؤساء أرضه من قبط مصر ، فقالوا له «ماذا جئت به أصلح الله الأمير ؟ تنطلق فتخرج طعام أرضك وخصبها إلى الحجاز وتخرب هذا ؟! فإن استطعت فاستثقل ذلك . فلما ودع عمر بن الخطاب عمرو بن العاص قال له «يا عمرو أنظر إلى ذلك الخليج فلا تنسَيَنّ حفره» . قال عمرو «يا أمير المؤمنين إنه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظام» . فقال له عمر «أما والذى نفسى بيده إنى لأظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك ، أعزم عليك لَمَا حفرته وجعلت فيه سفناً» . فقال عمرو «يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفّوا إلى الجهاد» قال عمر «فإنى سأجعل من ذلك أمراً لا يحمل فى هذا البحر إلا رزق أهل المدينة وأهل مكة» . فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن .

وعند الذين قالوا أن ذلك الحوار كان بالمكاتبة أن عمر كتب إلى عمرو «إلى العاص بن العاص ، فقد بلغنى كتابك تعتل فى الذى كنت كتبت إلىّ به من أمر البحر ، وأيم الله لتفعلن أو لأَقْلَعَنّك بأذنك أو لأبعثن من يفعل ذلك» ، فعرف عمرو أنه الجد من عمر ، ففعل ـ فبعث

(1) فتوح مصر وأخبارها ١١٢ ـ حدثنا أخى عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم ، حدثنا عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة، عن محمد بن عبدالرحمن ، حسبته عن عروة .

إليه عمر أن لاتدع بمصر شيئاً من طعامها وكسوتها وبصلها وعدسها وخلها إلا بعثت إلينا منه .

فلما قدمت السفن الجار خرج عمر حاجاً أو معتمراً فقال للناس «سيروا بنا ننظر إلى السفن التى سيّرها الله إلينا من أرض فرعون حتى أتتنا» . فقال رجل من بنى ضمرة : فأفردنى السير معه فى سبعة نفر فآوانا الليل إلى خيمة أعراب فإذا ببرمة تغطى على النار . فقال عمر «هل من طعام ؟» فقالوا «لا إلا لحم ظبى أصبناه بالأمس» فقربوه فأكل منه وهو مُحرِم» .

وقد ذكر البلاذرى الجَهْد الذى كان فيه أهل المدينة وَأَمْره عمرو بن العاص أن يحمل ما يفيض من طعام مصر إلى المدينة فى البحر أنه كان عام ٢١ هـ ، ولكننا نرى أن عَمْراً لم يكن ليستطيع حفر الخليج بين الفسطاط والسويس إلا وقد وضع يده على مصر واستتب له أمرها ، ولذلك نذهب إلى أن حفر خليج أمير المؤمنين كان عام ٢٣ هـ ٦٤٤ م . ويؤيد هذا أن الزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص كانا فى المدينة فيمن بعثهم عمر لقسمة الطعام الذى جاء من مصر على الناس ، وكانا قد شاركا فى فتح مصر قبل ذلك .

كما يلفت الانتباه ما كان بين عمرو وقبط مصر من العلاقة الطيبة ، فهو حين طلب منه عمر أن يحفر الخليج رجع إليهم فأخبرهم بما قال عمر ، ثم لما طلبوا إليه أن يرجع إلى عمر فيصعّب عليه الأمر أخذ برأيهم ورجع إليه ، فهى صورة من حسن العشرة وحسن العلاقة بينهم .

وعن هذا الخليج يقول سليم حسن [1] :

من المحتمل أن الإمبراطور «تراجان» الرومانى بعد انتهاء حرب «داسيس» شرع فى فتح بلاد العرب السعيدة وأرمينيا وبلاد ما بين النهرين «العراق» وقد رأى أنه من الأمور الحربية الهامة لديه أن يعيد إنشاء طريق مواصلات بحرية بين البحر الأبيض المتوسط و «مصر» والبحر الأحمر وبذلك توجد طريق إلى الخليج الفارسى . غير أن هذا الامبراطور توفى حوالى عام ١١٧ م . ومما يلفت النظر بصفة خاصة أن نقرأ فيما كتبه مؤرخو العرب خصوصاً المقريزى

(1) موسوعة مصر القديمة ـ ١٣ / ٧٣٧ .

أن الإمبراطور هدريان ربيب تراجان وخليفته هو الذى أتم القناة التى بدأها تراجان ، وأن هدريان هو الذى أعاد حفر هذه القناة التى تصب فى بحر القلزم (البحر الأحمر) .

وقد حدثنا كل من الجغرافى «بطلميوس» وكتاب العرب عن العمل الذى قام به كل من «تراجان» و «هدريان» فنفهم مما كتباه أن انحدار مجرى القناة فى زمنهما كان ضعيفاً عند «بو بسطة» ومن نقطة تقع ما بين «عين شمس» و «بو بسطة» حتى «القلزم» الواقعة على البحر الأحمر مما سبب صعوبة الملاحة ، ومن ثم نفهم أن ما قام به هذان العاهلان كان ينحصر فى حفر القناة من جديد بصورة جدية أو إنشاء قناة جديدة تحمل المياه من النيل من عند «بابليون» .

وتدل الوثائق التى وصلت إلينا من كتاب العرب على أن «عمرو بن العاص» هو الذى قام بإصلاح القناة ثانية حتى جعلها صالحة للملاحة .

روى «القضاعى» أن «عمر بن الخطاب» أمر «عمرو بن العاص» بحفر القناة التى تسمى قناة «أمير المؤمنين» وهى التى تخرج من عند «الفسطاط» وقد أنجز حفرها فى أقل من سنة .

أما «الكندى» فيقول أن هذه القناة كانت قد حفرت فى عام ٦٤٣ ـ ٦٤٤ وانتهت فى ستة أشهر .

ولم يكن حفر القناة بالعمل الشاق إذ كان مجرد تطهير دون إحداث تغيير أو إصلاح فى مجراها الأصلى ... أ . هـ .

ولقد كانت فلاحة الأرض وقفاً على المصريين [1] ، فمن غير المتصور أن حفر أو تطهير الخليج قد تم بسواعد جيش المسلمين وإنما التصور الوحيد لذلك أنه اعتمد على سواعد أهل مصر ، فكان من التعاون الذى قدمه قبط مصر للمسلمين .

ولدتهم أمهاتهم أحراراً :

أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب لشكاية .

قال «يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم» .

(١) موسوعة مصر القديمة ـ ١٤ / خ .

وهزت كلمة الظلم عمر من أعماقه فقال «عُذْتَ مُعَاذاً» .

قال المصرى «سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربنى بالسوط (!) ويقول أنا ابن الأكرمين» .

فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه وأن يقدم بابنه معه ، فقدم [1] عمرو وابنه من الفسطاط إلى المدينة . لم تذكر الرواية اسم هذا الابن ولكن كان لعمرو ابنان هما عبدالله ومحمد ، عبدالله كان من صلحاء الصحابة وعلمائهم وكان كبير السن يصغر أباه بثلاثة عشر عاماً . ونذهب إلى أن صاحب هذه الواقعة يكون محمد بن عمرو بن العاص ، صحب النبى ﷺ وهو صغير وكان حدثاً حين توفى رسول الله ﷺ ولا نجد له ذكراً فى أحداث فتح مصر ، ثم شهد صفين مع أبيه ـ ولا عقب له ـ ولم يشارك فيها أخوه عبدالله . وقد استشار عمرو ولديه فى قتال صفين فأشار عبدالله بأن ينتظر حتى ينظر ما يستقر عليه الحال ، فى حين قال محمد «أنت فارس أبيات العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه ذكر» . قال عمرو لعبدالله «أشرت علىّ بما هو خير لى فى آخرتى» وقال لمحمد «أشرت علىّ بما هو أنبه لى فى دنياى [2]» .

محمد بن عمرو أمه بلوية (من قبيلة بلى) إسمها خَوْلَة بنت حمزة بن السليل . لم نجدها فى الصحابيات . وقد يفسر لنا هذا سبب أنه كان لعمرو داران بالفسطاط ، دار عمرو الكبرى شرقى المسجد لامرأته رائطة والدار الثانية وهى دار عمرو الصغرى غربى المسجد لتكون لخولة .

جاء عمرو إلى المدينة ومعه ابنه ، واستدعى عمر المصرى وأعطاه سوطاً وأمره أن يضرب ابن عمرو ، فصار يضربه بالسوط وعمر يقول له «أضرب ابن الأليمين» . يقول أنس وكان من شهود هذا المشهد «فو الله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه» .

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١٤ ـ كما حدثنا (أسد بن موسى ٢١٢) حدثنا أبى عبده عن ثابت البنانى {بن أسلم ، ثقة توفى ١٢٧} ، وحميد (الطويل) {ثقة توفى ١٤٠ ـ ١٤٣ هـ} عن أنس .

(٢) الإصابة ٣ / ٣٦١ ـ الإستيعاب ٣ / ٣٢٥ ـ أسد الغابة .

ثم قال عمر للمصرى «ضع على صلعة عمرو» .

قال المصرى «يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى وقد اشتفيت منه» .

قال عمر لعمرو «مُذكَم تعبَّدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!!» . قال «يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى» .

خطب عمر بن الخطاب الناس [١] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، أنه قد أتى علىّ زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده وقد خيّل إلىّ بآخره أنه قد قرأه أقوام يريدون به الدنيا ويريدون به الناس ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم ، ألا إنما كنا نعرفكم إذ ينزل الوحى وإذ رسول الله ﷺ بين أظهرنا وإذ ينبئنا الله من أخباركم ، فقد انقطع الوحى وذهب النبى ﷺ ، فإنما نعرفكم بما نقول لكم الآن . من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شرا ظننا منه شراً وأبغضناه عليه . سرائركم بينكم وبين ربكم . ألا أنى إنما أبعث عمالى ليعلموكم دينكم ويعلموكم سننكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ولا يأخذوا أموالكم . ألا فمن أتى إليه شىء من ذلك فليرفعه إلىّ ، فو الذى نفس عمر بيده لأقُصَّنه منه» .

فقام عمرو بن العاص فقال «أرأيت يا أمير المؤمنين إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيته فأدب رجلاً من رعيته أنك لَمقصّه منه ؟» .

قال «نعم والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه . ألا أقصه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه !! ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تجمروا بهم فتفتنوهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم» .

وفى تقديرنا أن المصرى وصل إلى المدينة يستعيذ بعمر من عمرو فى نحو ٨ جمادى الأولى ٢٣ هـ ٢٠ مارس ٦٤٤ م وأن عمرو وصلها بناء على استدعاء عمر فى نحو ١٣ جمادى الآخرة ٢٣ هـ ٢٤ أبريل ٦٤٤ م ، ثم رجع وابنه إلى الفسطاط فبلغاها فى نحو ٥ رجب ٢٣ هـ ١٥ مايو ٦٤٤ م .

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١٤ حدثنا أسد بن موسى [ثقة توفى ٢١٢ هـ] ، حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى فراس .

إستبطاء الخراج :

استبطأ عمر بن الخطاب خراج مصر من عمرو بن العاص فكتب إليه [١] :

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عدداً وجلداً وقوة فى بر وبحر ، وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب . ولقد أكثرت فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك ، فإذا أنت تأتينى بمعاريض تغتالها لاتوافق الذى فى نفسى ولست قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، ولست أدرى مع ذلك ما الذى أنفرك من كتابى وقبضك ، فلئن كنت مجزءاً كافئاً صحيحاً ان البراءة لنافعة وإن كنت مضيعاً نطفا أن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت أن أبتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق فترفع إلى ذلك ، وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك عمال السوء وما توالس عليه وتلفف اتخذوك كهفاً ، وعندى بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك عنه فلا تجزع أبا عبدالله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه ، فإن النهز يخرج الدر والحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج فإنه قد برح الخفاء ، والسلام» .

فكتب إليه عمرو بن العاص .

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٠٩ ـ حدثنا عبدالله بن صالح عن الليث بن سعد .

المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى وإعجابه من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام . ولعمرى للخراج يومئذ أوفر وأكثر والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام . وذكرت أن النهز يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع ذلك درها ، وأكثرت فى كتابك وأنبت وعرضت وثربت وعلمت أن ذلك عن شىء تخفيه على غير خبر فجئت ـ لعمرى ـ بالمفظعات المقذعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق .

وقد عملنا لرسول الله ﷺ ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا نرى غير ذلك قبيحاً والعمل به سيئاً فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والإجتراء على كل مأثم ، فأقبض عملك فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أخا ، والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك منى أشد لنفسى غضباً ولها إنزاها وأكراماً وما علمت من عمل أرى على فيه متعلقاً ولكنى حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب مازدت ، يغفر الله لك ولنا . وسكت عن أشياء كنت بها عالماً وكان اللسان بها منى ذلولاً ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل ، والسلام» .

فكتب إليه عمر بن الخطاب [1] .

«من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج وكتابك إلىّ ببنيات الطرق ، وقد علمتَ أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طُعْمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ، فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فإنما هو فىء المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون . والسلام» .

فكتب إليه عمرو بن العاص ،

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١٠ ـ كما وجدت فى كتاب أعطانيه يحيى بن عبد الله بن بكير عن عبيدالله بن أبى جعفر ، عن أبى مرزوق التجيبى ، عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص .

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد .

فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم أنى أعند عن الحق وأنكب عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن يُخْرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه . والسلام» .

وأراد عمر أن ينهى ذلك الحوار فى الرسائل فكتب إلى عمرو أن يبعث [1] إليه رجلاً من أهل مصر ، فبعث إليه رجلاً قديماً من القبط فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام . فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شىء إلا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العمارة وإنما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريدها إلا لعام واحد» ، فعرف عمر ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به .

خراج مصر :

فيما ذكر ابن عبد الحكم أن عمراً جبى خراج مصر [2] اثنى عشر ألف ألف (١٢٠٠٠٠٠٠) وجباها المقوقس [3] قبله بسنة عشرين ألف ألف (٢٠٠٠٠٠٠٠) ولذلك كتب إليه عمر بما كتب .

وجباها عبدالله بن سعد ـ بعد عمرو بن العاص ـ حين استعمله عليها عثمان بن عفان أربعة عشر ألف ألف (١٤٠٠٠٠٠٠) فقال عثمان لعمرو «يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول» قال عمرو «أضررتم بولدها [4]» أو قال «ذلك أن لم يمت الفصيل [5]» .

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ وفى كتاب ابن بكير الذى أعطانى عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال .
(٢) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ حدثنا عبدالله بن صالح (قال أحمد كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشىء وقال النسائى ليس بثقة) ، عن الليث بن سعد .
(٣) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ قال غير الليث .
(٤) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ قال الليث .
(٥) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ قال غير الليث .

أمـا عند البـلاذرى [1] أن عـمـرو بن العـاص جـبى خـراج مـصـر وجـزيتـهـا ألفى ألف (٢٠٠٠٠٠٠) وأن عبدالله بن سعد بن أبى سرح جباها أربعة آلاف ألف (٤٠٠٠٠٠٠) فقال عثمان لعمرو «أن اللقاح بمصر بعدك قد دَرَّت ألبانها» قال «ذاك لأنكم أعجفتم أولادها» .

وكـتب عـمـر بن الخطاب إلى عـمـرو بن العـاص أن يسـأل المقـوقس عن مـصـر من أين تأتى عمارتها وخرابها ؟ فسأله عمرو

فقال المقوقس «تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة [2] :

أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ،

ويرفع خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ،

وتُحفر فى كل سنة خُلُجِها ،

وتسد ترعها وجسورها ،

ولا يقبل مُحل أهلها ، يريد البغى ،

فإذا فعل هذا عمرت وإن عمل فيها بخلافه خربت» .

نهى الجند عن الزرع :

خـرج المسلـمـون من صـحـراء شبـه الجـزيرة إلى العـراق وإلى مـصـر وهى بلاد تخـتـلف فى طبيعتـهـا عن تلك ، بلاد العرب صحراء أما العراق ومصر فبلاد تجرى فيـهـمـا الأنهار وتزدهر فيـهـمـا الزراعـة ، فكأنما خـاف عـمـر عـلى المسلمين أن يتـحـولوا من الجـهـاد إلى الزرع ، فـأمـر مناديه [3] أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قـائم وأن رزق عيـالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون .

---

(١) فتوح البلدان ٢٥٣ ـ حدثنى أبو أيوب الرقى ، عن عبدالغفار (بن الحكم الأموى ، ثقة ٢١٧ هـ) عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ حدثنا هشام بن اسحق العامرى ، قال .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، عن ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن عبدالله بن هبيرة .

ولكن شريك بن سُمَىّ الغطيفى شكا أن ما يصرف إليه لا يكفيه وقال لعمرو [1] «إنكم لا تعطونا ما يحسبنا أفتأذن لى بالزرع ؟» .

فقال له عمرو «ما أقدر على ذلك» .

فزرع شريك بغير إذن عمرو ، فلما بلغ ذلك عمرواً كتب إلى عمر بن الخطاب أن شريك بن سمى الغطيفى حرث بأرض مصر . فكتب إليه عمر أن ابعث إلىّ به . فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا .

فقال شريك لعمرو «قتلتنى يا عمرو» .

قال عمرو «ما أنا قتلتك ، أنت صنعت هذا بنفسك» .

قال شريك «إذ كان هذا من رأيك فأذن لى بالخروج إليه من غير كتاب ، ولك عهد الله أن أجعل يدى فى يده» . فأذن له بالخروج .

فلما وقف شريك على عمر قال «تؤمِّنِّى يا أمير المؤمنين ؟» .

قال عمر «ومن أى الأجناد أنت ؟» .

قال «من جند مصر» .

قال «فلعلك شريك بن سمى الغطيفى ؟» .

قال «نعم يا أمير المؤمنين» .

قال «لأجعلنك نكالاً لمن خلفك» .

قال «أوَ تقبل منى ما قبل الله من العباد ؟» {يقصد التوبة} .

قال «وتفعل ؟» .

قال «نعم» .

فكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن «شريك بن سمى جاءنى تائباً فقبلت منه» .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ١١١ ـ قال ابن وهب ، فأخبرنى شريك بن عبدالرحمن المرادى ، قال بلغنا .

قال بَحير بن ذاخر المَعَافِرى [1] .

«ذهبت أنا ووالدى إلى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع ، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذُعِرْت ، فقلت يا أبى من هؤلاء ؟ قال يابنى هؤلاء الشُّرَط ، فأقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلاً رَبْعَة قصد القامة [2] ، وافر الهامة ، أَدْعَج أَبْلَج ، عليه ثياب مَوْشِيَّة كأن به العِقْيان يأتلق ، عليه حلة وعمامة وجُبّة ، فحمد الله وأثنى عليه حمداً موجزاً وصلى على النبى ﷺ ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، فسمعته يحض على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالإقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال فى ذلك :

يا معشر الناس إياكم وخلالا أربعة ، فإنها تدعو إلى النَّصَب بعد الراحة ، وإلى الضِّيق بعد السَّعَة ، وإلى المذلة بعد العزة . وإياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال فى غير دَرَك ولا نوال ، ثم إنه لابد من فراغ يؤول إليه المرء فى توديع جسمه والتدبير لشأنه ، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يُضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحور من الخير عاطلاً وعن حلال الله وحرامه غافلاً .

يا معشر الناس إنه قد تدلّت الجَوْزاء ، وذَكَت الشِّعْرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقلّ النَدّى ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودَرَجَت السخائل ، وعلى الراعى بحسن رَعِيَّته حُسْنُ النظر ، فحىَّ لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده ، وأَرْبِعوا خيلكم وأسمنوها وصُونوها وأكرموها ، فإنها جُنَّتُكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم ، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً ، وإياكم والمسوّمات والمعسولات فإنهنّ يُفْسِدْن الدِّين ويُقَصِّرْن الهمم .

[1] فتوح مصر وأخبارها ٩٨ ـ حدثنا سعيد بن ميسرة ، عن إسحق بن الفرات ، عن ابن لهيعة ، عن الأسود بن مالك الحميرى ، عن بحير بن ذاكر المعافرى ، قال .
النجوم الزاهرة ١ / ٧٢ ـ حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا سعيد بن مَيْسَرة ، عن إسحق بن الفرات عن ابن لَهِيعة ، عن الأسود بن مالك الحميرى ، عن بحير بن ذاخر المَعَافِرىّ ، قال .

[2] معتدل ليس بالطويل ولا بالقصير .

حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «أن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صِهراً وذمة» . فكُفّوا أيديكم وعِفُّوا فروجَكم وغُضُّوا أبصاركم ، ولا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جِسْمه وأهزل فرسه ، واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علّة حَطَطْته من فريضته قَدْر ذَلك ، واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حَوْلكم وتشوُّق قلوبهم إليكم وإلى داركم مَعْدِنِ الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «إذا فَتَح الله عليكم مصر فاتّخذوا فيها جُنْداً كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر : ولِمَ يا رسول الله ؟ قال «لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة» . فاحمدوا الله مَعْشر الناس على ما أولاكم ، فتمتَّعوا فى ريفكم ما طاب لكم ، فإذا يبس العود وسَخُن العمود وكَثُر الذباب وحَمض اللبن وصَوَّح البَقْل وانقطع الورد من الشجر ، فَحَيَّ إلى فُسطاطكم على بركة الله ، ولا يَقْدَمَنّ أحدٌ منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تُحْفة لعياله على ما أطاق من سَعَته أو عُسرته ، أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم .

قال بحير بن ذاخر : فحفظتُ ذلك عنه ، فقال والدى بعد انصرافنا إلى المنزل ـ لما حكيت له خطبته ـ إنه يا بُنَىَّ يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرِّباط كما حداهم على الريف والدَّعَة .

فكان الناس يجتمعون بالفسطاط [1] إذا رجعوا ، فإذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص فقال : قد حضر مرافق ريفكم فانصرفوا ، فإذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحىّ على فسطاطكم ...» وفى رواية أخرى كان عمرو يقول للناس [2] إذا قَفَلُوا (رجعوا) من غزوهم : أنه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يُرْبِعه فليفعل ولا أعلمن ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ، فإذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا إلى قيروانكم» . أ . هـ .

[1] فتوح مصر وأخبارها ٩٨ ـ حدثنا عبدالله بن صالح عن عبدالرحمن بن شريح عن أبى قبيل .

[2] فتوح مصر وأخبارها ٩٨ ـ حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا بن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب . وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد .

وقد جاء فى رواية بحير بن ذاخر عن خطبة عمرو بمناسبة ارتباع جنوده فى الريف أن ذلك كان فى آخر الشتاء بعد حميم النصارى ، وأضافت دار الكتب المصرية فى هامش كتاب النجوم الزاهرة ١ / ٧٣ (طبعته ١٩٦٣) أن الحميم هو الغطاس الذى يقع فى ١١ طوبة . ولما كان شهر طوبة يتزامن مع شهر يناير ويتحرك أوله بين ٩ يناير إلى ٧ فبراير ، فإن هذا لايتفق مع صلب الرواية التى تذكر أنه كان فى آخر الشتاء ، والذى يوافق التوقيت المناسب أن يكون عيد الفصح . كان عيد الفصح ٢٥ برمهات ٣٦٠ يوافق ٢١ مارس ٦٤٤ ـ ٩ جمادى الأولى ٢٣ هـ ، ويكون ذلك الإرتباع بعد ذلك بأيام يسيرة .

وخطاب عمرو بن العاص هذا إلى جند جيشه نموذج فريد من بلاغته فى اللغة وإبانته عن قصده ، وجاذبيته لمن يسمعه ، وأيضاً عن حكمته وهو يعطيهم عطلة للاستجمام وتوقيت ذلك ، مع التأكيد على حسن الجوار والوصية بقبط مصر ، والتحذير من المسوّمات {المتزينات} والمعسولات حفاظاً على دينهم وهممهم ، وإسناد ذلك إلى وصايا النبى ﷺ وأوامر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

مقاسمة عمرو ماله :

بطبيعة الحال كان عمر بن الخطاب يتخير عماله وقادة الجيوش لصفات تؤهلهم لذلك ، ومع ذلك لم يكن ليغمض جفنيه عنهم ، فبلغته أبيات قالها أبو المختار النميرى جاء فيها :

نبيع إذا باعوا ونغزوا إذا غزَوْا ... فأنَّى لهم مالٌ ولسنا بذى وَفْر !

وكان عمر يكتب أموال [1] عماله إذا ولاّهم ثم يقاسمهم مازاد على ذلك وربما أخذه منهم . فكتب إلى عمرو بن العاص «إنه قد فَشَت لك فاشيةٌ من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر» . فكتب إليه عمرو «إن أرضنا أرض مُزْدَرَع ومُتَّجَرٍ ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا» .

فكتب إليه عمر «إنى قد خُبِّرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من قد أقلقه

(١) فتوح البلدان ٢٥٧ ـ عن أبى الحسن المدائنى .

الأخذ بالحق . وقد سُؤْتُ بك ظنّاً ، وقد وجهت إليك محمد بن مَسْلَمَة ليقاسمك مالك ، فأطْلِعْه طَلْعَه ، وأخرج له ما يطالبك ، وأَعْفِه من الغلظة عليك ، فإنه «بَرَحَ الخفاء» .

وفى رواية أن عمر بن الخطاب [1] بعث محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص وكتب إليه «أما بعد ، فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتم الحرام ، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليقاسمك مالك ، فأحضره مالك والسلام» .

فأهدى عمرو هدية إلى ابن مسلمة فردها إليه ولم يقبلها ، وغضب عمرو وقال «يا محمد لم رددت إلىّ هديتى وقد أهْدَيْتُ إلى رسول الله ﷺ مقدمى من غزوة ذات السلاسل فقبل» . فقال محمد «إن رسول الله ﷺ كان يقبل بالوحى ما شاء ويمتنع مما شاء ، ولو كانت هدية الأخ إلى أخيه قبلتها ، ولكنها هديةٌ أمام شرٍّ خلفها» . فقال عمرو «قبّح الله يوماً صرتُ فيه لعمر بن الخطاب والياً ، فلقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزرَّر بالذهب وإن الخطاب بن نُفَيْل ليحمل الحطب على حمار بمكة» . فقال له محمد «أبوك وأبوه فى النار ، وعمر خيرٌ منك ، ولولا اليوم الذى أصبحت تَذُم لأُلْفيتَ مُعْتَقِلاً عنزا يسُرك غَزْرُها ويَسُؤْكَ بَكْؤُها» قال عمرو «أنشدك الله ألا تخبر عمر بقولى ، هى فلتة المغضب وهى عندك بأمانة فإن المجالس بالأمانة» . قال محمد «لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حى» .

وأحضر عمرو ماله فقاسمه محمد إياه ثم رجع ، إنه المعروف الآن بتعبير «من أين لك هذا [2] ؟» .

وفى مثل هذا قال أبو هريرة [3] رضى الله عنه «لما قَدِمْتُ من البحرين» قال لى عمر «يا عدو الله وعدو الإسلام خنتَ مال الله ، قلت : لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ولكنى عدو من عاداهما ، ولم أخن مال الله ولكنها أثمان خيل تناتجت وسهام اجتمعت . قال : يا عدو الله

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٠١ ـ حدثنا معاوية بن صالح ، عن محمد بن سماعة الرملى ، قال حدثنى عبدالله بن عبدالعزيز شيخ ثقة .

(٢) محمد بن مسلمة الأنصارى ٩٥ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١٠٣ ـ حدثنا أسد بن موسى {ثقة ٢١٢} حدثنا سليمان بن أبى سليمان عن محمد بن سيرين ، قال قال أبو هريرة .

وعدو الإسلام خنت مال الله ، قلت : لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ولكنى عدو من عاداهما ، ولم أخن مال الله ولكنها أثمان خيل لى تناتجت وسهام اجتمعت ـ قال ذلك ثلاث مرات يقول ذلك عمر ويرد عليه أبو هريرة هذا القول ـ قال فغرَّمنى اثنى عشر ألفاً ، فقمت فى صلاة الغداة فقلت اللهم اغفر لأمير المؤمنين ، فأرادنى على العمل بعد فقلت لا . قال أوَ ليس يوسف خيراً منك وقد سأل العمل ؟ قلت إن يوسف نبى بن نبى وأنا ابن أميمة ، وأنا أخاف ثلاثاً واثنتين . قال ألا تقول خمساً ! قلت لا . قال مَه . قلت أخاف أن أقول بغير حلم وأقضى بغير علم وأن يُضرب ظهرى ويُشتم عرضى ويُؤخذ مالى » .

قدوم عمرو على عمر :

فى روايات ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب عاش بعد فتح مصر ثلاث سنين قدم عليه عمرو فيها قدمتين [1] .

وأنه استخلف [2] فى إحداهما زكرياء بن الجهم العبدرى على الجند ، ومجاهد بن جبر مولى بنى نوفل بن عبد مناف على الخراج . فسأله عمر « من استخلفت ؟ » فذكر له مجاهد بن جبر ، فقال له عمر « مولى ابنة غزوان ؟ » قال « نعم ، إنه كاتب » . فقال عمر « إن القلم ليرفع بصاحبه ، وبنت غزوان هذه أخت عتبة بن غزوان ، وقد شهد عتبة بدراً » .

وأنه استخلف فى القدمة الثانية عبدالله بن عمرو ، وكان معه وفد من أهل مصر ، فدخل عمرو ومعه الوفد على عمر بن الخطاب وهو على مائدته جاثياً على ركبتيه [3] ، وأصحابه كلهم على تلك الحال ، فسلم عمرو على عمر فرد عليه السلام وقال عمرو بن العاص ؟ قال « نعم » ولم يكن حول جفنة طعامهم مكان لأحد يجلس ، فأدخل عمر يده فى الثريد فملأها ثم ناولها عمرو بن العاص وقال « خذ هذا » فجلس عمرو وجعل الثريد فى يده اليسرى ويأكل باليمنى ووَفْد أهل مصر ينظرون إليه . فلما خرجوا قالوا لعمرو « أى شىء صنعت ؟ » قال

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٢٢ ـ حدثنا عثمان بن صالح {ثقة ، توفى ٢١٧} عن الليث بن سعد {١٧٥ هـ} قال .

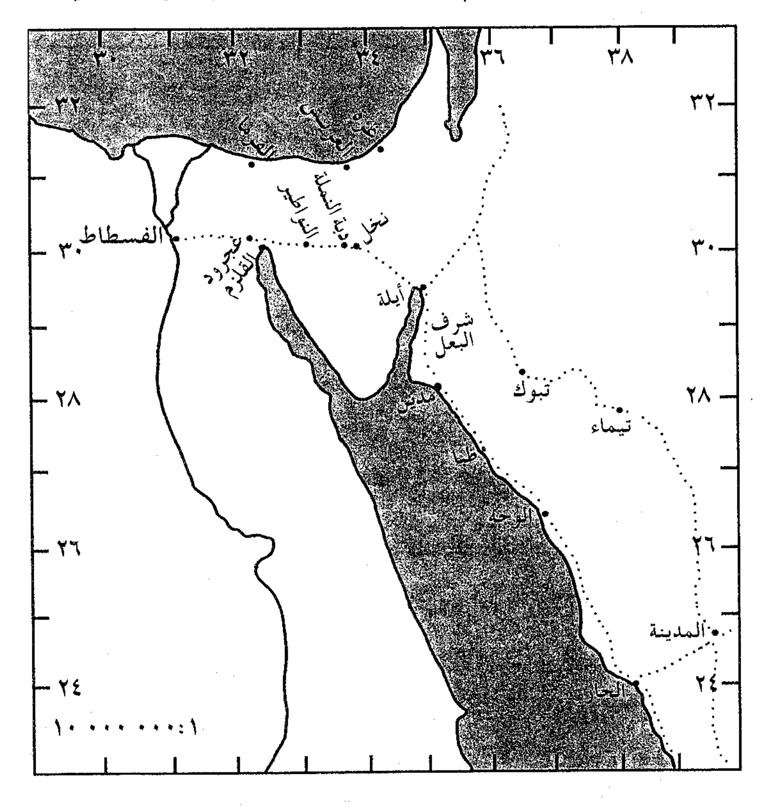
(٢) فتوح مصر وأخبارها ١٢٢ ـ قال ابن عفير . {سعيد بن عفير ، صدوق توفى ٢٢٦} .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١٢٢ ـ حدثنا عبد الملك بن مسلمة {ضعيف} وعبدالله بن صالح {صدوق} قالا حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب .

عمرو « إنه والله لقد علم أنى بما قدمْت به من مصر لغنىّ عن الثريد الذى ناولنى ولكنه أراد أن يختبرنى ، فلو لم أقبلها للقيت منه شراً » .

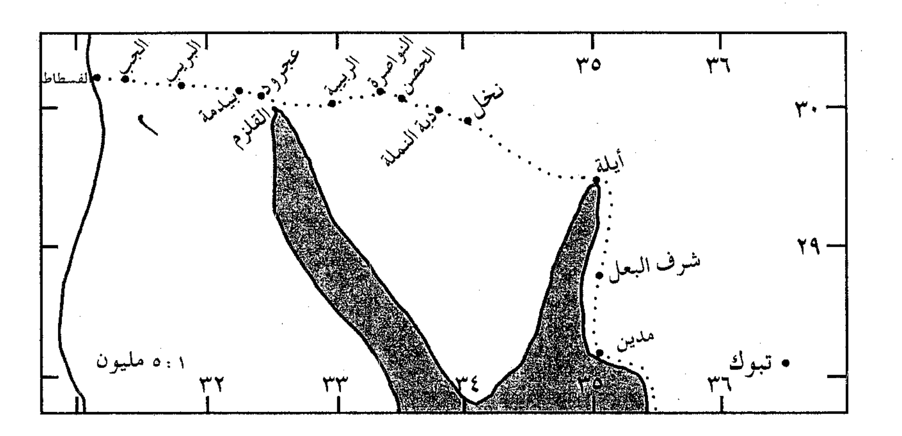
وفى رواية أن عمرو كان قد صبغ رأسه ولحيته بسواد [1] . فقال عمر « من أنت ؟ » قال « أنا عمرو بن العاص » . قال عمر « عهدى بك شيخاً وأنت اليوم شاب ، عزمت عليك إلا ما خرجت فغسلت هذا » .

وقدم عمرو بن العاص من مصر مرة أخرى على عمر فوافاه على المنبر يخطب يوم الجمعة ، فقال « هذا عمرو بن العاص قد أتاكم ، ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميراً [2] » .



(١) فتوح مصر وأخبارها ١٢٢ ـ حدثنا أبو الأسود بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ١٢٢ ـ حدثنا عبدالله بن صالح {ثقة} حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب .



متى وما مناسبة كل من هاتين القدمتين لعمرو بن العاص من مصر إلى المدينة ؟

فى الأخبار التى مرت بنا أن عمر بن الخطاب استدعى عمرو بن العاص وجماعة من أهل مصر إلى المدينة عام الرمادة . ونرجح أن هذا الحضور هو الذى وصل فيه عمرو وعمر يخطب على المنبر ، وترجيحنا هذا لأن عمر حين رآه قال «هذا عمرو بن العاص ، ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميراً» ، فهذا القول هو الذى يناسب رجلاً موّن أهل الحجاز فى وقت مجاعة ، ففى قول عمر نوع من التقدير لعمرو .

ثم نجد القدمة الثانية حين اشتكى القبطى أن ابن عمرو ضربه بالسوط فكتب إليه عمر أن يحضر هو وإبنه ، ونذهب إلى أنه هو الذى وصل فيه عمرو وعمر على مائدته مع أصحابه فأعطاه عمر الثريد فى يده أمام أهل مصر ليعلم عمرو أنه لا كبرياء مع شبهة الظلم ، وهذا أيضاً الذى جعل عمرو بن العاص يحس أنه لو لم يقبل الثريد فى يده للقى من عمر شراً . ثم جعل عمر القبطى يقتص من ابن عمرو وكاد أن يجعله يضرب عمرو بن العاص أيضاً ، وما كان لعمر وقد استدعى عمرو بن العاص مشبوهاً بالظلم أن يقول «ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميراً» ، وإنما يعطيه الثريد فى يده حيث لا مكان له للجلوس ، وأن يأمره أن يغسل السواد عن شعره وقد شاب وابيض وكأنما لم يعرفه حين دخل عليه .

والواقعتان نراهما وقعتا عام ٢٣ هـ ٦٤٤ [يعنى فيما بين ١٧ محرم ٢٣ هـ ١ يناير ٦٤٤ و ٢٩ من ذى الحجة ٢٣ هـ ٣ نوفمبر ٦٤٤] ، ولنصل إلى تحديد أكثر :

من الخرائط وما كتب الجغرافيون [١] نخلص إلى أن الطريق بين الفسطاط والمدينة يبلغ نحواً من ١٦٠٠ كيلو متراً ، يحتاج فى قطعه إلى ٣٥ يوماً بالإبل المحملة أو نحو ١٦ يوماً [٢] بالخيل السريعة وهو الذى نفترض أن عمرو بن العاص فعله والمعنى أن يكون عمرو قد قضى فى كل زيارة من هاتين نحواً من شهر ذهاباً وإياباً بخلاف ما يكون أقامه فى المدينة ، وهذه علينا أن نجد لها مكاناً فى توقيتات تلك الفترة وأيضاً المراسلات المتبادلة بين عمرو وعمر وابتداء نجد أن «الأجندة» قد امتلأت حتى آخر شوال ٢٢ هـ منتصف سبتمبر ٦٤٣ ، ثم كان السير إلى برقة ومن بعدها إلى طرابلس . السير إلى برقة لم نجد له توقيتاً فى المرويات ، أما إلى طرابلس ففى رواية [٣] أن عمرو بن العاص نزل طرابلس فى سنة اثنتين وعشرين وفى رواية أخرى [٤] أنه غزاها ٢٣ هـ وهو ما نختاره .

انتقاض الاسكندرية :

غزا عمرو بن العاص برقة ثم اطرابلس فنزلها سنة اثنتين [٥] وعشرين أو سنة ثلاث [٦] وعشرين ، ثم طلب غزو أفريقيا فلم يوافق عمر . وكان عمرو قد استخلف على الاسكندرية عبدالله [٧] بن حذافة فى رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط .

وكتب الروم الذين بالاسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل ـ وكان هو ملكهم يومئذ ـ يخبرونه

(١) لاسيما ما جاء فى «المسالك والممالك» للاصطخرى ، و «الخراج وصنعة الكتابة» لقدامة بن جعفر ، و «معجم البلدان» لياقوت الحموى .

(٢) قطع خالد بن الوليد المسافة من الفراض بشمال العراق إلى مكة ـ ١٦٠٠ كيلو متراً ـ فى أسبوعين ، وقطع المثنى بن حارثة المسافة بين المدينة والحيرة بسرعة تجاوز ١٠٠ كيلو متر فى اليوم [الطريق إلى المدائن] .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ رواية عثمان بن صالح (ثقة) وغيرة عن إبن لهيعة .

(٤) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ رواية يحيى بن عبدالله بن بكير (كان حافظاً غزير العلم عارفاً بالأثر) .

(٥) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ ـ عن عثمان بن صالح .

(٦) فتوح مصر وأخبارها ١١٦ ـ حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ، عن الليث بن سعد .

(٧) فتوح البلدان ٢٦٠ ، ويقال .

بقلة [١] من عندهم من المسلمين وبما فيه الروم من الذلة وأداء الجزية . كانت مدينة أخنا من إقليم نستراوة على ساحل البحر الأبيض بين البرلس ورشيد ، وكان صاحبها اسمه [٢] طَلَمَا ، وكان عنده كتاب من عمرو بن العاص بالصلح ، كما كان كتاب عند قُزْمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يُحَنَّس صاحب البرلس [٣] ، ولكن طلما خرج إلى الروم فقَدِم بهم [٤] .

وكان بين عمرو والمقوقس اتفاق ألا يكتمه أمراً يحدث ، فكتب المقوقس إلى عمرو أن الروم يريدون نكث عهدهم ونقض ما كان بينهم [٥] وبينه .

كان مقتل عمر بن الخطاب فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وولى الخلافة عثمان بن عفان ، وعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، وولاها عبدالله بن سعد فى [٦] سنة خمس وعشرين .

انتقضت الإسكندرية سنة خمس وعشرين [٧] ـ ٦٤٦ م ـ وجاء جيش للروم فى ٣٠٠ مركب مشحونة بالمقاتلة يقودهم منويل الخَصِىّ حتى أرسوا إلى الإسكندرية وناصرهم من بها من الروم فنزلوا إليها ، وقتلوا من بها من المسلمين إلا من نجا بالهرب [٨] .

وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط أما الروم فقد خرجوا عليه ولم يطعه منهم أحد [٩] .

قال خارجة بن حذافة لعمرو «ناهضهم قبل أن يكثر مددهم ولا آمن أن تنتقض مصر كلها» .

(١) فتوح البلدان ٢٦٠ .
(٢) فتوح مصر وأخبارها ١١٩ حدثنا عبدالله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب .
معجم البلدان .
وأخنا خطأ شائع صحيحه أجنا أو أجنوا Agnou ، إندثرت وحل محلها كوم مشعل بأراضى ناحية عزب الخليج بمركز فوة [القاموس الجغرافى للبلاد المصرية قسم أول ص ١٣] .
(٣) فتوح مصر وأخبارها ٦٤ ـ حدثنا هشام بن إسحق العامرى عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبى جعفر .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٢٥٠ .
(٥) فتوح مصر وأخبارها ١١٧ ـ عن عثمان بن صالح وغيره .
(٦) فتوح مصر وأخبارها ١٢٠ ـ حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير عن الليث بن سعد .
(٧) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٢٥٠ ـ قال أبو معشر .
(٨) فتوح مصر وأخبارها ١١٩ ـ حدثنا عبدالله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب .
(٩) فتوح مصر وأخبارها ١١٩ ـ قال غير الليث .

هذا هو المنطق الطبيعى ، ولكن عمرو بن العاص كان هو عمرو بن العاص ، قال «لا ، ولكن أدَعهم حتى يسيروا إلىّ ، فإنهم يصيبون مَن مروا به فيخزى الله بعضهم ببعض» .

وخرج الروم من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى ، فكانوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به ، وعمرو لا يعرض لهم حتى بلغوا نقيوس ، فسار [١] لهم فى ١٥٠٠٠ ، وذكر ابن تغرى بردى أن عمروا غزاهم فى ربيع الأول ٢٥ هـ [٢] ، فلاقوهم فى البر والنهر وبدأ الروم ومن معهم من القبط فرموا بالنشاب رمياً شديداً حتى أصاب سهمٌ فرس عمرو فى لَبَّته وهو فى البر فعقر ، فنزل عنه عمرو ، ثم خرجوا من الماء واجتمعوا مع الذين على البر ورموا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً وحمل الروم على المسلمين حملة ولَّوا منها وانهزم شريك بن سمى فى خيله ، وكان الروم قد جعلت جيشها صفوفاً خلف صفوف ، وبرز بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرسه ، عليه سلاح مذهب ودعا إلى المبارزة ، فخرج له رجل من زبيد اسمه حومل ويكنى أبا مذحج ، فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان . ثم ألقى البطريق الرمح واستل السيف ، وألقى حومل رمحه واستل سيفه وكان يعرف بالنجدة ، فكان عمرو يصيح «أبا مذحج» فيجيبه «لبيك» والناس على شاطىء النيل فى البر على تعبئتهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيفين ، ثم حمل الرومى على حومل وكان نحيفاً فاحتمله ، واخترط حومل خنجراً كان فى منطقته أو فى ذراعه فطعن به الرومى فى نحره فأضعفه ثم قتله ، وقام عليه فأخذ سلبه ، ثم شد المسلمون على الروم فهزموهم ، وتوفى حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله ، فكان عمرو يحمله بين عمودى نعش حتى دفنه بالمقطم .

وطارد المسلمون الروم حتى ألحقوهم بالاسكندرية ، فتحصنوا بها ونصبوا العرادات ، وقاتلهم عمرو قتالاً شديداً ونصب المجانيق ، فأخرب جدرها وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة [٣] . وفتح الله على المسلمين وقُتِل منويل الخصى وهرب بعض الروم إلى الروم ، وقتل

(١) فتوح البلدان ٢٦٠ .
(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٧٨ .
(٣) فتوح البلدان ٢٦٠ .

عمرو المقاتلة وسبى الذرية ، وأمعن عمرو فى المدينة حتى كلموه فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف عرف من أجل ذلك بمسجد الرحمة ، وهدم عمرو سور الاسكندرية كله .

وجمع عمرو ما أصاب منهم ، فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض ، فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا مما هو فى يديك ، فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة .

وقال بعضهم لعمرو «ما حَلَّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا فى ذمتك ولم ننقض ، فأما من نقض فأبعده الله» .

كانوا على حق ومنطقهم صحيح ، لقد أخذ منهم الجزية على أن يدفع عنهم ، فهى ضريبة دفاع وهو هنا لم يدفع عنهم . ألا يشبه الموقف هنا موقف أبى عبيدة بن الجراح فى الشام عام ١٥ هـ حين حشد الروم جموعهم لإخراج المسلمين واضطروا إلى الانسحاب فأمر أبو عبيدة ، حبيب بن مسلمة أن يرد الجزية إلى من أخذها منهم ؟

إن الموقف هنا يختلف عن ذاك . كان موقف أبى عبيدة فى الانسحاب اضطرارياً من حمص وبعلبك ومن دمشق لا يقدر فيه على مواجهة قوات الروم المتفوقة عليه أضعافاً مضاعفة ، أما موقف عمرو هنا فهو الذى اختاره وكان فى مقدوره أن يصد الروم من عند الاسكندرية . ندم عمرو وقال «يا ليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية (١)» .

وفى هذه العملية ، لما توجه عمرو إلى نقيوس لقتال الروم ، عَدَلَ وردان لقضاء حاجته عند الصبح فاختطفه أهل بلدة فغيبوه عندهم وافتقده عمرو واقتفى أثره حتى وجدوه فى بعض دورهم فأمر بإخرابها وإخراجهم منها فعرفت بِخَرِبْة وردان (٢) .

وقال عبد الملك بن مسلمة (٣) أن أهل الخربة كانوا رهباناً كلهم فغدروا بقوم من مؤخرة عمرو بعد أن بلغ عمرو الكريون ، فأقام عمرو ووجه إليهم وردان فخربها .

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٢٠ ـ حدثنا الهيثم بن زياد .

(٢) فتوح مصر وأخبارها ١٢٠ ـ قال عبدالرحمن [نراه ابن عبدالحكم] حدثنا سعيد بن عفير .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ١٢٠ ـ عن عبدالملك بن مسلمة .

ووقع طَلَما فى أسر المسلمين ، وجىء به إلى عمرو بن العاص وهم يقولون له «اقتله» فقال «لا ، بل انطلق فجئنا بجيش آخر !!» وسوَّرَه وتوَّجَه وكساه برنس أرجوان . وقيل لطلما «لو أتيت ملك الروم» . قال «لو أتيته لقتلنى وقال قتلت أصحابى (١)» .

فلما هزم الله الروم ولى عمرو مولاه وردان على الاسكندرية ورجع إلى الفسطاط فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله . أراد عثمان بن عفان أن يكون عمرو على الحرب وعبدالله بن سعد على الخراج ، فأبى عمرو وقال «أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها (٢)» وولى عثمان بعده عبدالله بن سعد ، وكان أخا عثمان من الرضاعة (٣) .

وكتب عثمان إلى عبدالله بن سعد أن الإسكندرية فتحت مرة عنوة وانتقضت مرتين ، وأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها وأن يدر عليهم الأرزاق ويعقب بينهم فى كل ستة أشهر (٤) .

عمرو يصف مصر :

لما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن صف لى مصر (٥) . فكتب إليه :

«ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألنى عن مصر ، اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر ، يخط وسطها نيل مبارك الغَدْوات ميمون الروْحات ، تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوانٌ يدرّ حِلاَبه ويكثر فيه ذُبَابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها ، حتى إذا ما اصْلَخَمّ عجاجُه ، وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا فى صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن فى المخايل وُرْقُ الأصائل ، فإذا تكامل فى زيادته ، نكص على عقبيه كأول ما بدأ جريته ، وطما فى درته ،

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٢٠ ـ حدثنا سعيد بن سابق .

(٢) فتوح البلدان ٢٦٣ ـ حدثنى عمرو عن ابن وهب عن إبن لهيعة .

(٣) فتوح البلدان ٢٦١ ـ حدثنى عمرو الناقد قال حدثنا ابن وهب المصرى عن ابن لهيعة .

(٤) فتوح البلدان ٢٦٢ .

(٥) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٣٢ ـ قال بعض المؤرخين .

فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النماء من الرب ، لغيرهم ما سعوا من كدهم ، فناله منهم بغير جدّهم ، فإذا أحدق الزرع وأشرق ، سقاه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤ بيضاء ، إذا هى عَنبرة سوداء ، فإذا هى زُمُرُدَّةٌ خضراء ، فإذا هى ديباجة رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء . الذى يصلح هذه البلاد ويُنَمِّيها ويُقرّ قاطنيها فيها ألا يُقبل قول خَسيسها فى رئيسها ، وألاَّ يُسْتَأدَى خراجُ ثمرة إلا فى أوانها ، وأن يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وترعها ، فإذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الأحوال ، تضاعف ارتفاع المال ، والله تعالى يوفق فى المبدأ والمآل » .

لما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « لله درك يابن العاص ! لقد وصفتَ لى خبرا كأنى أشاهده » .

أى بلاغة كانت لعمرو وأى حب لمصر كان فى قلبه . قال الذهبى [1] « كان عمرو من أفراد الدهر دهاء وجلادة وحزماً ورأياً وفصاحة . ذكر محمد بن سلام الجمحى أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى رجلاً يتلجلج فى كلامه يقول : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد » .

وعن جابر [2] قال « ... وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبْيَنَ ، أو قال أنصعَ ظرفاً منه ، ولا أكرم جليساً ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه ... » . وقال عمرو بن دينار « وقع بين المغيرة بن شعبة وبين عمرو بن العاص كلام فسبه المغيرة ، فقال عمرو : يا آل هُصَيْص ، أيسبنى ابن شعبة ! فقال عبدالله ابنه : إنا لله دعوتَ بدعوى القبائل وقد نُهى عنها ! فأعتق عمرو ثلاثين رقبة » .

وجدير بالذكر أن اسم مصر جاء فى القرآن الكريم خمس مرات فى قوله تعالى :

﴿اهبِطُواْ مِصراً فَإنَّ لَكُم مَّا سَألتُم﴾ **{البقرة ٦١}**

﴿وَقَالَ الَّذِى اشتَرَاهُ مِن مِصرَ لامرَأتِهِ أكرِمِى مَثوَاهُ﴾ **{يوسف ٢١}**

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٦٤ قال {الذهبى} .

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ / ٦٤ ـ قال مجالد عن الشعبى عن قَبِيصَة عن جابر .

﴿وَقَالَ ادخُلُواْ مِصرَ إن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ **{يوسف ٩٩}**

﴿وَأوحَينَا إلَى مُوسَى وَأخِيهِ أن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتاً﴾ **{يونس ٨٧}**

﴿يَاقَومِ ألَيسَ لِى مُلكُ مِصرَ وَهَذِهِ الأنهَارُ تَجرِى مِن تَحتِى﴾ **{الزخرف ٥١}**

من دخل مصر من الصحابة

كتب جلال الدين السيوطى كتابه «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة [1]» ، ضمّنه تعريفاً بـ ٣٤٣ صحابياً بالإضافة إلى سبع صحابيات نجملهم فى الآتى :

١) إبرهة بن شرحبيل الحميرى
٢) أبيض بن حمال السبائى
٣) أبيض ـ غير منسوب
٤) أبيض بن هنى بن معاوية
٥) أبىّ بن عمارة
٦) أحمد بن عجيان الهمدانى
٧) الأحب بن مالك بن سعد الله
٨) أحمر بن قطن الهمدانى
٩) أدهم بن خطرة اللخمى
١٠) الأرقم بن حنيفة التجيبى
١١) أسعد بن عطية بن عبيد القضاعى
١٢) امرؤ القيس بن الفاخر الخولانى
١٣) أوس بن عمرو القضاعى
١٤) إياس بن البكير الليثى .
١٥) إياس بن عبد الأسد القارى
١٦) أيمن بن خريم الأسدى
١٧) الأكدر بن حمام بن عامر اللخمى
١٨) بُحُر بن ضُبُع الرعينى
١٩) برتا بن الأسود القضاعى
٢٠) بِرْح بن عُسْكر القضاعى
٢١) بُسر بن أبى أرطأة
٢٢) بشر بن ربيعة الخثعمى (أو الغنوى)
٢٣) بشير بن جابر بن عراب العبسى
٢٤) بصرة بن أبى بصرة الغفارى
٢٥) بلال بن حارث بن عاصم المزنى
٢٦) بدر بن عامر الهذلى
٢٧) تميم بن أوس بن حارثة الدارى
٢٨) تميم بن إياس بن البكير الليثى
٢٩) تبيع بن عامر الحميرى
٣٠) ثابت بن الحارث الأنصارى

(١) بين يدينا طبعتين من الكتاب إحداهما طبعة المكتبة القيمة بالقاهرة بعنوان دَرّ السحابة والثانية طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت بعنوان دُرّ السحابة .

٣١) ثابت بن رويفع الأنصارى
٣٢) ثابت بن طريف المرادى
٣٣) ثابت بن النعمان بن أمية
٣٤) ثابت مولى الأخنس بن شريق
٣٥) ثعلبة الأنصارى
٣٦) ثعلبة بن أبى رقية اللخمى
٣٧) ثوبان بن مجدر
٣٨) ثمامة الرومانى
٣٩) ثمامة بن أبى ثمامة الجذامى
٤٠) جابر بن أسامة الجهنى
٤١) جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصارى
٤٢) جابر بن ماجد الصدفى
٤٣) جابر بن ياسر الرعينى
٤٤) جاحل الصدفى
٤٥) جبارة بن زرارة البلوى
٤٦) جبر بن عبدالقبطى
٤٧) جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى
٤٨) جُدْرة بن سبرة الثقفى
٤٩) جديع بن نضير المرادى
٥٠) جرهد بن خويلد بن بحرة الأسلمى
٥١) جعنم الخير بن خليبة الصدفى
٥٢) جميل بن معمر الجمحى
٥٣) جنادح بن ميمون
٥٤) جنادة بن أبى أمية الأزدى
٥٥) جنادة بن مالك الأزدى
٥٦) جناب بن مرثد الرعينى
٥٧) حابس بن ربيعة التميمى
٥٨) حابس بن سعيد الثمالى
٥٩) الحارث بن تبيع الرعينى
٦٠) الحارث بن حبيب القرشى
٦١) الحارث بن العباس بن عبد المطلب
٦٢) حاطب بن أبى بلتعة اللخمى
٦٣) حِبان بن بُح الصدائى
٦٤) حبان بن أبى جبلة
٦٥) حبيب بن أوس
٦٦) الحجاج بن خلى
٦٧) حذيفة بن عبيد المرادى
٦٨) حزام بن عوف البلوى
٦٩) حرملة بن سلمى
٧٠) حسان بن أسد
٧١) الحكم بن الصامت بن مخرمة القرشى
٧٢) حمزة بن عمرو الأسلمى
٧٣) حُمرة بن عبد كلال الرعينى
٧٤) حُمَيل بن بصرة الغفارى
٧٥) حيان بن كرز البلوى
٧٦) حيَىْ بن حرام الليثى
٧٧) حنظلة
٧٨) حيويل بن ناشرة الكنفى

٧٩) حياة بن مرثد النجيبى
٨٠) خارجة بن حذافة بن غانم العدوى
٨١) خالد بن ثابت العجلانى الفهمى
٨٢) خالد بن القيسى البلوى
٨٣) خرشة بن الحرث الأزدى
٨٤) خزيمة بن الحارث
٨٥) خليد الحضرمى
٨٦) خارجة بن عراك الرعينى
٨٧) خيار بن مرثد النجيبى
٨٨) دحية بن خليفة الكلبى
٨٩) دميون (أو دمون)
٩٠) ديلم بن هوشع الجيشانى الحميرى
٩١) ذو قربات الحميرى
٩٢) رافع بن ثابت
٩٣) ربيعة بن زرعة الحضرمى
٩٤) ربيعة بن شرحبيل بن حسنة
٩٥) ربيعة بن عباد الديلمى
٩٦) ربيعة بن الغراس
٩٧) رشيد بن مالك المزنى
٩٨) رشدان المصرى
٩٩) رقب الكِندى المصرى
١٠٠) رويفع بن ثابت بن السكن الأنصارى
١٠١) الزبير بن العوام بن خويلد
١٠٢) زهير بن قيس البلوى
١٠٣) زياد بن الحارث الصُّدائى
١٠٤) زياد الغفارى
١٠٥) زياد بن قائد اللخمى
١٠٦) زياد بن نعيم الحضرمى
١٠٧) زياد بن جوهور اللخمى
١٠٨) زبيد بن عبد الخولانى
١٠٩) السائب بن خلاد الأنصارى
١١٠) السائب بن هشام بن عمرو العامرى
١١١) سخدور بن مالك
١١٢) سرق بن أسيد الجهنى
١١٣) سعد بن أبى وقاص القرشى
١١٤) سعد بن سنان الكندى
١١٥) سعد بن مالك الأقيصر الأزدى
١١٦) سعيد بن يزيد الأزدى
١١٧) سفيان بن هانىء بن جبير الجيشانى
١١٨) سفيان بن وهب الخولانى
١١٩) سلامة بن قيصر الحضرمى
١٢٠) سلكان بن مالك
١٢١) سلم بن نذير
١٢٢) سلمة بن الأكوع
١٢٣) سندر مولى زنباع
١٢٤) سهل بن سعد بن مالك الأنصارى
١٢٥) سهل بن أبى سهل
١٢٦) سيف بن مالك الرعينى

١٢٧) شبث بن سعد بن مالك البلوى
١٢٨) شخدور بن مالك [سبق فى سخدور]
١٢٩) شرحبيل بن حسنة
١٣٠) شريح اليافعى
١٣١) شريح بن أبرهة
١٣٢) شريك بن أبى الأعقل النجيبى
١٣٣) شريك بن سمى الغطيفى المرادى
١٣٤) شفى بن قانع الأصبحى
١٣٥) شهاب الأنصارى
١٣٦) صالح القبطى
١٣٧) صخار بن صخر
١٣٨) صلة بن الحارث الغفارى
١٣٩) ضمرة بن الحصين البلوى
١٤٠) عامر بن الحارث
١٤١) عامر بن عبدالله بن جهيرة الخولانى
١٤٢) عامر بن عمرو بن حذافة التجيبى
١٤٣) عائذ بن ثعلبة بن وبرة البلوى
١٤٤) عبادة بن الصامت الأنصارى
١٤٥) عبدالله بن أنيس الجهنى
١٤٦) عبدالله بن برير بن ربيعة
١٤٧) عبدالله بن الحارث بن حزم المذحجى
١٤٨) عبدالله بن حذافة بن قيس السهمى
١٤٩) عبدالله بن حوالة الأزدى
١٥٠) عبدالله بن الزبير بن العوام
١٥١) عبدالله بن سعد بن أبى سرح القرشى
١٥٢) عبدالله بن سعد
١٥٣) عبدالله بن سندر
١٥٤) عبدالله بن شُفَىّ الرعينى
١٥٥) عبدالله بن شمر الخولانى
١٥٦) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب
١٥٧) عبدالله بن عديس البلوى
١٥٨) عبدالله بن عمر بن الخطاب
١٥٩) عبدالله بن عمرو بن العاص
١٦٠) عبدالله بن عَنَمة المزنى
١٦١) عبدالله الغفارى
١٦٢) عبدالله بن قيس العتقى
١٦٣) عبدالله بن مالك الغافقى
١٦٤) عبدالله بن المستورد الأسدى
١٦٥) عبدالله بن هشام بن زهرة التيمى
١٦٦) عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق
١٦٧) عبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنة
١٦٨) عبدالرحمن بن العباس بن عبدالمطلب
١٦٩) عبدالرحمن بن عديس البلوى
١٧٠) عبدالرحمن بن عسيلة الصالحى
١٧١) عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب
١٧٢) عبدالرحمن بن غنم الأشعرى
١٧٣) عبدالرحمن بن معاوية
١٧٤) عبد الرُّضا الخولانى

١٧٥) عبدالعزيز بن سَخْبرة الغافقى
١٧٦) عبيد بن قشير
١٧٧) عبيد بن عمر المغافرى
١٧٨) عتبة بن النُّدَر السلمى
١٧٩) عثمان بن عفان
١٨٠) عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى
١٨١) عَجْرِىُّ بن مانع السكسكى
١٨٢) عدى بن عَميرة الكندى
١٨٣) العُرْس بن عميرة الكندى
١٨٤) عروة الفقيمى التميمى
١٨٥) عسجدى بن قانع السكسكى
١٨٦) عقبة بن بجرة الكندى التجيبى
١٨٧) عقبة بن الحارث بن عامر بن عبد مناف
١٨٨) عقبة بن الحارث الفهرى
١٨٩) عقبة بن كديم الأنصارى
١٩٠) عقبة بن نافع الفهرى
١٩١) عكرمة بن عبيد الخولانى
١٩٢) العلاء بن أبى عبدالرحمن بن يزيد
١٩٣) علقمة بن جنادة الأزدى
١٩٤) علقمة بن رمثة البلوى
١٩٥) علقمة بن سمى الخولانى
١٩٦) علقمة بن يزيد المرادى
١٩٧) عمار بن ياسر العبسى
١٩٨) عمارة (أو عمار) بن شبيب السبأى
١٩٩) عمر بن الخطاب
٢٠٠) عمرو بن مالك الأنصارى
٢٠١) عمرو بن الحمق بن كاهن الخزاعى
٢٠٢) عمرو بن سعيد بن العاص الأموى
٢٠٣) عمرو بن شعواء اليافعى
٢٠٤) عمرو بن العاص بن وائل السهمى
٢٠٥) عمرو بن مرة الجهنى
٢٠٦) عمير بن وهب الجمحى
٢٠٧) عنبس بن ثعلبة بن هلال البلوى
٢٠٨) عنبسة بن عمرو بن صالح الرعينى
٢٠٩) عنبسة بن عدى البلوى
٢١٠) عوف بن مالك الأشجعى
٢١١) عوف بن نجوة
٢١٢) عياض بن سفيان الأزدى
٢١٣) غرفة بن الحارث الكندى
٢١٤) غنى بن قطيب
٢١٥) فضالة بن عبيد الله الأنصارى
٢١٦) فضالة الليثى
٢١٧) قتادة بن قيس الصدفى
٢١٨) قدامة بن مالك
٢١٩) قيس بن ثور الكندى
٢٢٠) قيس بن عبادة الأنصارى
٢٢١) قيس بن أبى العاص بن قيس السهمى
٢٢٢) قيس بن على السهمى اللخمى

٢٢٣) قيسية بن كلثوم
٢٢٤) كثير بن أبى كثير الأزدى
٢٢٥) كريب بن أبرهة بن الصباح
٢٢٦) كعب بن عاصم الأشعرى
٢٢٧) كعب بن عدى بن حنظلة التنوخى
٢٢٨) كعب بن يسار بن ضنة المخزومى
٢٢٩) لبدة بن كعب
٢٣٠) لبيد بن عقبة التجيبى
٢٣١) لصيب بن خيثم بن حرملة
٢٣٢) لقيط بن عدى اللخمى
٢٣٣) ليشرح بن لحى الرعينى
٢٣٤) مأبور الخصى
٢٣٥) مالك بن زاهر
٢٣٦) مالك بن أبى سلسلة الأزدى
٢٣٧) مالك بن عبدالله المعافرى
٢٣٨) مالك بن عتاهية بن حرب الكندى التجيبى
٢٣٩) مالك بن قدامة
٢٤٠) مالك بن هبيرة بن خالد التجيبى
٢٤١) مالك بن هدم التجيبى
٢٤٢) مبرح بن شهاب الرعينى
٢٤٣) محمد بن إياس بن البكير
٢٤٤) محمد بن بشير الأنصارى
٢٤٥) محمد بن أبى بكر الصديق
٢٤٦) محمد بن جابر بن عراب
٢٤٧) محمد بن أبى حبيب المصرى
٢٤٨) محمد بن أبى حذيفة بن عتبة
٢٤٩) محمد بن علية القرشى
٢٥٠) محمد بن عمرو بن العاص
٢٥١) محمد بن مسلمة الأنصارى
٢٥٢) محمود بن ربيعة الأنصارى
٢٥٣) محمية بن جزء الزبيدى
٢٥٤) مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى
٢٥٥) المستورد بن سلامة الفهرى
٢٥٦) المستورد بن شداد القرشى
٢٥٧) مسروح بن سندر الخصى
٢٥٨) مسعود بن الأسود البلوى
٢٥٩) مسعود بن أوس بن زيد الأنصارى
٢٦٠) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصارى
٢٦١) المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى
٢٦٢) المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى
٢٦٣) مطعم بن عبيدة البلوى
٢٦٤) المطلب بن أبى وداعة القرشى
٢٦٥) معاذ بن أنس الجهنى
٢٦٦) معاوية بن حديج السكونى
٢٦٧) معاوية بن أبى سفيان
٢٦٨) معبد بن العباس بن عبد المطلب
٢٦٩) معن بن حرملة الهذلى

٢٧٠) معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى

٢٧١) مغيرة بن شعبة الثقفى

٢٧٢) المقداد بن الأسود

٢٧٣) المنيذر الأسلمى

٢٧٤) مهاجر مولى أم المؤمنين أم سلمة

٢٧٥) ناشرة بن سمى اليزنى المصرى

٢٧٦) نبيه بن صواب المهرى

٢٧٧) النعمان بن الجزء بن النعمان العطيفى

٢٧٨) نعيم بن خباب العامرى

٢٧٩) هانى بن جُزء بن النعمان المرادى

٢٨٠) هبيب بن مغفل

٢٨١) هوذه بن عرفطة الحميرى

٢٨٢) وافد بن الحرث الأنصارى

٢٨٣) وهب بن مغفل الغفارى

٢٨٤) لاحب بن مالك بن سعد الله البلوى

٢٨٥) يزيد بن أنيس بن عبدالله الفهرى

٢٨٦) يزيد بن عبدالله بن الجراح

٢٨٧) يزيد بن أبى زياد الأسلمى

٢٨٨) يعقوب القبطى مولى أُبَى

٢٨٩) أبو الأسود مرثد بن جابر العبدى

٢٩٠) أبو الأعور السلمى

٢٩١) أبو أمامة الباهلى

٢٩٢) أبو أيوب الأنصارى

٢٩٣) أبو بردة الأنصارى

٢٩٤) أبو بصرة بن بصرة بن وقاص الغفارى

٢٩٥) أبو ثور الفهمى

٢٩٦) أبو جبر

٢٩٧) أبو جمعة حبيب بن سباع (أو جنيد بن سبع)

٢٩٨) أبو جندب العتقى

٢٩٩) أبو حماد (أو أبو حامد) الأنصارى

٣٠٠) أبو خراش السلمى

٣٠١) أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصارى

٣٠٢) أبو درة البلوى

٣٠٣) أبو ذر الغفارى ، جندب بن جنادة

٣٠٤) أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى

٣٠٥) أبو رافع القبطى

٣٠٦) أبو رمثة البلوى

٣٠٧) أبو الرمداء البلوى

٣٠٨) أبو رهم أحزاب بن أسيد السماعى

٣٠٩) أبو ريحانة شمغون بن زيد

٣١٠) أبو الزعراء

٣١١) أبو زمعة (عبد أو عبيد) البلوى

٣١٢) أبو الزهراء البلوى

٣١٣) أبو زيد الغافقى

٣١٤) أبو سعاد

٣١٥) أبو سعيد الخير الأنمارى

٣١٦) أبو سعيد الإسكندرى

٣١٧) أبو الشموس البلوى

٣١٨) أبو صرمة مالك بن قيس الأنصارى

٣١٩) أبو ضبيس

٣٢٠) أبو عبدالرحمن الجهنى

٣٢١) أبو عبدالرحمن عبد (أو يزيد) بن أنيس الفهرى

٣٢٢) أبو عبدالرحمن القينى

٣٢٣) أبو عثمان الأصبحى

٣٢٤) أبو عطية المزنى

٣٢٥) أبو عميرة رشيد بن مالك الأزدى

٣٢٦) أبو فاطمة ، عبدالله بن أنيس الدوس

٣٢٧) أبو فاطمة الضمرى

٣٢٨) أبو مالك كعب بن عاصم الأشعرى

٣٢٩) أبو مالك

٣٣٠) أبو المبتذل خلف

٣٣١) أبو مسلم المرادى

٣٣٢) أبو مكنف ، عبد رُضا الخولانى

٣٣٣) أبو مليكة البلوى

٣٣٤) أبو منصور الفارسى

٣٣٥) أبو موسى مالك بن عبادة الغافقى

٣٣٦) أبو هريرة الدوسى

٣٣٧) أبو هند برير بن عبدالله الدارى

٣٣٨) أبو الهيثم

٣٣٩) أبو وحوح البلوى (أو الأنصارى)

٣٤٠) أبو اليقظان ، عمار بن ياسر

٣٤١) رجل من صداء

٣٤٢) أبو جذيع المرادى

٣٤٣) مارية بنت شمعون القبطية

٣٤٤) سيرين بنت شمعون

٣٤٥) أم زكريا ، سيرين

٣٤٦) أم عبدالله بنت بنية بن الجراح

٣٤٧) أم ذر زوجة أبى ذر الغفارى

٣٤٨) فاضلة الأنصارية

٣٤٩) سودة بنت أبى ضبيس الجهنية

وقد لاحظنا على هذه القائمة أن بعضهم قيل فيه «لاتصح له صحبة» أو «مختلف فى صحبته» ، كما وأن بعضهم قد تكرر ذكره مثل من جاء بأرقام ٢٤ و ٧٤ و ٢٩٤ وبرقمى ٣٢٦ و ٣٢٧ ورقمى ٢٢٦ و ٣٢٨ ورقمى ١٩٨ و ٣٤٠ . كما وأنه ليس جميع من ساق ذكرهم رضى الله عنهم قد شهدوا عملية فتح مصر ، إنما ذكر ذلك عن نحو ١٤٠ منهم وذكر عن آخرين أنهم «نزل مصر» أو «سكن بمصر» أو «مات بمصر» ، أو «وهو من التابعين» ، أو لم يذكر شيئاً .

لعلنا لاحظنا مداومة المراسلات بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص حتى نستطيع القول أن «دفتر» البريد الصادر والوارد بين الرجلين يقدم تاريخاً حياً لهذه الفترة ، فاستخرجنا منه هذه الصفحة ، منها ما جاء تحديده فى المصادر ـ وهو الأقل ولكنه كاف لتحديد الإطار بأكمله ـ ومنها ما هو تقديرات بينية .

٢٩ ذى الحجة ٢٠	٧ ديسمبر ٦٤١	فتح بابليون .
		بعث عمرو إلى عمر يستأذنه فى السير إلى الإسكندرية .
		جاء جواب عمر يأمر عَمْرًا بذلك .
١٩ جمادى الآخرة ٢١	٢٣ مايو ٦٤٢	الوصول إلى الإسكندرية .
٢٩ رمضان ٢١	٢٩ أغسطس ٦٤٢	فتح الإسكندرية .
١ شوال ٢١	٣١ أغسطس ٦٤٢	بعث عمرو ، معاوية بن حديج إلى عمر بفتح الإسكندرية .
٥ شوال ٢١	٤ سبتمبر ٦٤٢	كتب عمرو إلى عمر بفتح الإسكندرية .
١١ شوال ٢١	١٠ سبتمبر ٦٤٢	كتب عمرو إلى عمر بطلب الزبير بن العوام أن يقسم الإسكندرية .
١٩ شوال ٢١	١٨ سبتمبر ٦٤٢	كتب عمرو إلى عمر بطلب رد السبى .
٦ ذى القعدة ٢١	٤ أكتوبر ٦٤٢	وصل كتاب عمرو إلى عمر بطلب رد السبى .
١٧ ذى الحجة ٢١	١٤ نوفمبر ٦٤٢	وصل السبى الذى رده عمر إلى مصر .
محرم ٢٢	ديسمبر ٦٤٢	الرجوع إلى بابليون وإقامة الفسطاط والجيزة .
ربيع الأول ٢٢	فبراير ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو أن يكسر المنبر .
٦ ربيع الآخر ٢٢	١ مارس ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر أنه اختط له داراً عند المسجد .
٢٢ ربيع الآخر ٢٢	١٧ مارس ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو عن الدار أن يجعلها سوقاً للمسلمين .
٢٥ ربيع الآخر ٢٢	٢٠ مارس ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو عن حجرة خارجة بن حذافة .
٢٩ ربيع الآخر ٢٢	٢٤ مارس ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر عن نزول همدان الجيزة .

١٧ جمادى الأولى ٢٢	١٠ ابريل ٦٤٣	وصول خطاب عمرو إلى عمر
٤ جمادى الآخرة ٢٢	٢٧ ابريل ٦٤٣	وصول جواب عمر إلى عمرو .
		بعث عمرو ، نافع بن عبد القيس إلى النوبة .
شعبان ٢٢	يولية ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر عن تقليد إلقاء جارية فى النيل
		جواب عمر إلى عمرو .
		كتب عمرو إلى عمر عن سفح جبل المقطم .
٢٩ رمضان ٢٢	١٨ أغسطس ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو باستبطاء الخراج {بعد سنة من الخراج السابق} .
١٠ شوال ٢٢	٢٩ أغسطس ٦٤٣	فتح الفيوم بعد تمام الفتح بسنة .
١٥ شوال ٢٢	٣ سبتمبر ٦٤٣	وصول رسالة عمر إلى عمرو بشأن استبطاء الخراج .
٢٧ شوال ٢٢	١٥ سبتمبر ٦٤٣	يوم الصليب ١٧ توت ٣٦٠ .
٣ ذى القعدة ٢٢	٢٠ سبتمبر ٦٤٣	وصول رسالة عمرو إلى عمر عن استبطاء الخراج .
٤ ذى القعدة ٢٢	٢١ سبتمبر ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو للمرة الثانية عن استبطاء الخراج
٢٠ ذى القعدة ٢٢	٧ أكتوبر ٦٤٣	وصول رسالة عمر إلى عمرو .
٢٢ ذى القعدة ٢٢	٩ أكتوبر ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر عن استبطاء الخراج .
٨ ذى الحجة ٢٢	٢٥ أكتوبر ٦٤٣	وصول رسالة عمرو إلى عمر
٩ ذى الحجة ٢٢	٢٦ أكتوبر ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو أن يبعث إليه رجلاً من أهل مصر .
٢٦ ذى الحجة ٢٢	١٢ نوفمبر ٦٤٣	وصول رسالة عمر إلى عمرو بالفسطاط .
٢٨ ذى الحجة ٢٢	١٤ نوفمبر ٦٤٣	من عمر إلى عمرو أن يسأل المقوقس عن مصر من أين تأتى عمارتها وخرابها .
٢٩ ذى الحجة ٢٢	١٥ نوفمبر ٦٤٣	أرسل عمرو رجلاً من القبط إلى عمر كطلبه .
٥ محرم ٢٣	٢٠ نوفمبر ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر أن شريك بن سمى زرع .
١٦ محرم ٢٣	١ ديسمبر ٦٤٣	كتب عمرو إلى عمر بجواب المقوقس عن أسباب عمارة مصر .

١٧ محرم ٢٣	٢ ديسمبر ٦٤٣	وصول القبطى إلى المدينة .
٢٢ محرم ٢٣	٧ ديسمبر ٦٤٣	وصول كتاب عمرو بشأن شريك إلى عمر .
٢٣ محرم ٢٣	٨ ديسمبر ٦٤٣	كتب عمر إلى عمرو أن يرسل إليه شريك بن سمى .
٩ صفر ٢٣	٢٤ ديسمبر ٦٤٣	وصول كتاب عمر إلى عمرو فى شأن شريك .
١١ صفر ٢٣	٢٦ ديسمبر ٦٤٣	بعث عمرو بشريك إلى عمر .
٢٧ صفر ٢٣	١١ يناير ٦٤٤	وصول شريك إلى المدينة .
٢٨ صفر ٢٣	١٢ يناير ٦٤٤	كتب عمر إلى عمرو أن شريكاً تاب وأنه قبل منه .
٢ ربيع الأول ٢٣	١٥ يناير ٦٤٤	كتب عمر إلى عمرو بالرمادة فى المدينة وطلب الغوث
١٥ ربيع الأول ٢٣	٢٨ يناير ٦٤٤	وصول شريك إلى الفسطاط عائداً من المدينة .
١٩ ربيع الأول ٢٣	١ فبراير ٦٤٤	وصول كتاب عمر إلى عمرو عن الرمادة .
٢٦ ربيع الأول ٢٣	٨ فبراير ٦٤٤	كتب عمرو إلى عمر أنه يبعث إليه عيراً عظيمة (بعد تجهيزها) .
١٢ ربيع الآخر ٢٣	٢٤ فبراير ٦٤٤	رحلة عمرو من الفسطاط إلى المدينة .
٢٦ ربيع الآخر ٢٣	٩ مارس ٦٤٤	وصول العير إلى المدينة .
٢٩ ربيع الآخر ٢٣	١٢ مارس ٦٤٤	عمرو يصل إلى المدينة .
٣ جمادى الأولى ٢٣	١٥ مارس ٦٤٤	عمرو يغادر المدينة عائداً إلى الفسطاط .
٨ جمادى الأولى ٢٣	٢٠ مارس ٦٤٤	مجىء قبطى إلى عمر يستعيذ به من ابن عمرو .
٩ جمادى الأولى ٢٣	٢١ مارس ٦٤٤	كتب عمر إلى عمرو أن يأتيه فى المدينة ومعه ابنه .
١٩ جمادى الأولى ٢٣	٣١ مارس ٦٤٤	عمرو يصل إلى الفسطاط عائداً من المدينة .
٢٥ جمادى الأولى ٢٣	٦ أبريل ٦٤٤	وصول رسالة عمر إلى عمرو بطلب حضوره ومعه ابنه
٢٦ جمادى الأولى ٢٣	٧ أبريل ٦٤٤	سفر عمرو وابنه من الفسطاط إلى عمر بالمدينة .
١٣ جمادى الآخرة ٢٣	٢٤ أبريل ٦٤٤	وصول عمرو وابنه إلى المدينة .
١٧ جمادى الآخرة ٢٣	٢٨ أبريل ٦٤٤	رحيل عمرو وابنه من المدينة إلى الفسطاط .

٥ رجب ٢٣	١٥ مايو ٦٤٤	وصول عمرو وابنه إلى الفسطاط .
٧ رجب ٢٣	١٧ مايو ٦٤٤	كتب عمرو إلى عمر عن رجل أسلم ثم كفر .
٢٦ رجب ٢٣	٥ يونية ٦٤٤	وصول الكتاب إلى عمر بالمدينة .
١٤ شعبان ٢٣	٢٣ يونية ٦٤٤	وصول جواب عمر إلى عمرو بالفسطاط .
		سير عمر وصحبه إلى الجار لينظروا سفن مصر .
١٩ شعبان ٢٣	٢٨ يونية ٦٤٤	سير عمرو إلى برقة .
٢٣ رمضان ٢٣	٣١ يولية ٦٤٤	وصول عمرو إلى برقة .
٣٠ رمضان ٢٣	٧ أغسطس ٦٤٤	وصول عمرو إلى أطرابلس .
٣ شوال ٢٣	١٠ أغسطس ٦٤٤	عمرو يكتب إلى عمر يستأذنه فى فتح إفريقية .
٢ ذى الحجة ٢٣	١٧ سبتمبر ٦٤٤	وصول كتاب عمرو إلى عمر .
٥ ذى الحجة ٢٣	١٩ سبتمبر ٦٤٤	عمر يكتب إلى عمرو بعدم موافقته .
٢٦ ذى الحجة ٢٣	٣١ أكتوبر ٦٤٤	مقتل عمر بن الخطاب .

قبل فتح مصر ، فتح المسلمون العراق وساروا إلى الشرق ، كما فتحوا الشام ، وفى هذه وتلك وقعت معارك كبيرة مثل البويب {رمضان ١٣ هـ نوفمبر ٦٣٤} واليرموك {٥ رجب ١٥ هـ ٣٠ أغسطس ٦٣٦} ضد ٢٠٠٠٠٠ من الروم ، والقادسية {١٦ شعبان ١٥ هـ ٢٢ سبتمبر ٦٣٦} ضد ١٢٠٠٠٠ من الفرس ، ثم كانت نهاوند ضد ١٥٠٠٠٠ من الفرس ، كل ذلك بأعداد من الجند أكثر كثيراً مما وقع فى مصر ، ولعل فتح مصر كان أيسر وأهون ، فأى تعليل لذلك ؟

فى أكثر قليلاً من عشرين عاماً ، منذ بدأ الوحى يتنزل فى غار حراء أقام محمد بن عبدالله ﷺ دولة الإسلام فى صحراء شبه جزيرة العرب بصورة لم تكن تخطر على بال أحد ، ثم بعث مبعوثيه إلى ما حولها يدقون أبوابها . والأهم من ذلك أنه نجح فى تربية جيل من الصحابة الأخيار الأبرار يكملون الرسالة من بعده فانسابوا خارج شبه الجزيرة ، لا للاستيلاء على مغانم وبلاد وأراض ولكن ليبلغوا رسالة ربهم ، ولإنشاء الدولة وتكوين الأمة .

قلنا فى فتح الشام أن المسلمين كانوا يوجهون رأس حربتهم نحو عاصمتها دمشق ، ولم يكن الروم يقابلون ذلك بهجوم مباشر ضدهم هناك ، إنما كانوا يبعثون قواتهم المرة تلو الأخرى إلى الجنوب من مواقع المسلمين بجيوش تسير على طرق أخرى لإجبارهم على الانسحاب من الشمال إلى الجنوب لاستنقاذ الأرض التى فقدوها .

وكان المسلمون يستجيبون لما يستهدفه هرقل فينسحبون جنوباً متخلين عما كانوا قد فتحوه ولكن كان هدفهم دائماً هو دحر الجيش البيزنطى حيثما وجد ، وهذا يدعونا إلى التساؤل عن السبب الذى جعل الروم يخالفون هذا الأسلوب فى مواجهة الفتح الإسلامى لمصر .

نذهب إلى أن ذلك يرجع إلى أسباب جغرافية تحكم العمليات الحربية ، فبلاد الشام سهل ساحلى ضيق فى الغرب بحذاء البحر ، ثم جبال لبنان تمتد من شماله إلى جنوبه ، ثم حوض يتسع ويضيق حتى البحر الميت ، ومن بعده خليج العقبة ، ثم سلسلة الجبال الشرقية ، ثم بادية الشام ، فكان الروم يستطيعون تسيير قواتهم من الشمال إلى الجنوب من خلال ذلك ، أما مصر فهى أرض منبسطة ليست فيها خاصية بلاد الشام ، فضلاً عن أن ذلك الأسلوب ـ رغم وجاهته ـ لم ينجح فى وقف الفتح الإسلامى للشام .

معارك الفرس ذهبت بدولتهم حتى تحولت إلى ولاية إسلامية ، كما أنهكت الوقائع الكبيرة فى الشام دولة الروم فلم يعد لها من الإمكانيات الحربية والمالية فضلاً عن البشرية ما تستطيع معه مواصلة الحرب أكثر مما كان فضلاً عن أن الدولتين كانتا فى حروب استمرت سنوات بينهما قبل أن يظهر الإسلام ، وكانت دولة الروم تمر بسلبيات داخلية وخلافات حول من يحكمها واستبداد بشعب مصر الذى رزح تحت سلطانها قروناً . هذا فى حين كانت دولة الإسلام فتية فى مراحل نشأتها ، وبناء كيانها واعتناقها دين الله الذى ختم به الرسالات .

تم فتح مصر فى نحو من عامين بين شهر ذى الحجة ١٩ هـ نوفمبر ٦٤٠ م حتى آخر شهر رمضان ٢١ هـ أغسطس ٦٤٢ . ومنذ حينذاك صارت مصر إسلامية ، بل صارت قطباً فى دولة الإسلام أو بين دوله ، وليس هذا فقط بل كانت الطريق إلى الشمال الأفريقى وغرب أفريقيا حتى المحيط الأطلسى {بحر الظلمات} ، ثم الأندلس .

الهدف هو بناء الإنسان المسلم الذى يعرف ربه ويعبده وتلك هى رسالة الإسلام التى حدثت الفتوح من أجلها ، وليس للحصول على مغانم أو الاستيلاء على أرض . وبين أيدينا نموذج فريد .

فى أعماق الصين بشمالها الغربى بينها وبين منغوليا ، وغربى عاصمتها بكين بمسافة يقطعها القطار فى أكثر من ٢٧ ساعة ، ولاية نينغيشيا الإسلامية ذات الحكم الذاتى ، ثلث شعبها من المسلمين ، وبها ١٨٠٠ مسجد وعاصمتها چنتوان . هذه الولاية لم تصلها فتوح ولا دعاة للإسلام ، فكيف بلغها وأسلم أهلها ؟

زحف هولاكو بجيش التتار يدمر كل شىء ، وأسقط الخلافة العباسية فى بغداد وعبر نهر دجلة ... ثم اتجه كتبغا نحو مصر حتى هزمه قطز قريباً من حدودها فى عين جالوت فعاد أدراجه فى هزائم متلاحقة ٦٥٨ ـ ٦٥٩ هـ ، هذا الجيش المعتدى ثم المنهزم هو الذى عاد أفراده مسلمين فكانوا نواة الإسلام فى نينغيشيا ، وسبحان الله !!

المراجع

القرآن الكريم .

آثار مصر القديمة . — چيلان عباس

أثر العوامل الجغرافية فى الفتوح الإسلامية — محمد أحمد حسونة

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . — المقدسى البشارى

الأخبار السنية فى الحروب الصليبية . — سيد على الحريرى (مطبعة النيل ١٣٢٩ هـ)

الأخبار الطوال . — الدينورى ، ابو حنيفة احمد بن داود ٢٨٢ هـ

الإستيعاب . — يوسف بن عبدالله

أسد الغابة فى معرفة الصحابة . — عز الدين بن الأثير

الإصابة . — ابن حجر العسقلانى

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها — ادوارد چيبون

أضواء على التاريخ الإسلامى . — محمد فتحى عثمان

الأعلاق النفيسة . — أحمد بن عمر بن رستة

الأعلام . — خير الدين الزركلى

الأغانى . — أبو الفرج الأصفهانى ، على بن الحسين بن محمد القرشى ٣٥٦ هـ

اقليم المنيا فى العهد البيزنطى . — د . زبيدة محمد عطا

الانتصار لواسطة عقد الأمصار . — ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى الشهير بابن دقماق ٨٠٩ هـ ١٤٠٦ م

بدائع الزهور فى وقائع الدهور . — محمد بن أحمد بن إياس الحنفى

بلاغات النساء . — ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر)

تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى . — د . السيد عبدالعزيز سالم

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام . — شمس الدين الذهبى ٧٤٨ هـ

تاريخ الأقباط — زكى شنودة

تاريخ الأمم والملوك . — الطبرى ـ محمد بن جرير ٣١٠ هـ

تاريخ بغداد . — الخطيب البغدادى

تاريخ التاريخ . — على أدهم

تاريخ جوهر الصقلى . — د . على إبراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣

تاريخ الجيوش . — چورج كاستلان

تاريخ الحركة القومية . — عبدالرحمن الرافعى

تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة . — عبدالرحمن الرافعى

تاريخ الحضارة . — ول ديورانت

تاريخ ابن خلدون .

تاريخ خليفة بن خياط .

تاريخ دمشق — ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله

التاريخ الصغير . — البخارى ، محمد بن اسماعيل

تاريخ عمر بن الخطاب . — ابن الجوزى ـ عبدالرحمن بن على

تاريخ الفتح العربى فى ليبيا . — الظاهر أحمد الزاوى

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . — البطريرك أفتيشيوس الملقب سعيد بن بطريق الأنطاكى ٩٣٨ م

تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الغزو الفارسى . — جيمس هنرى برستد **Brested**

تاريخ المكين بن العميد ـ المسمى تاريخ المسلمين . — المكين بن العميد

تاريخ موجات الجنس العربى . — محمد عزة دروزة

تبسيط الاستراتيجية . — على فهمى عبد الستار

تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين . — عبدالله بن حجازى الشرقاوى

تقويم البلدان — ابو الفدا

الكتاب	المؤلف
تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير .	عبدالرحمن بن الجوزى
تهذيب تاريخ دمشق .	عبد القادر بدران
التقاويم .	محمد محمد فياض {إدارة الثقافة العامة ـ وزارة التربية والتعليم بمصر}
جامع التواريخ ـ تاريخ المغول .	رشيد الدين فضل الله الهمذانى {وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ مصر ـ مطبعة الحلبى ١٩٦٠}
الجزية والخراج فى الإسلام .	دانيل كنيث
الجغرافية التاريخية .	د . عبدالفتاح محمد وهيبة
جغرافية العالم الإسلامى .	د . صلاح الدين على الشامى ، د . زين الدين عبدالمقصود
جغرافية مصر القديمة .	سليم حسن
جمهرة أنساب العرب .	ابن حزم الأندلسى ، أبو محمد على بن احمد بن سعيد ـ ٤٥٦ هـ
الجيش المصرى فى العصر الإسلامى .	د . عبدالرحمن زكى
الجنود .	الكتب الرائدة ـ مكتبة لبنان ـ بيروت
حرب الصحراء .	فاروق الطويل
الحرب عبر التاريخ .	مونتجمرى ، برنارد لو
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .	الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ٩١١ هـ ١٥٠٥ م
الحواضر الإسلامية الكبرى .	د . عصام الدين عبد الرؤوف
الحياة الاجتماعية عند العرب .	ظافر القاسمى
الخراج وصنعة الكتابة .	قدامة بن جعفر
الخراج .	أبو يوسف
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال	صفى الدين احمد الخزرجى
دائرة المعارف الإسلامية .	
دراسات فى معارك الحرب العالمية الثانية فى شمال أفريقيا .	شوقى أقلاديوس

الكتاب	المؤلف
دول الإسلام .	الذهبى ، شمس الدين محمد بن احمد ـ ٧٤٨ هـ ١٣٤٨ م
رحلة إلى مصر ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ م .	كارستن نيبور ـ ترجمة د . مصطفى ماهر
زاد المعاد فى هدى خير العباد .	ابن القيم الجوزية .
سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية .	أحمد عادل كمال
السلوك لمعرفة دول الملوك .	المقريزى ١٤٤٢ م تقى الدين احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد
سير الآباء البطاركة .	ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين
سيرة الفاروق .	شمس العلماء شبلى النعمانى
سيرة القاهرة .	حسن إبراهيم وعلى إبراهيم وإدوارد حليم
السيرة النبوية .	ابن هشام ، المعافرى الحميرى ابو محمد عبدالملك
شرح كتاب السير الكبير .	السرخسى
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .	القلقشندى احمد بن على ٨٢١ هـ ١٤١٨ م
الضعفاء الصغير .	البخارى ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ٨٦٩ م
الضعفاء والمتروكين .	النسائى ، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب ٩١٥
الطبقات .	خليفة بن خياط
طبقات الحفاظ .	جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ٩١١ هـ
الطبقات الكبرى .	محمد بن سعد
الطريق إلى دمشق .	أحمد عادل كمال
الطريق إلى المدائن .	أحمد عادل كمال
العالم البيزنطى .	ج م هسِّى ـ ترجمة د . رأفت عبدالحميد
العقد الفريد .	أحمد بن محمد بن عبد ربه
العواصم من القواصم .	القاضى أبو بكر بن العربى
عيون الأخبار .	ابن قتيبة الدينورى
فتح العرب لمصر .	الفريد بتلر ـ تعريب محمد فريد أبو حديد
الفتنة ووقعة الجمل .	سيف بن عمر
الفتوحات الإسلامية الكبرى .	چون باجوت جلوب
فتوح البلدان .	البلاذرى ٢٧٩ هـ ، احمد بن يحيى بن جابر

فتوح مصر وأخبارها . عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ٢٥٧ هـ ٨٧١ م

الفضائل الباهرة . ابن ظهيرة ، ابراهيم بن على ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م

فضائل مصر . الكندى ، عمر بن محمد بن يوسف ٣٥٠ هـ

الفهرست . ابن النديم

فى الحرب . الجنرال كارل فون كلاوزفيتر

فى الحرب عند العرب . ابراهيم مصطفى المحمود

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ . محمد رمزى

القتال فى الإسلام . أحمد نار

قلعة صلاح الدين . د . عبدالرحمن زكى

قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط . د . إبراهيم أحمد العدوى

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . جمال الدين القاسمى

الكامل فى التاريخ . عز الدين بن الأثير

الكامل فى ضعفاء الرجال . عبدالله بن عدى

كتاب حفريات الفسطاط على بهجت بك ، مسيو البير جبرييل ـ دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨

الكتاب المقدس .

لسان الميزان . ابن حجر العسقلانى

المجروحين . محمد بن حبان

محمد بن مَسْلمة الأنصارى . أحمد عادل كمال

مدخل إلى التاريخ العسكرى . إيريك موريز

مذكرات روميل . اروين روميل

مروج الذهب . المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين بن على

مساجد مصر من سنة ٢١ هـ ٦٤١ م إلى ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م . وزارة الأوقاف المصرية ١٩٤٨

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون . د . سعاد ماهر

المسالك والممالك . الإصطخرى ، ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى

المسالك والممالك . ابن خرداذبه

مصر الإسلامية وتاريخ الخطط . محمد عبدالله عنان

مصر القديمة . سليم حسن

مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى . هـ آيدرس بل ـ ترجمة د . عبداللطيف أحمد على

المعارف . ابن قتيبة الدينورى

معارك الإسلام الكبرى . جماد الدين حماد

معارك الشرق الأوسط ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ . محمود صبحى ، أحمد شوقى عبدالرحمن

معجم البلدان . ياقوت الرومى الحموى

معجم قبائل العرب . عمر رضا كحالة

المناورات الحربية الدفاعية . ليدل هارت

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار . تقى الدين احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد المقريزى ١٤٤٢ م

الموسوعة .

الناس فى مصر القديمة . د . فوزى مكاوى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . جمال الدين ابو المحاسن بن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ٨٧٤ هـ

نسب قريش . عبدالله المصعب

نهاية الأرب فى فنون الأدب . النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ

وحدة تاريخ مصر . محمد العزب موسى

وصف مصر . علماء الحملة الفرنسية

الوفيات . ابن قنفذ ، احمد بن حسن بن على الخطيب

وفيات الأعيان . ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان ٦٨١ هـ

ولاة مصر . محمد بن يوسف الكندى ٣٥٠ هـ

دليل الأعلام

استثنينا هنا ما جاء عن أعلام الرواة {الفصل الثالث} ، وعمن دخل مصر من الصحابة {الباب التاسع} فكلاهما مرتب ويؤدى الغرض .

يوسف (عليه السلام) ١٢ / ٣٥٠

دليل الأماكن

دليل الخرائط والأشكال

أولاً: دليل الخرائط

ثانياً: دليل الأشكال

الفهرست